هذه المحاولة

تحرير المعرفة

ليس بوسعنا أن نصف هذا الجزء من (المعرفة) الذي خصصناه بموضوع فلسطين ، قضيتنا الكبرى ، الا بأنه (محاولة) في تعريف القضية ، والطواف حولها من مختلف الجوانب او من بعضها .

ووصفنا هذا الجزء من (المعرفة) بالمحاولة ، نرجو ألا يأخذه القارىء العربي على أنه من قبيل التواضع الكاذب ، بل على أنه اعتراف صادق بالقصور دون خطر الموضوع الذي نتصدى له وجلاله ، بله عمقه وتعقده . فالخمسمائة صفحة ، ومعظمها من الحرف الدقيق ، لا يمكن أن تضم بين دفتيها كل ثقافة الموضوع ، ولا بعضها الكافي . وحسب المجلة من عناء محنة الاعتراف أنها لبثت منه إلا في حدود المحاولة الأولى ، التي نرجو أن تتبعها محاولات .

والقول باننا في حدود المحاولة ، لا يعفينا من الاشارة الى ان عدداً غير قليل من البحوث والدراسات والأفكار التي سيطالعها القارىء ، قد تناول الموضوع الجليـــل بكل تفهم وعمق وتسديد ، وخلص من العرض والتحليل الى التركيز والتقرير ، فجمع الى المعالجة العلمية الهادئة ، وضوح الرؤية في المدى القريب والمدى البعيد .

وان لم يكن من طموح خطة (المعرفة) أن ترسم الطريق ، وتحدد الهدف وتمر من البحث والتعريف وهز العقول والمشاعر الى رسم سياسة الدولة العربية ، التي تجابه قضية

قومية هي في رأس قضايا العالم ، ومشكلات العصر ، فان بعض البحوث والافكار التي احتوتها هذه الصفحات ، لم تقصر بجرأتها وصراحتها دون الاحاطة بالمبادىء العامة التي يجب أن تسود سياسة المسيرة العربية ، والمصير العربي .

. . .

لقد وضع (تحرير المعرفة) للعدد الخاص عن (القضية العربية في صراعها مع الصهيونية العالمية) برنامج عمل ، يتضمن المواضيع الرئيسية التي يجب طرحها للمعالجة والبحث والتقصي . وحرص البرنامج على ان يغطي القضية من مختلف جوانبها بحيث ان لم يتيسر التقصي والتعمق ، فلا أقل من الالمـــام والتوجيه . بل ذهب البرنامج الى اكثر من هذا : تحديد عناوين المواضيع ، واستعراض بعض اسماء باحثيها ومعالجيها . واستعان التحرير ، بالمراسلة والاتصالات الشخصية – والرسميـــة من قبل الوزارة – بعدد من الاصدقاء والمراجع واصحاب البحوث المشهورة في القضية ، على النطاق السوري العربي ، والأجنبي . وان كان هذا التقديم ، ليس مجالاً للشكوى ، او لعرض ما تلقى هذه المحاولات من عقبات ومتاعب ، فلا أقل من الجهر بأن تنفيذ برنامج العمل كما رسم ، كان هدفاً متعذر التحقيق . وكان على التحرير أن يقبل من الباحثين ما يختارون من مواضيع لا أن يفرض عليهم المواضيع المقترحة . وكان اعتذار البعض ، وسكوت البعض الاخر جواباً وحيداً . بينما تطوع اصدقاء **آخرون لارشاد التحرير وتشجيعه والعمل الى جانبه ، فسدوا ثغرة واسعة في المشروع ، واسدوا للمعرفة يداً تضاف الى أياد لهم سابقة في حقل الثقافة والعمل القومي . بعضهم من حمل هـذا العدد الخاص أسماءهم وبعضهم الآخر ، أرشد ووجه برسائله وبأحاديث خاصة ، وآخرون شرعوا حقاً في الكتابة بحسب برنامج العمل ، فحال الوقت دون اشتراكهم ببحوثهم في هـــذه المحاولة الأولى . ووصلتنا دراسات واقتراحات من قريب ومن بعيد ، متأخرة ، بعد أن بلغ العدد الخاص هذا الحجم الكبير . فلزم علينا أن نلتقي بهم والقراء العرب في محاولة تالية .**

من البحوث والدراسات المتوقع ان تكون من مضامين جزء تال من المعرفة : بحث في الاحزاب الاشتراكية في العالم ومواقفها من القضية . وبحث آخر في المنظمات الصهيونية في دول امريكا اللاتينية وتنظيم جالياتنا العربية . وآخر في اليهودية والصهيونية في الدول الديموقراطية..

وآخر في تنظيم صندوق عربي مشترك . وآخر في تنظيم جمعيات الطلاب العرب ، وبعض بحوث بأقلام كتاب أجانب . وترجمات في الموضوع ، عن كتب عالمية حديثة .

ان ثقافة الموضوع الجليل لأضخم من ان تستنفد لهـا الجهود ، في عمل نشري واحد . فعسى أن تهدينا تجربتنا الى نقصهـا ، وعسى أن يتيسر الصحافة العربية ، وما اكثر مجلاتها الفكرية في الوطن العربي الى النهوض ببعض هذا الواجب الثقافي القومي ، والى تدارك عجز المحاولات الاخرى ، التي مثل هذه المحاولة، وتزعم انها الاول من نوعها - بكل أسف -(*)

ونحن ، هنا في مجلة المعرفة ، قد ارشدتنا تجربتنا الى واقع لابد من الجهر به ، بكثير من المرارة: هو أن مثل هذا المشروع الثقافي القومي ، انما يجب ان تنهض به مؤسسات كبيرة ، وعلى نطاق دولة ، واكثر ، على نطاق دول ، ليس من اجـل انجازه تأليفاً بحشد كل الكفاءات الفكرية والعلمية ، فحسب ، بل من اجل توزيعه توزيعاً واسعاً على نطاق الوطن العربي ، ثم الخروج به الى الملأ الأوسع .

وبكل مرارة نقول ان (البيان السياسي) في تاريخ القضية ، هو الذي يملأ وحده معظم الفراغ الثقافي القومي ، الذي نعيش في صفيحه . ولولا ان بعض الكتب القيمة القليلة التي قدمتها اقلام عربية ، قد القت النور في طريق الاجيال الجديدة التي يجب ان تتعرف باستمرار الى القضية في الورق المشتعل بالحرف ، ولولا ان بعض البيان السياسي في المناسبات القومية ، قد شحذ بعض الشرر حول الجانب العاطفي من حياتنا الثقافية ، لكان علينا ان نعيش في وحشة الصقيع الرهيب ، على هامش اشتعال القضية واحتراقنا بها .

انا أمام قضية عظمى لا تشغل العربي فحسب ، بل قد بلغت القدر الذي اصبحت معه يوماً بعد يوم ، شاغل الانسان الحديث في أرجـاء العالم المعاصر كله . وفي ميادين هذا الانشغال العالمي بالقضية العربية ، انا نسأل انفسنا ويسألنا العالم أية مساحة نغطيها نحن ، في هذا المدى الوسيـع ؟!.

(*) تجدر بنا الاشارة الى ان مجلة (الآداب) في بيروت قامت بمحاولة أدبية موفقة في موضوع (القضية الفلسطينية) مئة صفحة – عدد آذار لعام ١٩٦٤ .

هل ثقافتنا على قـــدر قضيتنا . أم اننا في زواياها المهملة مضغوطون محاصرون

فعسى أن تكون تجربة المعرفة ، في نشر ثقافة القضية ، تجربة صغيرة مفيدة ، ليس في تقديم الزاد المنشود ، بل في طلب المزيد منه ، وفي الحث اليه ، وفي الارشاد الى قدره وأولويته في حياتنا اليومية .

ـ المعرفة ـ

المعرفة في سنتها الخامسة

وبهذا العدد الخاص ـ رقم ٤٩ ـ تبدأ (المعرفــة) شهرها الاول ـ آذار ـ من سنتها الخامسة ، على امل ان تستمر في تقدمها ابداً نحو الأحسن ، بفضل العدد المتزايد من اصدقائها ومراسليها في الوطن العربي ، الذين مابرحوا يمحضونها الود ، ويبدون اليها النصح والتوجيه ، فلا يبخلون بنقد ، ولا يضنون بعطف ، ولا يستخفون بعناء وجهد .

ترتيب بحوث العدد الخاص

روعيت في ترتيب بحوث هذا العدد الخاص ، اعتبارات أساسية طباعية ، أهمها مواعيد وصول البحوث إلى تحرير المعرفة ، وضرورة المباشرة بطبعها تدريجاً . ثم تقسيم بحوث العدد الخاص إلى ثلاثة أقسام . ثم اضطرار المطبعة إلى طبع البحوث بعد اقرار كل فهرس في مقدمة القسم .

مخفر للأمبريالية العالمية

« دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة ،
نموذج للغباء السياسي والغرور الجلف .. »

بقلم سليمان الخش

في كثير من الكتب التي قرأتها حول « الصهيونية » وفي غالب المقالات التي اطلعت عليها ، حول هذا الموضوع ، ما يشير الى ان « الصهيونية العالمية » من القوة والتنظيم بحيث استطاعت أن تفرض وجودها المادي والأدبي على دول أوروبية مجتمعة ، وعلى الولايات المتحدة الامريكية ، وان تلعب بسياسة هذه البلدان لحساب مصالحها العدوانية في فلسطين .

بعض مؤلفي هذه الكتب أو المقالات التي قرأتها : اجانب غربيون ، وبعضهم عرب من

أبناء هذه البلاد ، وبعضهم من أبناء النكبة في فلسطين ، والجميع ، باختلاف مشاربهم ونزعاتهم متفقون على أن « الصهيونية الدولية » قد جرّت سياسيي أمريكا خاصة ، وسياسيي أوروبة بشكل عام ، من خياشيمهم ، ودفعت بهم دفعاً الى تبني مطالبها العدوانية في فلسطين المحتلة ، حتى ليبدو للقارىء وكأن السياسيين الأمريكان والانكليز والفرنسيين ، يستحقون العطف والشفقة أمام الضغط الصهيوني الجبار العنيد ، الذي اكره أولئك الساسة على نهج سياسي معين ، لاناقة لهم فيه ولا جمل .

وحتى الآن ، فان الصحافة العربية الغبية ، والصحافة العربية المأجورة ، تريدان أن تقنعانا أن بضعة عشر مليوناً من الناس ، يعتنقون الديانة اليهودية في اوروبة وامريكا ، وبعضاً من هذه البضعة عشر مليوناً ينظمون انفسهم تنظيماً صهيونياً ، هؤلاء يسيطرون على اقتصاد الولايات المتحدة ، ويرجحون الكفة في انتخاباتها ، ويؤثرون على رؤساء جمهورياتها ، ويفعلون فعلهم في سياستها ، وتظل هذه الصحافة تبالغ وتبالغ حتى يظن المرء أنه لاحول ولا طول للشعب الامريكي ، وانهم مساكين ساسته الواقعون تحت تأثيرات اقوى منهم ، وانه بالتالي لافائدة في مقاومة الصهيونية : فالصهيونية قوة لاتقهر . أفلا ترونها دوماً متغلبة على سياسيي أوروبة وامريكا ، ومؤثرة في السياسة العالمية قاطبة ...! .

وما من شك في ان « الصحافة العالمية » واجهزة الاعلام الأمبريالية ، والكتاب السطحيين الواقعين تحت تأثير هذه الاجهزة ، يريدون أن يصلوا بالعرب الى نقطتين .

أولاهما : يريدون أن يقولوا للعرب : لافائدة في مقاومة الصهيونية ،

لأن مقاومتها عبث، وهي التي تسيطر بامكاناتها على العالم كله، وخاصة على الولايات المتحدة الامريكية.

ثانيتهما: يريدون أن يقولوا للعرب أيضاً: ايها الناس الأكارم، الذين اغتصبت اراضيكم، لا تحنقوا على الولايات المتحدة أو على انكلترا، فهاتان الدولتان لم يكن بارادتها وجود الصهاينة في فلسطين، ولكن الصهيونية ـ القوة التي لا تغلب ـ قد أجبرتهما على الوقوف في مواقف لا تؤمنان بها، فهما تستحقان عطف العرب على ضعفهما أمام القوة الصهيونية، اكثر مما تستحقان سخط العرب ونقمتهم عليهما.

وهذا التخطيط الأمبريالي المسألة الفلسطينية، يرمي الى وضع الصهيونية الدولية وجهاً لوجه أمام الأمة العربية، لتكون هذه الصهيونية ـ وحدها ـ مرمى قذائف الحقد العربي، وتخرج الأمبريالية من مأساة فلسطين، كما تخرج الشعرة من العجين، لم تصب بأذى، ولم تتضرر.

والواقع أن هذا التخطيط الأمبريالي للمأساة الفلسطينية، قد لاقى استجابة عند بعض السطحيين من المثقفين العرب، ووجد من يردد دعاواه بين الحكام العرب، ولكن أكاد أجزم بأنه لم يجد له أية اذن مصغية عند أي إنسان عربي، من هؤلاء الذين يبنون مستقبل الوطن العربي في مصانعهم وحقولهم ومتاجرهم ودكاكينهم...

ذلك لأن الأمبريالية العالمية، لا تستطيع أن تختفي طويلاً وراء الأكاذيب، فسحائب الصيف لابد أن تنقشع عن الحقيقة الكاملة.

• • •

إن «اليهودية» في العالم قديمة قدم التوراة، وهي منتشرة في أصقاع كثيرة من الأرض، كانتشار سائر الديانات السماوية، وبين معتنقيها من هم في

الأصل من سكان المنطقة العربية ، وبينهم من هو هندي أو رومي أو انكليزي أو فرنسي بالأصل ، وكما يوجد بين المسيحيين من هو عربي أو فرنسي أو إيطالي ، وكما يوجد بين المسلمين من هو عربي أو صيني أو هندي ، فكذلك القول في الديانة اليهودية التي ضمت إليها مؤمنين بها من كثير من أمم الأرض . وكما لا يستطيع أحد أن يدعي أن « المسيحية » يمكن أن تكون « قومية » ، وأن « الاسلام » يمكن أن يكون « قومية » فكذلك لم يكن في حسبان أحد أن يجيء يوم يدعي فيه معتنقو الديانة اليهودية أنهم « قومية » ، لهم ما لسائر « القوميات العالمية » من سمات مميزة .

وعندما قرر بعض الممثلين لمعتنقي الديانة اليهودية ، أنهم «قومية»، في اجتماعهم المنعقد في سويسرا ، في أواخر القرن التاسع عشر ، كان ذلك مفاجأة للفكر العالمي .

ا ــ فاليهود ليس لهم وطن .

ب ــ واليهود ليسوا أبناء أمة واحدة ، إنما هم سلالات أمم كثيرة .

جـ ــ واليهود ليس لهم لغة واحدة يتكلمون بها ، إنما لغاتهم متعددة بتعدد الأمم التي ينتسبون اليها .

د ــ واليهود ليس لهم تاريخ مشترك ، فكل فئة منهم مرتبط تاريخها بتاريخ الأمة التي تتحدر منها .

هـ ــ واليهود ليس لهم ثقافة مشتركة ، فثقافة كل جماعة منهم هي ثقافة الأمة التي تنتمي إليها .

لذلك فقد نظر الفكر العالمي « لمدعي القومية اليهودي » بعجب شديد ،

مقرون بكثير من الحيرة والاشمئزاز ، وخاصة عندما أخذت هذه الجماعات ، المتعددة الهوية ، تبحث لنفسها عن « وطن ! » تأوي إليه .

. . .

والحقيقة أن هذه الجماعة التي أسست « الحركة الصهيونية العالمية » لم تجيء بعد ظهور « هتلر » لتدعي أن اضطهاده لليهود هو الذي دفعها لأن تبحث عن وطن لأتباعها ؛ لقد جاءت هذه الجماعة قبل « هتلر » بزمن بعيد ، وليس اتباع اليهودية وحدهم الذين اضطهدوا في التاريخ ، ففي التاريخ مجازر مخيفة كانت تقع بين أتباع الكنيسة اللاتينية وأتباع الكنيسة الارثوذكسية ، في اوروبة نفسها ، وفي التاريخ مآس لكثير من امثال « محاكم التفتيش » التي ذاق ويلاتها الكثيرون من ابناء المذاهب الدينية المسيحية والاسلامية ، وفي التاريخ مالا يحصى ولا يعد من الاعمال الاجرامية التي كان الجهل يوقعها بين أبناء الامة الواحدة ، الذين يعتنقون ديانات او مذاهب مختلفة . غير أن هذا الاضطهاد الديني لم يحمل الأرثوذوكس في فرنسا مثلاً على البحث عن وطن آخر لهم خارج فرنسا ، لينجوا بأنفسهم من الكاثوليك ، كما أنه لم يحمل الكاثوليك في روسيا لأن يبحثوا لأنفسهم عن وطن آخر لهم خارج روسيا هرباً من الأرثوذوكس ، كما أن هذا الاضطهاد الديني لم يحمل الكاثوليك في كل العالم لأن يبنوا لأنفسهم دولة كاثوليكية ، كما أنه لم يحمل الأرثوذوكس في كل العالم لأن يبنوا لأنفسهم دولة ارثوذوكسية . إن الاضطهاد الديني في العالم قد جعل العالم يبحث عن المستقبل القومي الذي يكون فيه « الدين لله ، والوطن للجميع » ، والذي يسود فيه حكم القانون وسلطة الدولة . وإذا كانت « الصهيونية الدولية » قد اختفت وراء « الاضطهاد الذي وقع على اليهود

في العالم »، لتبحث لنفسها عن « قومية مفتعلة »، فإنها والحالة هذه قد كانت منذ البداية، مخلب قط الأمبريالية الدولية.

• • •

وما من شك في أن نشأة « الصهيونية الدولية » أواخر القرن التاسع عشر، كانت معاصرة لتلك الصيحات « العنصرية » التي أطلقها « المتعصبون » الأوروبيون، الذين رأوا في يقظة العرب خطراً مهدداً للسلامة الاوروبية.

ففي أواخر القرن التاسع عشر، كان « تشامبولن » — فيلسوف العنصرية الآرية — يصرخ في أوروبة قائلاً: « ويلاً لأوروبة إذا استيقظ النمر الغافي على الشاطىء الشرقي للبحر الابيض المتوسط ». ومنذ ذلك الحين كانت « الأمبريالية الدولية »، العرقية المتعصبة، تخطط لإبادة العرب، والقضاء على بذور النهضة فيهم، وجاء تخطيطها متوافقاً مع التخطيط اليهودي لإنشاء « القومية الصهيونية » وإقامة « الدولة الصهيونية في فلسطين ».

إن الأمبريالية العالمية، التي أخذت منذ اواخر القرن التاسع عشر تبدل في استراتيجيتها الاستعمارية، والتي رأت أن « الاحتلال العسكري » للعالم يكلفها جهوداً كثيرة وأموالاً طائلة، والتي رأت في « الاستعمار الاقتصادي والثقافي » ضماناً لمصالحها غير المشروعة، وربحاً فائضاً على ربحها الذي يدره عليها الاستعمار العسكري، هذه الأمبريالية قد وضعت في مخططها العام، الذي يتناول العالم كله، أن تبقى الشعوب التي كانت تستعمرها عسكرياً، مجزأة، ضعيفة، غير قادرة على بناء استقلالها الاقتصادي، إن كان لابد من استقلالها الوطني، لتظل هذه الشعوب مرتبطة، شاءت أم أبت، بعجلة الأمبريالية العالمية، في نقدها وزراعتها وصناعتها وتجارتها، ولتظل هذه الشعوب

عاجزة عن التطور السريع ، الذي يؤدي الى انفصالها عن الأمبريالية الدولية، حتى بعد الاستقلال الوطني .

وكانت « الامة العربية » و « الوطن العربي » في مقدمة الامم والبلدان التي وقعت في « المخطط الأمبريالي العالمي» :

١ – فالعرب يجب أن يبقوا دولاً ضعيفة مجزأة .

٢ – ويجب أن تبقى الحدود قائمة بين أقطارهم .

٣ – ويجب ألا يفكروا بوحدتهم ذات يوم ، لأن في وحدتهم خطراً على المصالح الأمبريالية .

ولكي يبقى الوطن العربي مفصولاً شرقه عن غربه ، يجب أن تقوم دولة في فلسطين – وليس في غير فلسطين – غريبة عن العرب ، معادية لهم ، تمنع التقاء المشرق العربي بالمغرب العربي .

وهكذا دخل الصهاينة في « المخطط الأمبريالي » ، وهم يظنون أنهم إنما يبنون لأنفسهم قومية ووطناً .

إن الرغبة الشاذة للصهيونية الدولية ، في بناء وطن لها وايجاد شعب ، قد التقت بالرغبة الشاذة للأمبريالية الدولية في تقسيم الوطن العربي الى شرقي وغربي ، وفصل الامة العربية بعضها عن البعض الآخر . واذا كانت الامبريالية الدولية قد وعدت الصهيونية الدولية بتقديم كل العون لها لانشاء وطن لها في فلسطين ، فان هذه الامبريالية ستقف ذات يوم متفرجة فقط على رحيل هؤلاء الذين ساعدتهم على الهجرة من اوروبة الى فلسطين ، عندما ينتهي غرضها من وجود « دولة الصهاينة » ويستطيع العرب ان يقولوا لهذه الدولة : زولي من الوجود .

واذا كانت الصهيونية العالمية تشارك الأمبريالية العالمية اليوم في تهديد العرب وامتصاص خيراتهم ، فان الصهيونية الدولية ستدفع الثمن من ابنائها وحدهم ، عندما تيأس الامبريالية الدولية من جدوى استمرار « اسرائيل » .

لذلك فقد كانت الصهيونية الدولية اغبى حركة سياسية عرفها القرن العشرين ، لأنها وحدها التي ستدفع ثمن المآسي الامبريالية في بلاد العرب .

• • •

قد يكون سابقاً لأوانه ، أن يمرّ التاريخ على « فلسطين » فيقول : « هنا أنشأ الصهاينة – ذات يوم – دولة ، لم تلبث أن زالت من الارض ، كفقاعة الصابون » . . ، ولكن هذا « السابق لأوانه » حيّ في كل عقل بشري متجدد ، بالقوة نفسها التي يحياها فيه « زوال دولة القدس الصليبية » . .

صحيح ان « دولة الصهاينة في فلسطين » قائمة ، لهـا جيشها وشرطتها وسكانها ومؤسساتها التي تشبه سائر المؤسسات في كل دول العالم ؛ ولكنه ليس صحيحاً البتة ان هذا « الوجود » طبيعي او قانوني ، كالوجود الذي تمارسه سائر امم الارض .

لقد كانت « دولة القدس الصليبية » موجودة ذات يوم وكان لها جيشها وشرطتها وسكانها ومؤسساتها التي تشبه سائر المؤسسات في دول العالم كلها ، ورغم ذلك فان ذلك « الوجود » كان هو « الزوال » بعينه ، لأنه وجود « احمق جلف » ، وليس وجوداً طبيعياً وقانونياً .

و « الزمن » ، مهما طال وامتد ، لا يستطيع ان يجعل « الوجود الأحمق » وجوداً طبيعياً ، ولو كان « الزمن » يستطيع ان يفعل شيئاً من هذا ، لكانت المائتا سنة التي قضاها الصليبيون في « فلسطين » كافية لجعلهم « ابنـاء بلد » ، وجيراناً طبيعيين للامة التي كانوا قد اغتصبوا أرضها .

هنالك شروط موضوعية « للوجود الطبيعي المستقر » لايعرفهـــا « الحمقى » من الغزاة ، ولكن « التاريخ » يعلمها حق العلم ، فيكتب على جبين كل دولة أشقية هي بوجودها ام سعيدة ، منذ لحظة نشأتها الاولى .

وتبحث « دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة » عن طرق لفرض الصلح مع العرب ، وهي تظن ان « الصلح » لو تم ، سيدعم وجودها ، ويجعله مشروعاً وطبيعياً .

حتى « الصلح مع العرب » فيما لو استطاعت الوصول اليه ، لن يعطيها « المشروعية » التي ترجوها لوجودها ، ولن يزيدها الا إمعاناً في « النفي » القسري الذي حملت نفسها اليه .

ان الامبريالية العالمية ، قادرة على ايجاد حلفاء لدولة الصهاينة في فلسطين المحتلة ، من حكام العرب ، وقادرة ايضاً على أن تجعل من بعض الحكام العرب اصدقاء لها بشكل سري ان لم يكن بشكل علني ، وربما استطاعت الامبريالية العالمية ان تجعل بعض الزعماء العرب يجاهرون بالتعامل مع دولة الصهاينة ، ولكن الامبريالية العالمية ستكون دوماً عاجزة عن ان « تعطي شرعية الوجود لهذه الدولة غير الطبيعية ، التي اختارت لنفسها النفي في دنيا العرب .

إن « دولة ! » محاطة بالكراهية والبغضاء من كل من يجاورها من الناس ، لايستطيع أحد أن يحسدها على « وجودها » ذاك ، ولو كان في ظاهره آمناً مطمئناً ، فكيف اذا كان في ظاهره وباطنه : قلقاً ، مذعوراً ، متأهباً دوماً لدفع عاديات الزمان عنه !!

ولكي تستطيع دولة الصهاينة أن تطمئن لوجودها في فلسطين المحتلة ، ينبغي لها ان تفعل كما فعل المهاجرون الاوروبيون الى امريكا ، بالهنود الحمر . ،

إذ بدون أن « تبيد » العرب أجمعين ، وبدون أن تستولي على « الوطن العربي » جميعه ، لن تستطيع أن تستقر ، وبالتالي لن تستطيع أن تستمر ..

إن الامبريالية العالمية ، تستطيع أن تمد دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة بالسلاح ، وتستطيع ان تهيء لها فرص العيش ، بما تقدمه لها من مال ودعم سياسي داخلي وخارجي ، ولكنها لن يكون بمقدورها « ابادة » العرب ، ولن يكون في طوقها احتلال وطنهم ، ولو جهزت لذلك صهاينة الأرض جميعهم ، وجاءت في إثرهم بما لديها من قوة بشرية وسلاح . ذلك لأن الأمبريالية العالمية في عصرنا هذا ، أعجز من أن تستطيع احتلال شبر في العالم والاستقرار فوقه ، ولولا ذلك لما تخلت عن البلاد العربية التي كانت مستعمرة لها في مطالع هذا القرن ، ولولا ذلك لما كان بمقدور « الجزائر » أو « كوريا » أو « كوبا » أو « الفيتنام » ان تتحدى الجيوش والأساطيل ..

ان دولة الصهاينة في فلسطين ، لن تستطيع ، مهما دعمتها الأمبريالية ، أن تكون أكثر من « مخفر » أقامته الأمبريالية العالمية فوق أرض العرب ، لتحرس به مصالحها ، ولتقاوم به كل متمرد على استغلالها واستثمارها ..

وهذا « المخفر الأمبريالي » وجوده مرتبط بوجود الأمبريالية ، وزواله مقرون بزوالها أو بزوال مصالحها ، لذلك كان وجوده غير طبيعي ، وواجب الزوال ، عندما تزول المصالح التي أوجدته ..

وشرطة هذا « المخفر » يتقاضون « مرتباتهم » من الأمبريالية صاحبة المصلحة بوجودهم ، وكل ما يقدم من امريكا وانكلترا وفرنسا وغيرها لدولة الصهاينة في فلسطين المحتلة ، من مال وعتاد وسلاح ودعم ، فانما هو « المرتبات » الواجبة في ذمة الأمبريالية العالمية ..

أما «شرطة هذا المخفر» فانهم أغبى الناس واكثرهم جلافة وحمقاً، ان هم ظنوا ذات يوم أن هذا «المخفر» قد بات حقاً من حقوقهم، أو وطناً لهم مهما اطالوا الاقامة فيه، لأن وجودهم كله سيكون ذات يوم في غير صالح من مكنهم فيه، عندما تنتفي الحاجة اليهم، بانتفاء الحاجة الى الصفة التي يمارسونها، صفة الحارس للمصالح الأمبريالية، في الأراضي العربية.

ولهذا، فان النضال ضد «الصهيونية» لن يكون صحيحاً، الا بالنضال ضد «الأمبريالية العالمية»، مسببة الوجود الصهيوني، وصاحبة المصلحة في وجوده، وهؤلاء الذين لا يدركون هذه الحقيقة، سيعضون أصابع الندم على الجهود المهدورة التي يبذلونها..

ان «الدمامل» في جسم الانسان، لا تعالج بالكحول والمراهم، ولكن انقضاض الكريات البيض على «الجراثيم» ـ مسببة هذه الدمامل ـ، وافتراسها لها، هو المنجاة من هذه الدمامل، والبرء منها..

ولا بد أن يأتي ذلك اليوم، يعرف فيه العرب في مغربهم ومشرقهم ولا سيما أصحاب النفط منهم، أن زوال اسرائيل هو افضل من تلك الملايين التي تدرها عليهم آبار النفط، وأن هذه الآبار، بدون اسرائيل، ستدر عليهم ما هو افضل بماتدر عليهم الآن: مالاً، وكرامة، وحرية، واستقلالاً وطنياً لم يعرفوه من قبل.

وقديماً قال الشاعر العربي:

لا تقطعن ذنب الأفعى وترسلها ان كنت شهماً فأتبع رأسها الذنبا

بين الخرافة والحقيقة

للدكتور عبدالله عبدالدايم

خرافة الصهيونية وحقيقة العروبة : هاتان هما حلبتا المعركة قبل ولادة اسرائيل وبعد ولادة اسرائيل .

فهل تنتصر الخرافة على الحقيقة ، وهل تلبس الخرافة ثوب الحقيقة وتتردى الحقيقة فتلامس الزيف ؟

المسألة كل المسألة ان تستطيع الحقيقة تعرية الزيف، وأن يقوى الحق على أن يكون حقاً .

فالزيف لايتراجع طائعاً أمام الحقيقة ،لأنه زيف . والمزيف ماض في لعبته عازم على جريمته ، سعيد بباطله ، ضاحك ملء فيه ، مادام سحره قد فتك ، ومادام كيده قد افلح ، ومادام الحق قد اكدى .

والحق أضعف من الزيف ، مادام مطمئناً الى حقه اطمئنانه الى عصا سحرية تغير الامور سهوا رهوا ، مؤمنا بنصره إيمانه بما في المثل الأعلى من إعجاز .

للباطل الغلبة على الحق ، مادام الحق يظن أنه قوة تعمل بنفسها ، وأنه أمر مستبين بذاته ، نور يضيء الظلمات .

الباطل عنيد مثابر ، لأنه يحيا من امعانه في باطله ، ويقوم وجوده على الجهد والعناء في سبيل توكيد الزيف وإطالة اللعبة ، وطمس الجريمة .

والحق قد يستكين ، وقد تأخذه العزة ، وينال منه الغرور ، فيكتفي بحقه من أجل توكيد حقه ويرى أن نور الشمس لايحتاج الى برهان وأن النصر مكتوب له لامحالة .

أجل ، تلك هي المعركة : صهيونية زائفة ، توسلت بكل وسائل الخداع ، وأيدت خداعها بالعلم والعمل والدأب ، في سبيل خلق أمة وخلق كيان لتلك الامة .

وقومية عربية عميقة الاصول والجذور ، لها جميع مقومات الوجود المشترك وعناصر الوحدة المتينة وخصائص الشعب العريق التليد ، تعجز حقيقتها الواحدة العميقة عن أن تنقلب الى واقع حي ، ويقصر وجودها عن مداه ، ولاتدرك قواها غاياتها فتلقى نفسها ضعيفة أمام باطل غيرها ، وتجد قوميتها الصادقة متخاذلة أمام أسطورة الصهيونية .

ولنعد قليلا الى الوراء : حركة صهيونية مفوضة ، مختلفة الاصول ، أرادت بالدأب على ممارسة الكذب وتسليحه بالفكر والذكاء ، أن تخلق قومية موهومة « أسطورة » قومية ، على غرار ماأراد المفكر النازي «روزنبرغ» . زيفت كل شيء : حقائق التاريخ ، وأقوال التوراة ، وأهداف الديانة اليهودية ، لتخلق في عقول اليهود وهماً يشتد ويتزايد ويصدّق نفسه ، وهم الشعب اليهودي الموحد ، المنتسب إلى أصل واحد ودين واحد ، الجدير بتكوين أمة واحدة ، وكيان سياسي واحد .

لجأت الى التاريخ ، لتحمّله مالايحتمل ، ولتتقول عليه ، زاعمة أن لها حقوقاً تاريخية في فلسطين ، مدعية ان يهود العالم المبثوثين في أرجاء الأرض هم من سلالة أبناء داود وسليمان ومن نسل بني اسرائيل القدماء .

لم تأبه لحقائق التاريخ تحدثنا عن أن بني اسرائيل القدماء طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين العرب والعموريين والفلسطينيين ، وأنهم خرجوا منها قبل ألفي سنة ، وأن فلسطين لم تخلص لهم سكناً ولا حكماً قط حتى في أزهر أيامهم ، وأنهم كانوا

لها غازين ، يحتلون بعض أجزائها ردحاً من الزمن ثم يطردون منها خاسرين ، تجاهلت أن فلسطين ظلت كنعانية عربية حتى عام ١٠٠٠ ق.م. ، وأن دولة اليهود التي أرادت أن تحتل فلسطين لم تعمر الا أربعة قرون (١٠٠٠ — ٥٨٦ ق.م.) حافلة بالاضطرابات والحروب الداخلية والخارجية ، وأن غزوات اخرى غير غزوات اليهود مرت بفلسطين ، إذ غزاها الفرس الإيرانيون (عام ٥٣٩ ق.م.) والحقوها بدولتهم خلال قرنين ، وغزاها الاسكندر المقدوني (عام ٣٣٢ ق م.) وأتبعها لدولة الإغريق ، وغزاها العرب الأنباط (عام ٩٠ ق.م.) وظلت تابعة لمملكتهم بتراء حتى احتلها الرومان . وتجاهلت فوق هذا وقبل هذا أن العرب المسلمين حرروها من حكم الرومان (عام ٦٣٦ م) وطبعوها نهائياً بالطابع العربي الخالص لغة وديانة ، فتعرب سكانها الأصليون ، وهم من سلالات الكنعانيين العرب أومن غزاة المهاجرين والغزاة المندمجين فيهم ، ودانوا بالاسلام ، وظلت فلسطين عربية خالصة شعباً ولغة وديانة ، حتى عام ١٩١٨ حين احتلها الانكليز .

وأضافت الى تحريف التاريخ وخرافة التاريخ ، **خرافة العنصر اليهودي** ، فلجأ « هرتسل » و « وايزمن » وغيرهما من مؤسسي الصهيونية الى اقناع اليهود بالعنصرية اليهودية ، رغم ايمانهم الكامل ببطلانها في نظر العلم والتاريخ . لقد زعموا لليهود أن يهودي اليوم ينحدر من أولئك اليهود الأقدمين الذين سكنوا الارض المقدسة يوماً من الأيام . وتناسوا أن النظرية العرقية العنصرية نظرية باطلة من أساسها ، وأن معظم الفئة القليلة المستضعفة التي بقيت من اليهود بعد ضربة الرومان في القرنين الأول والثاني بعد الميلاد اعتنقت المسيحية واندمجت مع السكان الآخرين ثم اندمجت في الاسلام والعروبة ، وأن معظم الذين تشتتوا في أنحاء سورية ومصر وشمال أفريقية واستطاعوا أن ينجوا من المذابح في عهد الرومان اعتنقوا الاسلام واندمجوا في الاسلام والعروبة ، وأن الذين بقوا على يهوديتهم بين الأقوام الأخرى في آسيا وأفريقيا وأوروبا اختلطت دماؤهم بدماء هذه الأقوام . بل تناسوا فوق هذا أن كتلاً كبيرة من أصل آري في آسيا وأوروبا اتخذت اليهودية ديناً ، سواء قبل ميلاد المسيح أو في حقب التاريخ المختلفة (١).

لقد زيفت الصهيونية هذه الحقائق كلها ، وأغمضت عينيها عن اختلاط دم اليهود بدماء الأقوام التي عاشوا بينها ، وتجاهلت أن الدم الاسرائيلي القديم قد باد أو كاد ، وأن يهود اليوم

(١) يرجع خاصة الى « تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم » لمحمد عزة دروزة .

شتات من أجناس ولغات ودماء متباينة ، وأن الدين اليهودي وهو الرابطة الوهمية التي تجمعهم ، أعجز من أن يلمهم حول هدف واحد ، وأضعف من أن يؤمن به جميعهم .

لقد كانت مهمة الصهيونية مهمة خلق تاريخ على غرار أغراضهـــا ، وقومية على شاكلة أهدافها ، ودين يخدم مآربها اللادينية ، لتجعل من هذا كله أداة لتحقيق كيان سياسي لها .

ويأتي الواقع قبل خلق اسرائيل وبعد خلق اسرائيل ، ليكذب المزاعم ، وليفضح الزيف ، ولكن الزيف يمضي في جولته ويتسلح لها بزيف أكبر فأكبر : لقد أعلن « هرتسل » نفسه عام ١٩٠٣ ، وهو الصهيوني الأول ، وصاحب كتاب « الدولة اليهودية » أنه يؤيد الاقتراح البريطاني الذي تقدم به وزير المستعمرات جوزيف تشمبرلن والقاضي بانشاء وطن قومي لليهود في مقاطعة « أوغندة » الأفريقية . وعارضه في ذلك يومها « وايزمن » وصهيونيو روسيا خاصة ، وانقسم أعضاء المنظمة الصهيونية أمامه شيعتين ، شيعة مؤيدة وشيعة معارضة . أفلايقوم هذا دليلاً قاطعاً على أن مسألة الصهيونية مسألة خلق اي كيان سياسي لليهود ، وأنها في حقيقة أغراضها لاتمت بصلة الى حق تاريخي في فلسطين ، وأن تخيرفلسطين كانمن قبيل توكيد الزيف، وتسهيل الأغراض السياسية عن طريق مزاعم تاريخية ودينية ؟

غير أن الزيف تابع جولته ، وأراد أن يوهم اليهود والرأي العام العالمي أن القضية قضية تاريخ ودين وشعب وعودة .

وتتحقق العودة ، وتخلق الصهيونية العالمية والدول الاستعمارية دولة اسرائيل . فيأتي الواقع من جديد مكذباً مزاعم الصهيونية .

اسرائيل الـــتي حاولت الصهيونية خلقها باسم يهود العالم وبمساعدة يهود العالم ، تلقى عنتاً وأي عنت في تهجير يهود العالم اليها !

لقد جاء الواقع الصارم ليكذب الأسطورة . لقد كانت الأسطورة سهلة مادامت تعيش في الأذهان ، حتى اذا انتقلت الى الأعيان ، بدأ زيفها يتضح . يهود الولايات المتحدة الذين أيدوا اسرائيل وقدموا من أجل خلقها جهوداً جبارة وامبوا بالسياسة الأميركية في سبيلها ، وضغطوا على رؤساء الجمهوريات من أجلها ، لايهاجر منهم الى اسرائيل أكثر من ثلاثة آلاف ! واليهود الشرقيون يؤلفون حوالي ٤٥ بالمائة من مجموع السكان في اسرائيل ، وجميعهم تدفقوا من العراق واليمن وشمالي أفريقية وسورية ولبنان ، حيث كانوا يعيشون آمنين مطمئنين قبل خلق دولة

اسرائيل ثم اضطروا بعد ذلك ، بسبب سياسة اسرائيل إلى مغادرة بلادهم . ويهود العراق وحدهم الذين هاجروا الى اسرائيل نتيجة للسياسة الصهيونية يؤلفون حوالي عشر سكان اسرائيل ولا يفوتهم في العدد الا يهود بولونيا ورومانيا ! وهؤلاء اليهود الشرقيون جميعهم يلقون خسفاً في المعاملة وتمارس الدولة ضدهم تدابير عنصرية . حتى أنهم اضطروا في تموز عام ١٩٥١ الى القيام بتظاهرة كبرى في تل أبيب احتجاجاً على سياسة التمييز والتفرقة !

فأين هي القومية اليهودية إذن ؟ وأين هم أولئك اليهود ، ورثة بني اسرائيل وخلفاء يهود فلسطين القدامى ، الذين زعمت الصهيونية أنهـا تنشيء كيان إسرائيل من أجلهم وحفاظاً على حقوقهم ؟ إن أكثر من عشرة ملايين يهودي ما يزالون خارج إسرائيل ، وسيظلون خارجها . وإن نداءات زعماء الصهيونية ، من بن غوريون إلى غيره ، واستصراخهم ضمائر اليهود ليعودوا إلى إسرائيل ، تذهب أدراج الرياح ، وتذهب معها الأسطورة الكبرى ، اسطورة الشعب العريق الشعب الموحّد ، الشعب الحافظ لقوميته ، الحريص على حقه التاريخي كما زعمته الصهيونية .

إن اليهود المشردين أنفسهم ، ضحايا الاضطهاد النازي ، اليهود الذين كانوا يعيشون في مخيمات بالمنطقة الأميركية من ألمانيا ، عام ١٩٤٨ ، وعددهم مائة الف مشرد ، لم يطلب العودة منهم إلى فلسطين إلا نصفهم وآثر الباقون الهجرة إلى بلاد أخرى غير فلسطين . بل إن بن غوريون يضطر في تموز عام ١٩٤٨ أن يخاطب بني جلدته قائلاً : إن أجيالنا السالفة لم تتحمل الاضطهاد والآلام لكي ترى ثمرة جهادها منحصرة في جمع ٨٠٠ ألف يهودي فقط في إسرائيل !

ويستمر الزيف مع ذلك ، وتستمر الأسطورة ، ويجلو حوالي مليون عربي عن ديارهم ويهيمون في الآفاق ، من أجل عدد من اليهود لا يربوا عليهم كثيراً (إذا طرحنا اليهود الشرقيين الذين اضطروا إلى مغادرة بلادهم اضطراراً بسبب السياسة الصهيونية) . ويريد هذا العدد القليل النازح أن يمثل روح اليهودية وتاريخها وأمجادها ومصيرها ، يريد أن يتحدث باسم يهود العالم ، يريد أن يسخر سياسة العالم لمصالحه ، يريد أن يقيم الدنيا ويقعدها من أجل حفنة من المهاجرين ، من أجل موطيء قدم لصهيونيي العالم ، يأنسون اليه حينما يشاؤون ، وتلذ أعينهم رؤيته !

والزيف مع ذلك ماض في غيه ، يخلق الأسطورة تلو الأسطورة ، ويذكي الأوهام والتخرصات ، ويحدث يهود العالم والرأي العام العالمي عن أمجاد طريفة لاسرائيل تضاف إلى أمجادها التليدة . يحدثها عن انتصاراته المزعومة ، يحدثها عن معجزة خلقه لاسرائيـل ، عن بلائه في معركته مع العرب عام ١٩٤٨ ، عن النصر الأكبر في زعمه ، سحر الانتصار في معركة سيناء عام ١٩٥٦ ، عن بطولاته الكبرى الدائبة في السلم والحرب ! ويحدثها فوق هذا وقبل

– ٥ –

هذا عما يلقاه من عنت العرب ، من عدائهم ، من هجماتهم الظالمة ، من تنكراتهم لروح إسرائيل الطيبة ، روح السلم والاخاء والمحبة ، روح الاسهام في تنمية الشعوب عامة والشعوب الصغيرة والمتخلفة خاصة ، روح العمل المشترك في سبيل بني الانسان !

تعج كتب اليهود وأسفارهم بالعداء الصارخ لغير اليهود ويمتلىء تراثهم الفكري بالدعوة الى الانعزال والتميز والكره والحقد للشعوب . وجميع الشعوب التي عرفت اليهود واسكنتهم بلادها خلال قرون طويلة ، عانت ماعانت من روح اليهود الحاقدة الكارهة المتعلية ومن استغلالهم البشع الجشع . ومع ذلك يتقبل الرأي العام العالمي — مادام هذا على حساب العرب — اسطورة الشعب اليهودي المحب للسلم ، المتعاون مع الشعوب الاخرى ، العامل في سبيل الانسانية جمعاء ، الحريص على التعايش مع جاراته العربيات !

أما مايقوله التلمود ، وهو شريعة اسرائيل الكاملة وسجل تعاليمها وآدابها ، وما يحفل به من تأكيد لمبادىء اليهودية في الاستعلاء والانعزالية والعدوان ، فلا تصيخ له آذان الرأي العام العالمي :

« الأجانب — أي غير اليهود — كلاب »

« الشعب المختار فقط يستحق الحياة الابدية ، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير »

« سلط الله اليهود على أموال باقي الامم ودمائهم »

« اذا وقع أحد الوثنيين في حفرة يلزمك أن تسدها بحجر »

ان التوراة نفسها ، كتاب اليهود المقدس ، رسمت لليهود طريق الخلاص ، فأوصتهم بالغزو والقتل وسفك الدماء دون تمييز بين محارب وغير محارب ، بين رجل وامرأة ، بين شيخ وطفل ، وجعلت مثل هذا المصير مصير البشر من غير اليهود ، وجعلت الاستعباد والابادة نصيب البلاد التي أهداها رب اسرائيل لشعبه المختار ، من مصر الى النهر الكبير ، نهر الفرات ...

ورغم هذا كله ، تحاول الصهيونية ، التي أرادت ان تبعث تعاليم اليهودية وتربط بين اليهودية كدين واليهودية كقومية ، أن تظهر بمظهر الحمل الوديع الذي تتكالب عليه الذئاب .

رغم هذا كله تسري الأسطورة ، وتمتد وتشتد ، ويستمر الزيف ، ويتفرع كل يوم بزيف جديد .

من قلب هذا الزيف كله خلقت الصهيونية قوة . لقد استخدمت في سبيل توطيد أركان الخرافة عبقرية العلم الحديث فجندت كل مايمكن تجنيده في سبيل الوصول الى

اهدافها وفي سبيل خلق دولة اسرائيل . وبعد خلق الدولة عبأت القوى من أجل بنائها وتدعيم كيانهـــا ، فامتاحت من العلم والتكنيك خير نتائجهما ، وسخرتهما في سبيل التنمية الاقتصادية والاجتماعية . وعنيت خاصة بثرواتها البشرية ، فنظمتها من أجل الهدف المشترك ، وأفادت من خبرتها وفنها من أجل التغلب على الصعوبات العديدة التي تلقاها . وجعلت رائدها الأول تفجير الكفاءات والخبرات بحيث تقوى على مواجهة الظروف الصعبة التي وجدت فيها دولة اسرائيل وبحيث تذلل العقبات تذليلا ذكياً مسلحاً بكل ما في العلم من قدرة على الإبداع والعطاء . لقد انطلقت من تلك الحقيقة وهي أن أقوى أداة يملكها الانسان في معركته ضد الطبيعة وضد الظروف المحيطة به ، هي الانسان ، اعني قواه الذاتيـــة المبدعة ، وطاقاته الخلاقة . وادركت منذ البداية أن تكوين « رأس المال » البشري الخبير المزود بالمهارة والمعرفة ، هو نقطة الانطلاق الاساسية لكل بلد يريد أن يسير في طريق النمو . وقر في يقينها أن « العقل الرائد » العقل المبادر الى غزو الطبيعة والاشياء ، المزود بجرأة المعرفة وقوة العلم والفن ، هو أثمن ما يمكن أن تمتلكه امة .

وهكذا رسمت دولة اسرائيل الرائعة طريقها ، خطوة خطوة ، وحددت اهدافها مرحلة مرحلة ، وعزمت على مواجهة العقبات بسلاح الايمان بالهدف والايمان بقدرة العلم والفن الحديث . لقد ادركت فيما ادركت أن نقطتي الارتطام الكبيرتين في حياتها هما المـــاء والطاقة الكهربائية ، وأنهما يعوزانها بالدرجة . فأعدت الخطط للتغلب على هاتين المشكلتين ، وانطلقت في طريق استغلال الميـــاه اوسع استغلال ممكن ، وسارت في مشروع تحويـــل نهر الاردن ، وعقدت البحوث — بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية — في سبيل ازالة الملوحة من مياه البحر . وتصدت لمسألة الطاقة الكهربائية وغيرها فقدرت حاجاتها منها — لاسيما من اجل الصناعة — ورسمت الخطط في سبيل تجنيد العلم تجنيداً عنيداً للافادة من الطاقة الذرية . بل راودها التفكير جاداً في استغلال اكبر مصدر للطاقة ، نعني الطاقة الشمسية .

وأدركت فيما أدركت أن مسألة الصحراء ـ صحراء النقب ـ تتحدى اسرائيل ، وأن اسرائيل بين أمرين ، على حد قول بن غوريون : **اما ان تمحو الصحراء . واما تمحوها الصحراء .** ولهذا عبأت كل قواها وارادتها في سبيل التغلب على جفاف النقب ، وفي سبيل الافادة من الثروات المعدنية في صحراء النقب وفي البحر الاحمر الواقع في جنوبها ، وفي سبيل تيسير المواصلات فيها لتكون همزة الوصل بين خليج العقبة (قناة السويس الاسرائيلية) وبين اسرائيل .

وبوجيز العبارة ، استطاعت الاسطورة ، أسطورة اسرائيـــل ، أن تخلق الدولة وأن تقوي بنيتها ، حين جعلت هدفاً لها أن تمتلك السلاح بيد تغزو به جيرانها ، وأن تمسك المعول باليد

الأخرى وأن تسخر العلم والعقل الرائد المتقف في سبيل استخراج ثرواتها عامة واستغلال ثروات النفط الدفينة خاصة .

ولم تقف الاسطورة عند هذا الحد ، بل جندت مهارتها السياسية في سبيل تعميق الزيف الذي انطلقت منه ، فلعبت ألاعيبها في المجالات الدولية ولدى الدول الكبرى ، وانطلقت تعدو نحو زيف جديد براق : **انطلقت صوب الدول الآسيوية الافريقية** خاصة تزين لها سلامة أهدافها ، وتزعم أنها المؤهلة لأن تقدم لها من الخدمات الاقتصادية والطبية والفنية مالا يقوى غيرها على فعله : فهي دولة صغيرة مثلها عانت وتعاني من مشكلات الدول الصغرى وتستطيع أن تضع تجاربها وخدماتها والنتائج التي توصلت اليها في خدمة تلك الدول . وهي بعد هذا - فيما تزعم لتلك الدول الافريقية - دولة لامطامع لها ، وما هي بالدولة الكبرى التي تخشى مساعداتها . وجل همها - كما تقول بلغة الحمل الوديع - أن تقدم الخدمات الانسانية للدول الصغيرة المستقلة حديثاً وأن تفعل لها بوجيز العبارة مافعلته لنفسها . وهكذا تجد اسرائيل - عن طريق هذا التزييف الجديد الذي تلجأ اليه - تضع بين أهدافها الكبرى خلق صلات بينها وبين شعوب آسيا وأفريقيا ، تمكنها من الخروج من عزلتها وتفتح لها اسواقاً اقتصادية ، بعد أن أقفلت من دونها الاسواق الاقتصادية العربية . انها تريد أن تغدو مثالا وقدوة - على حد تعبير بن غوريون - لتلك الدول الآسيوية والافريقية ، من أجل السيطرة عليها والافادة منها سياسياً واقتصادياً ، وكسب أصوات دولها والحصول على المواد الخام الرخيصة ، وتسويق البضائع الاسرائيلية . وقد بلغت في علاقاتها مع تلك الدول حد اقامة علاقات عسكرية ، عن طريق انشاء صلات مع قيادات الجيوش ، وعن طريق ارسال مستشارين للاشراف على التدريب ، وعن طريق انشاء منظمات عسكرية في أربع عشرة دولة على غرار المنظمات العسكرية الاسرائيلية ، وهي تفعل فعلتها الخطيرة هذه ، وهي تعلم حق العلم - بل لأنها تعلم حق العلم - أن في أفريقيا وآسيا ٢٩ دولة اسلامية مستقلة تضم على مايزيد على ٣٣٦ مليون نسمة ، ٧٤ مليون منها في افريقيا و٢٦٢ مليون في آسيا ، وأن في البلدان الافريقية خاصة عدداً كبيراً من أبناء سورية ولبنان يمسكون بزمام التجارة والاقتصاد فيها .

تلك هي الاسطورة ، وذلك هو الزيف . انه قوي بزيفه ، قوي باصراره على الزيف وعزمه على تثبيت اركانه . ان اسرائيل مطوقة بالزيف من كل جانب ، ومع ذلك تجند كل ماتستطيع من قوى لتقلب الزيف الى حقيقة : فالزيف يلفها في نشأتها والزيف يطعنها في قلبها لقيامها وسط وطن عربي متسع يضيق عليها الخناق ويعمل لازالتها . والزيف يصيبها في بنية

سكانها المكونين من شتات غير متجانس في اللغة والاصل والمستوى بل في المعتقد . والزيف ينال حياتها الاقتصادية المضطرة الى أن تعتمد على مليارات الدولارات من المساعدات التي تتلقاها من الصهيونية العالمية ومن الولايات المتحدة ومن المانيا الغربية ومن الكثير من الدول. وبوجيز العبارة ، إنها عملية تزييف واضحة فاضحة من بدايتها حتى نهايتها : انها في واقع الامر لاتكوّن دولة وانما تكون ملجأ مصطنعاً ، تلجأ اليه الصهيونية العالمية ، وتحاول ان تمده بالحياة وأن تختلق له الروح واسباب البقاء . انها كائن صنعي لايتنفس هواء طبيعياً ولايتغذى غذاء طبيعياً ، وانما يحتاج دوماً الى جرع مجلوبة من الهواء والماء والغذاء . انها كائن طفيلي لاتقوى اركانه إلا بامتصاص مساعدات الدول الاجنبية ، وبمحاولة امتصاص ثروات جيرانه العرب أو ثروات البلدان الآسيوية والأفريقية .

ومع ذلك تقوم الاسطورة ، وتستمر ، وتزأر ، وتزمجر ، وتتقن اللعبة وتتقن اخراج الدور ، وتجتذب من تجذب من الرأي العام العالمي .

وأمام هذه الاسطورة تنهض الحقيقة ، الحقيقة القوية الضمنية ، الحقيقة الجريئة الخجلى ، الحقيقة الواضحة القائمة ، حقيقة العرب ، حقيقة الوجود العربي .

لقد تحدت الخرافة هذا الوجود ، فزرعته من قلبه ، وحققت هدفاً غالياً من أهداف الاستعمار ، هدف فصل شمالي العالم العربي عن جنوبه وغربه ، وغرس شوكة في قلب البلاد العربية تحول دون اكتمال وحدتها وقوتها .

واهتز الجسم المريض لهول الكارثة وحرضته الجرثومة ، فتفجر ثورة ووعياً وعزيمة . ولانغلو اذا قلنا ان التحدي الاسرائيلي هو العامل الاساسي الراجح في كل ماشهدناه في الوطن العربي من حركات ثورية ومن عزم على بناء كيان جديد منيع . ومع ذلك ماتزال الحقيقة مقصرة عن مداها ، وماتزال خطواتها خجولة متأنية متعثرة ، ومايزال اطمئنانها الى حقها أعمق من عملها في سبيل توكيد ذلك الحق . بل ماتزال ثورتها ضد واقعها وضد نكبتها أكبر من عملها المنظم في سبيل بناء الثورة وتعمير الواقع :

(١) **فالوحدة العربية** التي هي الرد الطبيعي على تحدي اسرائيل والجواب الحاسم على كل اهدافها ومآربها ، لاتقوم تهيئة منظمة لها ، ولايقوم عمل يومي من أجلها ، وخطو تدريجي نحوها . ولايلعب التفكير والتدبير والتخطيط دوراً رئيسياً في بنائها . بل كثيراً ماتهبط الى سوق المساومة ، وتتردى الى شعارات ديماغوجية بالية . ومـا تزال ألاعيب الاستعمار واسرائيل تعمل عملها في تشويهها والتشكيل فيها ، والحيلولة دون رسوخ أقدامها .

ويبدو أن البلاد العربية جاوزت في الواقع طور الدعاوة الى الوحدة والتبشير بهـا والحماسة لها، ولا بد أن تنطلق في الطريق الذي يلي أهداف المرحلة التي توجد فيها، نعني طريق البحث والدراسة والتخطيط من أجل بناء الكيان العربي الواحد. وغدا من الواضح أن تعميق الايمان بالوحدة وتعبئة العزائم في سبيلها أمور تحتاج اليوم أولاً وقبل كل شيء الى توضيح الطريق ورسم السبيل المؤدية الى الوحدة ووضع الصيغة الواقعية العملية اللازمة. واذا كانت البلاد العربية في حاجة الى الخطط العلمية الواضحة في شتى مجالات حيـاتها الاقتصادية والاجتماعية، فهي أحوج ماتكون الى مثل هذا التخطيط العلمي في المجال الأكبر، مجـال الوحدة العربية.

من هنا كان من الواجب ألا يظل العمل من أجل الوحدة العربية في أيدي السياسيين وحدهم، ولا بد أن يغدو هذا العمل قضية الشعب العربي كله، وعلى رأسه مفكروه وقادة الرأي فيه وخبراؤه. ولا بد أن يطرح هذا الموضوع الهام طرحاً علمياً واضحاً صريحـاً جريئاً، في معزل عن الارهاب الفكري الذي تفرضه السياسة. ولا يجوز بحال من الأحوال أن تكون نتيجة اهتمام القادة السياسيين بشعار الوحدة وتبنيهم له تعطيل القوى الحقيقية التي تبني هذا الشعار وتهب له مضمونه وترسم طريقه، قوى الفكر الحر والبحث العلمي الدائب والعمل الشعبي الجاد.

(٢) والعجز الذي يقعد هدف الوحدة، يكاد يعم سائر جنبات الحياة في الوطن العربي، نعني به ضعف روح البحث والدراسة والتنقيب، وضعف الاعتماد على ريادة العقل الحديث.

ومهما تكن العوامل العديدة التي تلعب دورها في تأخير حركة التطور والتنمية في شتى جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الوطن العربي، يظل من الصحيح أن هنالك عامـلاً كبيراً يلفها جميعها تصدر عنه وتتفرع، هو **عامل التخلف العلمي والتقني**. فالبلاد العربية —التي أصيبت بتخلف القرون الطوال بعد حكم عثماني مظلم وبعد حكم استعماري مفقر— مدعوة الى أن تلحق بالركب خلال فترة قصيرة من عمرها، ومدعوة الى التعجيل في تطورها وتنميتها بسبب التحدي الاسرائيلي خاصة، ذلك التحدي الذي أفاد من ضعف بنيتها، فدق في قلبها وتداً. لقد انقطع حبل الحضارة العربية، وانفصل ماضيها عن حاضرها منذ سقوط بغداد على يد هولاكو ودخول أخلاط المغول والتتر والأعاجم وسيطرة الدولة العثمانية المريضة. ولابد للعرب من معاودة حضارتهم وعطائهم، لابد من وصل ما انقطع من أمر تلك الحضارة، لابد من عود جديد الى روح الحضارة العربية، وأهم ما في تلك الروح الانطلاق نحو البحث العلمي التجريبي الذي كان خير ما أعطته الحضارة العربية للعالم، والذي خلق مـا دعاه « فالتاجو »

بالمعجزة العربية . لابد من عود الى روح الاستقراء والبحث والتجربة ، التي سادت أبحاث « دار الحكمة » ببغداد وخرجت كبار العلماء في الشرق العربي والمغرب الأندلسي ، وكانت العامل الأول في قلب اسلوب البحث المنطقي الصوري الذي كان سائداً في اوروبا ، ولتكوين أسلوب البحث الجديد الذي ولدت منه الحضارة الحديثة ، أسلوب البحث العلمي التجريبي الاستقرائي ، الذي يدعوه الغربيون باسم اسلوب « بيكون » والذي يرجع الفضل فيه الى العلماء العرب ، كما يبين « راندال » وغيره من المؤرخين المحدثين .

ولئن كانت اسرائيل تستخدم عطاء العقل الحديث والعلم الحديث والفن الحديث في سبيل تثبيت كيانها الزائف وفي سبيل التغلب على المشكلات التي خلقها تزييف ذلك الكيان ، فالوطن العربي مدعو الى أن يسخر العقل والبحث والتجربة في سبيل استخراج ثرواته المبذولة والافادة من امكانيات موفورة قلما تتاح لبلد آخر .

ان نقطة الانطلاق الأساسية في البلاد العربية هي العناية بالثروة البشرية عناية تجعلها قادرة على استغلال خيرات الوطن العربي استغلالاً علمياً ذكياً . والعائق الاكبر في طريق النمو وفي طريق القوة بالتالي ، في هذه البلدان العربية ، هو ضعف العنصر الانساني ، ضعف خبرته وكفاءته وعلمه . ولقد غدا من البدهي اليوم أن العامل الاساسي الذي يلعب الدور الاكبر في ثراء شعب من الشعوب وفي زيادة انتاجه ، هو العامل الانساني الذي يفوق دوره في الواقع دور المال ودور الموارد الطبيعية . فرائد التقدم في العالم ، يومنا هذا ، هو التقدم التقني الفني . ومحرك الثروة والتنمية هو الطاقة الفكرية للسكان ، اعني القدرة على تطبيق نتائج البحث العلمي المنظم على مشكلات الانتاج وعلى مشكلات الاقتصاد . واذا كان هذا صحيحاً في كل عصر ومصر ، فهو أوضح وأقوى في بلادنا العربية التي تشكو تخلف القرون والتي تحتاج الى تطور يفوق المألوف في سرعته والتي تواجه تحدياً اسرائيلياً سلاحه الاكبر هو هذا التقدم العلمي والتقني .

لقد يُسِّر لاسرائيل مالم ييسر لغيرها من الدول ، اذ وجدت نفسها عشية وجودها أمام طاقة بشرية خبيرة مدربة ، وفدت اليها من البلدان المتقدمة ووضعت خبرات تلك البلدان وحصاد تجاربها بين يديها . ولا يمكن البلاد العربية أن تواجه مثل هذا التحدي ، إلا بتعبئة سريعة منظمة لطاقات البشرية ولتكوين متعجل واسع لليد العاملة الخبيرة الفنية . ولدى هذه البلدان العربية من الاعداد السكانية الكبيرة ومن الاستعدادات العديدة الموفورة ما يجعل هذه المهمة يسيرة إن جندت لها القوى وسلطت عليها الاضواء .

(٣) واذا كان تكوين العقل الحديث الرائد، والعناية بالعنصر الانساني وباعداده وتكوينه، واستخدام نتائج البحث العلمي في مشكلات الانتاج والتنمية، هي العوامل الحاسمة في تطوير بنية الوطن العربي واستخراج ثرواته وتزويده بالقوة والمناعة، فمعنى ذلك ان المطلب الاكبر الذي ينبغي أن يحتل مقام الصدارة بين سائر المطالب **هو مطلب التعليم والتربية**. فالتربية هي الاداة اللازمة لتكوين رأس المال البشري، وهي وسيلة الاعداد والتدريب وخلق الخبراء والاخصائيين والفنيين. وقد غدا من البدهي اليوم ان العامل الاساسي في التنمية هو التربية وما ينطوي وراءها من إعداد سليم للطاقة العاملة الخبيرة المدربة وما ينطوي وراء ذلك كله من تقدم تقني وعلمي.

واسرائيل – رغم ماتوافر لديها من اخصائيين وخبراء وفدوا من البلدان المتقدمة – جعلت على رأس مطالبها العناية بالمدرسة، وادركت ان خير مجال لاستثمار رؤوس الاموال هو ميدان التربية، وأن الأموال التي توظف في التعليم هي التي تعطي ثمراتها أضعافاً مضاعفة في مجال زيادة الدخل القومي وزيادة الثروة القومية. لقد ادركت كما ادركت سائر بلدان العالم اليوم أن إعداد الانسان إعداداً ملائماً لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية هو العامل الاساسي في التنمية والثروة والقوة، وأن المساعدات المالية لايمكن أن تكفي البلدان السائرة في طريق النمو، وأن النجاح لايتم إلا إذا امتلك الرجال الارادة والعزيمة من جهة والمعرفة والخبرة من جهة ثانية. لقد ادركت ان استخراج الحد الاقصى من الثروة الزراعية والحيوانية في اسرائيل يحتاج الى استغلال حصاد العلم وتجاربه الى اكبر حد ممكن (كما فعلت في تربية الأبقار وزراعة القطن والحمضيات والفواكه، وزراعة الشمندر، وكما فعلت حين لجأت الى نظام «الكيبوتز Kibboutz» في الانتاج الزراعي، او الى نظام «الموشاف أويفيديم Mochav Ovedim» ونظام «الموشاف شيتوفي Mochav Chitouffi» أو غيرها من الانظمة التعاونية). وادركت ان توفير مياه الري وتوفير الطاقة اللازمة للصناعة وغيرها والافادة من الثروات المعدنية وإرواء صحراء النقب واستغلالها امور تحتاج الى الخبرة والرجال اكثر من حاجتها الى المال، وتحتاج الى العزيمة والارادة كما تحتاج الى الكفاءة والخبرة.

والدول العربية التي أهمل فيها العنصر البشري ردحاً طويلاً من الزمن واهملت فيها طاقات الانسان وقدراته الخلاقة، واهملت فيها خاصة تلك الثروات الفكرية المبدعة الثاوية في الجمهرة الكبرى من المواطنين الفقراء المحرومين، لابد ان تجعل مقام الصدارة للعناية بالخدمات التربوية وتوفيرها لجميع المواطنين، وتوفيرها للطبقات الشعبية المحرومة التي تثوي فيها قوى الابداع والعطاء الكبرى. ولابد ان تدرك خاصة ان هذه الخدمات التربوية ينبغي ان تكون متكاملة مع اهداف التنمية الاقتصادية، وان بنية التربية لابد ان تخدم بنية الاقتصاد وبنية

المجتمع . فالتربية – أي تربية – ليست المفتاح الذهبي للنمو دوماً وأبداً ، وليست العصا السحرية التي تغير الامور من تلقاء ذاتها ، وهي لاتكون حقاً اداة من ادوات التنمية إلا إذا توافرت لها الشروط اللازمة ، وعلى رأسها الصلة الوثيقة بين اهدافها واهداف التنمية الاقتصادية والاجتماعية العامة . وتتوافر هذه الصلة خاصة عن طريق عناية التربية بتكوين الطاقة العاملة الخبيرة الفنية اللازمة لتسيير عجلة الحياة الاقتصادية والاجتماعية . ومن هنا يبرز اعداد الطاقة العاملة اعداداً متلائماً مع متطلبات الخطة الاقتصادية والاجتماعية ، ويتجلى مطلبـــاً اكبر من مطالب التقدم والمناعة في بلادنا العربية . ولاشك ان مثل هذا الاعداد يستلزم جملة من الشروط . منها توافر الدراسات الاحصائية والاستقصائية عن وضع الطاقة العاملة وعددها ووضعها التعليمي وتوزعها على قطاعات النشاط الاقتصادي الكبرى وعلى المهن المختلفة . ومنها العناية بالتعليم الفني والمهني مع كل مايشمله هذا القول من تغيير أساسي لنظام التعليم ومناهجه وطرائقه . ومنها تغيير موقف الناس من العمل المهني والعمل اليدوي وخلق المواقف الجديدة المدركة لما في العمل المهني من عطاء وخدمة للاهداف العامة ، ومافي العمل اليدوي من ابداع وتحقيق لوجود الفرد ووجود المجتمع . ومنها تنويع التعليم وتفريعه ولاسيما في مرحلة التعليم الثانوي ومرحلة التعليم العالي ، واقامة هذا التنويع والتفريع على اسس ملائمة لحاجات المجتمع وحاجات الاقتصاد من جهة ولحاجات الفرد وقابلياته من جهة ثانية . ومنها اشراف وزارة التربية واشراف الخطة التربوية على كل ماله علاقة باعداد الطاقة العاملة ، سواء كان يجري ذلك في المعاهد والمدارس أو في المهنة نفسها أو في المجالات الاخرى . ومنها ، بل فوقها ، وضع خطة كاملة لتنشئة البعثات العلمية ، وتوجيهها التوجيه اللازم ، وجعل هذه الخطة جزءاً لايتجزأ من خطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية .

وقد يقال الشيء الكثير في هذا المجال ، مجال اعداد الانسان العربي اعداداً حديثاً وتكوينه تكويناً ملائماً لمتطلبات التنمية الاقتصادية والاجتماعية . غير اننا اردنا ان نضع اصبعنا على اهم مفاصل هذا الموضوع ، وان نشير اولا وآخراً الى ان رأس مطالب النمو والقوة في الوطن العربي ورأس ادوات التغلب على اسرائيل ، تكوين الطاقة العاملة الخبيرة ، تكوين رأس المال البشري ، والعناية بالثروة البشرية ، مصدر سائر الثروات ومحركها .

ان تعبئة هذه الثروة البشرية من اجل الهدف المشترك ، هدف بناء كيان عربي موحد قوي قادر على الخلاص من الجرثومة الرائفة التي حلت في القلب منه ، واعداد تلك الثروة البشرية اعداداً يجعلها قادرة على استخراج ثروات بلدها ، مزودة بقوى العلم الحديث والتكنيك الحديث محلاة بالعقل الرائد ، العقل الجوال ، العقل الذي يزول امامه الصعب ويذل المستحيل ، هما الوسيلتان الاساسيتان من وسائل قوة البلاد العربية ، وهما سلاحها الاكبر في وجه عدوها الاكبر . ان تلك التعبئة وذلك الاعداد هما سلاح الحقيقة التي تملكها البلاد العربية

امام الزيف المسلح الذي تملكه اسرائيل . انها القادران على قلب الحقيقة الصامتة الى حقيقة ناطقة حية ، وعلى نقل الحقيقة من طور الامكان الى طور الفعل ، من الاذهان الى الاعيان . ان الحقيقة العزلاء لاتقوى على اثبات حقها ، والحقيقة الناجحة اليوم هي الحقيقة المزودة بسلاح العلم والتكنيك ، بسلاح العقل المؤمن بالهدف ، المدرك للوسيلة ، الخبير بالاداة .

(٤) واذا كان تسلح الحقيقة بالعلم والفن والمقدرة خير مفصح وخير داعية لها ، فان من عناصر هذا التسلح دون شك ، ومن عناصره الهامة ، تعبير الحقيقة عن نفسها وتعريفها بذاتها ، والدعوة لها ولأهدافها . لا سيأ عندما تكون تلك الحقيقة امام باطل يريد ان يطمسها وامام زيف يحاول اخفاءها ، ومن هنـا تبدو **اهمية التعريف بالقضية الفلسطينية** ، واهمية الدعاوة لها دعاوة منظمة ، منطلقة ايضاً من تجارب العقل الحديث والعلم الحديث .

ان اهم ما مكن لاسرائيل وساعدها على خلق كيانها الزائف ، قوة الدعاوة الصهيونية وبلوغ هذه الدعاوة المستوى الفني والعلمي . وما تزال هذه الدعاوة تفتك في عقول الملايين من بني الانسان ، في العالم المتقدم وفي البلدان المتخلفة والنامية ، بل في البلدان العربية نفسها . وهي تستخدم من أجل اغراضها خير الأساليب النفسية وخـير نتائج العلم الحديث . وهي مضطرة الى ان تولي هذا الجانب حظاً كبيراً من عنايتها ، لانها مضطرة الى تغطية الزيف ، الى تعميق الخرافة ، الى تثبيت الاسطورة .

واذا كانت الدول العربية في غير ما حاجة الى دعاوة من اجل التزييف ، واذا كان حقها الصريح الواضح خير داعية لها ، فهذا لا يعني ان تركن الى الأحلام وان تكتفي بحقيقتها وتحتفظ بها لنفسها دون أن تعرف بهـا العالم ودون أن تقنع بها العالم . وليس صحيحاً أن حقيقتنا بينة واضحة لدى معظم الرأي العام العالمي ، بل الصحيح هو العكس تماماً . فما تزال الكثرة الكاثرة من ابناء الأرض مأخوذة بالدعاوة الصهيونية ، لانها لم تعثر على غيرها في معظم الاحيان . وما تزال جمهرة سكان الارض تجهل ابسط الأمور عن القضية الفلسطينية ، بل يجهل بعضها ان سكاناً عرباً كانوا في فلسطين وطردوا منها .

وما تزال الكثير من الدول الصغيرة والناشئة في آسيا وأفريقيا تجهل الأهداف الاستعمارية لاسرائيل ، وتجهل مآرب الصهيونية العالمية وأهدافها ، ولا تقدر التضامن القائم بين الاستعمار في العالم وبين اسرائيل ، ولا تعي الغايات التوسعية البعيدة لهذه الدولة الزائفة . ولم يفتضح أمر السياسة الاسرائيلية لتلك الدول الافريقية بعد ، رغم بعض المواقف الواضحة التي تكشف دورها الاستعماري ، من مثل تزويد البرتغال بالأسلحة ومن مثل دعم حكومة العميل تشومبي .

واهم من هذا وذاك ، ما تزال الكثرة الغالبة من الدول في العالم مأخوذة بالدعايات

الصهيونية حول ما ابلته « الهاغانا » في معركة فلسطين مع الدول العربية عام ١٩٤٨ ، وما يزال بعضها يصدق ان معركة قد قامت بالفعل وأن دولاً عربية خمساً قد انهزمت فيها ! بل ما يزال هنالك من يعتقد مع الدعاية الصهيونية أن جيش مصر قد هزم في معركة سيناء عام ١٩٥٦ وان قلة من اليهود استطاعوا ـ بايمانهم وتنظيمهم كما تزعم الدعاوة الصهيونية ـ ان ترد جيش مصر على اعقابه . وقليل من هذه الدول يدرك حقيقة معركة سيناء ، ويدرك الترابط بين الهجوم الاسرائيلي وانزال الجيوش الانكليزية والفرنسية في بور سعيد .

حتى أن مشكلة اللاجئين نفسها ما يزال يجهلها معظم الرأي العام العالمي ، وما يزال يجهل ضخامتها كما وكيفاً . وبعضه . ما يزال يعتقد ـ كما تريد الدعاوة الصهيونية ان تقول ـ ان مشكلة بقاء اللاجئين في وضعهم الصعب بعد (١٧) عاماً ، ترجع الى عجز البنية العربية عن امتصاص هؤلاء اللاجئين وعن تقصير اقتصاديات البلاد العربية عن استيعابهم .

ومشكلة مياه الاردن ـ المشكلة الكبرى التي تواجه الدول العربية ـ من يعرفها في اوساط الرأي العام العالمي حق معرفتها ؟ ومن يقدر أهداف اسرائيل من وراء جر مياه الاردن ؟ ومن يدرك عدوان اسرائيل الصريح في هذا المجال ؟

وهجمات اسرائيل المتكررة على حدود البلدان العربية المجاورة ، كم من الرأي العام العالمي يدرك تجني اسرائيل فيها ، وكم منه لا يؤخذ بالدعاية الصهيونية التي توهم الناس انها لا تعدو ان ترد الاعتداءات على حدودها وان الدول العربية هي الظالمة ، وانها حين قامت بالهجوم على مصر في سيناء فانما فعلت ذلك رداً على هجمات مصر المتكررة وعلى اعمال الفدائيين ؟

وعشرات المسائل ، ومئات الحقائق ، من يعرفها من الرأي العام العالمي حق معرفتها ، ومن لا يتأثر بالصورة المقلوبة التي تكونها الصهيونية حولها ؟

ان الدعاوة الصهيونية تغزو بأساليبها الملتوية البارعة ، معظم بلدان العالم ، ولا ينجو من تزييفها حتى أكبر الدول وعياً لأهدافها الاستعمارية ، نعني الدول الاشتراكية ، وعلى رأسها الاتحاد السوفياتي ، فالدعاوة الصهيونية قائمة هناك ايضاً على قدم وساق ، في المجالات الادبية والفنية والفكرية عامة ، في المؤتمرات والمهرجانات وغيرها ، وتشويه حقيقة القضية الفلسطينية في نظر أبناء الاتحاد السوفياتي ينطلق . نقدا الى حد يثير الدهشة . حتى بلغ الأمر ان صور تحويل مجرى نهر الأردن من قبل اسرائيل علقها اليهود في موسكو ، على واجهات مقهى « ماروجنيه » حيث كتبت عليها بحروف كبيرة بارزة « ليكن الماء أبداً ، ليتدفق دائماً » وكتب تحتها : « فلتتذكر » . بل ان نصوصاً اخرى علقت في موسكو حاولت ان تغطي اغتصاب اسرائيل لمياه الأردن فورد فيها أن العرب هم الذين يحجبون الماء عن اسرائيل !

ان الصهيونية العالمية تلجأ الى ألف أسلوب وأسلوب في سبيل الدعوة الى اغراضها وتشويه اغراض العرب وتقديم صورة مشوهة عنهم تصمهم بالتخلف والوحشية . وهي لاتوفر لهذه الغاية شرقاً أوغرباً ، بلداناً رأسمالية أوبلداناً شيوعية ، بلداناً استعمارية أوبلداناً معادية للاستعمار ، بل تتوغل فيها جميعها وتلبس لكل حال لبوسها وتوفق حسب مقتضى الحال شكل دعايتها مع اهداف البلد الذي تقدم به ، فتجدها في البلدان الأفريقية مثلاً تحمل وجهين فتلبس لبوس الاشتراكية في الدول التي تأخذ بهذا النظام ، وتلبس لبوس الرأسمالية في سواها ، وتتقرب لحركات التحرر الأفريقية حيناً وتعمل مع الأمبريالية ضدها حيناً آخر (شأنها حين تزود البرتغال بالأسلحة وتتعاون معها ضد أنغولا) .

ان دعم العالم ودعم الحكومات لحق البلاد العربية لابد ان يكون متناسباً مع مدى تعريف العالم بذلك الحق ومهما تكن أغراض بعض الدول - وعلى رأسها الولايات المتحدة - ومهما يكن تجنيها وتحيزها لاسرائيل ، يظل من الصحيح ان حكومات هذه الدول لاتستطيع الا ان تخضع - ولو بمقدار - لضغط الرأي العام الشعبي عندها ، ولضغط الرأي العام العالمي . ولا بد بالتالي من تعبئة الرأي العام هذا تعبئة علمية وتعريفه بالحقيقة في شتى ابعادها .

واذا كانت الصهيونية العالمية تجند في خدمتها وخدمة دعاوتها حوالي ١٢ مليونا من اليهود ، مبثوثين في معظم بلاد العالم وفي الدول الكبرى خاصة ، فيجب الا ننسى ان الدول العربية تضم حوالي مائة مليون عربي ، الى جانبهم عرب مبثوثون في كثير من بلدان العالم ومسلمون يعدون مئات الملايين . والى جانبهم بعد هذا وفوق هذا البلدان المتحررة حديثاً في آسيا وافريقيا - ان توثقت الصلات اللازمة معها - وسائر الحركات التحررية في العالم وسائر القوى المعادية للاستعمار ، ثم الرأي العام العالمي الحر في سائر ارجاء العالم - حين تذاع له الحقيقة ويوضع امام الصورة الواضحة للأمور .

(ه) ولا شك أن المصالح المادية والرأسمالية لعبت وتلعب دوراً كبيراً في التمكين لدولة اسرائيل المزيفة . ولا شك ان الرأسمالية اليهودية كانت وما تزال من العوامل الكبرى في خلق الخرافة واستمرارها .

ومن هنا يبدو أمام العرب سلاح خطير كبير ، يمكن ان يقف في وجه هذا السلاح الصهيوني وان يبذه ويفل قاطعه ، اعني **سلاح البترول العربي** .

فاذا كانت الحقيقة وحدها لاتكفي ، ولو تسلحت بالعلم والفن ووسائل الدعاوة الحديثة،

واذا كانت المصالح المادية والسياسية لبعض الدول الكبرى ماتزال عاملاً كبيراً من عوامل الحرص على كيان اسرائيل ، واذا كانت المطامع الاستعمارية في البلدان العربية وفي الشرق قد لعبت دوراً حاسماً في تأييد الدول الكبرى لاسرائيل ، منذ ايام وعد بلفور حتى قيام كيانها الزائف ، اذا كان هذا كله صحيحاً ، فمن الصحيح قبله وفوقه ان الدول العربية لبست أضعف سلاحاً في هذا الميدان من الصهيونية ، ان هي احكمت امرها واحسنت استخدام هذا السلاح. ان بترول البلاد العربية الذي يقدم اكثر من ٥٠٪ من بترول العالم ، والذي يملك مزايا في الاستخراج والتكاليف والتسويق لاتتوافر لاي بترول في العالم ، هو السلاح الحاسم الذي يستطيع أن يقف في وجه الدعم المادي والمعنوي لاسرائيل من قبل بعض الدول الخاضعة للصهيونية المتعاونة معها في سبيل مصالحها واهدافها الاستعمارية .

ولا شك ان تحقيق هذا المطلب ، نعني تحرير البترول العربي من السيطرة الاستعمارية، وجعله سلاحاً ضد الدول المؤيدة لاسرائيل ، وقوة اقتصادية واجتماعية وعسكرية في يد الدول العربية ، يتطلب تغييراً جذرياً في حياة البلاد العربية ، ويتطلب تحقيق كثير من المطالب الاخرى التي أتينا على ذكر بعضها ، من مثل العمل المنظم المخطط للوحدة العربية ، ومن مثل تكوين الطاقة العاملة الخبيرة القادرة على استخراج ثروات الوطن العربي ، ومن مثل قلب المجتمع العربي من مجتمع مايزال يحمل تخلف القرون الى مجتمع حضاري حديث .

ولعلنا هنا أمام ضرب من الدور الفاسد : فتحرير البنية الاقتصادية والاجتماعية الفاسدة في البلاد العربية عامل اساسي في تحرير البترول العربي ، وتحرير البترول العربي بدوره عامل اساسي من عوامل تحرير تلك البنية . غير اننا لسنا في الواقع امام دور فاسد ، بقدر مانحن امام صلة دائرية ، امام تأثر وتأثير متبادلين ، امام مهمة ينبغي ان تسير في الميدانين جنباً الى جنب .

ان ضرب الانابيب في سورية ايام معركة قناة السويس كاد يشل شرايين الحياة في اوروبا وكاد يردها الى عصر الظلمات . وان جزءاً ضئيلاً من عائدات البترول في البلاد العربية قادر على تحقيق تنمية اقتصادية واجتماعية ضخمة وقادر على تسليح اقوى الجيوش وامنعها .

وبدهي ان مسؤولية عدم تحرير البترول العربي لاتقع على الدول العربية المنتجة للبترول ، وانما تقع على الدول العربية كلها . فالمسألة ليست فقط مسألة الدول العربية الغنية بالبترول التي يقع عليها عبء كبير دون شك ، وانما هي مسألة البلاد العربية كلها ، مسألة بحث البلاد العربية جماء عن صيغة عملية مدروسة تقودها نحو توحيد أهدافها وتوحيد كيانها خطوة بعد خطوة ، وتصل بها الى التكامل بين اوضاعها الاقتصادية ، وتصل بها اخيراً الى الوحدة العربية الكاملة.

ان الدول الكبرى ، الدول الاستعمارية ، يمكن ان تتخلى عن اسرائيل . فهي تدعمها مادامت مصالحها مرتبطة بهذا الدعم وما دام هذا الدعم لايحقق لها خسارة كبرى من جانب الدول العربية تفوق الفوائد التي تجنيها من وراء اسرائيل ، وما دامت تلك الدول قادرة على ان تمطل تحرر هذه البلدان وتقدمها عن طريق اسرائيل . غير ان هذه الدول الاستعمارية لابد ان تتخلى عن اسرائيل حين يكلفها دعمها غالياً ، وحين تجد ان مصالحها الكبرى ، الاقتصادية والسياسية ، اصبحت مهددة تهديداً حقيقياً عملياً لالفظياً ، وحين تجد في دعم هذا الكيان المزيف ، وفي دعم شرذمة قليلة جاءت الى هذا الكيان ، خسارة مادية ومعنوية كبرى.

ان اللغة البليغة التي يمكن ان تطهر اذهان المكابرين من مؤيدي اسرائيل ، والتي تستطيع ان تجري انقلاباً حقيقياً في تفكيرهم ، هي اللغة التي يطلقها كيان عربي قوي متين ، يفرض وجوده ، ويملك ثرواته ، ويمنع تلك الثروات عن اولئك الذين يقدمونها لقمة سائغة لنمو اسرائيل ودعم اسرائيل . ان لغة التقدم العلمي والفني والاقتصادي ، ولغة البترول الحر ولغة الجيش القوي الحديث ، ولغة الوحدة العربية المكينة ، وهي عناصر المعركة الكبرى مع اسرائيل ومع من وراء اسرائيل .

(٦) وقد تبدو هذه الأهداف أهدافاً للمدى البعيد ، وقد تبدو المسألة الفلسطينية مسألة لاتحتمل التأجيل . غير أن علينا أن ندرك إن بلوغ هذه الأهداف الكبرى – في شكلها الكامل – لايعني ترك الأمور الراهنة ، وأن الهدف البعيد لاينبغي أن يعطل الأهداف القريبة. والواجب **أن يقوم في آن واحد جهد يومي مرحلي متصل – هو جزء من الجهد الطويل البعيد — الى جانب التخطيط البعيد والأهداف الكاملة** . والخطأ كل الخطأ أن نأخذ في هذا الميدان بالمبدأ القائل « كل شيء ، او لاشيء » . بل اللازم ان نجعل من عملنا اليومي وعملنا المرحلي جزءاً من البناء الأعم والهدف الأشمل ، وان نشتق خططنا القريبة من خططنا البعيدة وعملنا الطارىء من جهدنا الباقي الطويل .

على أن أصدق الطرق وأكثرها واقعية هي أقصرها في الوقت نفسه . وإن سلوك الطريق الصحيح – ولو طالت – خير من تنكبها والحيد عنها . لقد انقضى من عمر القضية الفلسطينية عشرون عاماً تقريباً ، وانقضت قبلها أعوام في محاولة اجتناب النكبة . وجدير أن نسائل أي شوط قطعنا عبر الطريق خلال هذه الحقبة الطويلة ، وما هو مقدار اقترابنا من الغاية . إن خطوات قد تحققت دون شك ، وإن مكاسب قد تمت في بنية البلاد العربية وقوتها المعنوية والعسكرية . غير أن من الصحيح مع ذلك ان مكاسب اكبر كانت ممكنة لو قام التخطيط المسألة

منذ بدايتها ، ولو كان الجهد المبذول من اجـل القضية الفلسطينية حلقة متتالية من خطة متكاملة مدروسة .

إن تجنب العمل المرتجل ، العمل الذي يحيا كفافاً يوماً بيوم ، مطلب اساسي من مطالب اي مجتمع حديث ، وهو شرط اساسي من شروط عملنا لمعركتنا الكبرى . ورسم الخطة وبيان اهدافها ومراحلها ووسائلها ، وتجزئة هذه الخطة الى اجزائها ، وربط العمل الطويل المدى بالعمل القصير المدى ، والآجل بالعاجل ، هي سمات العقل الحديث ، سمات المجتمع الذي ينزع الى مغادرة التخلف والانطلاق نحو التنظيم العلمي الفعال . ولا بـد ان تصبح هذه السمات مقومات اساسية لعملنا من أجل القضية الفلسطينية .

ان القضية الفلسطينية قضية سهلة صعبة حقاً . انهـا قضية سهلة ، اذا نظرنا الى امكانيات الدول العربية وطاقاتها الكبرى السكانية والاقتصادية والبترولية وغيرها . غير انها صعبة اذا لم نعرف كيف نستخرج هذه الامكانيات ونضع الخطة اللازمة لتعبئتها تعبئة ذكية فعلية . وان ما يعوز البلاد العربية – قبل اي شيء آخر – وضع الامكانيات والجهود ضمن اطار خطـة حكيمة تعرف المصير وترسم السبيل وتجزيء الصعوبات وتمثل وحي العقل الرائد الخبير .

وبعد هذه هي الخرافة وتلك هي الحقيقة ، خرافة مزودة بسلاح العلم والعقل الحديث ، وحقيقة ما تزال تجرها الى ماضيها المتخلف أثقال كثيرة ، غير انها بدأت تستيقظ وتعي ذاتها وتدرك متطلبات وجودها . ولن تقوى الحقيقة على الخرافة بمجرد كونها حقيقة ، ولن تزول الخرافة امام الحقيقة لمجرد كونها خرافة ، والمسألة صراع عنيد وسباق جاد . والعلم والتقدم ام عناصر الصراع والسباق .

ان الحقيقة العربية حقيقة عميقة الأصول ثابتة الجذور ، قوامها وجود قومي لم يتيسر لغيره من مقومات الوحـدة والتضامن والتكامل ما يسر له ، وطاقات بشرية سكانية هائلة ، وثروات طبيعية ضخمة ، ومكان جغرافي واستراتيجي مرموق ، وتراث عريق يزود ابناءها بالدفء والايمان . والمسألة كل المسألة ان نستخرج طاقات الوطن العربي هـذه والا تبقى في مرحلة الامكان . وسبيل ذلـك اولاً وقبل كل شيء تكوين الاداة البشرية الخبيرة المزودة بسلاح العلم المؤمنة بالهدف .

ان الحقيقة العربية مارد جبار حين تستيقظ وتعي ذاتها حق الوعي . ويقظتها من يقظة العقل ، من يقظة الروح ، من يقظة الانسان العربي ، ان رعشة الابداع والخلق التي تسري في اعصاب هذا الانسان ، بفضل التربية والثقافة ، بفضل الايمان بالهدف والايمان بالعلم ، هي القمينة بأن تجلو الحقيقة العربية وتجليها وجوداً فعالاً هادراً **وان تكوين العقل الرائد، العقل الثائر لانه رائد ، المتمرد لانه واع ، هو سلاح الحقيقة العربية ضد خرافة الخرافات .**

اسرائيل السوداء

بقلم شاكر مصطفى

« نحن دولة صغيرة المساحة ، ديمقراطية ، ليس لدينا أي تطلع توسعي ، لنا مميزات تجذب الينا الافريقيين : نحن مثلهم دولة حديثة ، تواجه بشكل مستمر مشاكل من نوع مشاكلهم ، لقد توفرت لنا تجربة اصيلة في مجال التطور الاقتصادي ، تجربة رواد . كل ذلك يفيد الدول الحديثة » .

غولدا ماير ــ في خطاب بالكنيست الصهيوني ــ

احدى الحقائق التي تعرفها انت واعرفها انا ولكننا ندهش لها حين نكتشفها هي ان العرب الآن، افريقيون! معظم ارضهم في القارة السوداء وجمهورتهم فيها . العرب، في الصورة التقليدية ، من آسيا . وارض العرب محسوبة على الشرق الاوسط ، وهو آسيوي في مفهومه العام . ولكن الواقع هو ان ثلثي الوطن العربي يقع الى الغرب من برزخ السويس وان ثلثي الكتلة البشرية العربية تقيم في النصف الشمالي من افريقيا ، وتملك اطلالة القارة كلها على البحر الابيض المتوسط وعلى مشارف الاطلسي .

العرب وافريقيا :

ومع ذلك فاهتمام العرب بافريقيا لاينبع فقط من واقع « الافرقة » التي يأخذونه شعباً وأرضاً . ان له أسبابه الاخرى ايضاً :

١ – ان العرب بحـــاجة الى دخول التعاون العالمي من بابه الاوسع في الثلاثينات المقبلة ولكن باب الشمال (الغرب الاوروبي) مغلق دونهم بحواجز شتى. ان اللقاء الفاجع اكثر من مرة في التاريخ ، بين العرب واوروبا لايجعلنا نأمل في لقاء اخوي مدى الذراعين ، في المستقبل القريب . واليد الممدودة الى الشرق الاقصى (الشرقي والجنوبي) هامة ولكنها لاتكفي. ان آسيا كثيرة المشاغل والا بعاد في العلاقات وفي التاريخ . اما في الارض الافريقية فثمة أمم حديثة تبرز كل يوم على المسرح الدولي . تنتفخ عزيزة هادرة خصبة كأنهار القارة. ان العرب في حاجة الى حزام افريقي صديق قوي الصداقة يمتد مما وراء موريتانيا الى ماوراء الصومال، خلف النطاق الصحراوي العربي والبحر العربي ، ليكون اساس التعاون الدولي العربي . هناك المدى الطبيعي لصداقاتنا .

واذا كان هذا التعاون مع افريقيا في المرحلة الحالية ، ولمدى عشرينات من السنين المقبلة سيتركز ضد الاستعمار والتخلف وسيتبلور في المواقف الدولية العالمية في هيئة الامم المتحدة فانه في الوقت نفسه وفي المرحلة التالية سيكون تعاوناً على الانتاج الحضاري المشترك وعلى تبادل المصالح الاقتصادية والتساند الاستراتيجي والدولي .

٢ – ان افريقيا السوداء هي منطقة العمق الاستراتيجي الضرورية للثورة العربية الشاملة . تسلل أية قوة عدوة اليها ، من استعمار او صهيونية او دعاوة

سيئة ، يشكل تهديداً مباشراً للقوى الثورية في العرب ، ويقطع سبيل التعـــاون الضروري بين القوتين الثوريتين الناميتين .

كما انه يفتح على العرب ميادين جديدة من النضال اللاعجدي بنقل معاركهم ضد الاستعمار والصهيونية الى حدودهم الجنوبية المكشوفة ! .

٣ ـ ان التشابه في ظروف النضال ضـــد الاستعمار (باشكاله القديمة والحديثة والصهيونية) وضد التخلف ، يفتح الباب واسعاً بين العرب وافريقيا ، وكلاهما من اركان العالم الثالث ، لكي يلتقيا :

أ ـ في الثورات التحررية لأن قضية الحرية لا تتجزأ . وعزل الثورات يمكن الاستعمار من القضاء عليها فرادى . كما ان لقاء الثورات التحررية بالمقابل يفتت القوى الاستعمارية ويخنقها في تناقضاتها بقــدر ما ينسق ويزيد في الوعي وفي فرص النصر للشعوب الثائرة ويفقد لها ذواتها المهدورة ويعيد اليها امكانها الانساني الواسع .

ب ـ في معركة التنمية والتحرر من التخلف، ان فكراً ثورياً خاصاً يبرعم في افريقيا كما يبرعم فكر ثوري مثله في البلاد العربيـــة . وان نظرية ثورية او أكثر لاسيما في المجال الاشتراكي، هي اليوم قيد التكون والتطبيق في افريقيا وفي العرب . واذا كان غرض النظريات الافريقية خلق الانسان الافريقي الجديد فنحن بدورنا نعمل على خلق الانسان العربي الجديد . ونضال افريقيا ليس ضد التخلف السياسي والاجتماعي والثقافي والاقتصادي فقط ولكنه ايضاً من أجل الوحـدة الافريقية ومن أجل الاشتراكية وضد الافكار المسبقة المستوردة والتجارب المنقولة وضد وضع التجربة الاشتراكية في خدمة السياسة بدلاً من تهيئة جميع الاوضاع

والاطارات السياسية لاقامة المجتمع الاشتراكي ... ان اللقاء بين الايديولوجيات خصب . والتلاقي في التجارب والتخطيط والفلسفة يفتح الطريق للتعاون على المدى الطويل البعيد .

٤ — ان ثمة قطاعاً كبيراً من التاريخ المشترك ، قد جمع افريقيا الزنجية والعرب ، عدة قرون .. تسعة شهور كاملة كانت القافلة العربية تسير من شواطىء المتوسط جنوباً لتلتقي مع الشعوب الزنجية فتقيم معها حضارة انسانية روحها الاسلام واطارها الفكر العربي . انها ادخلت افريقيا السوداء في نطاق الحضارات العالمية وبنت فيها مجتمعاً متقدماً منظماً نشيطاً يؤمن « انما المؤمنون أخوة » وانما « المؤمنون سواسية كاسنان المشط » وان « لافضل لعربي على أعجمي ولا لأبيض على أسود الا بالتقوى » وان البشرة السوداء لا تقلل من شرف النفس الطاهرة ولا تنتقص من علم العالم ولا من سمو الفكر .

ان الاسلام الذي زحف عبر الصحراء الى افريقيا السودانية اضحى عنصراً من عناصر التكوين في الشخصية الافريقية كما كان من اسباب الحفاظ عليها ثم كان من عوامل البعث والثورة في افريقيا يوم جاء البعث وجاءت الثورة .

فهناك اذن شيء منا ، من تراثنا وقيمنا الروحية والمادية يتجه الى التفتح والتطور الحديث . والوجود العربي هناك لصيق بالاسلام ، متصل به ، وهو بالتالي لصيق بالشخصية الافريقية . وان ايقاظ ذلك الوجود القديم ضمن الاطارات الحديثة يمكن ان يكون جسر اللقاء الاخوي الجديد مع افريقيا ، رغم الدسائس والعقد ، والعناصر الاخرى واشتات المصالح !

عبر هذه النقاط ، تطل على التغلغل الاسرائيلي في افريقيا . انها تكشف ابعاده وحجم خططه ، ان فهم معنى افريقيا لدى العرب يسلط النور على الجانب الأهم من ذلك التغلغل في دوافعه العميقة ومراميه في الغد ...

المميزات العامة للتغلغل الاسرائيلي – الصهيوني في افريقيا :

١ – يشكل هـــذا التغلغل ركيزة اساسية في الاستراتيجية الدولية لاسرائيل . انه يضحي يوما بعد يوم ، ومنذ بدأ قبل ثمان أو عشر سنوات ، الجزء الأهم والاكثر ثباتاً والحاحاً في سياستها الخارجية ، لا يعد له الا اهتمامهـا بتنسيق علاقاتها مع الغرب واستغلال تلك العلاقات حتى القطرة الاخيرة . ان توكيد الحضور الاسرائيلي في افريقيا بصورة دائمة يعني لدى اسرائيل توكيد حضورها ووجودها في الشرق الاوسط كدولة لها كل ما لدول العالم الاخرى من صفات وميزات . « وجميع النشاطات التي يقوم بهـا اليهود افرادا وجماعات رسميين وغير رسميين ، شركات خاصة او مؤسسات حكومية ، من ثقافية واقتصادية ودبلوماسية ، من تدريب الجيوش الى تنظيم الشبيبة الافريقية ، الى اقامة المزارع التعاونية ، الى تحسين الصناعات الريفية ، الى بناء المطارات والطرقات والفنادق والمساكن وغيرها ، هي نشاطات مترابطة وغير منفصلة تصب نفسها في خدمة هذه الاستراتيجية الاسرائيلية الاساسية » .

٢ – هذا التغلغل حديث العهد وسريع في وقت واحد . لم يمض عليه سوى عقد واحد من السنين ولكنه اخذ في التزايد السريع بشكل متواز مع تقلص النفوذ الاستعماري ومع ظهور الدول المستقلة . كان بدأ دوماً قبل انتهاء الاستعمار في شكل من الاشكال ثم ما يلبث ان يتسع ويتوطـــد بعد اعلان الاستقلال . لذلك كان تزايده الكبير فيا بعد عام ١٩٦٠ سنة الاستقلالات التي قفزت بالدول الافريقية المستقلة مرة واحدة من ثماني دول (من بينها ٦ دول عربية) الى ٢٤ دولة ؛ وما جاء عام ١٩٦٢ – ١٩٦٣ حتى كان كامل الملامح والاعمال .

٣ – **وهو تغلغل شامل** . انه يغطي القارة الافريقية بشكل كامل ،

يكفي ان نعلم ان لاسرائيل الآن ٢٦ بعثة سياسية في افريقيا وقنصليتين (مع التذكر بانها محرومة الوجود السياسي في افريقيا العربية) وانها تقدم العون وتعقد الاتفاقات والحوار والتجارة .. مع هذه الدول جميعا !.

٤ – ويتلون التغلغل الاسرائيلي بلون الظروف والحالات والحاجات.

ان السياسة مرنة تهتم بالاهداف البعيدة لا بالخط الواحد الموحد. فاسرائيل ، قبل سنوات الاستقلال العظيمة ، كانت تؤيد التجارب الذرية الفرنسية في الصحراء ، وتبيع السلاح للبرتغال ، وتقف بجانب التمييز العنصري في جنوب افريقيا ، وتصوت في الامم المتحدة ضد الدول الافريقية المطالبة بالاستقلال.. ثم تحولت بعد ذلك بسرعة ، الى دولة مؤيدة لافريقيا واستقلالها وتطورها النامي ولكن .. ضمن الظروف المختلفة ايضا : فهي اشتراكية الهوى في غانا وغينيا والدول ذات الهوى الاشتراكي ورأسمالية الميل والعمل في ليبريا وساحل العاج حيث يسيطر الاقتصاد الحر ، وهي ديمقراطية برلمانية في سيراليون ، حيث البرلمانية الانكليزية سائدة ودكتاتورية مع تشومبي ! وهي تمنح خبرتها في المزارع التعاونية – الاشتراكية لغانا وتنظم العمال في غينيا وتبني مساكن الموظفين في ساحل العاج ودار البرلمان في سيراليون !.. وتعلم اللغة العربية والاسلام ايضا للمعلمين المسلمين !!.

٥ – وتنسق اسرائيل وجودها في افريقيا مع رغبات وحاجات الدول الغربية الاستعمارية وتتبادل معها المصالح والمعونة . انها تتجسس على التغلغل السوفياتي في غانا وعلى الاسلحة الصينية في الكونغو ، وتدرب العمال الافريقيين لديها لمصلحة الولايات المتحدة ، وتتسوق الخامات اللازمة للمصانع الفرنسية .. كما تقوم بدور حصان طروادة للرساميل والمصالح الغربية الاستعمارية بكل مكان !.

٦ - وهو اخيرا تغلغل باهظ التكاليف جدا : انه لايخضع للقوانين الاقتصادية المعروفة من حساب الكلفة والمردود ، حتى ولا على المدى البعيد تقريبا . وهذا ما يجعله مشروعا سياسيا في الدرجة الاولى . واهدافه السياسية هي التي تبرر تكاليفه التي تدفعها اسرائيل من التبرعات الأجنبية ومن اموال المستدروت . ومايعرف من تلك التكاليف - وهي غير معروفة او منشورة الا في جوانب منها - يكفي لاعطاء فكرة عن الاهمية التي تعقدها اسرائيل عليه . فان معهد الدراسات الافريقية - الآسيوية في تل أبيب وحـــده كلف مثلاً وبشكل متصاعد : من ٣ ملايين ليرة اسرائيلية عام ١٩٥٩ ، الى ٥،٣ مليون ليرة عام ١٩٦٢ الى ٧ ملايين ليرة عام ١٩٦٣ فاذا اضفنا الى ذلك تكاليف ٢٦ بعثة سياسية في البلدان الافريقية واكثر من ٥٠٠ خبير في مختلف انواع الخبرة في الخارج ومئات الطلاب والبعثات والزيارات الرسمية وغير الرسمية لمختلف المسؤولين هنا وهناك الخ... قدرنا ان التكاليف السنوية لهذا التوسع التسللي الى افريقيا لا يمكن ان تقل عن ٣٠ مليون ليرة اسرائيلية (الليرة الاسرائيلية الآن تساوي ليرة سورية - وكانت من قبل جنيها فلسطينياً) .

أسباب هذا التغلغل :

الاسباب يمكن ان نراها في الصورة السلبية لاهتمامات العرب في افريقيا ولموقفهم الحاسم من اسرائيل . انها الوجه الآخر لقضيتنا « نحن » وقبل ان نصوغها في نقاط متعددة نسمعها في كلمات المسؤولين الصهيونيين . بن غوريون يقول : « ان مستقبل اسرائيل الاقتصادي وموقفها الدولي يتعلقان بالعلاقات التي تقيمها مع افريقيا وآسيا » . واشكول الثاني يقول بشكل اوضح : « ان مستقبل

الاجيال الآتية في اسرائيل يتعلق لحـــد كبير بمدى نشاط اسرائيل في القارة الافريقية ، . أهما يبالغان ؟ ايعطيان امرا عاديا صفة الأمر الأسوي الجلل ؟

لا ! تلك أبعاد الحقيقة الواقعة . ان حضور اسرائيل في افريقيا هو حضور قومي ودفاع عن وجـود . فهو اذن حضور منبعث عن سياسة واعية الاهداف ، طويلة النفس ، فرضتها حاجات حياتية لاسرائيل . وتلك الأقوال لا تكشف الا مدى عمق واهمية الوجود في افريقيا بالنسبة لاسرائيل . اما الاسباب فيمكن ان تكشفها النقاط التالية :

١ ـ يأس اسرائيل ، ومن خلفه يأس الصهيونية والاستعمار من امكان دمج هذه الدولة الدخيلة في المنطقة العربية . ان التطويق العربي ـ وهو موقف تاريخي ومصيري بقدر ما هو دفاعي ـ قد أحاطها احاطة العضوية الحية بالحصاة . فالمدى الحيوي لعلاقاتها المتعددة وتفاعلها يجب أن تبحث عنه اسرائيل وراء الاطار العربي المغلق .

ان شعور « الجزيرة » لا يرافق وجودهـــا فحسب ولكنه يملي عليها استراتيجيتها ويدفعها الى الامتداد عبر البحر ، وراء خطوط المواصلات الطويلة في غرب اوروبا وفي الولايات المتحدة ، وفي افريقيا الغربية والشرقية وفي اقصى آسيا ! وذلك اليأس ـ الصهيوني الاستعماري ـ انما كان نتيجة لقاء خطين متناقضين :

آ ـ الرفض العربي الكامل والنهائي للوجود الاسرائيلي في المنطقة ولما يمثله من استعمار خاص صهيوني .

ب ـ شعور اسرائيل والصهيونية العميق بأن لا جذور لها في الارض العربية وبانها رغم مظاهر النهوض القومي النشوان ، انما تصطنع الجذور اصطناعا .

بالمستعمرات الموزعة وبخرافة أرض الميعاد وبالتاريخ البعيد وبادعاءات التنمية وكشف الثروات !

٢ - ان موقع اسرائيل الجغرافي ، ضمن الدائرة العربية المغلقة في الشرق الأوسط ، وانقطاع الاتصال الدولي معها الا عن طريق البحر خاصة (ثم الجو) يجعل الشواطىء الافريقية اول الشواطىء التي يمكن ان تلقي اسرائيل عندها المراسي . شواطىء آسيا فيها الكثير من الشوك الاسلامي والعقبات السياسية وخطوط التغذية الغربية (الى فرنسا وانكلترا والولايات المتحدة) هي طرق استيراد للخبرات والأموال والتأييد وليست طرقا الى مراكز الاستثمار والنفوذ السهل والموادوالشعوب الخام ! اما الشواطىء القريبة المفتوحة فانما هي في افريقيا خاصة !

٣ - وضع اسرائيل الدولي يكشف أنها ليست دولة عادية الوجود والنشأة ولكنها قامت في داخل الامم المتحدة وفي ظرف استثنائي من ضغط الدول الاستعمارية الكبرى ، وهي تدرك ان بقاءها مرتبط ايضاً ببقاء التأييد لها في الامم المتحدة وبقاء ذلك الظرف الاستثنائي معاً .. ولكن اسرائيل تدرك بشكل متزايد الوضوح ان اتجاه القوى في داخل الامم المتحدة وعلى صعيد الشعوب يتغير التغير الجذري : فتركيب هيئة الامم قد تغير لمصلحة الدول الافريقية المتكاثرة خاصة كما ان الاستعمار الذي ينال الضربات المتتالية وينطفىء بكل مكان لن يكون بين قوى الغد . وهكذا :

آ - فان بقاءها المشدود الى القوى الاستعمارية - الصهيونية حتى الآن لا يمكن ان يستمر .

ب - ان افريقيا ميدان مفتوح لم تصله المعركة العربية - الصهيونية بعد ، على انه الميدان القريب الى منطقة المعركة . وان العرب ، ان سبقوا اسرائيل الى

الدول الجديدة التحررة في افريقيا وآسيا خاصة ، اذن افتضح دورها العميل وظهر دورها الاستعماري وفقدت ... الغد .

د — ان الدول الافريقية خاصة والآسيوية معاً اضحت لها وبيدها كلة الاكثرية في هيئة الامم .

اذن .. فلا بد من افريقيا ولو غلا الثمن !.

٤ — طبيعة الاقتصاد السياسي والاجتماعي الصهيوني طبيعة استعمارية تعددية . ان ارتباطاته على تعددها وتنوعه الاولى والاخيرة وكتلته البشرية ونوعه الثقافي واتجاهه الحضاري كل ذلك غربي (اوروبي ـ امريكي) ينزع الى الاستثمار والى امتداد النفوذ والمصالح .

ان أساس المشروع الاستعماري الاسرائيلي كله انما هو محاولة لاستثمار المنطقة العربية . ثم بناؤه الاقتصادي — الاجتماعي انما صيغ في اطار هذا الهدف نفسه ، وانما يتلقى المعونات والتأييد لتحقيق ذلك الهدف ، كما ان علاقات اسرائيل بالدول الاستعمارية والاحتكارات الرأسمالية تسوقها طائفة الى حيث تقضي مصالح الامبريالية والاحتكارات أن تعمل وأن تكون . **ذلك الـــترابط الرحمي بين الاستعمار واسرائيل يجعل منها قطعة من الغرب مزروعة زرعاً اصطناعياً في جغرافية الشرق** . كما يجعل الغرب بدوره مسؤولا عن تغذيتها وبقائها وفتح الطريق لها .. الى افريقيا التي يتركها مرغماً ، والى آسيـا والى كل رزق من دم الشعوب ، حرام ! وارخص سياســـة اقتصادية هي أن تقوم اسرائيل بدور الوسيط ، للتبادل التجاري والصناعي والمالي بين اوروبا وبين القارة الافريقية .

أهداف التسلل الاسرائيلي

هذه الأهداف انما تنجم عن المحـــاور الأساسية في سياسة اسرائيل الخارجية ، وعن الاسباب الدافعة الى ذلك التسلل في وقت معاً . ان اسرائيل

تبحث عن الأعلى وعن الضمان الدولي ، وعن مجال الاستثمار . فمدى أهدافها في افريقيا اذن :

١ — كسر الحصار العربي المضروب حول اسرائيل واجتيازه الى ماوراءه، « خرق حاجز التطويق » الذي لا منفذ فيه . التحرر من الضغط العربي المقلق . « الغاء العزلة الاقتصادية والسياسية حول اسرائيل في الشرق الاوسط » تلك هي بكلمات الصهيونيين ، الأهداف الأولى . ان افريقيا ، في نظرهم ، « قسم من الخط الدفاعي الاسرائيلي ضد العالم العربي » . واسرائيل تبحث في افريقيا — حسب قول بن غوريون — عن امكانيــات خرق حاجز التطويق العربي ... ومع نمو هذا الموقف يمكن فرض الصلح !! » أو بكلمات اخرى اتولدا مايرعام ١٩٦١ « بمتابعة هذا الخط السياسي (خط التغلغل في افريقيا) تستطيع اسرائيل ان تجتاز الحصار السياسي والاقتصادي العربي الى مجالات دولية واسعة تقع خلف هذا الحصار » .

٢ — للنقطة الاولى السلبية جانب ايجابي آخر يكملها في الاستراتيجية السياسية الاسرائيلية هو : سبق العرب الى افريقيا ، الاستفادة من الغياب العربي الحالي هناك واخذ المبادرات الاولى لصلحة اسرائيل . ان حكام تل أبيب يعلمون ان الوجود العربي في القارة الافريقية لا بد آت وانه يملك الكثير من عناصر النجاح . ولكن السبق قد يعطيهم الفرصة لتنفيذ خطة متتالية الحلقات والخط :

آ — تبدأ بافساد علاقات التاريخ والجوار وتشويه الوجه العربي التحرري الصديق لدى الافريقيين (بنشر الكتب الاستعمارية التي تصور التخلف العربي ، ونشر الدعاوة بان العرب تجار رقيق ، واستغلال الخلافات السياسية بين العرب أو بينهم وبين بعض الدول الافريقية لاثارة وتكثيف الحملة ضدهم ، وتصوير الاسلام على انه دين الرجعيين ..)

ب — ثم تسير الخطة في اتجاه سد الطريق على الوجود العربي السياسي والاقتصادي في افريقيا بتحريض اعوان الاستعمار من الافريقيين على التقليل من العلاقات العربية وتحديها وتبني وجهات نظر معادية لها ، وبسد اسواق الاقتصاد الافريقي على العرب ، وهي المدى الحيوي الطبيعي للتعاون بين الطرفين ، ومحاربة الثقافة العربية الاسلامية ..

جـ — وتصل الخطة في النتيجة الى اقامة حصار افريقي مفاد العرب وراء ظهورهم وفي المجال الحيوي الاساسي لصداقاتهم الدولية وتعاونهم الاقتصادي والثقافي ؛ انه حلم الرد على الحصار العربي الاسرائيلي .

٣ — دعم أمن اسرائيل وحمايتها في المجال الدولي . ان الامتداد الى افريقيا والتعاون معها يضفي أبعاداً جديدة على صورة اسرائيل التقليدية المربوطة بالعالم الغربي الاستعماري ويشعرها بالمزيد من الأمن والحماية الدولية . انها حملة التفتيش عن الاصدقاء واصطياد الاصدقاء تلك التي تقود اسرائيل الى افريقيا ودولها الست والاشرين ... (عدا العرب وما سوف يستجد من دول !) والتي تقودها اسرائيل في أفريقيا وفي دولها الست والعشرين !!

آ — هو اسرائيل من ذلك اولا تعريف نفسها . اثبات الوجود بكل وسيلة . انها تقوم في افريقيا بـ « حملة تعبوية » كاملة لابقاء اسم « اسرائيل » على كل شفة ولسان . هي على الطريقة الاستعمارية التقليدية — تزج اسمها في الكتب والنشرات وعلى ألسنة من تدربهم وفي المشاريع التي تقوم بها وفي القارنات بين الاعمال والمعلومات الجغرافية والتاريخية والاقتصادية .

ب — وهمها بعد ذلك كسب الاطارات الحاكمة . ان تلك القيادات الافريقية التي وصلت الى السياسة والتوجيه في القارة ، على ثورية بعضها ، انما

نشأت على الثقافة الغربية خاصة وما تزال تعيش في مناخها الفكري ومعطياتها العامة، اذن فمجالات اللقاء بينها وبين الجو الاسرائيلي ، الغربي بدوره ، مختومة . فاذا اضافت اسرائيل الى ذلك : الحديث مع تلك القيادات بلغة الغرب (الفرنسية او الانكليزية) وقدمت بعض تجاربها الزراعية والعمالية ، كان ذلك كافياً - من حيث المبدأ - لاجتذاب تلك القيادات وأسرها في شبكة الجو الصهيوني .

ج - **وتوجـه اسرائيل اهتماماً خاصاً في افريقيا الى الزعماء المسلمين ! انها تتوجس الرفض والمقاومة منهم فهي تزداد لديهم بالملق والرعاية** . لاتكتم فرحها الشديد ان زارها (احمد اهيدجو) رئيس الكمرون والزعيم المسلم المعروف ، او طلب منها الامام الأكبر في سيراليون معلمين للغة العربية ! اسرائيل تعتبر كل علاقة مع مسلم جديد نقطة نصر على العرب !

د - تسعى الى الغاء وجهة النظر العربية بشكل كامل في افريقيا . انها تستغل جهل الافريقيين بقضية فلسطين لتلغيها ، ولتبدأ التاريخ بوجود اسرائيل القديم والحديث في فلسطين ، او لتصور الموقف العربي على مشتهاها الصهيوني : عدواناً ، استعمارياً عربياً لامبرر له ، على دولة صغيرة مناضلة نامية . ان الشكل الذي تأخذه اسرائيل في افريقيا وما تقدمه من عون وما تبذل من نشاط يحول - لفترة قد تطول - دون الرؤية الواضحة لواقع المأساة الفلسطينية وابعادها الاستعمارية .

هـ - وتصل اسرائيل من كل ذلك الى جمع التأييد من كل مكان ، في المجال الدولي ، وفي هيئة الامم لمواقفها الصهيونية . ان كل خطواتها الاولى انما هي محاولات لايجاد « الصديق المعجب » الذي لا يتأخر ، عند الحاجة ، عن بذل التأييد الطوعي ومنح الصوت في الامم المتحدة بالسهولة التي يمنح فيها ابتسامة !

و ـ وقمة هذا التأييد تكون حين يصل الصديق لدرجة دعم اسرائيل في طلبها المفاوضات المباشرة للصلح مع العرب ، ان الأمل بممارسة ضغط افريقي على العرب ، بعد الضغط الاستعماري للصلح مع اسرائيل ، قد عبرعنه بن غوريون بصراحة . قال : « ان أكثر أصدقائنا من آسيا وافريقيا سيحملون **الدول العربية في النهاية على احترام رسالتنا وعلى الصلح معنا** » !

تلك خطة « الامن » عن طريق « الاصدقاء السود » !

٤ ـ فتح باب جديد من التغذية الاصطناعية لاسرائيل ، من وراء المنطقة العربية . ان افريقيا جزء من المنافذ ومن المدى غير الطبيعي الذي تتمسك به الصهيونية والاستعمار لتثبيت الوجود الاسرائيلي ، وتحدي جهود المقاطعة العربية القاسية .

فاسرائيل تستغل أقوى ما في الموقع الاستراتيجي العربي من اهمية وشأن وتدعيه لنفسها من اطلالة على البحرين : الابيض والاحمر ، وصلة الوصل بين الشرق والغرب ، وملتقى ومفترق الطرق ونقطة اللقاء والتبادل التجاري بينها ، وهي تزيد من اسطولها البحري (من اموال التعويضات الالمانية) للابقاء على ارتباطاتها عبر البحار ، وذلك كي تتمكن من :

آ ـ ايجاد اسواق ، تصدير بدل الاسواق العربية المقفلة ، لصناعاتها المحلية .

ب ـ ايجاد عمل للفيض من اليد العاملة الفنية لديها .

ج ـ لصيد المشاريع للعمل وتسوق المواد الاولية والثروات الافريقية لأوروبا ، يقول بن غوريون : « ان الاكتفاء الذاتي الاقتصادي لن يتحقق إلا عن طريق توطيد العلاقات مع افريقيا وآسيا ، ويتوقف أمن اسرائيل على ذلك الى درجة كبيرة » .

٥ ـ الحلول محل الاستعمار الغربي في مهامه بالقارة الافريقية . ولقد

مهد لها الاستعمار قبل أن رحل طرق التسلل . ابترك مصالحه المهددة دون من يرعاها ؟ واذا خرج الافريقيون من معارك التحرر وهم شديدو الحساسية ضد كل من يحمل الملامح الاستعمارية، فان اسرائيل لاتعدم الوسيلة لحمل القناع اللازم لتغطية دورها . فهي الدولة الصغيرة المسالمة النامية ، التي لامطامع لها ، ولا سابقة من مشكلة في افريقية ، ولكن الصلة الصحيحة بين الكيانات الاقتصادية الامريكية والأوروبية (من شركات وبنوك ومؤسسات مماثلة في افريقيا) وبين الكيان الاقتصادي الاسرائيلي معروفة واضحة . لذلك فليس من الغريب أن تنوب عنها في تأمين المصالح الاستعمارية الاساسية :

آ ـ من ثروات افريقية قيد الاستغلال او لم تستغل بعد .

ب ـ من حفاظ على واقع التجزئة الافريقية .

ج ـ من دعم القيادات المهادنة للاستعمار والمؤثرة بمصالحه .

د ـ من تجسس على السلالات الغربية (من سوفياتية وصينية وعربية) .

هـ ـ من عزل للثورة التحررية العربية عن الثورات الافريقية المماثلة .

و ـ من رقابة المواقع والقواعد الستراتيجية الهامة في المقاومة .

ز ـ من تآمر ، مع القوى الامبريالية ، ضد القوى الوطنية (وما جرى في الكونغو مثل بليغ) وضد البلاد العربية المجاورة (كتحريض الحبشة ضد السودان على الحدود وفي انفصال الجنوب وضد الصومال) .

ح ـ ومن تبشير ديني ايضاً، فان اسرائيل تبشر على النهج الاستعماري بالدين اليهودي بين الوثنيين الافريقيين بديلا عن المسيحية (التي يرتبط ذكرها بالبيض والاستعمار في افريقية) لمقاومة الانتشار الاسلامي .

تاريخ التسلل الاسرائيلي :

يمكن أن نؤرخ بدء الاتجاه الاسرائيلي الى افريقية بمؤتمر باندونغ[1] نيسان عام ١٩٥٥ . يومذاك رفضت اسرائيل من عضويته ، رفض اعتبارها دولة آسيوية ـ افريقية . بينما قبلت ـ كمراقبين ـ دول كثيرة افريقية لم تستقل بعد، (كالجزائر) ، ورافق ذلك انهيار الستار الفاصل والتباعد الاستعماري المصطنع بين افريقيا العربية وافريقيا الزنجية : اضحى الزنـج بعض اهتمامات العرب ايضاً .

ثم تلا ذلك انكسار ميزان القوى في الشرق الاوسط ، بتغير توازن التسلح الغربي ودخول السلاح السوفياتي الى الدول المتحررة (مصر ثم سورية) . كسر احتكار السلاح الغربي . وانهزم حلف بغداد في المنطقة فلم يستقطب في الجماهير أحداً ، رغم الدعاية والمال الكثير . ولم يستطع أن يكون بديلا للنفوذ الاستعماري القديم المطرود .

ثم فشل العدوان الثلاثي على مصر ، على صعيد الرأي العام الدولي . وظهرت الكتلة الافريقية ـ الآسيوية في الامم المتحدة ونمت بسرعة مع انتشار الحركات التحررية ضد الاستعمار في القارة الافريقية خاصة ومع وصول بعضها سنة ١٩٥٦ ثم سنة ١٩٦٠ خاصة الى الاستقلال[2] .

كل ذلك فتح اعين الاحتكارات الرأسمالية الغربية ، التي تمتص افريقيا الى ضرورة ايجاد بديل للوجود الاستعماري المباشر ، وفتح في الوقت نفسه اعين اسرائيل نفسها الى ضرورة المزاوجة بين التأييد الغربي وتأييد القوى النامية

---

(١) الاتجاه نحو آسيا كان مبكراً ويعود إلى مؤتمر بالفراد لاتحادات العمال العالمية سنة ١٩٥٠ الذي نجم عنه اقامة العلاقات بين اسرائيل وبورما .

(٢) في سنة ١٩٦٠ وحدها استقل في افريقيا ١٦ دولة .

في العالم ان الغرب وحده لايكفي درعا . . . وهكذا في مابين سنة ١٩٤٨ وعام ١٩٦٠ في فترة النضال المتزايد ضد الاستعمار في افريقيا وفي غفلة من العرب ، سمحت الدول الاستعمارية لاسرائيل ان تفتح لها قنصليات عديدة هنا وهناك . اول علاقة اسرائيلية مع افريقيا كانت مع ليبريا التي صوتت بجانب التقسيم سنة ١٩٤٨ وكانت ثالث دولة في الاعتراف باسرائيل . ومنذ سنة ١٩٥٠ فتحت قنصلية فخرية في مونروفيا تحولت عام ١٩٥٧ الى سفارة . . سبقتها شركات ومعونات فنية وزراعية وطبية وبدأ التعاون مع اكرا عام ١٩٥٥ قبل سنة من استقلال غانا بانشاء قنصلية فخرية اخرى .

وعقدت الصلات بكثافة بين الشركات الاوروبية والاسرائيلية ، ووصلت العلاقات مابين رجال الاعمال وما بين المنظمات النقابية والطلابية والاجتماعية والمهنية في اسرائيل وفي القارة . وما كان ذلك تمهيدا مباشرا لقطع الطريق على التعاون الافريقي العربي المنتظر فحسب ، ولكن . . تخليصاً لاسرائيل من الحصار الاقتصادي العربي وافتتح الباب الخلفي للمنتجات الاسرائيلية ، ولتكون البديل للوجود الاستعماري الغربي : في التعاون مع الحكام الذين تركهم المستعمرون حكاما بعد الاستقلال ، وفي تقديم المعونات التي لابد للدول الافريقية من احتياجها للتنميــــة في ظروف مابعد الاستقلال مباشرة !

ولم تكن الاحتكارات الرأسمالية - الغربية هي وحدها الحمار الذي قاد قافلة اسرائيل الى ارض الزنــج وثروات الزنــج . عناصر وعوامل شتى ساعدت اسرائيل بجانب الاستعمار على ذلك ، وعبدت لها الطريق . . من هذه العوامل :

أ - جهل افريقيا المطبق باليهودية والصهيونية ومشكلة فلسطين . وأخفت اسرائيل وهي تتغلغل انها احتلت ارضا ليست لها وطردت سكانها الاصليين الذين ماتزال فاجعتهم قائمة ، وانها دولة عسكرية التنظيم والهدف ، وانها تعيش على المساعدات الغربية المتدفقة ، وانها جزء من الاحتكارات الاستعمارية ، وانها ليست دولة شرق - اوسطية ، ولا دولة نامية ! والسخرية السخرية حين تزعم للافريقيين انها ناضلت مثلهم ضد الاستعمار البريطاني للحصول على الاستقلال ! !

ب - الصفات التي تجريها اسرائيل على نفسها امام الافريقيين. فاذا كان الافريقي شديد الحساسية ضد الاستعمار ، مشوقا اعنف الشوق للتنمية والبناء ، فاسرائيل تقف امامه كدولة صغيرة لامطمع لها من تسلط ، حيادية الطريق اوهكذا تزعم لانها قوة اقتصادية ثالثة لاغربية ولا شرقية ، ومناضلة ، ضد الاستعمار (الانكليزي ! !) ، نامية ولديها في هذا المجال تجارب غنية كل الغنى ..

وتقدم اسرائيل هذه التجارب في اطار من الصداقة واللانفعية والارشاد الجانبي الايحائي الذي لايحاول تحدي الشخصية الافريقية الحساسة اوقسرها على شيء .. اسلوب اليهود القديم المعروف . الرئيس داكو قال عند زيارته لاسرائيل عام ١٩٦٢ « انتم لاتحاولون خلقنا على صورتكم بالعكس » ، فتكتفي اسرائيل بأن تظهر للشعوب الافريقية الجديدة منجزاتها وان تعينها على تجاوز ضعفها ومعونتها على التعلم . بهذا غزوتم افريقيا السوداء » !

ج - وخلو اسرائيل من الطمع السياسي لايكفي لجلب اهتمام الحكومات الافريقية . ادركت الصهيونية انها لابد ان تبرز للزنج مالديها من محتوى اجتماعي . من قيم اجتماعية ومن سوية تكنية عالية .

اسرائيل تقول هناك : انها دولة اشتراكية كمعظم الدول الافريقية ، ولكنها الاشتراكية المرنة لا اشتراكية عقائدية معينة في اسرائيل. والحكومة في تل ابيب عمالية ، يوجهها الحزب العمالي نفسه . والحركة العمالية ساهمت في نيل الاستقلال في كل من افريقيا واسرائيل ولذلك يمكن ان تكون تجربتها في هذا المجال تجربة رائدة .

وتقول : ان اسرائيل تحولت في اقل من جيل واحد فقط من بلد متخلف الى بلد متقدم . ولما كانت افريقيا « مستعجلة » تهتم بهدف واحدهو ان تلحق بالركب العالمي ، لذلك تشكل اسرائيل بالنسبة اليها نموذجا جذابا مغريا للتقليد . « نريد منكم املا ، اتجاها ، وان نعرف كيف نعمل » ! هذاماطلبه احد زعماء اوغندا .

ثم ان نصف سكان اسرائيل هم من الدول النامية (الآسيوية ــ الافريقية) وقد تكونت لديها خبرات بتربيتهم رغم مستوياتهم الثقافية المختلفة ، ودمجهم وجعلهم عمالا على النظام الحديث . الزوار الافريقيون كانوا يفاجأون دوما بأن جماعات من الدول المتخلفة تعمل في الآلات الدقيقة في اسرائيل !

ويعجبون الى هذا بتكوين « المستعمرات » الديمقراطي ، اذ يشهدون وزيرا يغسل الصحون في « الكيبوتز » يوم عطلة الاسبوع ، فيشدهون لهذا البلد الذي تعطي فلسفته مكانا هاما للعمل اليدوي .

وتؤكد اسرائيل على ابراز قابلية تجربتهـــا الاجتماعية ـ الاقتصادية للتطبيق في افريقيا . يقدمونها مرنة قابلة للتغيير والتأقلم . ويحاولون استغلال بعض ملامح التشابه الجغرافي مع غانا ، مع شرق افريقيا ، مع كينيا ، في النبات والاقليم والمطر ...

وتؤكد أخيراً ، دولة تل ابيب ، على ان لديها خبرات من كل الأنواع التي تحتاجها افريقيا .. تتعاون مع اسرائيل لا لأنها غنية بالمعارف التكنيكية ولكن لديها خبرات فنية عديدة ومن بلاد مختلفة فخبراتها العملية متنوعة اكثر من أي بلد آخر . (مسؤول من نيجيريا الغربية) . « ان افريقيا النامية بحاجة الى التجربة الاسرائيلية على مستوياتها الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية كافة ! » (وزير من اوغندا).

د — وتذهب اسرائيل في الملق للزنج الى أبعد الحدود . **انها تعقد ملامح الشبه بين اليهود والزنج زلفى وقربى . أليس لكل من الشعبين تاريخ طويل عريق من الاضطهاد والنبذ الانساني والمقاومة ؟ ألم يشرب العبيد واليهود من الكأس الدهاق خلال قرون وقرون ؟** . « اسرائيل تكسب عطفنا لأنها مثلنا كانت ضحية الاضطهاد » كذلك تعلم ان يقول (كينتولا) رئيس وزراء نيجيريا الشرقية .

هـ — ولا تدع اسرائيل ، صلتها بأفريقيا تقوم على أساس من العاطفة والكلام في الفراغ . ولكنها تفرغ كل مالديها من خبرات علمية موضوعية في خطة منظمة دقيقة . فثمة جهاز كامل في تل ابيب من ثلاث شعب يوجه الخطى الاسرائيلية على ضفاف الكونغو والنيجر ، ويقدر لها التاكتيك والمسير : فبعثات دبلوماسية تغطي القارة ، وخبراء يذهبون ويجيئون ، وتبادل تجاري متزايد ، وقروض تغدق ، وشركات مشتركة الرساميل ، وبعثات دراسية وجمعيات صداقة ومعاهد افريقية للتوجيه والتدريب . وزيارات اسرائيلية للغابة الاستوائية يقابلها دعوات للزنج الى الدفء المتوسطي وصنوف الاغراء ..

واصطناع في النهاية للمواقف الانسانية كرفض الرق ورفض الاستعمار !! وثمة الى هذا ، ميزانية تتسع من المال وطريقة سريعة في تلبية الحاجات الافريقية وتساهلات كثيرة مع هذا « الكوشي (١) » الكريه المحبوب في وقت معاً ! كثيراً مايصل الخبير الاسرائيلي الى افريقيا دون طلب ودون كتابة كلمة في الموضوع !

وهكذا فان المركز العصبي لبرامج المعونة التكنية الاسرائيلية هو (دائرة التعاون الدولي) في وزارة الخارجية الاسرائيلية . انها المسؤولة عن كل شيء . رئيسها (A Romeg) ضابط طيران متقاعد ويستعين بالمشاريع الفردية للتدريب وبالعقود الخاصة مع المختصين، ولكن الامور الزراعية تدار من قبل دائرة التدريب الخارجي في مصلحة التوسع الاسرائيلي، والامور العمالية يديرها ويقدم معوناتها ومحاضراتها وبرامجها ومعاهدها : الهستدروت ، والتدريب المهني يتم في عدد من المعاهد والمدارس .

أنشط الفروع هو الفرع العمالي . لأن الهستدروت عام ١٩٥٧ وضعت أول صيغة افريقية – آسيوية للتعاونيات ، أذاعت سمعة اسرائيل في الناحية العمالية والتعاونية في افريقيا ، وأما النفقات فيتناولها الهستدروت من « اتحاد العمل الامريكي » ومن « مجلس المنظمة الصناعية » الامريكي ايضا ! ! المعهد الآسيوي الافريقي التابع له درب مابين عام ١٩٥٥ – ١٩٦٣/ ٢٢٠٠/ طالب افريقي وآسيوي من اربعين بلداً . عدا الذين درسوا في الجامعة العبرية وفي معهد وايزمن ! وفي التخنيون .

و – وتستغل اسرائيل اخيرا ، جميع جسور الاتصال مع افريقيا ،

(١) كوشي كلمة احتقار يطلقها اليهود على الزنوج

بابها الاول والاساسي هو خليج العقبة – البحر الاحمر . منذ سنة ٩٥٦ فتح لها هذا الباب ما بين إيلات الى جيبوتي الفرنسية ، ثم المحيطات الواسعة في شرقي افريقية . بينما يساعدها جبـــل طارق الانكليزي على باب المتوسط الغربي . وتساعدها خطوط الطيران لاسيما (ك . ل م) (ارفرانس) (بواك) . .

وتستغل المؤتمرات الدولية جميعـاً ، من هيئة الامم المتحدة حتى آخر مؤتمر صغير مهمل لمعرض أو بحث زراعي ، وتستغل العواصم الاستعمارية فلها هناك الاجهزة الكاملة والقوى الاحتكارية . . . وتستغل حاجـــة الغرب الاستعماري الى قواعدو ركائز في الشرق العربي الثائر . . . فهي جاهزة فعالة لما يريد!

وبعد فاين وصلت اسرائيل السوداء من الغزو ؟

هنا نترك للوقائع وحدهـــا أن تتكلم ، لابد أن نترك بعضها على الأقل يتكلم :

١ – في الاتفاقيات :

– عقدت اسرائيل خلال السنوات الأربع أو الخمس الاخيرة ما يزيد على ٦٠ اتفاقية مع الدول الافريقية : هذه بعضها :

اتفاقيات تعاون في :

مع غانا بتاريخ ٦٢/٥/٢٢
مع ليبريا بتاريخ ٦٢/٦/٢٥
مع نيجيريا بتاريخ ١٩٦٢/٥/٤
مع كونغوبرازافيل بتاريخ ١٩٦٢/٥/٩
مع تانغانيكا (بين نقابة
العمال والهستدروت) بتاريخ ١٩٦٢/٨/١
مع داهومي بتاريخ ١٩٦٢/١٢/٢

مع ساحل العاج بتاريخ ١٩٦٢/٧/٢٥ جددت ١٩٦٥/١/٢١
مع توغو بتاريخ ١٩٦٢/٢/٢٥
مع افريقيا الوسطى = ١٩٦٢/٦/١٤
مع غابون = ١٩٦٢/٥/١٥
مع مالي = ١٩٦٠/١١/٢٤
مع السنغال = ١٩٦٢/١/١٧
مع غينيا = ١٩٦٢/١/٣٠
مع فولتا العليا = ١٩٦١/٦/١١
ومع سيراليون = ١٩٦٥/٨/٥

ومع بوروندي ، اوغندا ، النيجر ، الكمرون ، غامبيا ، رواندا ، الكونغو — ليوبولدفيل .

اتفاقيات صداقة

مع ليبريا = ١٩٦١/١١/١
مع الكونغو برازافيل = ١٩٦٢/٨/٣
مع مالاغاس = ١٩٦٢/١٠/٢
مع داهومي = ١٩٦٢/٣/٤
مع ساحل العاج = ١٩٦٢/٧/٢٥
مع افريقيا الوسطى = ١٩٦٢/٨/١٤
مع غابون = ١٩٦٢/٥/١٥
مع فولتا العليا = ١٩٦١/٧/١١
ومع توغو في نيسان عام ١٩٦٤

مع بوروندي ومع الكونغو — ليوبولدفيل .

اتفاقيات تجارة وتبادل :

مع ليبريا بتاريخ ٢٥ | ٦ | ١٩٦٢

مع ساحل العاج عام ١٩٦٠ ثم جددت في ٢٠/ ١٩٦٥/٤ لمدة خمس سنوات بحجم / ٤ / ملايين دولار .

مع توغو تاريخ ١٩٦١/٧/٣

ومع غابون ومع الكمرون ومع أثيوبيا .

ومع غانا منذ عام ٩٥٨ ثم جددت ١٩٦٢/١٢/٨ بقيمة مليون جنيه استرليني .

ومع افريقيا الوسطى عام ١٩٦٥ (لانشاء مركز صناعي رأسماله / ٧٠ / مليون فرنك لصنع الادوات الكهربائية مقابل المواد الخام) .

اتفاقيات طيران :

مع ليبريا بتاريخ ٣/ ٣/ ٦٢

مع نيجريا بتاريخ ٦/١٠/ ٦٢

مع كونغو برازافيل = ٥/٢٢ /٦٢

مع جمهورية أفريقيا الوسطى .

مع مالي بتاريخ ٦٠/١١/٢٤

مع السنغال = ٦/١٠ /٦٢

مع الكمرون عام ٩٦٢ ومع النيجر ومع اثيوبيا .

اتفاقيات ثقافية :

مع ليبريا بتاريخ ٦/٢٥ /٦٢

مع مالي = ٦٠/١١/٢٤

ومع سيراليون عام ١٩٦٥

ومع توغو عام ١٩٦٥

مع الكمرون ....

هذا عدا العلاقات الثقافية القائمة الواسعة مع عدد من البلاد الاخرى دون اتفاقية تنظمها : كاثيوبيا ، وغانا والسنغال ومالاغاش .

اتفاقية الغاء السمات :

مع داهومي ـ افريقيا الوسطى ـ الغابون .

ب ـ في الزيارات الرسمية :

زار اسرائيل من رؤساء الدول الافريقية عـــدد كبير بدعوة منها ، وبعضهم زارها اكثر من مرة : من هؤلاء رؤساء : مالاغاش ، فولتا العليا ، افريقيا الوسطى ، ساحل العاج ، داهومي ، غابون ، ليبيريا ، توغو ، تشاد (٣ مرات) الكمرون (وهو احمـــد اهيدغو ، اول رئيس دولة مسلم يزور اسرائيل) .

وبجانب هؤلاء عدد من رؤساء الوزارات من نيجيريا الغربية والشرقية واوغندا وتوغو وغابون وتانزانيا وغيرها وعدد واسع من الوزراء الافريقيين (للخارجية والتنمية والزراعية والدفاع والتجارة والتربية والعدل والداخلية). وبالمقابل زار الرئيس الصهيوني السابق (بن‌زفي) عدداً كبيراً من دول افريقيا عام ١٩٦٢ ،وزارها رئيس الكنيست (قاديش لوز) عام١٩٦٥، زار السنغال وتشاد وساحل العاج وفولتا العليا . أما وزيرة الخارجية السابقة غولدا مائير فزارتها مرات متعددة منذ زيارة غانا الاولى عام ١٩٥٨ .

هذا عدا الوفود البرلمانية المتعاقبة من الجانبين . وقلما ينقضي اسبوع لايكون لدى اسرائيل خلاله ضيف افريقي (او آسيوي) كبير .

ج – في بعض الارقام والملامح :

– المعهد الآسيوي – الافريقي في تل ابيب هدفه تدريب قادة العمال في آسيا وافريقيا .

كلف بناؤه ربع مليون دولار . ميزانيته السنوية نصف مليون دولار . تخرج منه حتى عام ١٩٦٥ حوالي ٨٧٥ قائداً عمالياً من ٦٢ بلداً ، اشتركوا في ١٠ دورات و١٥ حلقة دراسية .

– شركات البناء المشتركة (شركة سوليل بونيه (الاسرائيلية) خاصة والشركات الافريقية) وصلت في ميزانيتها الى ٤٠ مليون دولار استخدمت ٣٣ الف عامل زنجي و٣٥٠٠ مهندس يهودي .

– الشركات الخاصة وصلت الى /٣/ ملايين دولار في سيراليون ونيجيريا الشرقية والى ١٠ ملايين في نيجيريا الغربية .

– في اسرائيل نسبة ضخمة من الاطباء (طبيب لكل ٤٠٠ شخص) ولذلك ترسل المئات منهم الى افريقيا .

– اقيم خط بحري (ديزنكوف – غرب افريقيا) وهو شركة نصف حكومية لها ١٤ مرفأ في المدن الرئيسية من نيجيريا ، غانا ، سيراليون .

– وأسست شركة افريقيا الشرقية (اميران) بين العقبة (إيلات) وشرقي افريقيا .

– ارتفعت الصادرات الاسرائيلية من مليوني دولار عام ١٩٥٦ الى ١٠٫٥ مليون دولار عام ١٩٦٠ (مصنوعات) وأما الواردات فهي مليونان فقط !! (الماس والمطاط خاصة) .

د – وفي السنة الأخيرة عام ١٩٦٥ هذه بعض الارقام :

– في كانون الثاني ، اقامت اسرائيل دورة ضباط سياحـــة حضرها موفـدون من عشر دول افريقية (تانزانيا ، كمرون ، اثيوبيا ، داهومي ، اوغندة ، كينيا ، تشاد ، ساحل العاج ، ليبيريا ، توغو) .

– أعطي قرض اسرائيلي بمبلغ « ١٠٠ » الف دولار لجمهورية افريقيا الوسطى لبنـــاء « ٣٠٠ » منزل في بانغي ، والبيوت هي جزء من مشروع لألف بيت .

– وقعت في ٢٢/٣/١٩٦٥ اتفاقية مع سيراليون لبناء مصفاه بترول بقيمة ١٠ ملايين ليرة اسرائيلية ، التمويل انكليزي والتجهيزات اسرائيلية .

– عقدت حلقة دراسية لتطوير المناطق القروية ٢٧/٤/١٩٦٥ اشترك فيها مبعوثون من ١٥ بلداً منهم ٤ بلدان افريقية .

– وضع الحجر الاساسي لفندق (تانا تاريف) ، والشركة الملغاشية للفنادق التي تبنيه ثلث رأسمالها يهودي .

– تأسست شركات مشتركة في ساحل العاج ، مالاغاش ، سيراليون بما يزيد عن ١٠ ملايين دولار .

– ذهب في ٢٣/٥/١٩٦٥ وفد من ٧٠ خبيراً اسرائيلياً في الحكم المحلي الى اوغندة لتنظيم دورات تدريبية لحوالي ٢٠٠ موظف لمدة ٣ اشهر .

– نطاق اعمال شركة (سوليل بونيه) الاسرائيلية في ١٢ دولة من آسيا وافريقيا بلـغ ٢٥ مليون دولار عام ١٩٦٥ مقابل ٢١ مليوناً عام ١٩٦٤ .

ـ شركة (تاهال) الاسرائيلية للمياه تعمل في تنفيذ المشاريع المائية في نيجريا وغانا .

ـ استقبلت اسرائيل في حزيران بعثة من موظفي البنوك في غانا للتدريب .

ـ اعدت اسرائيل مشروعاً لانشاء مدرسة عليا للطيران المدني تغطي نفقاتها منظمة الطيران المدني ويدرس فيها الافريقيون في دورات لمدة سنتين .

ـ في ايلول افتتحت دورة خاصة لمدة ٧ اشهر لشؤون القضاء والادارة في الدول الافريقية باشراف الخارجية الاسرائيلية وكلية الحقوق في الجامعة العبرية ووزارة العدل . الغرض منها انشاء اجهزة قضائية حديثة في افريقيا .

أتروع هذه الصور ؟

اترعب مقابل اللاشيء الذي يقدمه العرب ؟ ان الصورة العسكرية للعلاقات اكثر ارعاباً : في نهاية عام ١٩٦٣ كانت هناك ١٦ دولة افريقية تتعاون مع اسرائيل في الميدان العسكري ، عشرات من ضباط الجيش الصهيوني يتوغلون في افريقيا مدربين ومنظمين ومديري مدارس في الطيران والبحرية والجيش البري . بجانب مجموعة اخرى تدرب الشباب الطلائعي على غرار (الناحال) و (الجدناع) . ان لوزارة الدفاع مثلا في غرب افريقيا مقره ساحل العاج ، هـذا همه ! ويستقدم اليه الخبراء الضباط من اسرائيل الى غانا وساحل العاج وافريقيا الوسطى وداهومي والنيجر والكونغو وتنزانيا وسيراليون واوغندا ونيجريا والكمرون .

وبالمقابل تقـام الدورات التدريبية للشباب الافريقي في اسرائيل : دورات لشباب (الناحال) يحضرها السنغال وداهومي وتوغو وساحل العاج وملغاشي ورواندا واوغندا وافريقيا الوسطى وتشاد والكمرون . ودورة

للطيران . ودورة لقادة الجدناع انتمى اليها ١٥ دولة افريقية بينهم (١٣) فتاة . وأسست اسرائيل عام ١٩٦١ في غانا مدرسة بحرية ثم مدرسة للطيران ثم مدرسة لضباط البوليس .. وفي الكونغو مدرسة للمظليين ، كما يشرف الاسرائيليون على التدريب في الكلية الحربية في اثيوبيا وفي كلية الشرطة ، وفي المخابرات ، وفي حرب العصابات ، ويؤسسون لساحل العاج جيشاً نسوياً . كما يقيمون دورة تدريب للجدناع في توغو التي أدخلت هذا النظام في المدارس !

* * *

ان على العرب ان يعوا على الأقل ان اليهودي التائه لم يعد تائهاً اليوم . انه يعرف ما يريد وخاصة في الأدغال الافريقية ذات الثعابين والقطن والكاكاو والماس والمطاط .. وقدر من المستقبل كبير !.



من تاريخ القضيّة

بقلم عزّة دروزة

مهما كثر الكلام عن قضية فلسطين فالحاجة تظل ملحة على الاستمرار فيه . وكلما لاحظنا مركز فلسطين ازددنا يقيناً بذلك لأن هذا المركز يجعل هذه القضية قضية الأمة العربية والبلاد العربية قاطبة . فهي نقطة الاتصال بين البلاد العربية الآسيوية والافريقية ، وباب البلاد العربية المفتوح على البحر الابيض المتوسط والمؤدي مباشرة الى صميم بلاد العرب الشرقية والجنوبية والشمالية الى أن تصل الى بقية انحاء الشام ثم العراق الشمالي من ناحية والجنوبي والخليج العربي من ناحية وشمال جزيرة العرب وجنوبها من ناحية .

ونكبة فلسطين باليهود أفظع وأغرب نكبة وقعت في التاريخ الحديث على أية امة وبلد . لأنها غزو مسلح لاقتلاع شعب من ارضه التي عاش فيها مالا يحصى من الاحقاب ، واحلال جماعات تحشد من أنحاء الارض مختلفة متناقضة في لغاتها ودمائها وعاداتها وثقافاتها محله، بزعم أن جيلاً يدين بدينهم كان فيها قبل ثلاثة آلاف عام وبرغم أنه شرد عنها منذ الفي عام .

. .

ولقد تمت هذه النكبة بالتقاء قوى اليهود مع قوى الاستعمار الطامعة باستبقاء بلاد العرب تحت هيمنتها واستغلالها . فقد ترسم طاغوت الاستعمار الاكبر في القرن الفائت ، أي الانكليز الذين كانت امبراطوريتهم فيه من أعظم الامبراطوريات الحديثة، أن يبسطوا سيطرتهم على ما كان في طريق الهند ، درة هذه الامبراطورية التي كانت تستمد منها اسمهـــا وثروتها . وتمكنوا بدسائسهم ونشاطهم من احتلال مصر والسودان وسواحل جزيرة العرب الشرقية والجنوبية بما فيها سواحل الخليج العربي . ثم رأوا في الحرب العـــالمية الاولى الفرصة السانحة لاتمام خطتهم . وكانت بلاد العراق وفلسطين وشرق الأردن هدفهم في هذه الفرصة ، حيث يضمن لهم ذلك وصل البحر الأبيض من ناحية فلسطين بالخليج العربي من ناحية العراق . ولقد كانت فكرة تقسيم الامبراطورية العثمانية تراود دول أوروبا الكبرى منذ اوائل القرن التاسع عشر وكانت تسميها بالرجل المريض ، غير أن تناحرها وتنافسها كانا مما يعرقل تحقيق الفكرة والاتفاق عليها ، وكان التنافس بين انكلترة وفرنسة وروسية ثم دخلت المانيا المضمار حتى غدت في اوائل القرن العشرين الأشد ازعاجاً لسائر المتنافسين مع تظاهرها بأنها الاكثر اخلاصاً للدولة العثمانية . فلما نشبت تلك الحرب انضمت الدولة العثمانية الى جانب المانيا حيث كانت انكلترة وروسية وفرنسة في الجانب الآخر . فكان مما فعلته الدول الثلاث حينما بدت لها تباشير النصر أن تفاوضت واتفقت على التقسيم . وكانت بلاد العراق من حصة بريطانية وبلاد الشام من حصة فرنسة والولايات الشرقية من الأناضول ـــ آسيا الصغرى ـــ من حصة روسية بالاضافة الى حصص اخرى لايطالية واليونان التي كانت مع هذه الدول . ولم يكن لبريطانية مصالح مزعومة في فلسطين وشرق الاردن تقنع بها حلفاءها الا انشاء سكة حديدية تربط بين الخليج العربي والبحر الابيض فمنحت لأجل ذلك سواحل فلسطين الشمالية مع طريق بري الى العراق ماراً بشرق الاردن . أما سائر فلسطين فقد كانت كل من روسية وفرنسة تزعم لنفسها مصالح دينية وثقافية وأفضلية فيها فلم يمكن التوفيق بينهما فأدى ذلك الى الاتفاق على أن تكون ادارتها دولية تشترك فيها الدول الحليفة جميعها . وفي سنة ١٩١٧ انفجرت الثورة الاشتراكية في روسـية فأدت الى خروجهـــا من الحرب . وتفاوضت فرنسة وبريطانية

فأكدنا الاتفاق الذي تم بالنسبة لحصصهما ثم بالنسبة لفلسطين فيما عرف بمعاهدة سايكس بيكو نسبة لمندوبي بريطانية وفرنسة في المفاوضات. ولقد كانوا يفعلون ذلك في السر في حين كانوا يعلنون بأنهم انما يحاربون لانقاذ البلاد من الظلم ومنح أهلها حق تقرير مصيرها حيث يتمثل في ذلك الخيانة والغدر عن قصد وتصميم.

. . .

وبينما كانت الدول الثلاث تتفاوض وتتآمر على الامبراطورية العثمانية ومنها بلاد العرب وتتفق على تقسيمها كانت بريطانية تتصل بشريف مكة الحسين بن علي وتتفاوض معه على القيام بثورة عربية كبرى ضد الدولة العثمانية مقابل الموافقة على قيام مملكة عربية مستقلة كبرى برئاسته تشمل بلاد الشام والعراق والحجاز وانحاء اخرى من الجزيرة العربية مما كان فيه تناقض صارخ آخر ملؤه سوء النية والغدر والخيانة للعرب.

وقد ظلت مصممة على هذا التناقض الغادر الخائن ومثلت في مجاله أدواراً عجيبة بمداتها الحرب منافية لكل خلق ومنطق وشرف وحق وبكل صفاقة واستهتار.

ولقد نشأت حركة اليهود الصهيونية في أواسط القرن الفائت نتيجة لما كان يقع على اليهود في اوروبا من اضطهاد. فقد كان اليهود في اوروبا وغيرها ــ سواء منهم الذين تشردوا من من فلسطين أم الذين اعتنقوا اليهودية في ظروف قديمة من الخزر والآريين والسلافيين وهم الذين عرفوا بالطائفة الشكنازيه وتطبعوا بطبائعهـا يؤلفون الأكثريه الكبرى في تعداد اليهود ــ يعيشون على بعضهم كتلا في أحياء خاصة عرفت بالغيتو متكمشين عن غيرهم من الملل الاخرى ولايألون جهداً في الوقت نفسه في امتصاص دماء الملل الاخرى بالربا وغير الربا والكيد لها والمكر بها ولايندمجون فيها ولايخلصون للاوطان التي كانوا يأوون فيها. فكان هـذا الاسلوب من الحياة والسلوك مع ما كانوا يكتنزونه من أموال نامية من دماء الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم وعرقهم وكرههم للنصارى والنصرانية التي يدين بها أهل البلاد الاوروبية وقذفهم السيد المسيح وأمه بأشنع القذف يعرضهم لاضطهاد هؤلاء من حين لآخر. فرمت تلك الحركة الى تهجير اليهود المضطهدين الى بلد ما يقيمون لهم فيه وطناً آمناً. ثم تطورت حتى غدا هدفها اقامة دولة يهودية في فلسطين بحجة انه كان لبني اسرائيل اصحاب الدين اليهودي فيها وطن ودولة قبل الفي سنة. وسموا حركتهم المتطورة باسم الحركة الصهيونية نسبة الى جبل صهيون احدى هضاب القدس التي

اقام داود عليها قصره ومركز حكومته قبل ثلاثة آلاف عام . ومنهم من غلا في خياله وهدفه ومطمحه فاعتبر فلسطين قاعدة لدولة يهودية كبرى تمتد من النيل الى الفرات ويحتشد فيها ملايين اليهود وتصبح صاحبة اليد الاستعمارية والاستغلالية والاقتصادية والسياسية في الشرق الاوسط كله بزعم ان سلطان اليهود القديم شمل هذه الساحة الواسعة وأن ربهم اعطاهم اياها على لسان ابراهيم واسحق ويعقوب اجداد بني اسرائيل الاولين برغم مافي ذلك كله من زيف وسقم.

فبنو اسرائيل قد طرأوا على فلسطين وهي مأهولة بسكانها الكنعانيين والعموريين والفلسطينيين مزدهرة بمدنهم وحضارتهم ، وخرجوا منها قبل ألفي سنة . وظل أهلها فيها . ولم ينعموا بدولة واستقرار الا فترة قصيرة . وعاشوا على حضارة وعمران أهلها القدماء . ومعظم مدة وجودهم فيها كانت مضطربة مليئة بالمنازعات مصبوغة بالدماء مرتكسة في الانحرافات الدينية والخلقية . معرضة لغزوات الدول المجاورة لفلسطين وسيادتهم من مصر حينا والعراق حينا والشام حينا وشرق الاردن حينا والفلسطينيين في جنوب فلسطين حينا . ولم تخلص لهم فلسطين سكنا ولاحكما فضلا عن غيرها حتى في ايام داود وسليمان اعز ايامهم حيث ظل جنوبها في يد الفلسطينيين وشمالها في يد الفينيقيين الكنعانيين ولم يكن لهم امتداد الى خارجها الا لماماً ولفترة عابرة ثم يرتدون مذعورين مهزومين وبقي كثير من أهلها القدماء فيها يتأثرون بهم دينياً او اجتماعياً مما تشهد عليه نصوص الاسفار التي يتداولونها ويقدسونها ، والمدونات التاريخية القديمة الوثيقة.

ولقد بعث الله عليهم نتيجة لانحرافاتهم الخلقية والدينية الآشوريين ثم البابليين ثم اليونانيين فضربوهم الضربات المتوالية حتى قضوا على دولهم الواهنة المتناثرة خلال القرون السبعة التي سبقت الميلاد المسيحي ثم الرومانيين الذين قضوا على وجودهم قضاء مبرما في القرن الميلادي الاول فلم تعد لهم قائمة في فلسطين .

ودعواهم ان الرب أعطى هذه البلاد لهم الى الابد لاتستند الى سند رباني صحيح . فسفر التوراة الاصلي الذي احتوى تبليغات الله الى موسى وكتبه بيده مفقود . والاسفار التي فيها شيء من ذلك والمتداولة اليوم كتبت بعد موسى بمدة طويلة باقلام مختلفة وهي مليئة بالتناقض والتضارب والغرائب والتحريف والتأثر بالوقائع التي جرت بعد موسى . والقرآن وان كان ورد فيه أن الله قد كتب لهم الارض المقدسة وأورثهم اياها فان ذلك كان بالنسبة للظرف الاول من خروجهم من مصر الذي كانوا فيه صابرين مستقيمين كما هو صريح في الآيات التي تذكر ذلك وقد فقدوا حق الاستمرار عليه بعد أن انحرفوا انحرافات خلقية ودينية خطيرة . ولقد آلى الله على نفسه بسبب ذلك أن يبعث عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ويغري بينهم

العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب اطفأها . وضرب عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله كما جاء في آيات قرانية كثيرة(١) .

ولقد عمرت فلسطين بالعرب الصرحاء بعد تشردهم عنها ثم ملكوها من الروم واقاموا سلطانهم عليها منذ أكثر من ثلاثة عشر قرناً وملأووها بآثارهم وجهودهم ومقدساتهم . وطبعوها بطابعهم المقدس . وبرغم مافي دعاوى اليهود من زيف فليس في بنائهم عليها حق العودة اليها أي حق ولامنطق يسيغه عقل عاقل . لأن ذلك يعني اساغة قلب وتغيير كل شيء على الارض من يوم الى آخر .

ويهود اليوم بعد ليسوا من بني اسرائيل القدماء الا قليلا بل من اجناس ودماء متنوعة مختلفين في لغاتهم وتقاليدهم وعاداتهم وميولهم وأفكارهم . وقد اختلط ذلك القليل بذلك الكثير حتى باد او كاد . وكل مافي الامر انهم يدينون بالدين اليهودي شأن ابناء الاديان الاخرى . وليس من الممكن والسائغ اليوم ان تقوم دولة ووطن على اساس ديني يجتمع فيها اجناس شتى .

ورغم ذلك كله فقد أخذ اليهود يعقدون مؤتمرات دورية منذ اواخر القرن الفائت ويبذلون جهودهم في سبيل تحقيق هدفهم . ولقد خطوا بعض خطوات غير صريحة في سبيل ذلك حيث استطاعوا برشاويهم ودسائسهم ان يجعلوا رجال الدولة العثمانية يسمحون لهم في أوائل القرن العشرين أو قبيله بشراء بعض الاراضي الخالية في فلسطين وانشاء بعض القرى عليها واسكان بعض المهاجرين من الشكناز فيها حتى بلغ عددهم مع ما كان في فلسطين من جماعات يهودية شرقية ـ مما يعرف بطائفة السفارديم كانت جاءت اليها في بعض الظروف السابقة لاغراض تعبدية في الدرجة الاولى ـ نحو ستين الفاً في اوائل الحرب العالمية الاولى . ولقد حاولوا حمل السلطان عبد الحميد

---

(١) رأينا أن ننبه الى ذلك لأنهم يحاولون خدع النصارى لأنهم يقدسون أسفار العهد القديم التي فيها ذلك ، والتي وصفناها بالاوصاف المذكورة في المتن . ثم يحاولون خدع المسلمين ببعض نصوص القرآن وبكونهم مأمورين باحترام التوراة ويزعمون ان الاسفار التي في يدهم هي التوراة كذباً . (اقرأ آيات سورة البقرة ٤٠ ـ ١٤٠ وآل عمران ٦٩ ـ ١٢٠ والنساء ٤٣ ـ ٦٥ والمائدة ١٢ ـ ١٣ و ٥٩ ـ ٦٤ و٧٨ ـ ٨٢ والأعراف ١٣٦ ـ ١٣٧ و ١٦٠ ـ ١٦٩ فيها دحض قوي لكل مدعياتهم وتثبيت لكل ماقلناه من عهد الله في حقهم .

الثاني على السماح لهم بهجرة واسعة فلمح الهدف السياسي فرفض ذلك رفضا باتا وأمر بتشديد الرقابة على هجرة اليهود الى فلسطين واقامتهم فيها .

فلما نشبت الحرب العالمية الاولى ظنوا انها قد تكون فرصتهم . فأخذ فريق منهم يسعى مع الالمان وآخر يسعى مع الانكليز وحلفائهم في سبيل تحقيق هدفهم . ولقد قلنا من قبل انه لم يكن للانكليز مصالح مزعومة في فلسطين وشرق الاردن تسوغ لهم المطالبة بأن تكون منطقة نفوذ واستعمار لهم في حين كانوا يرون ذلك امراً ضرورياً ولم يكن الصهيونيون يأملون أن يقوم لهم في فلسطين قائمة بدون دعم دولة عظمى وحمايتها . فكان ذلك نقطة التقاء هامة بينهم وبين بريطانية اهتموا لاستغلالها من ناحيتهم ورحبت بريطانية من ناحيتها حيث تصورت انها اذا تبنت قضيتهم وبذلت لهم وعدا بتشجيعهم على هدفهم بذلوا جهودهم في حمل الدول الاخرى ـ بناء على ما كان لهم من تمكن ونفوذ ـ على الموافقة على تبني بريطانية لهدفهم وجعل فلسطين وشرق الاردن منطقة نفوذ واستعمار لهم . ولقد رأت بريطانية بالاضافة الى ذلك في الحركة الصهيونية مزية نافعة لها وهي احتياجها في فلسطين الى حام دائمي مهما نما عدد اليهود فيها لأنهم يبقون على كل حال وسط خضم عربي عظيم لايمكنهم ان ينجوا من خطره ويحظون بالاستقرار الا بتدعيم قوي دائم من دولة كبرى . ثم تغدو دولة اليهود في فلسطين رأس جسر وحربة واسفينا في البلاد العربية مما لاتضمنه لها القوة العسكرية وحدها .

ولقد كانت الحركة القومية العربية الحديثة الهادفة الى تجديد امجاد العرب ووحدة بلادهم قد أخذت تقوى حتى بلغ امر أركانها الى الاندماج في مفاوضات الشريف حسين مع بريطانية . وكان مطلب المملكة العربية الكبرى المستقلة الشاملة لجميع بلاد الشام والعراق والحجاز وانحاء الجزيرة الاخرى هو مطلب اولئك الاركان المقدم الى الشريف والمرسل منه الى الانكليز بنصه الوارد في رسالة الشريف المعروفة . وكانت قوة ونمو الحركة العربية مما يعرقل تحقيق اهداف ومآرب بريطانية فرأت ان حشد اليهود في فلسطين وتبني الفكرة الصهيونية يكونان عقبات كأداء في طريق نمو الحركة العربية . فكان ذلك هو من عوامل الالتقاء ومظاهر التآمر الاستعماري الصهيوني ايضاً . فلما احتلت بريطانية جنوب فلسطين في خريف عام ١٩١٧ وتيقنت من ربح النصر واحتلال بقية فلسطين سارعت فأصدرت في ٢ تشرين الثاني ١٩١٧ وعدها المشؤوم الذي عرف بوعد بلفور نسبة الى وزير الخارجية البريطانية الذي اصدره والرامي الى تأييد انشاء وطن قومي يهودي في فلسطين . ولقد كان مانص عليه هذا الوعد عدم تأثير ذلك في مركز وحقوق غير اليهود ، وكان هذا ما نقضته بريطانية اشد نقض حينما صارت صاحبة السلطان في فلسطين . ولقد

احتوت مذكرات وايزمان وهربرت صموئيل الزعيمين الصهيونيين تفصيلات تدل على أن اركان الحكومة الانكليزية كانوا يعرفون مدى مايريده اليهود من عبارة (وطن قومي) وهو دولة يهودية حينما يصبح عددهم كافياً ، حيث يبدو من هذا صورة من صور الغدر والخداع التي دأب الانكليز على اجتراحها مع العرب . ولقد سارعت فرنسة الى تأييد هذا الوعد بلسان وزير خارجيتها بيشو ، لأن مافي نمو الحركة الصهيونية من مزايا هو بالنسبة اليها ايضاً عامل عرقلة هام للحركة العربية من شأنه ان يساعدها على نجاح اهدافها الاستعمارية في بلاد الشام .

ولم يكن تأييد فرنسة لوعد بلفور يعني قبولها ان تكون فلسطين وشرق الاردن تحت هيمنة بريطانية حيث كان الاتفاق على وضع فلسطين تحت ادارة دولية . وكان شرق الاردن داخلاً في نفوذ فرنسة لأنه كان جزءاً من ولاية الشام التي هي وسائر انحاء الشام ولبنان من حصتها في ذلك الاتفاق المجرم . في حين كان هذا امراً حيوياً في نظر بريطانية . وقد عمدت بسبيل تأمين ذلك الى تحريض فيصل الذي تولى رآسة الحكم في سورية الداخلية حينما انسحبت الجيوش التركية من البلاد الشامية ودخلها على رأس جيش الثورة الذي كان يقوده في خريف عام ١٩١٨ ورجال حركته الذين كان كثير منهم من رجال الحركة العربية على فرنسة وعرقلة تحقيق مأربها وامتداد نفوذها على سورية طيلة سنتين طويلتين حتى اعجزتها وحملتها توافق على العدول عن الادارة الدولية لفلسطين وعلى سلخ شرق الاردن عن سورية ووضع الاقليمين تحت نفوذها . وحينئذ تخلت بريطانيـــة عن فيصل والعرب بكل لؤم وغدر ونذالة وأخلت بين سورية وفرنسة فسارع قائدها غورو في تموز ١٩٢٠ الى الزحف عليهـــا واحتلالها ونسف الحكم العربي القومي فيها .

. . .

ويزعم اليهود انهم حصلوا على موافقة فيصل على هجرة اليهود الى فلسطين واقامة وطن قومي لهم فيها وان في ايديهم وثائق بذلك . وقد اثير هذا امام لجنة شو البرلمانية الانكليزية التي جاءت للتحقيق في حالة فلسطين بعد ثورة البراق عام ١٩٢٩ فنفى فيصل ذلك في برقيـــة ارسلها الى مندوبي العرب امام اللجنة . ولقد تحداهم هؤلاء المندوبون ان يبرزوا وثائقهم فتهربوا حيث يدل هذا على صدق ذلك أو على الأقل على ان مافي ايديهم لم يكن في صالحهم . وحتى على فرض صحة شيء من ذلك فان فيصل لم يكن يملك الحق فيه ليكون حجة على اهل فلسطين الذين تقرر لهم حق تقرير المصير والاستقلال اسوة ببلاد العرب الاخرى في مجلس السلم العالمي الذي انبثق عقب انتصار الحلفاء . ولقد قبل فيصل تاج سورية على اساس سورية الطبيعية التي كانت

فلسطين جزءاً منها واساس رفض وعد بلفور والهجرة اليهودية كما جاء صريحاً في قراري المؤتمر السوري العام في حزيران ١٩١٩، وآذار ١٩٢٠ فذهب كل ذلك هباء .

. . .

ومنذ توطد قدم الانكليز والصهيونيين في فلسطين ساروا متضامنين في سبيل تحقيق هدف اقامة الدولة اليهودية المحمية دائماً من الانكليز . فلم يتركوا اسلوباً من اساليب التشريع والغدر والقمع والكذب والارهاب والدس والاغراء والايثار الا لجأوا اليه وتمدوه الى ان غدا اليهود في فلسطين كتلة كبيرة ارتفعت نسبتهم بها من ٧٪ في بدء الاحتلال الى ٣٠٪ في سنة ١٩٣٥ . وصار في حيازتهم مساحات شاسعة من الاراضي جلها مما كان مملوكاً لغير الفلسطينيين، واقاموا كياناً قومياً فعلاً له مدارسه ودوائره وجيشه ونقاباته وتشكيلاته . ولقد كافح عرب فلسطين كفاحاً شديداً في نطاق ظروفهم المختلفة فلم يستطيعوا ان يمنعوا ذلك . ولقد ثاروا أكثر من مرة فقمعت ثورتهم بوحشية . فعمدوا الى الاضراب الطويل الذي ذهب مثلاً والذي انبثق منه ثورة كبرى ١٩٣٦ وحينئذ رأى الانكليز والصهيونيون ان يحملوا مسيرتهم الى الهدف على مرحلتين الاولى تقسيم فلسطين بين العرب واليهود والثانية ابتلاعها وما يستطيعون من ورائها حين تسنح لهم الفرص . فسعوا الى تهدئة العرب واستعانوا على ذلك بملوك العرب واعدين أن يحققوا العـــدل والحق فلما هدأت الثورة اعلنوا المرحلة الأولى . فاستأنف العرب ثورتهم بأشد ممـــا سبق حتى اجبروا الانكليز على الغاء قرارهم عام ١٩٣٨ واعلان التوقف عن فتح فلسطين لهجرة يهودية والعزم على انشاء حكم وطني يكون للعرب فيه الثلثان .. وكان ذلك تخديراً وخداعاً .

ولما نشبت الحرب العالمية الثانية تذرعوا بها وبالثورة التي اعلنها اليهود ضدهم لعـدم الوفاء وعادوا الى فكرة التقسيم ثانية في مؤتمر لندن الذي دعت اليه الحكومات العربيـــة مع مندوبي فلسطين عام ١٩٤٦ — ١٩٤٧ فرفضه جميع العرب فنقلت بريطانية القضية الى جمعية الامم التي كان الولايات المتحدة وبريطانيا فيها نفوذ عظيم . واخذت الولايات المتحدة وبخاصة رئيسها ترومان المبادرة فبذلت جهودها المجرمة الى أن تقرر تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ المشؤوم ومنح اليهود ثلثيها برغم عدم حيازتهم الا نحو ٧ ٪ من اراضيها وكون العرب التي فيها يفوقون على عدد اليهود ، مما يزيد في شدة الظلم والعسف ، وهكذا قامت الدولة الاسرائيلية على انقاض العرب بجهود طواغيت الاستعمار ورغم رفض العرب حكومات وشعباً ، وصارت هذه القضية الهم المقيم المقعد للعرب أجمعين لما انطوى فيها عليهم من أخطار عظيمة .

. . .

ولقد كان من الممكن ان يحبط هذا القرار كما احبطوه نتيجة ثورة ١٩٣٧—١٩٣٩ لولم تقصر حكوماتهم تقصيراً مجرماً (١) . بل ولو لم يخن بعض حكامهم وبخاصة قبل اعلان الدولة اليهودية . فقد هب عرب فلسطين يساعدهم إخوانهم من الأقطار الأخرى لمقاومة القرار بالسلاح وأبدوا من البطولة والفداء ماجعل لهم التفوق على اليهود في مختلف انحاء فلسطين وحصر اليهود وجعلهم يقاسون الخوف والجوع والخطر والعطش في المرحلة الاولى من الكفاح الشعبي التي امتدت مئة يوم (كانون اول ١٩٤٧—١٥ آذار ١٩٤٨) ، ثم شح السلاح في ايديهم ولم تنفع الاستغاثة بالحكومات لمدهم بما يسد الثغرة والحاجة مع القدرة على ذلك باستثناء سورية في نطاق امكانياتها المحدودة كما قلنا التي لم يكن فيها الغناء الكثير . واستطاع اليهـود بمساعدة انكلترة والولايات المتحدة والصهيونية في الخارج وبعض الدول الأخرى أن يضموا بدعم القملة على اماكن الكثافة اليهودية في فلسطين وعلى الموانيء والمطارات وان يحصلوا على كميات كبيرة من مختلف انواع السلاح واعداد كبيرة من الضباط والمحاربين المدربين فأدى ذلك الى فك الحصر والخطر عنهم ثم الى تفوقهم ودحر العرب واكتساح معظم المدن والقرى التي أعطيت لهم في قرار التقسيم مع بعض ماليس فيه ، باستثناء النقب . واقترفوا خلال ذلك تحت سمع الانكليز وبصرهم من الجرائم البربرية والمذابح الوحشية ضد العزل والأطفال والنساء ما أوقع الرعب في قلوب عرب فلسطين وأذهلهم وجعلهم يفرون من بلادهم في حالة تفطر الكبد ناجين بأرواحهم وأعراضهم تاركين كل شيء . وكان الانكليز في الوقت نفسه يكررون الاعلان بأنهم المسؤولون عن أمن فلسطين الى ١٥ مايس ١٩٤٨ ويعرقلون كل نشاط وتسلح عربي . فلما كانت ليلة ١٥ مايس كان اليهود كما قلنا قد استولوا على معظم ما كان لهم في قرار التقسيم عدا النقب فأعلنوا قيام دولتهم ...

وجريمة الحكومات العربية هذه هي سبب تحقق النكبة فعلا . وهي عندي أشد الجرائم فظاعة ونتيجة . لأنها لو سدت حاجة المجـاهدين وكانت قادرة على ذلك لاستطاعوا الاحتفاظ بتفوقهم في مختلف انحاء فلسطين ولما استطاع اليهود أن يخرجوا من نطاق الحصر والخطر والجوع والعطش ولما كانوا استطاعوا أن يعلنوا قيام دولتهم لأنهم لم يكن في يدهم شيء منها سليما ، ولكانت جمعية الامم استمرت في ما بدأت به من التراجع والبحث عن حل غير التقسيم نتيجة لمقاومة العرب الشديدة في المئة يوم الاولى ، حيث كان مجلس الامن أعاد القضية الى الجمعية العامة لاعادة النظر فيها حينما رأى الصراع شديداً والعرب متفوقين واليهود يستغيثون فزعين ، وقد قررت الجمعيـة اعادة النظر وعينت مندوباً عنها لاعطاء تقرير بما يراه من حلول اخرى ..

. . .

(١) من الحق والواجب ان نستثني سورية التي فعلت الكثير في نطاق امكانياتها المحدودة .

وكانت تتمة الكارثة أو الجريمة حينما دخلت جيوش الدول العربية الى فلسطين مختلفة الاهداف والغايات غير جادة في عزيمتها ضعيفة في عددها وعُددها فكانت النتيجة المحتمة لمثل ذلك وهي الاندحار والعار الذي لحق بالعرب وما يزال يسربلهم ويذهبون به مثلا بين الامم . ومن الصور الفجعة من ذلك أن مصر والعراق اشتركتا بآلاف قليلة أصغها بقي في الانحاء العربية لتأمين خطوط التموين والمواصلات . بينما استطاعتا بعد قليل وبعد فوات الاوان ان تحشدا أربعة امثال ذلك العدد ! ومن ذلك أن اقوى الجيوش العربية تدريباً وسلاحاً لم يكن تحت قيادة ضباط عرب . ومن ذلك أن الهدنة الاولى لما انتهت ، وكان مركز العرب لا بأس فيه بالنسبة للظروف وطلب مجلس الأمن من العرب واليهود تمديد الهدنة لاتاحة فرصة لمندوب الجمعية العامة للبحث في مهمته ، أبت الحكومات العربية بينما قبل اليهود ، وأصرت على استئناف الحرب . وكان من المعلوم اليقيني أن اليهود أثناء الهدنة جلبوا مقادير كبيرة من السلاح والعتاد والمحاربين والضباط خلافاً لشروط الهدنة دون أن تستطيع الحكومات العربية أن تفعل شيئاً من ذلك وكان رجالها يصرحون في محافلهم الخاصة بأنهم على غير استعداد لمواجهة اليهود ويظهرون في محافلهم العامة العنتريات . وهكذا استأنفوا الحرب فانكسروا كسرة شديدة بعد خمسة أيام واتيح لليهود بذلك أن يستولوا على المزيد من المدن والقرى العربية واضطرت الحكومات العربية بين مظاهر الذلة والمسكنة الى قبول الهدنة ثانية الأمر الذي كان وظل لغزاً الا على فرض أن بعض رجالها كانوا متواطئين مع اليهود والمستعمرين على ذلك لاتمام الكارثة ... ومنها أن الحكومات العربية اختلفت على القسم العربي الباقي في أيدي العرب بعد الهدنة الثانية حيث أراد الاردن أن يضمه اليه وعاكست مصر ذلك فقامت حكومة عموم فلسطين بموافقة الاكثرية . وحرد عاهلا العراق والاردن وقام الجفاء الشديد بينهما وبين مصر واغتنم اليهود الفرصة فانشبوا الحرب مع مصر لترفع يدها عن النقب المظيم ناقضين بذلك الهدنة . واشتبك المصريون معهم اشتباكات يائسة الى أن حقق اليهود هدفهم وبسطوا سيطرتهم على جميع النقب بما في ذلك الاقسام المخصصة منه للعرب في قرار التقسيم فكان ذلك ثالثة الأثافي ...

. . .

وهكذا قامت الدولة أو السرطان الخبيث في صميم أرض العرب وعلى أنقاضهم لينمو ويقوى ويتمدد حتى يصبح الهم المقيم المقعد لهم كما قلنا .

. . .

ويستغل الصهيونيون ماوقع على اليهود من تقتيل هتلر لهم ويبالغون في ذلك ويكررون اكذوبة الملايين الستة حتى صدقوها وصدقها غيرهم في استدرار عطف العالم ومساعدته لليهود على التوطن في فلسطين . ويتظاهر انصارهم المجرمون في الاشفاق عليهم وتبرير ما كان منهم بذلك . وما تقدم يدحض كل هذا ويثبت أن اولئك المجرمين هدفوا من الأصل الى غرس السرطان الخبيث في جسم العرب وان الصهيونيين هدفوا الى اقامة دولة يهودية في فلسطين قبل أن يولد هتلر . ومع ذلك فليس أوغل في الظلم والمفارقة المنطق من التعاون على قلع الشعب العربي من أرضه بقوة الحديد والنار وصب الوان البلاء عليه وغرس اليهود مكانه بتلك الحجة الباطلة في أصلهـــا وفي مداها . ومضطهدو اليهود بعد اوروبيون وليس للعرب يد في ذلك حتى يحملوا المسئولية وتحل القضية على انقاضهم بالاسلوب الذي أثار اشفاقهم واتاح لهم استغلاله كذباً ونفاقاً .

ويسوق اليهود وانصارهم المجرمون فيما يسوقونه مافي حوزة العرب من مساحات شاسعه خالية غنية في كنوزها وقابليتها وعدم تضررهم من اقتطاع جزء منها لشعب بائس مضطهد . ودحض هذا لايحتاج الى اسهاب . فليس من شعب يرضى أن يؤخذ منه وطنه الذي فيه حياته ومقدساته وتاريخه وعزته ليعطى لغيره بحجة ان عند اقاربه أرضا يستطيع الانتقال اليها . ولو سئل أي من قائلي هذا الهراء عما يفعلونه لو جاء غزاة اليهم وحاولوا غصب قطعة من وطنهم بعد قتل اهلها وطردهم وسلبهم واقامة دولة لهم فيها لما اجابوا بغير الغضب والأنفة ولو كان عندهم من الساحات والكنوز ماتتضاءل ازاءه تلك القطعة . ولقد كان الاحرى بانصارهم المجرمين وعندهم فعلا المساحات الشاسعة الغنية لو كانوا صادقين أن يهبوا منها وطنا لليهود ويحلوا مشكلتهم على حسابهم وهم الذين اجرموا معهم لا ان يهبوا وطن غيرهم الذي لم يكن له أي ذنب ودخل في ماوقع عليهم ..

ومنذ أن قامت الدولة الخبيثة وطواغيت الاستعمار وعلى رأسهم الولايات المتحدة يبذلون كل عون وتعضيد سياسي واقتصادي بسبيل تنميتها وتقويتها وضمان بقائها واستقرارها ، ومدها بأسباب الدفاع وحمل الدول على الاعتراف بها ومساعدتها والوقوف بالمرصاد للدول العربية . ينشرونها ويهددونها ويعرقلون تسلحها ونموها وحيويتها ونشاطها وطموحها نحو الافضل حكما وأسلوبا ووحدة . ويدسون بينها ويثيرون اسباب الفرقة والجفاء لأن ذلك يؤدي الى ما يريدون من بلبلة العرب وتخلفهم وعجزهم واشتداد حاجتهم اليهم وتمكنهم من الهيمنة على بلادهم واستغلال ثرواتهم . ولقد بدأ هذا في اثناء الحرب اليهودية العربية حيث مدوا اليهود بمختلف الاسلحة

ومنعوها عن العرب وعزلوا شراذم لها وضغطوا عليهم فقبلوا الهدنة ثم غدر بهم الضباط الانكليز تلك الغدرة الفاجرة التي كسرت جبهة اللد والرملة واتسع بها نطاق النكبة المفجعة بما دخل في أيدي اليهود من مدن وقرى كانت من حصة العرب في قرار التقسيم ومن ازدياد عدد النازحين الذين فروا من هول البغي الوحشي على الاعراض والارواح .

ومن ذلك انه لما نشبت المعارك بين اليهود والجبهة المصرية في النقب اعلن أولئك المجرمون أنهم لن يعترفوا بأي كسب يتجاوز حدود الهدنة لأي من الفريقين وان من الواجب عليهما العودة الى هذه الحدود . ولكنهم تراجعوا عن ذلك حينما صار النصر لليهود وتم لهم به الاستيلاء على جميع النقب بما فيه الاقسام التي كانت للعرب في قرار التقسيم منه .

وكذلك كان شأن المنظمة الصهيونية التي ينضوي اليها معظم اليهود في انحاء الأرض . والتى كان لها بفضل انتشارهم وكونهم جزءاً من البلاد التي هم فروع وتنظيمات ذات تفوق قوي في مختلف المجالات والأوساط وبخاصة في الولايات المتحدة التي يبلغ اليهود فيها نحو خمسة ملايين ويؤثرون تأثيراً عظيماً في شؤون الانتخابات والحكومة والصحافة والاذاعة والتجارة والمصارف. ولهم وجود ونفوذ قويان في حزبيها . ثم بريطانيا التي لليهود فيها وجود قوي نافذ في مختلف المجالات والاوساط وفي حزبيها كذلك . وقد تسنى لدولة البغي نتيجة تضامن هذه المنظمة مع انصارهم المجرمين أن تحصل على مالا يقل عن خمسة مليارات من الدولارات لولاها لما كان لها قوام وان تحشد مئات آلاف اليهود وان تقيم مئات المصانع والمستعمرات وان يكون لها جيش قوي التسلح كثير العدد عظيم التدريب والكفاءة تحرص هي وانصارها المجرمون على ان يكون كفؤاً لجميع جيوش الدول العربية بل ومتفوقاً عليها .

ومنذ ان استقروا بالقوة والخداع اخذوا يكررون تصريحاتهم بأنهم لن يتقيدوا بقرارات جمعية الامم فلن يتخلوا عن شبر مما دخل في حوزتهم مما ليس لهم في تلك القرارات ولن يقبلوا بعودة نازح الى وطنه مما نصت عليه وأكدته قرارات الجمعية ثم اخذوا يكررون القول ان مافي ايديهم ليس الا جزءاً من وطنهم التاريخي وجعلوا شعارهم دولة اسرائيلية كبرى من النيل الى الفرات ، وحفروه على باب برلمانهم وفي خرائطهم . واخذوا يتحينون كل فرصة وغفلة فيغيرون على حدود الدول العربية المجاورة ويفتكون ويخربون ليلقوا الرعب في النفوس

ويتحينوا العرب لعل الفرصة تسنح لهم بالقفز الى ماوراء حدودهم وقد ثبت ذلك حين تآمروا مع الانكليز والافرنسيين عام ١٩٥٦ حيث زحفوا على قطاع غزة وسيناء واستولوا عليها وسارعوا فاعلنوا في البرلمان انها اصبحت جزءاً من وطنهم ولم يتركوها الا بشق النفس وبشروط قاسية رضي بها العرب مقابل ذلك . ولقد استحلوا الاستيلاء على كل ماخلفه العرب النازحون من اموال وعقارات وحقول وبساتين وكروم تقدر قيمتها بمليارين جنيه . وقد نسفوا مئات القرى والمساجد والكنائس الاسلامية والمسيحية وشددوا ضغطهم على من بقي من العرب عندهم بمختلف الاساليب التشريعية والارهابية وجعلوهم في نطاق حكم عسكري فظيع . وصادروا كثيراً من القليل الذي بقي في ايديهم من الاراضي وضيقوا عليهم سبل العمل والعيش والتعليم ليكرهوهم على التزوح او الانسلاخ من عروبتهم ودينهم والاندماج في اليهودية جنساً وديناً فاصبحت دولتهم ثمـلاً الهم للقيم المقد للعرب بكل ذلك .

ومن الخطأ تشبيه فلسطين بالاندلس كما يحلو لبعض الكتاب . فمها عظمت مصيبة العرب بفقد الاندلس التي دام سلطانهم وازدهرت حضارتهم فيها ثمانية قرون فانها لم تكن على كل حال موطناً من مواطن العرب الاصلية وفي صميمها . وانما هي قطر غير عربي الجنس والدار . ومثله كمثل أقطار عديدة فتحها وحكمها العرب ثم خرجت من يدهم دون ان يتأثر سلطانهم وكيانهم ومواطنهم الاصلية تأثراً كبيراً . وهذا عكس فلسطين التي هي منذ اقدم الازمنة التاريخية موطن من مواطن الجنس العربي ، وعقدة الصلة بين الشمال والجنوب والشرق والغرب منها اي انها جزء من كيانهم القومي يتأثر بضياعه سائر اجزائهم كل التأثر .

ومنذ ان غدت اقطار الشام والعراق ومصر وشمال افريقية الى الأطلسي مواطن للجنس العربي في دور عروبته الصريحة الممتدة الى قرون قبل الاسلام ومنذ ان غدت صالحا لاحة كل اللحمة بمهد الجنس العربي الاول وهو جزيرة العرب ظلت هذه الاقطار متصلة بعضها دون اي قاطع جغرافي او عنصري . وكل هذا مهدد بالخطر بل وقع فيه بقيام الدولة اليهودية .

ومن الخطأ كذلك تشبيه الغزوة اليهودية بالغزوة الصليبية ، على مايقوم في الأذهان ايضاً . لأن الصليبيين لم يأتوا بفكرة الاستقرار . وان تآخر كثيرهم الدعايات المضللة التي كانت تخفي وراءها عوامل ومآرب عديدة لاتتصل على كل حال بفكرة الاستقرار بالنسبة لسوادهم الاعظم على الاقل . وكان

لهؤلاء أوطان وبيوت وأراض ومزارع وعقارات وأهل وأولاد وظلت الصلة بينهم وبينها قائمة وكان كثير منهم يأتون بفكرة الجهاد والثواب والاقامة موقتاً ثم العودة الى حيث أتوا . ولم يستقر منهم في النهاية الا قليلون لم يلبثوا ان اندمجوا في حيـــاة بلاد الشام بعد انتهاء الحروب الصليبية ، هذا في حين ان اليهود يأتون بفكرة الاستقرار الدائم في وطنهم القومي المزعوم بقوة العقيدة بقطع النظر عن صحتها . وهم حينما يأتون يقطعون كل صلة لهم بالبلد الذي كانوا فيه وينقلع من ذهنهم كل أثر عنه فعلا ، ان لم يكن حقيقة . وبكلمة أخرى يحرقون أو يضطرون الى احراق السفن التي يمكن ان تعيدهم الى مكان آخر . فيغدون لا مقام لهم ولا استقرار الا فلسطين ويجعلهم هذا يدافعون عن كيانهم ووجودهم اشد دفاع حتى الموت . لأن المشكلة تكون مشكلة حياة وموت بالنسبة لهم . والجيل الجديد الناشىء في فلسطين خلال الخمسين سنة ينوع خاص متحمس لقضية الوطن القومي الصغير ثم الكبير الممتد من النيل الى الفرات أشد الحماس ومؤمن بها اقوى الايمان ، ومستعد للتضحية بها بأعظم التضحيات نتيجة للتربية التي يتلقونها كما ثبت ذلك بكل قوة في مناسبات عديدة وبخاصة في الثورة التي أثاروها ضد الانكليز بعد الحرب ثم في حرب فلسطين بعد التقسيم ، فاذا مارسخت جذورهم فيهـــا صار من الصعب جداً اقتلاعهم .

والوصف الذي وصفنا به مركز فلسطين في معالم المقال يخرج قضية فلسطين بطبيعة الحال من نطاق قضية لاجئين وحدود وهو مايجتهد اليهود وانصارهم المجرمون في ابقائها فيه ، ويجعلها في نطاق الوجود العربي العام الذي لايمكن أن يكون له أمان وسلامة الا باستئصال الجرثومة الخبيثة وعودة السلطان العربي الشامل الى فلسطين بحيث يمكن القول بجزم ان اليهود لو قبلوا ترك ما في ايديهم مما ليس في قرار التقسيم والسماح للاجئين بالعودة لما كان في ذلك حل جذري لهذه القضية بناء على ذلك الوصف ، فضلا عما في قبول ذلك والاكتفاء به من اقرار الغاصب المجرم على ما اغتصبه وسرقه بالغدر والنار . بل لو قبلوا ان يكتفوا بدولة في تل ابيب وما يجاورها من املاك لما كان في ذلك الحل المذكور لأنهم بدأوا من تل ابيب واستطاعوا ان يصلوا الى ماوصلوا اليـــه بمكرهم وكيدهم ونشاطهم ومساعدة انصارهم المجرمين .

ومن هنا نتبين الخطأ الماثل في شعار المطالبة بتنفيذ قرارات هيئة الامم حلا للقضية الذي اتخذته الحكومات العربية منذ سنة ١٩٥٠ وما تزال تردده والذي اوقعها اليهود في فخ الموافقة

عليه بتوقيع ميثاق لوزان في مايس ١٩٥٠ ثم تراجعوا عنه بعد دخولهم في هيئة الامم الذي كانت موافقتهم عليه لأجله .

فقرارات هيئة الامم متعددة . وحينما يطالب بها يكون المطالب قد التزم بها جميعها ، صراحة أو ضمناً . وهذه القرارات تقضي بقيام دولة اسرائيل ، وتدويل القدس ، وقيام دولة عربية متحدة معها اقتصادياً . وقبول قيام دولة اسرائيل في صميم بلاد العرب مهدد للوجود العربي العام . ولسوف تكون الدولة العربية تحت رحمتها وابتلاعها أو جسراً للتسلل اليهودي الى البلاد ورية . ولسوف تكون منطقة القدس بالتدويل تحت رحمتهم لأنهم الاكثرية فيها ووكراً لدسائسهم وتكتلهم بحيث يسهل عليهم ابتلاعها في اية فرصة .

. . .

وهذا الشعار على ماينطوي فيه من اخطاء واخطار مناقض مناقضة صارخة لضمير الشعب العربي الذي تمثل في مواقف الرفض البات والثورات الدامية ضد أي مشروع من مشاريع التقسيم. ولقد كانت الحكومات العربية وشعوبها تشترك الى جانب فلسطين في كل ذلك في أيام الانتداب ثم بعد قرار هيئة الامم في تشرين الثاني ١٩٤٧ .

ولقد كانت الحكومات العربية تزعم أن هذا الشعار خطة سياسية لاظهار العرب في مظهر المعتدل ، الذي يطالب الامم المتحدة بقراراتها التي كان قيام اسرائيل نتيجتها ، أمام الموقف اليهودي المتعنت الذي يرفض التخلي عن شبر من الارض التي دخلت في حوزتهم وعن القدس كعاصمة لهم والموافقة على عودة اللاجئين ورد مانهبوه من اموال العرب وممتلكاتهم التي تقدر بملياري جنيه ويقدر ريعها بخمسين مليونا سنويا اي اربعة اضعاف ماتنفقه وكالة الغوث على النازحين . غير ان هذه الخطة لم تسفر عن اية نتيجة اولا . ونزلت بقضية فلسطين الى مستوى الحدود واللاجئين رغم انف الضمير العربي والجهاد العربي والوجود العربي .

ولقد بدأت الحكومات العربية تدرك ذلك وتتراجع عنه وتقول بأن لاحل الا بازالة دولة المسخ . وتجلى ذلك اخيراً بقرارات مؤتمرات القمة وبالغضبة العارمة التي غضبها الشعب وبعض الحكومات على الدعوة الوقحة الى مصالحة اسرائيل والتعايش معها وقبول واقعها . غير ان هذا لم يصبح تياراً جارفا وعقيدة عميقة في جميع الحكومات العربية وحكامها مما يوجب تشديد وتكرار القول فيه حتى يصبح كذلك وتتخلى الحكومات العربية وحكام العرب فعلا عن هذا الشعار ويغدو شعارها العام الصادق ان الحل الوحيد هو زوال دولة اليهود وانه لاسلام ولا امان ولا شرف ولا كرامة لجميع العرب وبلادهم الا بذلك . وهو الحل

الشرعي الوحيد الذي يصحح كل ما كان قبل قيام هذه الدولة وبعده الى الآن من جرائم ومنكرات وظلم وسلب وشذوذ عن كل منطق وحق وشرع وقانون وعرف . واذا سأل سائل (وماذا تصنع باليهود في فلسطين) فالجواب هو ان على الذين غرروا بهم وحشدوهم ان يدبروا الامكنة في بلادهم لمن لايريد ان يعيش منهم رعية في السلطان العربي الذي كان اليهود يعيشون في كنفه بكل أمن وطمأنينة .

. . .

والارتفاع بقضية فلسطين الى هذا المستوى يجعل هذه القضية غير منوطة بعرب فلسطين وحسب وتطور حالتهم ولو طال الزمن على حلها . فهناك ألسنة تهمس بأن الجيل الذي عاش في فلسطين وارتبط بأعمق الروابط وأقدسها فيها وعاش النكبة وذلها وعارها وحقدها يتوارى قافلة بعد قافلة ويخلف وراءه اجيالا لم يعيشوا فيها ولم يرتبطوا روحيا بذكراها ومقدساتها وهم متفرقون تحت كل كوكب . وقد يندمجون في اوطان اخرى . وبقطع النظر عن مافي هذا الهمس من بعد عن الحقيقة وعما نراه من شدة تعلق الاجيال الجديدة بوطنهم السليب الذي يتلقون ذكرياته على اختلافها من آبائهم وعن ماتسمعه ونؤمن به من شدة تصميمهم على بذل الدم في سبيل استعادة وطنهم وأخذ ثأرهم ومسح عارهم مهما كلف الثمن فان الارتفاع بالقضية الى ذلك المستوى يجعلها كما قلنا قضية العرب عامة لامن ناحية العاطفة والتأييد الاخوي بل من ناحية امن البلاد العربية وسلامتها وعزتها عامة ويبقيها حية قائمة على مدى الاجيال وعلى اوسع نطاق الى ان يتم تحريرها وعودتها الى السلطان العربي . وهذا الارتفاع واجب قومي مقدس بقطع النظر عما يفيده من قوة في مجال الحل الجذري للقضية . فالقضايا القومية العويصة لايمكن ان تسير في طريقها الصحيح الكريم الا اذا وضع لها اطار محدود لايجوز ان تخرج منه ثم تجاهد الامة على مدى الاجيال جهادها الدائب المستمر في سبيل الوصول اليه دون هوادة ولا ملل . فاذا ماادرك العرب في كل بلد عربي حكومات وشعوباً هذا الواجب بهذا المستوى صار الجهاد في سبيل تحقيقه امراً لامناص منه وغير مرتبط بجيل واهل وطن خاص .

ويجب ان نوطن النفس على ان تحقيق هذا الواجب متعدد النواحي والمراحل وعلى ان لا نسأم ولا نمل ولا نضعف مهما طال الامر وتطورت الاحوال . لانه متصل بالوجود العربي العام وهو مسألة حياة وموت للجيل الحاضر من العرب والاجيال القادمة . ونحن مؤمنون كل الايمان بأن النصر سيكون حليفنا اذا ادركنا هذا الواجب بهذا المستوى ادراكا عميقاً واجتهدنا في القيام به ، اجتهاداً قوياً مؤمناً . اذ انه يرتفع بنا فوق كل الاعتبارات الظرفية والشخصية والمحلية ...

ومن الجدير بالتنبيه اليه ان اليهود يقفون ذلك الموقف المتعنت العجيب حينما يصرون على رفض أي شيء من التنازل ويعلنون طموحهم الى الوطن الكبير من النيل الى الفرات رغم علمهم علم اليقين ان اضعف العرب ايماناً وأشدهم ميوعة وانهزامية واستجابة لانصار اليهود واغراءاتهم لايمكن أن يقبلوا بأي حل وصلح معهم بدون تنازل مامن جانبهم ورغم أنهم يشعرون أن الصلح مع العرب وعدمه بالنسبة الى ظروفهم الحاضرة مسألة حياة وموت لأنهم يصدرون في موقفهم عن عقيدة الوجود التي لايحتمل تنازلاً ولا تهاوناً على مافي هذا الوجود المزعوم من زيف وتفاهة ووهن اساس . **فالعرب أجدر بأن يصدروا عن مثل هذه العقيدة القائمة على الحق القوي الصريح العادل المؤيد بحقائق التاريخ والاجتماع والتي بها وحدها سلامتهم وامنهم وان يبذلوا جهودهم لتهيئة الفرصة لتحقيقها ونسف المسخ اليهودي وتطهير ارضهم من الرجس .**

واذا قال قائل أن التناقضات بين الحكومات العربية تذكرنا بما كانت عليه حين المعركة سنة ١٩٤٧ــ١٩٤٨ وتبعد هذه الفرصة بعداً كبيراً وان الوقت قد يطول وقد لايكون هذا في صالح القضية لأن ذلك قد يرسخ أقدام هذا المسخ ويحقق الخطر الرهيب ولو لأمد غير قصير ، فنجيبه بلسان القرآن في معرض مماثل عن اليهود (**هو الذي اخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ماظننتم ان يخرجوا وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين فاعتبروا يأولي الأبصار** (١)) .

والمسخ على كل حال لن يعدو ان يكون عوامة ولا نقول جزيرة في خضم عربي عظيم . ولن تصمد لتياراته القوية الى ماشاء الله .

---

(١) سورة الحشر ــ الآية الثانية

ولاسيما انه ليس له مقومات ذاتية للبقاء فضـــلاً عن الاستمرار في النمو . وهو مرشح للانهيار في اي ظرف دولي وعالمي ينقطع عنه المد الضخم الذي لايعيش بدونه لحظة واحدة .

. . .

ومهما تكن حالة العرب اليوم فانتباههم المحسوس ونمو قوتهم وعددهم سيجعل نمو اليهود في حالة التوقف والمسخ اليهودي في حالة خوف دائم بل صار هذا وذاك واقعاً ملموساً . ومهما امدهم الطاغوت الاستعماري بأسباب البقاء والدفاع ومهما بدا عليهم من آثار ذلك ومهما اشتدوا بسبيل توطيد بدهم الباغية فلن يغير ذلك النتيجة المحتومـــة التي نؤمن بها وهي قدرة العرب على ازالة هـــذا المسخ اذا صدروا عن تلك العقيدة وارتفعوا بها عن كل اعتبار . وجاهدوا في سبيلها بكل ايمان .

ولقد هزت نكبـــة فلسطين كيان العرب في جميع اقطارهم هزة شديدة ، وجرحت قلب كل عربي اعمق جرح من الخليج الى المحيط واشعرته بالعـار والمهانة والخطر العظيم الذي يتهدد امته وبلاده . وكل ماجرى في بلاد العرب من ثورات وهزات واضطرابات واطاحـــة عروش ورؤوس منـــذ سنة ١٩٤٩ وتطلع نحو الافضل ونحو القوة انما كان من سر هذه النكبة الذي ظهر في وقت مبكر اكثر من ظروف الغزوة الصليبية على ما كان من تماثل في حالة العرب في ظروفها وظروف الغزوة الصهيونية الاستعمارية . ولقد كان هـــذا السر هو المحرك الاقوى للعرب لتهيئة اسباب الثأر وغسل العار وازالة الخطر واشتداد الهتاف للوحدة والتضامن وانا مؤمنون بأن هذا السر سيظل يعمل عمله ويظهر آثاره مرة بعد مرة الى ان ينفذ الى اعماق ضمير الشعب العربي وحكامه وحكوماته وهيئاته ومنظماته واحزابه في كل قطر ويحملهم على ترك خلافاتهم واعتباراتهم بصدق وايمان ويسوقهم الى الوحدة والقوة والتضامن ويحقق هدفه بازالة السرطان الخبيث الذي احتل اشد بقعة من بقاعهم حساسية وخطورة وسربلهم بذلك بالخزي والعار . وحينما يقوى العرب بالوحدة والتضامن الصادق ويشتد تصميمهم ويصبح أنصارهم الذين لهم المصالح العظمى في بلادالعرب بين اختيارهم — وهم اصحاب الثروات الطبيعية الهائلة والمراكز الاستراتيجية العظيمة والعدد الكبير المتكاثر — وبين اختيـــار اليهود والضعفـــاء الاذلين المحتاجين الى العون من كل جهة والذين لا تعيش دولتهم ، الا بــــه والذين يكون دورهم

تعطل ـ لايمكن ان يختاروا الا العرب وحينئذ ينهأر هذا البناء الواهي المصطنع في حقيقته برغم مايبدو من مظاهره في مرحلة أو مرحلتين وتعود فلسطين جيمها عربية خالصة . ولو لم ينهر هذا البناء سلمياً فسوف ينهار حينئذ كما بدأ بالحرب والنضال الذي يكون العرب أقدر عليه ، ويكون الفلسطينيون فيه أصحاب الدور الطبيعي الذين هم مستعدون له اشد الاستعداد والمتحرقون له اقوى التحرق والمتحفزون له اعظم التحفز بل والذين يستطيعون ان يقوموا به منذ الآن وان يبدو من التضحيات والبطولات مايمكن ان يمهد لتحقيق الهدف او تحقيقه فعلا . وكل مايطلب من الحكومات العربية – التي قد لاتسمح لها الظروف الدولية والعالمية على مامر مثاله في حلة السويس ان تهاجم الدولة اليهودية وتزيلها حتى لو صار ذلك في قدرتها – ان تشجعهم وتساعدهم بمختلف الوسائل وان تحمي حدودها واجواءها من ردود الفعل اليهودية وتكون مهيأة في هذه الحالة الى اغتنام الفرصة والقضاء نهائياً على السرطان .

ولقد اقترحنا هذا منذ خمس عشرة سنة في كتابنا مشاكل العالم العربي وكررناه في كتب اخرى صدرت لنا بعده . ولا نزال نراه الطريقة المثلى الى التحرك نحو الهدف والتمهيد له وتحقيقه . ولقد ادركت الحكومات العربية ذلك حين قررت انشاء الكيان والجيش الفلسطيني ليكون في يديها المبادرة . غير ان ذلك قد تعثر تبعاً لما هو قائم من تنافس بين هذه الحكومات وهو مانأمل ان يتبدل بقوة سر فلسطين وثأرها وعارها وبالدعوة القوية المخلصة التي يجب ان تشتد اليه .

ومن حسن الحظ ان طليعة من المناضلين الفلسطينيين قد اقدمت على افتتاح هذا الدور وبدأت حرب عصابات ناجحة ضد الجرثومة الخبيثة وفي عقر دارها السلبية . فصار من واجب الحكومات والشعوب العربية ومنظمة تحرير فلسطين أن تمدها بكل مايقويها ويوسع حركتها والله أكبر والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين .



عالم النكبة

للدكتور قسطنطين زريق

كثيراً ما نسمع ونقرأ عن «أدب النكبة»، ونتساءل عما إذا كان هذا الأدب خليقاً بالفاجعة التي حلت بالعرب في فلسطين، وجديراً بأن يكون باعثاً لقوى جديدة تمحو آثار هذه الفاجعة وتنطلق منها الى الغلبة والنصر. وليس بيننا أحد، فيما اعتقد، ينكر أهمية هذا الأدب والاثر الذي يمكن أن يكون له من الوجهتين القومية والانسانية. ومن هنا كان تساؤلنا، وكان تطلعنا الى ادب زاخر عميق يمثل رد النفس العربية لهذا التحدي العنيف، ويفجر كوامنها، ويدعوها الى جهاد صادق حثيث، ويخلد مشاعرها وفعالها في التراث القومي والتراث الانساني.

على أن ثمة تساؤلا لا يقل عن هذا ضرورة ، بل يفوقه ويجب أن يتقدم عليه وبخاصة في هذا العصر . نعني به ذلك التساؤل عن الدراسات الدقيقة الشاملة المستمرة لقضية فلسطين : أصولها ، وأطوارها ، وأحوالها الحاضرة ، ومستقبلها. نعني التطلع الى ما يمكن أن ندعوه ، بل يجب أن ندعوه : « علم النكبة » .

انه لمن العجب العجاب أننا نطلب المعالجة العلمية لأدنى شؤوننا أهمية ، ولا نشعر بمثل هذه الحاجة عندما نتصدى لأعظم الشؤون والقضايا وأبلغها أثراً في حاضرنا ومستقبلنا . فاذا مرض أحدنا اتجه الى طبيب مختص قضى سنوات عدة في الاستعداد لمعالجة جانب من جوانب الجسم أو علة من علله ، وإذا اردنا بناء بيت ابتغينا أن يكون قائماً على أصول العلم الهندسي ، وإذا غرسنا شجرة غدونا ندرك أن تنميتها وصيانتها وإثمارها تحتاج الى معرفة زراعية محققة بالعلم والاختبار . أما قضايانا الكبرى — كقضية فلسطين — فلا نعالجها بهذا الشكل ، بل لا نشعر أنها تحتاج الى مثل هذه المعالجة ، بدليل أننا لم نهيء لها أسبابها ولم ننظم لها وسائلها ، ولم نبدأ بتكوين الذخيرة العلمية والاجهزة الفنية الضرورية لها ، شأن ما نفعل في ما هو دونها اهمية بمكان بعيد .

لقد كثرت الاقوال وارتفعت الاصوات في قضية فلسطين . ولكن الايام تمضي والسنين تتتابع ، وثمة صوت لم يرتفع بعد ، وان بدا فبخفوت وتقطع ودون تركز او اثر ملحوظ . ذلك هو صوت العلم ، العلم الذي من شأنه ان يتناول هذه القضية ، كما يتناول أية قضية اخرى ، بالدراسة المنتظمة والتتبع المستمر والبحث الدقيق الشامل .

قد يبدو هذا القول غريباً لبعض الآذان والعقول ، بل لأكثرها . فالقضية

عندنا ليست قضية علم ، بل هي قضية حـــق : حق العرب الطبيعي والشرعي في ارضهم ووطنهم . على هذا كان جل اعتمادنا في دعوتنا في الداخل والخارج . ولكن هذا الاعتماد لم يبلغ بنا شأواً بعيداً ولم يحقق آمالنا في تكوين المدد الداخلي الوافي او في ايقاظ الضمير العالمي لمساندة حقنا ورفع الضيم الذي نزل بنا .

ذلك ان مجرد الحق في عالم اليوم لايكفي ، ولا يغني صاحبه كثيراً او قليلا ، اذا لم تدعمه قوة او يسنده سلطان . والقوة على انواع ، منها قوة السلاح التي لها القول الفصل في الميدان ، ومنها القوة المستمدة من وحدة الهدف والعمل ، ومنها الانتاج المادي والفاعلية الاقتصادية ، ومنها ايضاً قوة العقل الذي يسيطر على موضوعه بالنظر الدائب والجد المستمر ، ويحيط به من كل جوانبه ، ويكوّن حوله ذخيرة علمية وفنية وفكرية تغدو سنداً قوياً للعمل الراشد النافذ .

اننا نحاربه عدواً لم يهمل هـــذه القوة ، بل جعلها منذ نشأته دعامة من ارسخ دعائم عمله . لم يكتف بصوغ الباطل الذي ادعاه بقالب الحق ، وباستثارة الضمير العالمي والمطالبة بالعدل والانصاف ، ولم يطمئن الى نفوذه السياسي والمالي والدعائي على رغم شدة هذا النفوذ واتساعه ، بل دعم هذا كله بالوسائل المختلفة التي جهزها لأغراضه . ومن هذه الوسائل تلك المؤسسات والمعاهد التي استنفر لها العقول المجندة والادمغة المروضة لتأخذ كل ناحية من نواحي القضية بالدراسة الاختصاصية والمعالجة المستقصاة ، فكان للدعوة الصهيونية وللعمل الصهيوني من هذا كله قوة أية قوة ، قوة تسبق الاحداث ولا تتبعها ، وتبني المستقبل على أساس ثابت وطيد .

ان قضية فلسطين ماضياً وحاضراً ومستقبلا ليست قضية سهلة بسيطة .

ان لها نواحيها التاريخية والقانونية والسياسية والاقتصادية والعلمية وسواها . وكل ناحية من هذه النواحي تحتاج الى اختصاصيين فيها . وليس لأحد منا أن يدعي هذا الاختصاص ، اذا لم يُعدّ له عدته ولم يقم بمطلوبه . والحياة الحاضرة بكاملها تقوم اليوم على الاختصاص ، وعلى تجميع الاختصاصيين في الوجوه المختلفة للموضوع الواحد ، للتعاون في دراسته والتساند في حل مشكلاته . فكم بيننا من يمكن أن ندعوه حقاً اختصاصياً في هذه القضية الحيوية ؟ بل كم بيننا من تملك ناحية واحدة من نواحيها تملكاً تاماً ، بحيث يصح ان نعتبره ثقة فيها ، كما نعتبر المتمكن علمياً من أي موضوع آخر ؟ كم اختصاصي عندنا اليوم يتابع مايجري في اسرائيل ، وما يضع الصهيونيون فيها وفي خارجها من خطط وما ينظمون من مشروعات ، وما يتقلبون فيه من احوال؟ ثم اذا وجد هؤلاء الاختصاصيون ، فأين ومتى يجتمعون ؟ اين هي المعاهد او المراكز التي انشأناها ، والتي نجد فيها وثائق هذه القضية واسانيدها وما يكتب فيها وينشر عنها ، والتي تضم الباحثين والمنقبين المنصرفين انصرافاً تاماً الى جمع المعلومات ، والبحث عن الأدلة ، ووضع الدراسات ، وتبيان الحقائق ، وتنوير الاذهان؟ أليس من العجيب ، كما قلنا ، اننا نوفر لشبابنا السنوات الطويلة والوسائل العلمية والمادية الغزيرة ليختصوا ببناء البيوت او مداواة علل الاجسام او تعاطي الزراعة او الصناعة او التجارة ، ولا نشعر بضرورة هذا الاختصاص في قضية تمس جوهر وجودنا ومصيرنا كأمة ؟ أليس من المستغرب اننا نقبل على انشاء المعاهد والمؤسسات لشتى الاغراض ونقعد عن اقامة معهد واحد للبحث في هذه القضية ، وهي قضيتنا القومية الاولى .

لقد آن الوقت لحشد العقول في جهادنا لحل هذه القضية . ولسنا نبالغ

فندعي ان هذا الحشد هو وحده ضامن لنجاحنا . ولكنه جانب هام واساسي من الحشد القومي الكامل المطلوب للغلبة في صراعنا الحاضر والآتي . وهو جانب ما زال مفقوداً ، ولسنا نرى تقديراً صحيحاً له او جهداً يبذل لتوفيره .

أترانا نبالغ اذا طلبنـــا من الدول العربية مجتمعة أو من واحدة منها ، او من ثري من أثرياء العرب توفير الوسائل لجمع ثلاثين او عشرين او عشرة من خيرة العقول العربية في مكان ما من الارض العربية ، وتجهيزهم بكل ما يحتاجون اليه للانصراف التام لتتبع هذه القضية ، والقيام بالدراسات الضرورية التي تحتاج اليها باستمرار للوقوف على حقيقة حاضرها وخبايا مستقبلها ؟

ان ابي مواطن منا يحاول – بصدق وشعور بالمسؤولية – ان يطلع اطلاعا صحيحاً على مايجري في بلاده وحولها ليجد نفسه يجهل ادنى الحقائق عن الاحداث التي تجابهنا بها اسرائيل الحين بعد الحين . وانه ليتحسر ويخجل كلما استنجد بـه صديق اجنبي من اصدقاء العرب بطلب وثيقة من الوثائق او دراسة من الدراسات ليستعين بها في الدفاع عن هـــذه القضية فيعسر او يستحيل عليه تلبية طلبه او ارشاده الى من يفيده .

إن ايجاد الطاقات العلمية الضرورية للعمل الحكومي الرشيد وللتجهيز القومي الواعي وللدفاع عن قضيتنا في المجالات الدولية ولاستباق الحوادث والتهيؤ لها – ان هذا شرط اولي من شروط جهادنا ، لم يعدمن الجائز تأخيرتوفيته اذا اردنا لانفسنا الغلبة او مجرد البقاء .

ولتوفية هذا الشرط لا بد من تأليب العقول المهيأة وتهيئة العقول الناشئة وتوفير الأسباب والوسائل لهذه وتلك للقيام بمهمتها . واول ما تتطلبه هذه المهمة

العمل الصامت الذي لا ينشـــد الجلبة والضوضاء ، بل يخشاها ويتجنبها . ومما تتضمنه وتفرضه ايضاً التفرغ التام ، لان هذا العمل هو من الخطورة والجلال بحيث لا يصح ان يكون ذيلا او هامشا لعمل آخر . انه يتطلب التنفس الطويل والجد الدائب والاعداد الدائم ، فليس معه مجال لاي شاغل او هم سواه .

ان هذه المقتضيات لا توفى الا اذا انشئت مؤسسة او مؤسسات لهذا الغرض : تضم الوثائق والمستندات ، والاختصاصيين الاكفياء الدائبين ، والوسائل الضرورية للبحث والاستقصاء ، ولاعـــداد المقالات والكتب والمنشورات على اساس سليم وفي نطاق واسع ، سواء باللغة العربية لتجهيز الرأي العام العربي بالحقائق والنتائج المستخلصة منها ، او بشتى اللغات الاجنبية وبالأساليب التي يفهمها ابناء هذه اللغات لكسب الرأي العام العالمي في هذه المعركة التي لا ينكر انه لعب ولا يزال يلعب فيها دوراً خطيراً .

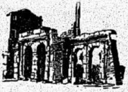
وختاما نقول :

اذا كانت ثمة ظاهرة تبرز في التطور البشري الحاضر ، فهي تسابق الامم ، كبيرها وصغيرها ، في ميادين العلم . فقد غدا بيّنا لكل ذي نظر ان العلم هو اساس القوة الحقيقية ومصدر القدرة على البقاء والتقدم والازدهار . ومع ان الشعوب العربية قد أخذت تحس بهذه الحقيقة ، وتقبل على البناء العلمي ، فان اقبالها لا يزال اخف وابطأ مما يتطلبه تطور الزمن . فنفوسنا لا تتحرق بعد كما ينبغي الى اقتباس العلم نظرا وتطبيقا ، والى انشاء حياتنا القومية على اساسه . والطابـع الغالب على تفكيرنا واتجاهنا في الحياة ليس الطابع العلمي . واذا صارحنا انفسنا وجدنا أثر

العلم أضعف وأضأل مايكون في حياتنا السياسية ، وفي قضايانا القومية الكبرى كقضية فلسطين .

لقد آن لنا ان نجاري الزمن ، وان نتجهز بجهاز اليوم والغد . لقد آن لنا أن نبدأ بانشاء « علم النكبة » .

فعسى ان يكون الجهد المشكور الذي بذلته مجلة المعرفة في عددها الخاص هذا ، حافزاً الى ادراك اهمية هذا « العلم » ، واسهامنا في الدعوة اليـــه والى البدء بانشائه .



العرب والغرب وزراعة الملح

بقلم: يوسف الحوراني
— بيروت —

ان المثقف الذى يعي بمسؤولية روابط الحضارة المعاصرة ، ويدرك شروط ازدهار إنسانها ، ليرتعد قلمه بيده وهو يرى نفسه ملزما بموقف عدائي فرضه عليه الآخرون ، وعليه أن يكتب ليشجع القسوة والعنف ليتحرر من هذا الموقف ويستعيد من الغير حريته وكرامته وحرية أمته وكرامتها المهانة . وإذ يقف مثقفو العالم العربي مع الجماهير العربية جميعاً وقفة موتور متأهب دوماً بسلاحه وثورته ، فليس لأن هؤلاء المثقفين لايعون شروط ازدهار

الحضارة المعاصرة وتقدم قيم إنسانها ، أو لأنهم مع قومهم قوم سلاح وثورة وحقد وحرب ، بل لأن السلاح والثورة والحرب والحقد هي الوسائل التي بقيت لديهم للتعبير عن استنكار فهم الآخرين الخاطىء لانسانيتهم ، ولمحاولة استرجاع حقوقهم البدهية المغتصبة في بلادهم . كما هي المجالات التي فرض الآخرون عليهم تعهدها وإلغاء شخصيتهم وفعالياتهم فيها .

* * *

هنا في بلاد العرب قبل أية فكرة قومية أوعالمية أودينية ، قبل أية عقيدة أو موقف سياسي أو ثقافي تنتصب امامنا حقيقة عارية قاسية صارخة ، وهي : أن اكثر من مليون انسان فقدوا أرض ميلادهم وتشردوا في البلاد المجاورة لتلاحقهم كلمة « لاجىء » تتخمهم كاللعنة أمام الشمس . أكثر من مليون انسان دون وطن يرسم صغارهم فوق ارض أحلامهم للغد ، بل ودون سبب او عقيدة ، عداء يشعرون من خلاله بما يشبه حس الخطيئة ويكون لهم وطنا نفسيا في غربتهم ليبرروا معاناتهم لأجله ككفارة أوتضحية ، كما يرى المقاتلون النازحون عن بلادهم والثوار الناوئون لحكوماتهم ، أوحتى رافضوا الجزية أو الخضوع لشروط ومذاهب ذوي السلطة . فهنا تشرد تجاوز المعنى الذي ألفه التاريخ ، وتمرد على كل مفهوم يمكن للباحث ان يلقى له المبررات والاسباب . ولن يبدو الامر غرابة ان تأتي عنه كفر جماعي بجميع القيم الانسانية التي يحاول ان يدين بها العصر الحديث في علاقات شعوبه ومجالسه العالمية .

هذه هي النافذة التي يطل منها العرب على وجودهم الانساني الحاضر . ولئن قدر لمفكري الغد ان يحاكموا الموقف التاريخي الذي فرضه الغرب على البلاد العربية من خلال قضية فلسطين فستكشف لهم اخطاء كثيرة ليست لصالح الغرب أوصالح اية جماعة انسانية . وما هي الا نتيجة تقدير خاطىء لمجرى التاريخ المعاصر . وفهم ناقص لمعنى الوجود العربي ، ولا مجال هنا لاتهام بحقد أورغبة انتقام اوعداء مادامت النتيجة لن تحمل معها فائدة لاي من الفرقاء .

ان اصرار الغرب على زرع الصهيونية في فلسطين ، قلب العالم العربي ، لايقل جهلا امام التاريخ عن اصرار « كاتو » الروماني المتعصب على زرع ارض قرطاجة بالملح . فهذه كان ذنبها انها تنتمي الى حضارة غير حضارة روما وتتعامل بأخلاقية غير أخلاقيتها ، والعالم العربي المعاصر ليس له من خطيئة ،أمام الغرب ، سوى كونه ذا امكانات كبرى ويمكنه أن يصنع حضارة ذا نزوع آخر اذا اتيح له ان ينمو بسلام . ولكن الخشية الساذجة من المنافسة وخطأ النظرة الى التاريخ هي التي قادت الى هذه المشكلة بين العرب والغرب ، وهي ما يكشف أصالة صرخة اشبنغلر في مطالع هذا القرن عندما أكد على « ان الغرب بحاجة لمفكرين يدرسون التاريخ

ويفهمون معنى سير التاريخ وامكانية الشعوب في هذا السير ، ولا مجال لفلسفة أخرى غير هذه الفلسفة في عالم الغد . اذ بها وحدها يمكن ان تفيد السياسة الغربية لتبقي شعوبها بين شعوب الأمام في التاريخ المقبل » .

فما هي أخطاء الغرب تجاه العرب ؟ وما هي القومية العربية التي يريد الغرب مجابهتها بالصهيونية ؟ .

وكي لانبتعد عن الواقع أجدنا ملزمين بالنظر الى فكرة القومية العربية من خلال موقفها وامكاناتها الشخصية في قضايا الساعة ، وليس من خلال التعريفات النظرية أو التاريخية لها ، إذ هذه القضايا هي التي تحكم اتجاهاتها وتطور سيرها . وفي رأس ذلك يأتي وجود الدولة الصهيونية في فلسطين بعد تشريد أهلها الشرعيين ، وهذه القضية هي التي تحكم النظرة العربية الى العالم الغربي المعاصر .

وعندما نجد أنه لم يكن هناك عداء أو حرب بين العالم الغربي والعرب كي يبرر هذا العداء مساندة الغرب للصهاينة ، فلا بد من أن تكون هناك عوامل أخرى قادت الى هذا السلوك . واقرب هذه العوامل وأوضحها كما يبدو للذهنية العربية تبرز في ثلاثة ، هي :

أولاً — موقف الغرب الحسني من تطور العالم العربي وتكامل شخصيته التاريخية ،

ثانياً — نفوذ الصهاينة في العالم الغربي وسيطرتهم المنظمة على المرافق الحساسة ، من اقتصاد وصحافة وتوجيه ثقافي .

ثالثاً — شعور الغربيين بالجريمة تجاه اليهود والحاح الضمير الغربي على التكفير عن المذابح والاضطهادات التي عرفها تاريخ اليهود مع الغرب منذ بدئه .

وكل من هذه الاسباب الثلاثة يبدو خاطئاً ولايصلح لان يكون مبرراً ، اذا نحن نظرنا اليه من زاوية واقعية نظرة عمق . ولا بد من وقفة تأمل متسائل أمام السبب الاول . فلم يحذر الغرب القومية العربية هذا الحذر الذي يقود الى تعقيد علاقات شعوبه مع العرب ؟

ان العرب ليسوا ضد احد . وان يكن لهم تقاليدهم وطرائق تفكير غيرها للآخرين فلا يعني هذا انهم إعداء لمن يخالفهم . فقوميتهم ليست قومية عنصرية « فاشستية » كما الف الغرب في قومياتشعوبه . كما أنها ليست قوميةدينيةغيبية . انها ليست منغلقة ، ولا تدعو للانكفاء على الذات . بل هي « قومية تعاونية » قوامها امكانية التعايش المتضامن معا بين شعوب تتكلم لغة واحدة ، او لها ثقافة واحدة ، وتاريخ واحد ، وآمال وأهداف واحدة ، في ارض ذات مناخ وامكانات متشابهة . وهذا هو مفهوم الفكرة العربية المعاصرة الذي أضحى يؤمن به أي انسان يسعى لحياة أفضل في بلاد العرب . ولقد اكدت هذا المفهوم المرن للفكرة العربية جميع حوادث

التاريخ الحديث . منذ فشل نابليون بونابرت باثارة الروح القومية العنصرية في مصر ضد الأتراك المستعمرين ، حتى فشل الغرب بربط بلاد العرب بحلف بغداد بشمل رابطة الدين ضد التوسع الشيوعي . وبين هاتين المحاولتين عشرات المحاولات للتفرقة أو الجمع المغرض بعيداً عن الاهداف الانسانية المثلى التي اعتادت أن تقوم عليها النهضات والحركات التاريخية المصيرية في هذه البلاد .

إنها روح شعب لا تتحرك إلا إذا أتيح لها دافع إنساني عميق يتجاوز جميع التحديدات الضيقة المألوفة لدى الآخرين . هي نفسية أمة في مغامرة دائمة مع المطلق ، وذات حس أخلاقي يرتكز على قيم انسانية مثلى قد تتبدل ألفاظها وأشكالها ، ولكن جوهرها باق . وبفعالية هذا الجوهر قبلت بلاد العرب أمماً كثيرة وشعوبا متعددة ، كما لم تقبل أية بلاد أخرى من العالم امتصت عناصر انسانية عديدة غير عربية وعرّبتها . وبعد أزمنة قصيرة تخلصت هذه العناصر من غربتها ، وفي أحيان ، وفي عصور الازدهار العربي بالذات ، بلغ التسامح العربي مع الدخلاء والغرباء الى حد تسلم معه هؤلاء القيادة والسلطان من العرب باسم الروابط الانسانية العليا التي تجمعهم دون أن تحدث أية ردة فعل عنصرية متعصبة كردات الفعل القومية التي تعرفها أوروبا ويعتبرها المؤرخون كاصطلاح تعبيري للحركات القومية .

ولفتة سريعة واحدة الى التاريخ ترينا التاريخ العربي تنبض في عروقه دون تمييز دماء جماعات مختلفة من الفرس والديلم والأتراك والاكراد والفراعنة والأقباط والبربر والزنج والرومان واليونان والمغول وعشرات العناصر الأخرى مع جميع بقايا الساميين . وقد صهروا معاً في ذات واحدة وثقافة واحدة . والشعار الأخلاقي الدائم في حركة الصهر هذه منذ امتصاص الكلدان للسومريين ماراً بتكريس هذا الشعار بكلمة الرسول العربي « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى » ، لم يكن إلا العدالة والمساواة الانسانية . ولو أحصينا البلاد والشعوب المتأثرة بالثقافة العربية الانسانية هذه ، أي تلك التي قبلت ويمكن أن تقبل للآن التفسير العربي لمعنى الانسان وحقوقه في المجتمع وواجباته نحو مجتمعه لوجدنا هذه البلاد تكون أكبر مجموعة عالمية . وهي من غربي أفريقيا حتى شرقي آسيا تنصب انظارها على ما يجري من تطور في مفهوم الانسان وسط هذه البقعة الحساسة الهامة من العالم .

ولكن ما يلاحظه دارسو التاريخ عموما هو أن هذه البلاد اعتادت التسامح الانساني ، ولكنها لم تتسامح بقبول عدو متحد فوق أرضها ، وقد غزتها واستعمرتها شعوب كثيرة غريبة محاولة ان تصبغها بصبغتها وتسطيها مفاهيمها أو لغتها ، ولكنها فشلت جميعاً وعادت الى بلادها . كانت موطن صراع بين حضارات كبرى ، ولكنها لم تفقد شخصيتها وشروطها الانسانية لقبول

الغرباء، وجميع الذين حاولوا ان يكونوا لهم وجوداً غريباً بقوا غرباء تلفظهم الى ان رضخوا لمبدأ التسامح واندمجوا فذابوا بمبادىء العرب ولغة العرب وقوميتهم، او زالوا الى غير عودة.

وان يبحث الدارسون عن بلاد كانت من خلال ذاتية شعبها، منبعاً للافكار الانسانية العامة، فأعطت فكرة الانسان العالمي التي يتطلع اليها العالم المعاصر، فهذه البلاد هي البلاد العربية اليوم، وقد أهلها مركزها الجغرافي وتركيبها الانساني ونوازع أبنائها النفسية الى هذه الرسالة السامية فتبنتها، وراحت تبثها اشعاعاً حضارياً وتعاليم اخلاقية منذ بدء التاريخ. حتى ليخال المراقب المتأمل عندما يتقلص في رؤياه التاريخ أن إيزيس الحنون المفجوعة، اسلمت مقعدها ومنديل احزانها لابنة بلادها العذراء مريم لما انمحت من روما. وأدونيس الاله قتيل الانبعاث كل سنة بالاسم الجديد «يسوع»، مادامت رسالته تؤدى. وجوراني أخفى لوح شريعته عندما وجد في قرآن الاسلام ماهو اكفأ منها وأقدر على الانتشار والقيادة في البلاد المحيطة ببلاده «قيادة ذوي الرؤوس السوداء في الطريق الصحيح».

هنا، في هذه البلاد لم ينتظم ذهن الانسان أمام يوميات الحياة بعيداً عما هو بعد اليوميات. ولم تنطلق احلام بحياة اخرى إلا وكان لها قاعدة تربطها بحياة الارض. ولذا كانت المذاهب والعقائد الناشئة في بلاد العرب صالحة للناس جميعاً لما فيها من اعتدال وسماحة وجدان. لم يكن دين منذ بابل وسأ وقتبان وسور وصيدون إلا وكان يعنى بيوميات المجتمع وينظم علاقات أفراده مع تطلعه لأحلامهم الغيبية وأمانيهم. ليس من هيكل أو معبد أو زاقورة إلا وكان يتبعها مخزن للغلال وموظفون يشرفون على توزيعها. أي ليس من انسان عاش فوق الارض العربية الا وكان له ماهو ابعد منه. وهذا الابعد كان دائماً الرقيب الأخلاقي العظيم على سلوك الفرد في الجماعة، فيغني، غالباً، عن الشرائع والقوانين المكتوبة ويجعل التعاون دائماً داخلياً في الفرد، لاساهمة مادية شروطها الاسهم وتعادل الحصص.

إن هذا البعد الذهني الانساني الآخر هو مانظم في الماضي حياة مابعد الحياة وجعلها اكثر انسانية وعدالة من حياة الصغائر اليومية التي ينشأ عنها كل تعصب وكل انكماش على الذات. وهو ذاته مابرز في الافكار الجبرية التي تسلم لقدرة المطلق قياد الانسان وترى البث كل البث في الرغبات اليومية، كما برز بالتصوف ورفض حياة الاشياء التافهة الرتيبة لأجل حياة عميقة الغور قوية الايمان بوحدة الوجود ووحدة الاديان والقوميات وطرائق الانسان. وهو عينه ماتمكنه أن يأخذ اشكالاً عقائدية سامية في اية مذاهب وأفكار يمكن أن يأتي بها الانسان في الحاضر او المستقبل.

ولئن برزت هـــذه الخواص القومية العربية في الماضي بالتدين وتفسيرات الدين للعالم ، فأفادت الانسانية بقوانين واخلاق سامية ، وأعطت أول فكرة لاله مطلق لايتشكل بالاصنام او يستحضر بالتماثيل ، ولايحتاج لذبائح وتقدمات ، فهي كفيلة ايضـــاً في زمن المادية والآلة ونصوص القانون ومعاملات الطوابع ، كفيلة ، عندما يتاح لها ان تتنفس بثقة وطمأنينة ، أن تعطي العالم بنزوعها السامي تفسيرات وقناعات ذهنية تتجاوز سلطة الآلة والماديـــة الى الانسان كواقع له ابعاد يجب أن يراعى وجودها . وعندئذ يعود المجتمع فيهمل بمعاملاته النصوص الحقوقية ليعتمد حس المسؤولية الطبعي ويتجاوب الافراد بعلائقهم مع انفعالات احاسيس الاخلاق .

إن وطنية بلاد العرب التي أعطت الرواقية ، واخرجت الهيلينية من قوقعة بلاد الاغريق الى العالم أجمع ، كما اعطت المسيحية والاسلام والعديد من الفلسفات الانسانية المتسامحة ، جديرة بأن تؤلف بين العلم والانسان ، كما كانت تؤلف بين الفلسفة والدين ، هي جديرة بأن تعطي من خلال نزعة صوفية عالية اختصت شعوبها بها تفسيراً للانسان يتجاوز المادية بغروره بها ويسيطر على الخوف وقلق الفراغ ويأس النهايات بايمان جديد تكون له قوة المطلق الديني الذي قدمته للعـالم بديانات التوحيد وفلسفات الاخلاق .

هكذا نحن نجد أن رسالة بلاد العرب لا تقف عند قومية العرب وحدهم ، بل هي كشأنها طيلة التاريخ ستكون رسالة انسانية للعالم أجمع ، عندما يتاح لها ان تجمع زخمها وتنطلق بحرية . وما الشروط والصفات التي يطالب بها الغد لأجل حضارة عالمية أكثر انسانية من حضـارة الآلة الغربية المعاصرة الا من الشروط والصفات التي أعطتها الذهنية العربية لمجتمعات التاريخ التي احتكت بها .

ولئن أراني شددت كثيراً على النزوع الذهني النفسي لدى القومية العربية دون الخوض كثيراً في حيثيات الواقع وتفاصيلهـا ، فلأن هذا النزوع هو مالم ينتبه له ويراعي فعاليته رجال السياسة والدارسون الذين ارتكبوا الكثير من التقديرات المغلوطة والتخطيطات الخاطئة باهمالهم إياه . مع العلم أنه بدأ يبرز كضرورة أولى من ضرورات مجتمع الغد الباحث عن حريته النفسية فيما هو أبعد من رتابة الآلة وحدود المادة دون ان يتخلى عن الآلة والمادة .

ان هذه النظرة للذات القومية في بلاد العرب هي حس نفسي متبلور لدى جيل النصف الثاني من القرن العشرين . وحتى لو افلتت من كل تحديد او تعريف مألوف تبقى هناك الوقائع والتجارب اليومية في علاقات الشعب الداخلية وتطلعات مثقفيـــه . ونظرية العرب الى الشعوب الاخرى المستضعفة وتضامنهم الايجابي معها تثبت خاصتهم القومية التاريخية . فالقومية العربية ليست صوفية سلبية الموقف من متطلبات الحياة والتعامل الانساني اليومي كي يخشى عزلتها وانقطاعها

للتأمل الغيبي والانجذاب الى المجهول دون الالتفات الى الشعوب الاخرى والتعاون البناء معها . كما أنها ليست مغرقة في الآنية ، متعصبة ، حتمية الموقف امام القضايا الشخصية كي تقف موقفاً عدائياً من الآخرين لأجل الكسب الشخصي السريع . فهي تعادل هندسي ذهني تنشأ عنه الخلاقية انسانية تصلح لكل المناسبات ولجميع الشعوب ، لما فيه من مراعاة لآمال الانسان ونزوع عقائده وقيمه الفردية . وما تشديدها في الماضي على نشر الثقافة والالفة والاخلاقية في فتوحات الاسلام الا تعبير عن هذا النزوع الذي يتجاوز كل فكرة عنصرية منكمشة ترتبط عادة بالقومية لأجل تحقيق الذات .

فماذا ترى الغرب يخشى من هذه القومية ؟

ان العربي ، وهو يحس هذه الخواص النفسية بدمه قبل ان يعيها في تاريخ بلاده ووقائع أحداثه ليأسف اذ يجد نفسه مضطراً لبذل جهود غير سلمية في سبيل تحقيق شخصيته الانسانية المسالمة ، نتيجة للتفسير التعسفي الخاطىء لشخصية امته واهدافها وامكاناتها لعالم الغد . فمن تراه يكون المسؤول عن أخطاء الغرب تجاه العرب ؟

* * *

ان المراقب للتاريخ يسمع صدى ساخراً في دمشق جواباً على كلمة الجنرال اللنبي المنتشي بنصره على العثمانيين ، عندما خاطب حجارة قبر صلاح الدين قائلاً : « ها قد عدنا يا صلاح الدين » . فقد اعتبر تلميذ التاريخ المتدىء هذا ان دخوله دمشق جاء ثأراً للصليبيين المهزومين ، بينما لو تأمل بعمق وروية أكثر لأدرك حركة انقلاب التاريخ في الحركة العربية التي جعلت العرب المسلمين ينقلبون على العثمانيين المسلمين ويرحبون به وبجيوشه ، احفاد الصليبيين باسم المبادىء الجديدة التي يمثلونها للحكم والعدالة والحرية الانسانية .

ان اللنبي ومن مائله وهم ينشأون على قصص الصدام بين عالمهم وعالم آخر له غير دينهم وغير عقائدهم وغير تقاليدهم خليق بهم ان لا يجدوا من يوجهون التحدي نحوه سوى هذا العالم الآخر القريب من بلادهم والغريب عنهم . ولعل حكايا الجدات الاوربيات المؤمنات لأحفادهن لم يكن لها من ينبوع اغزر من وقائع معارك القوط والفرنك والفاندال ضد العرب الغزاة في الاندلس ، ومعارك الصليبيين الغيورين على الدين في بلاد العرب ، ووقائع الاصطدامات المستمرة على حدود العثمانيين ، بما في ذلك وقائع مذابح البلقان واخبار التنكيل العثماني بالمسيحيين ، دون اي تمييز بين عثماني مغولي وعربي ، أو تقدير لأية مكاسب حضارية انسانية جاءت من هذه الاحتكاكات بين المفهومين الحضاريين : العربي والغربي ، ما دام ذلك الكسب لم يرد في قصص البطولة والتاريخ المكتوب لأجل اذكاء واثارة روح التحدي لدى الصغار .

انهما حضارتان متسابقتان للقيادة متنابذتان منذ البدء في هذا السباق . وقرب بلاد الواحدة من الاخرى واحتكاكها المستمر مع مجتمعاتها جعلها لاتعرف لها منافسا غيرها . وكدون كيشوت « سرفانتس » بعد انقضاء زمن الفروسية أراد التاريخ أن يلهو بالتذكير بهذه المنافسة واثارة كوامن الخشية لدى الغربيين في العصر الحديث . رغم جميع الدلائل التي تشير الى ضرورة تعاون هذين العالمين لامكان أكل واحدهما للآخر . ولاجل الحفاظ على مكاسب انسانية حضارية حققاها معا بتناوب في القيادة منذ بدء التاريخ الحضاري .

ولن نذكر هنا بالكثير من الاخطاء التي ارتكبها الغرب تجاه البلاد العربية في التاريخ الحديث . فهذه الاخطاء خير ماتوصف به أنها تتبع لمنطق تاريخ ماض ، ومنطق التاريخ المعاصر كفيل بمحا كمتها وفي ظل الشعار الغربي ذاته للانسان الحديث ، أي حقوق الانسان العادلة في مجتمعه وحقوق مجتمعه بالمساواة مع المجتمعات الاخرى . وماعلى الغرب الا كسر منظاره التاريخي الضيق المتعصب واتخاذ منظار أوسع أفقا وأقرب الى مستوى الانسان العالمي المعاصر لكي يتمكن من اعادة كتابة التاريخ بتعديلات سلبية لاتحمل الى الحقد وتدعو لاخذ الثأر .

لن نذكر الا بخطأ واحد فقط تجاه العرب وهو ايجاد الدولة الصهيونية في فلسطين ، قلب بلاد العرب . فما هي الغايات والنتائج المرجوة من هذه المعركة التي قام بها الغرب ؟

وما هي الفائدة التي تمكن أن يجنيها الغرب الاوروبي على سبيل الحصر من وجود الدولة الصهيونية ، وهنا ليست القضية ذات اشكال وتعقيد للعرب فقط ، بل هي تحمل تعقيداً اكثر للصهيونية العالمية ، ولاولئك الذين يساندونها ويتأثرون بها . كما أنها تطرح تحت علامات استفهام كثيرة علاقات شعوب أوروبا في المستقبل بالبلاد العربية .

ان وجود « الدولة الصهيونية » كان لاجل تجزئة العالم العربي ومنعه من الحصول على وحدته وتكامل قواه ، أي لتأخير نمو عالم ثري واسع كي يبقى هناك مجال للاستغلال فيه وهي فكرة سياسية نلية لو أنها لاتنتمي الى عصر مضى وتقوم على منطق علاقات دولية تجاوزه التاريخ . كما قد كان يمكن لهذا الوجود الغريب لشعب غريب ، أن ينجح فيصبح شرعياً ، لو أنه حدث في بلاد لا تاريخ لها كأميركا أو أستراليا وبعض مناطق أفريقية . أما وهو في بلاد تجمعها وحدة تاريخية وانسانية بعيدة الأثر فليس سهلاً أن تبدأ هذه الشرعية بتاريخ جديد خاص بها .

إن الغرب بوجهه الثقافي استطاع ان يكسب ثقة العرب ، ففتح هؤلاء مدنهم ومدارسهم وجندوا حكوماتهم لفرض هذه الثقافة واحترام المبشرين بها . وقد انتشرت الجامعات

والارساليات في مختلف المدن العربية لنشر الاحترام للفكر الغربي والاوروبي على الأخص ، فأضحت تعلم طقوس الحضارة الغربية وكأنها طقوس دين إنساني جديد دون أن تلقى أية مقاومة عدائية في أي بلد عربي تام . فهل لم يكن ممكناً أن يتبع التعامل الاوروبي مع بلاد العرب نفس الخط الذي اتبعته الثقافة ، فتنتشر الصناعة والمصانع الاوروبية وينتشر العلماء والفنيون مع مختبراتهم وآلاتهم فوق الارض العربية للتعاون في استخراج ثروات هذه الارض الكثيرة والاستفادة من إمكانات الطرفين بمودة وصداقة ؟

هل لم يكن ممكناً ذلك ، ومشكلات المستقبل بدأت تلوح ليس في الخلاف والصراع بين شعب وشعب ، بل بين شعوب الارض جماء والطبيعة ؟

إن البلاد العربية خيرة سمحاء كالقومية العربية تماماً ، وستكون ذات أهمية كبرى لعالم الغد . وإن لم يستطع ساسة أوروبا الغربية اكتشاف اسلوب للتعامل معها والافادة من امكاناتها غير اسلوب القوة والتحدي فسيستطيع غيرهم ذلك ، وسيجيب العرب على القوة والتحدي بتنمية قواهم واستخدام جميع الوسائل لديهم للاجابة على تحدي الآخرين .

* * *

وننتقل الى السبب الثاني ، الدافع الى ايجاد « اسرائيل » ، وهو تقوذ الصهاينة . وبدوره أيضاً يثير باضاءة أوضح وجه القومية العربية . فهنا لدينا جماعات كثيرة من اليهود ، ولكن هذه الجماعات لم تشعر أنها غريبة عن المجتمع ؛ بل طيلة التاريخ العربي نشأ منها زعماء ومثقفون كان يخدم كبار الرجال العرب على مكانتهم لدى ذوي السلطة ، سواء ذلك في المغرب العربي بما فيه الاندلس أو في المشرق . وبينما كانوا يعانون من الاضطهادات والمذابح المتواترة والضرائب الفادحة في ظل ملوك اوروبا كانوا يعيشون في بحبوحة وحرية في بلاد العرب ، حتى أضحت في بعض الاوقات هذه البلاد ملجأ لهم يحتمون به . فلم لم يستطع الغرب تمثل اليهود كتمثل البلاد العربية لهم دون تمييز بينهم وأية أقلية اخرى شبيهة بهم ؟ إن تقوذهم وانكماشهم الذاتي بصفة عصابات في مجتمعات متحضرة يدين هذه المجتمعات كما يدينهم هم بالتعصب . وهو وصمة في جبين حضارة الغرب العالمية المعاصرة . وليس بالحل الصالح أن تعطى لهم دولة تكون بمثابة هيكل يكرس فيه هذا التعصب وينال شرعيته عالمياً .

ويأتينا السبب الثالث برغبة الغرب بالتكفير عن خطاياه التاريخية تجاه اليهود ، ونحن لا نعارض الغرب — وأوروبا خاصة — ان يكن قد استيقظ ضميره التاريخي وأراد التكفير عن المذابح الكثيرة والاضطهادات القاسية التي كانت ترتكبها شعوبه وقادتها تجاه أقلية غريبة

بيا ، اننا لانعارض ذلك ، وانما **نعارض أن يكون التكفير عن جريمة بجريمة أكبر منها** . والجريمة هنا ليست في تشريد الوطنيين الفلسطينيين من بلادهم وحسب ، بل هي في ايجاد حالة استنفار حربي دائمة في العالم العربي وفي اثارة عداء دموي بين شعبين لايمكن ان ينتهي الا برجوع المعتدي عن اعتدائه وعودة الحق الى ذويه .

ولعل آخر فكرة قام بها الغرب للتعبير عن رغبته في التكفير تجاه اليهود كانت فكرة « التبرئة من دم المسيح » والعالم العربي لاتعنيه بكثير او قليل هذه التبرئة فهو لم يطالب باداتهم أدنى مطالبة لأجل ذلك ، ولم يكونوا ملاحقين مدانين بجريمة الصلب في أية فترة من التاريخ العربي . وهكذا فالعرب ليسوا ضد تبرئة اليهود ، كما ليسوا ضد اليهود كشعب ، وان يكن هنا من يقاوم هذه التبرئة فهو ليس للعداء ، وانما التزاماً بنصوص الانجيل حيث ورد في انجيل متى عندما غسل بيلاطس يديه وقال : اني بريء من دم هذا البار أبصروا انتم ٢٧/٢٥ «فأجاب جميع الشعب وقالوا دمه علينا وعلى أولادنا » .

ان الكثيرين من اليهود لايزالون يعيشون في البلاد العربيــة بحرية وطمأنينة دون ان يتعرضوا لأي نوع من الاضطهاد رغم المجازر التي ارتكبها ابناء شعبهم في فلسطين . وهكذا فالعرب يقاومون الصهيونية فقط . وان لم يتنبه العالم الغربي لهذه العصابة الخطرة التي تحاول السيطرة على سياسته وتوجيهها فسيصحو يوما ويرى ان قضيــة فلسطين ليست قضية عربية — يهودية ، بل هي بنفوذ الصهيونية قضية حضارية عالمية تتحدى كامل منطق التاريخ المعاصر بما كسبها له ، وسيبقى العرب يعملون بكل مالديهم من قوى وامكانات عالية ، سواء سلبية او غير سلبية ، لايضاح خطر الصهيونية العالمي واجتثاث وجودها من بلادهم، مهما غلا ثمن ذلك وتطلب بذلا وصبرا على الزمن .



دَوْرُ العنف في نشوء اسرائيل

بقلم عزة طنوس

« يحاول الأستاذ « عزة طنوس » في هذه الدراسة الوثائقية المبسطة التي كتبت لقراء « الانكليزية » بموضوعية خالصة أن يفند الأسطورة التي تروج لها أجهزة الدعاية الصهيونية ، والقائلة ان اسرائيل قد نشأت ضمن مناخ بعيد عن العنف والارهاب ، وبالتالي فهي تحقيق لعبارة « اعط الأرض التي لا سكان فيها الى السكان الذين لا أرض لهم ».

وقد نشرت هذه الدراسة أصلاً ضمن كراسين : الأول بعنوان « جرائم عصابات الهاغانا والارغن والشتيرن »
« The Activities of HAGANA IRGUN, and STERN Bands »

والثاني بعنوان : « اجلاء عرب فلسطين عن ديارهم »
« The Expulsion of the Palestine ARABS From their Home land. »

(*) الأستاذ عزة طنوس يشغل حالياً مدير مكتب منظمة تحرير فلسطين في نيويورك .

« منشورات مكتب اللاجئين الفلسطينيين العرب في نيويورك . »

حاولنا ترجمة المختصر المفيد من هذين الكراسين مستهدفين التركيز على « دور العنف في نشوء اسرائيل » في الفترة التي سبقت « أيار ١٩٤٨ » موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين .

وتتضح أهمية هذه الدراسة ذات الصيغة الوثائقية من كونها مستمدة من مصادر صديقة ، ومحايدة ، ومعادية على حد سواء » .

المترجم : خلدون الشمعة

* * *

في عام « ١٩٦٠ » صرحت « غولدا ماير » ممثلة اسرائيل في « الجمعية العامة للأمم المتحدة » : « وبدلاً من ذلك زحفت سبعة جيوش عربية في الخامس عشر من أيار « ١٩٤٨ » عـــبر الحدود ، لكي تصحح خطأ الأمم المتحدة ، مستهدفة تحطيم قرارها بقوة السلاح : تدمّر مدننا وقرانا بسكانها . فكان علينا في الواقع ، أن نجابه الجيوش الغازية عزلاً من السلاح . »

ترى هل كان الصهاينة عزلاً من السلاح حقاً ؟..

لقد كانت « غولدا ماير » نفسها عضواً في الوكالة اليهودية التي كانت تنفق على ثلاث عصابات ارهابية كما في الوثيقة الرسمية التالية التي وردت في سجلات الحكومة البريطانية :

تقرير عن أعمال العنف ٢٤ تموز ١٩٤٦

اعتمدت الملاحظات التالية المتعلقة بثلاث منظمات يهودية عسكرية غير مشروعة في فلسطين على تقرير « لجنة التحقيق الأنكلو ـ أمريكية » . ان لدى حكومة صاحب الجلالة ما يدعوهـــا للاعتقاد بأن الأرقام الواردة في التقرير ، أرقام متحفظة .

منظمة عسكرية جيدة التسلح ، غير مشروعة ، تتبع قيادة مركزية تدعمها قيادات اقليمية ذات فروع ثلاثة تضم نساء في عضويتها . وهي تتألف على الشكل التالي :

- قوة أساسية تتألف من المستوطنين وسكان المدن ويقدر عدد أفرادها بأربعين الف رجل .
- جيش ميدان يتألف من شرطة الأحياء اليهودية ويقوم بالعمليات السريعة ويتألف من قوة قوامها (١٦٠٠٠) رجل تقريباً .
- قوة على أهبة الاستعداد « البالماك » ، مزودة بوسائل نقل ، ويقدر عدد أفرادها بـ ألفي رجل في زمن السلم وستة آلاف زمن الحرب .

وقد شرع بتطبيق نظام (شبه بطبيعته نظام التجنيد) ، وينص على فرض الخدمة الالزامية على الطلبة ذكوراً وأناثاً من الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة عشرة والثانية عشرة . وقـــد أفادت صحيفة « الهابوكر » اليهودية ان على كل حركة أن تقدم لقسم التعبئة في الوكالة اليهودية بتل أبيب لائحة بأسماء المكلفين من أعضائها الذكور والاناث .

الارغن زفاي لومي The Irgun Zvai Leumi : « منظمة قومية عسكرية »

تأسست عام (١٩٣٥) من الاعضاء المنشقين عن « الهاغانا » ، تعمل تحت إمرة قيادتها السرية وتقدر قوتها بـ « ثلاثة الى خمسة آلاف رجل » .

عصبة الشترن The Stern Group :

تأسست من عصبة المنشقين عن « الارغن زفاي لومي » عندما قررت ان

تعلق نشاطاتها مؤقتاً في عام « ١٩٣٩ » . وتقدر قوتها بـ « ٢٠٠ » الى « ٣٠٠ » من المتعصبين الخطرين . وقد تعاونت هذه العصبة مع « الارغن زفاي لومي » تعاوناً كاملاً لفترة من الزمن على اعتبار ان الطرفين يلتزمان سياسة بالغة التطرف .

إن المعلومات التي في حوزة حكومة صاحب الجلالة عندما قامت بعملها الأخير في فلسطين قد أدت بها الى النتائج التالية :

(١) ان « الهاغانا » وحليفتها « البالماك » اللتين تعملان تحت قيادةسياسية موحدة هي الوكالة اليهودية » قد قامتا بحركات تخريبية عنيفة خطط لها بعناية تحت شعار : « حركة المقاومة اليهودية » .

(٢) إن الارغن زفاي لومي وعصبة الشتيرن قد تعاونتا منذ الخريف الفائت مع القيادة العليا للهاغانا على القيام ببعض هذه العمليات .

(٣) إن محطة الاذاعة « كول اسرائيل » التي تزعم انها صوت حركة المقاومة » والتي كانت تعمل وفق تعليمات الوكالة اليهودية . كانت تدعم هذه المنظمات .

ان هذه النتائج التي أوردناها مستقاة بشكل رئيسي من ثلاثة مصادر :

آ — معلومات تدل على انه ما بين الثالث والعشرين من أيلول (١٩٤٥) والثالث من تشرين الثاني (١٩٤٥) تبودلت سبع برقيات بين لندن والقدس ، بالاضافة الى برقية أخرى بتاريخ الثاني عشر من أيار « ١٩٤٦ » . وقد ترجمت نسخ من جميع هذه البرقيات .

ب — إذاعات مختلفة من محطة « كول اسرائيل » بين الحادي والثلاثين من تشرين الأول « ١٩٤٥ » والثالث والعشرين من حزيران (١٩٤٦) تشير الى أعمال معينة من العنف والتخريب .

جـ — معلومات واردة بتواريخ مختلفة مستقاة من نشرة « الهاماس » Hamaas التي تصدرها عصبة « الشتيرن » و « حيروت » التي تصدرها « الارغن زفاي لومي » و « الاشناق » التي تصدرها حركة المقاومة اليهودية .

« يتضمن هذا التقرير مقتطفات من هذه النشرات » . كما يشير الى عمليات التخريب الواسعة الثلاث التي جرت بتاريخ الحادي والثلاثين من تشرين الأول ، ومطلع تشرين الثاني من عام (١٩٤٥) .. والعشرين — الخامس والعشرين من شباط (١٩٤٦) والسادس عشر — الثامن عشر من عام (١٩٤٦) .. واشتركت فيها المنظمات العسكرية الثلاث ، وهي عمليات لم تسبب الدمار الشامل فقط ، وانما أدت الى فقدان الأرواح :

١ — هجوم على سكك الحديد ، لفشات الشرطة ، ومصفاة حيفا

ملاحظة : شن « البالماك » هجمات واسعة على سكة الحديد الفلسطينية . فقد نسف الخط في (١٥٠) موضعاً ودمر كلياً باستثناء مواضع أخرى لم يحدث فيها الانفجار . كما دمرت ثلاثة لنشات للشرطة بالمتفجرات : اثنان منها في ميناء « حيفا » والثالث في « يافا » . وفي الليلة نفسها هاجمت عصابة « الارغن زفاي لومي » محطة اللد وما حولها مسببة أضراراً في ثلاثة قطارات وتدمير كشك الاشارات Signal box ومحرك . وقد وقعت عدة خسائر في الأرواح ، ومن ضمنها مصرع جندي بريطاني . هذا كما جرت محاولة أخرى في الليلة نفسها من قبل عصبة الشتيرن لنسف مصفاة البترول في « حيفا » .

ان هذه الحادثة قد خططت مسبقاً بعناية ، كجزء من سياسة مدبرة .

وقد قصد منها تحذير حكومة صاحب الجلالة من العواقب التي ستنتج من جراء عدم الإذعان لرغبات الـ Yishuv « الجالية اليهودية في فلسطين » .

ولم تكن السلطة التنفيذية للوكالة اليهودية مستعدة لانتظار اعلان سياسة الحكومة الا أنها قررت تدبير « حادث خطير واحد » كيما تنجح في التأثير على تلك السياسة .

ان الحقائق تتضح تماماً في البرقيات التالية :

« يلي هذا النص عدد من البرقيات ... سنقدم فيما يلي البرقية رقم (١) كنموذج عنها :

برقية (١) : مرسلة من Sneh في القدس الى لندن (٢٣ايلول ١٩٤٥).

« ثمة اقتراح بألا ننتظر الاعلان الرسمي بل ان ندعو جميع اليهود الى تهديد السلطات وأن نرفع من معنويات الـ Yishuv « الجالية اليهودية في فلسطين » . اذا كنت توافق على ذلك فاطلب من Zeeve Shrif تزويدك بمادة احصائية حول امكانية الاستيعاب ABsorptive Capacity واذا لم توافق أخبره ان هذه المادة ليست لازمة بعد . كما اقترح تدبير حادث خطير واحد ، ومن ثم القيام بنشر تصريح يهدد بالمزيد من الحوادث الخطيرة التي تهدد سلامة المصالح البريطانية في البلاد ... اذا ماتصرفت الحكومة على نحو عـــدائي . ابرق بوجهات نظرك الى المرجع السابق مشيراً الى الجانب الاحصائي من الهجرة خلال سنوات الحرب . لقد عبرت عصبة الشتيرن عن رغبتها في الانضمام الينا كلياً على اساس برنامج نشاطنا . وتبدو في هذه المرة عازمة على تحقيق ذلك جدياً . واذا ماحدث مثل هذا الاتحاد فان بامكاننا الاعتقاد بأن بامكاننا منع حدوث عمل بدائي تقوم به الـ I. Z. L. . أبرق بوجهات

نظرك حول مسألة الاتحاد مشيراً الى الجانب الاحصائي المتعلق بتجنيد اليهود في الجيش . » التوقيع Sneh .

ملاحظة : Sneh عضو الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية . الـ (I.Z.L.) هي الإرغن زفاي لومي .

ويتبع هذه البرقية عدد من البرقيات التي تثبت ان الهيئة التنفيذية للوكالة اليهودية قد وافقت على تنفيذ ماجاء في هذه البرقية .. ننشر إحداها فيما يلي .. مع الرد عليها :

البرقية رقم (٢) : مرسلة الى لندن من « برنارد جوزيف » في القدس « ١٠ تشرين اول ١٩٤٥ ».

« يقول اليعازر كابلان اعتماداً على ماقاله «حاييم» بواسطة NWBW ان علينا ألا نأخذ على عاتقنا أي شيء قبل أن توعز الينا بالتنفيذ . وهو يعارض القيام بأي عمل جاء من جانبنا حتى تصلنا اشارة منك. ومع ذلك فان الاعضاء الآخرين يرون ان من الضروري دعم مسعاك السياسي بنشاطات لاتسبب نزاعاً شاملاً . كما ان من الضروري ان نعلم في الحال ماإذا كانت مثل هذه الاعمال مفيدة أم انهـا معوقة لنضالكم . اذا كنت تعارض القيام بعمل ما ، ابرق الينا بضرورة انتظار وصول Wisly . اذا كنت توافق على القيام بأعمـــال متفرقة ، أبرق بموافقتك على إرسال A Deputation Tothe Dominions . اذا ماأراد حـاييم أن نتجنب نشوب نزاع شامل فقط ، وليس تجنب حوادث مفردة فليرسل تهانيه الى Chill بمناسبة ميلاد ابنته . »

ملاحظة : برنارد جوزيف مستشار قانوني للوكالة اليهودية وعضو في

هيئتها التنفيذية ، وهو يشغل منصب رئيس القسم السياسي فيها خلال غياب « شرتوك » . ـ

« اليعازر كابلان » . رئيس القسم المالي في الوكالة اليهودية وعضو في هيئتها التنفيذية .

البرقية رقم (٣) : مرسلة من موشي شرتوك (استبدل بـ شاريت) بلندن الى برنارد جوزيف في القدس (١٢ تشرين اول ١٩٤٥) .

«لن يغادر دافيد قبل اسبوعين بينا يحتمل أن يعاود زيارة باريس مرة أخرى.

Rugarding DOKIN written. David himself favoured delegate dominions. Please congratulate Chill on birth of daughter.

التوقيع : شرتوك

ملاحظة : (١) « موشي شرتوك » هو رئيس القسم السياسي للوكالة اليهودية ، وعضو في هيئتها التنفيذية .

(٢) في البرقية رقم (٢) إشارة الى ان عبارة Delegate Dominions و Greetings to chill قد عني بها انه من المرغوب فيه القيام بأعمال مفردة في الوقت الذي يتجنب فيه النزاع الشامل .

٢ ـ شن هجمات على محطة رادار حيفا، ومعسكرات قوة فلسطين والمطارات « بين العشرين والخامس والعشرين من عام ١٩٤٦ »

ملاحظة : في العشرين من شباط (١٩٤٦) قامت عصابة (البالماك) بمهاجمة محطة دار حيفا ونسفها، وبالتالي إصابة اثنين من العاملين فيها بجروح خطيرة، بالاضافة الى التسبب باصابة ستة آخرين بجروح طفيفة .

وبعد مضي يومين شنت «عصابة» البالماش هجمات مماثلة على معسكرات قوة فلسطين الجوالة في كل من شفا عمرو و كفر فتكين Kfar Vitkin وسعرونا Sarona فسببت حدوث خسائر فادحة في شفا عمرو بالاضافة إلى إصابة أحد ضباط الشرطة بجروح في الرأس، وإصابة طفل وثلاث نساء بريطانيات.

وفي الخامس والعشرين من شباط أتبعت عصابة (الارغن زفاي لومي) و «الشتيرن» بهجمات على مطارات اللد وبتاح تكفـــاح Petah tikvah وكواستينا Qustina ودمرت سبع طائرات وأعطبت ثماني طائرات أخرى.

هذه الحوادث تبدو وكأنها بمثابة انذار ثان باعتبـار ان الانذار الاول الموجه بتاريخ الحادي والثلاثين من تشرين الاول ومطلع تشرين الثاني (١٩٤٥) قد صرف النظر عنه. وقد وصفت هذه الحوادث مفصلا في إذاعـــة «كول اسرائيل» بتاريخ الثالث من آذار (١٩٤٦) وقوبلت بالكثير من الاجلال والتمجيد.

(٣) شن هجمات على الجسور وورشات سكة الحديد واختطاف الضباط البريطانيين (من ١٦ - ١٨ حزيران ١٩٤٦)

ملاحظـة : في مساء السادس عشر من حزيران (١٩٤٦) شنت عصابة الهاغانا هجمات على الجسور وسكة الحديد على حدود فلسطين مسببة خسائر تقدر بـ ربع مليون جنيه استرليني.

. . .

وفي المساء التالي شنت عصبة «الشتيرن» هجوماً على ورشات سكة الحديد في حيفا. وفي الثامن عشـــر من حزيران (١٩٤٦) تم اختطاف خمسة ضباط بريطانيين بينما كانوا يتناولون طعام الغداء في ناد للضباط بتل أبيب. كما اختطف ضابط بريطاني سادس في شارع رئيسي بالقدس.

وفي الثاني عشر من أيار (١٩٤٦) اذاعت محطة « كول اسرائيل » التحذير التالي :

« إن حركة المقاومة اليهودية ترى ان من المرغوب فيه ان ينشر التحذير الذي تعتزم أن تضعه أمام حكومة صاحب الجلالة . إن السياسة البريطانية الراهنة تقوم بمناورة خطرة تعتمد على وهم خاطىء : ان بريطانيا باهمالها شـأن سورية ولبنان ومصر تعتزم التركيز على قواعدها العسكرية في فلسطين ، وعلى ذلك فهي مهتمة بتثبيت أركان الانتداب وجعل مسؤوليتها تجاه الشعب اليهودي وسيلة لتحقيق هذه الغاية غير أن هذه اللعبة المزدوجة لن تنجح . فبريطانيا لاتستطيع الامساك بطرفي الحبل : إنها لن تستطيع تسخير المشكلة اليهودية الفاجعة لمصلحتها الخاصة كسلطة منتدبة ، في الوقت الذي تحاول فيه التملص من المسؤوليات المختلفة التي يفرضها الانتداب : ان وجهة النظر الصهيونية ترى ان النتائج المتدلة التي توصلت إليها البعثة لاعلاقة لها بالمطالب السياسية للشعب اليهودي او حتى بالنسبة لما توصلت اليه البعثة إجمالا من مقترحات ، تبدي الحكومة البريطانية ترددا مشيناً ومخيباً للآمال في الوقت نفسه . وعلى ذلك فاننا نتذر حكومة صاحب الجلالة علانية انها إذا لم تلتزم بمسؤولياتها كدولة منتدبة ، فان الشعب اليهودي سيجد نفسه مضطراً إلى إثارة مسألة انسحاب بريطانيا من فلسطين أمام أنظار العـالم . كما ان حركة المقاومة اليهودية سوف تبذل كل مسعى ممكن لعرقلة انتقال القواعد البريطانية إلى فلسطين وبالتالي عدم تأسيس هذه القواعد في البلاد » . (*)

• • •

كل هذه الفظائع التي اقترفتها عصابات (الهاغانا) و(الارغن زفاي لومي) و (الشتيرن) التي تمولها الوكالة اليهودية في فلسطين والتي أدت إلى ترحيل عرب

(*) ان هذا البيان يدل على روح المؤامرة البارعة التي كانت تحيكها الصهيونية والدوائر البريطانية العليا .

فلسطين عن ديارهم قد رسم مقابلها مخطط دعائي واسع المدى استهدف تغطيتها عن طريق الترويج لما يلي :

١ — ان عرب فلسطين قد غادروا ديارهم بمحض اختيارهم .

٢ — انهم قد شجعوا من قبل زعمائهم على الرحيل .

٣ — ان رحيلهم كان نتيجة من نتائج الحرب بين الدول العربية وأسرائيل.

ولم تقتصر هذه الحملة الدعائية على تغطية جرائم العصابات الصهيونية في فلسطين وإنما تعدتها الى اعتبار هذه النقاط ذريعة تستهدف عدم تنفيذ قرار الامم المتحدة القاضي بعودة عرب فلسطين إلى ديارهم . ولكن هل رحل عرب فلسطين عن ديارهم بمحض اختيارهم حقاً ؟

يقول المؤرخ الكبير « أرنولد توينبي » في كتابه « دراسة في التاريخ »: « إن الاعمال الشريرة التي اقترفها اليهود الصهاينة ضد عرب فلسطين والتي يمكن مقارنتها بالجرائم التي اقترفت من قبل النازيين ضد اليهود ، تتمثل في مذبحة دير ياسين التي ذهبت ضحيتها اعداد من الرجال والنساء والاطفال في التاسع من نيسان (١٩٤٨) .. تلك المذبحة التي أدت إلى فرار السكان العرب بأعداد كبيرة امام القوات اليهودية وما تبع ذلك من طرد اجباري للسكان العرب من المناطق التي احتلتها القوات اليهودية مابين الخامس عشر من أيار (١٩٤٨) ونهاية ذلك العام ».

«..من ميناء عكا في آذار ، ومن اللد والرملة في تموز ، ومن بئر السبع ومن الجليل العربي في تشرين الأول ... إن الدم العربي الذي سفك في دير ياسين في التاسع من نيسان (١٩٤٨) هو جريمة عصابة (الإرغن) .. أما عمليات إجلاء

السكان العرب بعد الخامس عشر من أيار (١٩٤٨) فانها جريمة اسرائيل بأكملها.

ويمضي المؤرخ توينبي قائلاً :

« ولقد كان لليهود عذر أقل، في اجلائهم عرب فلسطين عن ديارهم ، من عذر نبوخذ نصر وتيتوس Titus وهدريان Hadrian ومحاكم التفتيش في اسبانيا والبرتغال . فقد عرف اليهود في عام (١٩٤٨) بعد الميلاد ، عرفوا من تجربتهم الشخصية ما الذي كانوا يفعلون . وان قمة المأساة تتمثل في ان الدرس الذي تعلموه في صراعهم مع النازيين قد نسوه ... لا بل لقد قاموا بمحاكاة بعض الأعمال الشريرة التي اقترفها النازيون ضدهم .. »

وفي مناظرة شهيرة جرت بينه وبين السفير الاسرائيلي في كندا عام ٩٦١ قال « توينبي » :

« لقد زرت مخيمات اللاجئين في قطاع غزة ، وسمعت الأناشيد التي ينشدها الاطفال في المدارس ، إذا ما أردتم ان تروا ما معنى أن يكون الانسان يهودياً ثلاثين أو أربعين عاماً بعد نفي نبوخذ نصر لليهود .. فاذهبوا إلى قطاع غزة ، إن العرب هناك ينشدون الأناشيد نفسها التي كان اليهود يتحسسون بها : هذه بلادنا ونريد أن نعود اليها . »

وفي شهادة أخرى يروي (جون غلوب) الحكاية التالية في كتابه « جندي مع العرب » :

« في كانون الأول (١٩٣٧) كان أحد الضباط البريطانيين في الفيلق العربي يقوم بزيارة قائد منطقة بريطاني في فلسطين حيث كان أحد الضباط اليهود العاملين تحت إمرة القائد حاضراً أيضاً ، وكانوا يتناولون بعض الشراب في المساء

بعد أن نشر مشروع الأمم المتحدة القاضي بالتقسيم ، سأل الضابط البريطاني ضابط المنطقة اليهودي عما إذا كانت الدولة اليهودية الجديدة ستلاقي متاعب داخلية على ضوء الحقيقة القائلة ان سكان الدولة اليهودية من العرب سيكونون متساوين في العدد مع السكان اليهود ، فرد الضابط اليهودي قائلاً :

أوه .. كلا .. هذا الأمر سيسوى .. بضع مذابح مدبرة ونتخلص منهم ..

لم يكن المتكلم ارهابياً وإنما كان موظفاً يهودياً معتدلاً .. موظفاً محترماً في حكومة الانتداب . »

وكتب « جون كيمش » John Kimche في كتابه سبعة أعمدة منهارة Seven Fallen Pillars ما يلي :

« غير ان اليهود كانوا يتبعون تكتيكاً آخر كان له تأثـــير أعظم على السكان العرب في فلسطين : جماعات صغيرة من البالماك .. عشرة أو خمسة عشر مسلحاً زحفون في الليل صوب القرى العربية .. ينسفون منزلاً يسكنه قومي عربي نشيط او متطوع عربي ، أو يقومون بمصادرة السلاح أو ملء جدران بعض القرى الأخرى بعبارات التحذير ، ولم يلبث تأثير هذه الزيارات الليلية ان أدى إلى بث الرعب وبالتالي إخلاء المناطق المتاخمة للمناطق اليهودية ، فقد بدأ العرب يشعرون بالخطر ، واخذ فرارهم من المناطق الساحلية يأخـــذ طابعاً شاملاً . » ويصف « كيمش » مذبحة دير ياسين :

« في يوم الجمعة التاسع من نيسان (١٩٤٨) قامت قوة فدائية مؤلفة من جنود من الارغن والشتيرن بغارة على (دير ياسين) . ولم تكن ثمة مناسبة

واضحة لاقتراف مثل هذا العمل . وما حدث بعد ذلك كان مادة لروايات متضاربة وتفسيرات واعذار من قبل الارهابيين . ولكن لم يكن فيما قالوه او يستطيعون قوله ما يبرر مقتل حوالي (٢٥٠) من العرب الأبرياء بينهم ما يزيد على مائة امرأة وطفل . ولم يكن أقل مدعاة للقرف ما قامت به عصابة الارغن من عرض عدد من السجناء العرب المساكين في شوارع القدس » .

« إن مذبحة دير ياسين لطخة سوداء في السجل اليهودي خلال جميع فترات القتال . انها هامة تاريخياً لأنها اصبحت بداية لأسطورة أخرى اراد بها الارهابيون ان يبرروا ما اقترفوه . وكما زعموا ان قرار بريطانيا بالرحيل عن فلسطين كان نتيجة لهجمات الارهابيين على القوات البريطانية (*) ، فقد برروا مذبحة دير ياسين فيما بعد بأنهـــا قد أدت الى فزع وفرار بقية السكان العرب في الدولة اليهودية ، وبالتالي قللت من خسائر اليهود » .

ويقول فوهرلر « الارغن » مناحيم بيغن .. « العصابة التي قامت بمذبحة (دير ياسين) وفندق (الملك داوود) واغتيال الكونت برنادوت .. ومئات آخرين » في كتابه « قصة ثورة الارغن » :

« وفي بقية انحاء البلاد أيضاً ، بدأ العرب يفرون رعباً حتى قبل أن يصطدموا بالقوات اليهودية ، وزحفت جميع القوى اليهودية عبر حيفا كما تخترق السكين قطعة الزبد . وأخذ العرب يفرون صارخين : « دير ياسين » بفزع » .

وفي الوقت الذي يفتخر به الارهابي بيغن بمآثر عصابته ، لايخبرنا بأنهـا ذبحت نساء واطفال « دير ياسين » وانهـــا بقرت بطون الحوامل ومثلت

(*) تآمرت بريطانيا مع الصهيونية في الوقت المناسب ، للرحيل عن فلسطين . وعندما رحلت لم تعترف لها اسرائيل بفضل . فاستحقت ثمن الجريمة .

بالاطفال الصغار أمام أعين أمهاتهم ، ثم سهلت للبعض سبل الفرار – عن عمد – حتى ينشر الخبر المفزع في الأرجاء !!

كل هذا حدث قبل الخامس عشر من (١٩٤٨) في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا ما تزال مسؤولة عن أمن البلد الذي يفترض انها قد انتدبت وصية عليه من قبل الأمم المتحدة ، وفي الوقت الذي كان فيه الجنود البريطانيون على بعد أقل من ميل من مسرح المذبحة .. دون أن يحركوا ساكناً .

كتب اللورد مونتغمري القائد العام للقوات الامبراطورية سابقاً .. في مذكراته :

« إنني اتحدى السياسة الحالية في فلسطين من زاوية الاستخدام الفعال للجيش . ! مائة ألف رجل يعانون من الخسائر بمعدل رجلين في اليوم وسطياً .. دون ان يسمح لهم باتخاذ الاجراءات اللازمة ضد مهاجميهم ، لقد أسيء استخدام الجيش ، واستنفد قسم كبير منه في أغراض دفاعية بحتة ، في وقت لم يكن مجدي فيه غير الهجوم على الارهاب والارهابيين .. ولم يكن يسمح بذلك .. الواقع اننا تركنا زمام المبادهة لهم .. » .

ولكن هل اقتصر الأمر على ترك زمام المبادهة ؟

في كتاب « سبعة اعمدة منهارة » كتب المؤلف يصف السوق العربي في حيفا عشية انسحاب القوات البريطانية من حيفا ، دون إخطار العرب بذلك ، قائلاً :

« كانت تلك .. المناسبة الاولى والوحيدة خلال الاضطرابات في فلسطين التي عمل فيها الجنود اليهود والبريطانيون في انسجام تام . وكان العرب قد غادروا المكان بفزع كبير ... ولم ألبث حينما خطوت بضع خطوات في السوق ان رأيت الفوضى

التي تركوا فيها بيوتهم دون أن يحمل معظمهم بأخذ المجوهرات والقطع الثمينة التي كان باستطاعتهم حملها بأيديهم . »

ماذا يعني « الانسجام التام بين الطرفين » غير اتفاق غادر بين المهاجمين والمدافعين ضد العرب العزل من السلاح في حيفا ؟..

وماذا عن الأمر في «يافا» ؟ كيف دخل الارهابيون (يافا) بعد انسحاب القوات البريطانية واعلانها مدينة مفتوحة ؟

لنعد مرة أخرى الى كتاب جون كيمش :

« بدأ القصف الكبير بمدافع المورتر من عيار (٣) إنشات .. كان الارغن قد استولوا عليها قبل اسابيع عندما أغاروا على معسكر بريطاني حيث قتلوا ضابطاً وأربعة جنود . وأثار هذا القصف الرعب في قلوب سكان « يافا » العرب ، فأخذ العشرون الفاً الباقون منهم يفرون براً وبحراً ...

وامتدت نشاطات الأرغن الى حقل آخر . فللمرة الاولى في الحرب غير المعلنة شرعت القوة اليهودية بالنهب والسلب الجماعي : في البداية ، قام الشبان من « الارغن » بنهب الفساتين والبلوزات .. من أجل صديقاتهم . غير أن هذا التمييز سرعان ما انتهى .. فقد سرق من « يافا » كل ما أمكن حمله : الأثاث ، السجاد ، الصور ، أواني المطبخ ، المجوهرات ، والصحون والأكواب والفناجين ..الخ...

وهكذا جردت المناطق المحتلة من حيفا من كل شيء : ثم أطلت الروح الحربية برأسها البغيض ؛ فما لم يمكن أخذه حطم شر تحطيم : النوافذ وأجهزة البيانو والمصابيح .. الخ .. »

• • •

هذه الكوارث حدثت قبل أن تدخل الجيوش العربية فلسطين . ولم تكن القوات البريطانية لتسمح لهـــا بدخول فلسطين قبل أن تمكن العصابات الصهيونية من الاستيلاء على المزيد من المدن والقرى والقاء الرعب في قلوب السكان العزل من السلاح . وكما يقول « جون كيمش » « فقد أصبح من عادة الاسرائيليين وأنصار الصهيونية الاعتقاد بأنه لم يكن ثمة غير الكراهية الشريرة وراء قرار العرب بمحاربة اسرائيل ، وبأن قرار العرب بمحاربة اسرائيل وتبريرهم لهذا القرار بأنهم جاؤوا لانقاذ أشقائهم من هجمات الارهابيين إنما هو مجرد ذريعة واهية . إن من الواجب التأكيد على انه كان ثمة اهتمام عربي جاد جداً بمصير عرب فلسطين . وقد وصل هذا الاهتمام ذروته حينما أصبح الارهابيون العصب الحساس للقوات اليهودية المسلحة » .

ولكن دخول الجيوش العربية بعد الخامس عشر من أيار (١٩٤٨) لنجدة الأشقاء كان متأخراً جداً .!!

الجبهة اليهودية الموحدة

دراسة في التنظيم الصهيوني وأساليبه وفضائحه

للدكتور جورج طعمة

ليس هذا البحث في التنظيم الصهيوني أكثر من محاولة لاظهار أبعاده . ذلك أن دراسة المنظمات الصهيونية على اختلاف الوانها واعدادها وأسمائها ، وهي تعدو المئات ، ودراسة الستراتيجية الصهيونية خلال هذه المنظمات وبواسطتها ، وتتبع أساليبها المعقدة يمكن أن يتسع لها لامجلد واحد بل مجلدات . ويمكن أن ينكب عليها لاعالم أوباحث واحد بل عدة علماء وباحثين بكامل جهدهم ووقتهم . فاسرائيل بعد كل شيء ، لم تأت الى الوجود ،

ولم يستمر وجودها الذي يتحدى كل قانون ونظام ، لو لم يكن وراءها هذا التنظيم الصهيوني الدقيق . وإسرائيل كانت وستظل تعبيراً جزئياً عن هذا التنظيم . فالتشديد إذن على صفة **المحاولة** ضروري قدر ما هو وصف واقعي تفرضه حدود هذا البحث .

جمعت الجباية اليهودية الموحدة ابتداء من عام ١٩٣٩ حتى نهاية هذه السنة ، باسم فلسطين أولاً ، ثم باسم اسرائيل بعد قيامها ، مليار أو ستمائة مليون دولار . وباعت منظمة اسهم سندات القرض الاسرائيلية ابتداء من سنة ١٩٥١ حتى اليوم حوالي سبعمائة مليون دولار . هذا اذا لم نذكر التعويضات الالمانية المصرح عنها والتي بلغت ٨٥٠ مليون دولار ، وما يرد من أوروبا الغربية وأميركا اللاتينية . فاذا اخذنا بعين الاعتبار أن مساعدات أميركا السنوية — خلال السنوات العشر الأخيرة — لقارة شبه الهندية تبلغ اربعة مليارات دولار وسكانها ٥٠٠ مليون ، وان مليارين أعطيا لاسرائيل في الحقبة ذاتها وعدد سكانها مليونان ، لنتج معنا أن الفرد الهندي تلقى ثمانية دولارات وأن الفرد الاسرائيلي تلقى الف دولار . وهذه النسبة تعطينا فكرة تقريبية عن دقة هذا التنظيم الصهيوني والفوائد التي تلحق اسرائيل من جرائه ، وانه يكون بالفعل شرايين الحياة ودماءها بالنسبة اليها . علماً بأن مساعدات الحكومة الأميركية من قروض وهبات ومساعدات من جميع الأنواع بما في ذلك العسكرية لاتدخل في حساب هذه النسبة .

كيف يتم جمع هذه الاموال الضخمة ؟ ماهي الأجهزة التي تقوم به ؟ وما هي السبل التي تنفق هذه الأموال فيها ؟

أجهزة الجباية وفروعها

١ — الاتحادات اليهودية ، صناديق الانعاش ، والمجالس الطائفية : Jewish Federations ' Welfare Funds and Community Councils . لهذه المنظمات فروع في جميع الولايات الاميركية ومدنها حيث توجد طوائف يهودية وعددها ٢٣٥ في أميركا و١٣ في كندا . تنضوي جميعها تحت مجلس مركزي واحد يدعى «مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الانعاش» ، Councils of Jfwf ويشار اليه بـ Cjfwf ويقوم هذا المجلس المركزي بتنسيق جهودها وتبادل المشورات وتوجيهها . وتضم بمجموعها ٩٥٪ من يهود أميركا و ٩٠٪ من يهود كندا . ومع اختلاف اسمائها من ولاية لولاية — كالاتحاد أو صندوق الانعاش أو المجلس الطائفي — لكنها كلها تقوم بالأعمال التالية (أ) جمع الأموال للمشاريع الاقليمية

أو القارة الاميركية أو لمساعدة اليهود في ماوراء البحار (ب) تخصيص هذه الأموال وتوزيعها من أجل تحقيق الأهداف المشار اليها . (ج) تنسيق تنفيذ المشاريع الموضعية (في كل ولاية) والتخطيط المركزي لهـا وتمتين الروابط بين الطوائف اليهودية في مختلف الولايات ، والسهر على تقوية الثقافة والتعليم اليهوديين ، وتجنب الازدواج في العمل وسد الفجوات التي تظهر فيه .

ان ٩٠٪ من الاموال التي تجمعها « الجباية اليهودية الموحدة » تأتي عن طريق هذه الاتحادات وصناديق الانعاش والمجالس الطائفية التي يعود تأسيسها الى بدء الهجرة اليهودية الى أميركا كما يعود تنسيقها وتنظيمها وربطها في جهـاز مركزي واحد الى اشتداد الحركة والتنظيم الصهيونيين .

٢ – الجباية اليهودية الموحدة : United Jewish Apped inc . Uja

أسست عام ١٩٣٩ ومركزها نيويورك وهي المنظمة الرئيسية التي تغذى بالأموال التي تجمعها على الشكل المتقدم المنظمات الصهيونية التالية :

٣ – الجباية الموحدة لفلسطين : United Palestine Appeal . Upa

أسست عام ١٩٢٧ وتغير اسمها عام ١٩٥٣ الى الجباية الموحدة لاسرائيل ومركزها نيويورك . عملها الأساسي منـذ تأسيسها وحتى اليوم تقوية الهجرة اليهودية لفلسطين وتنفيـذ مشاريع الاسكان فيها . وتنشر مجلة اسمها « صور الواقع في اسرائيل » وتتضمن برنامجا توجيهيا وتفسيريا عن الهجرة اليهودية لاسرائيل ومشاريع الاسكان فيها .

٤ – الصندوق التأسيسي لفلسطين : Palestine Foundation Fund : keren hayesod

تأسس في انكلترا أولا عام ١٩٢٢ ثم انتقل مركزه لنيويورك مع بقاء المنظمة الأنكليزية . وهدفه شراء الأراضي في فلسطين وتثبيتها وغزو الصحراء لصالح اسرائيل . وشبيه بهذه المنظمة الصندوق اليهودي القومي Jewish National Fund Inc - Keren Kayeneth Le - Israel الذي تأسس للغاية ذاتها في نيويورك عام ١٩١٠ .

٥ – الوكالة اليهودية لاسرائيل : Jewish Agnecy for Israel

ولها مركزان أحدهما في القدس (الفرع الاميركي التنفيذي للوكالة والثاني في نيويورك) .

تأسست عام ١٩٢٢ وهي اسم آخر للمنظمة الصهيونية العالمية أو هي يدها العاملة . وهي ما نصت عليه المادة ٤ من صك الانتداب على فلسطين الذي وافقت عليه عصبة الامم في تموز ١٩٢٢ كما يلي : « تقوم **وكالة يهودية** يعترف بها كهيأة عامة من أجل اسداء المشورة لحكومة فلسطين في المشاكل الاقتصادية والاجتماعية التي قد تؤثر على انشاء الوطن القومي . ويعترف بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها هذه الوكالة . وتتخذ بالتشاور مع حكومة صاحب الجلالة الخطوات اللازمة من أجل ضمان تعاون **جميع اليهود** الراغبين في تأسيس الوطن القومي اليهودي » .

إن لتبديل اسم المنظمة الصهيونية العالمية للوكالة اليهودية قصة طويلة رواها وايزمن في فصل خاص من كتاب مذكراته « التجربة والخطأ » . ومردها أن قسماً لا يستهان به من يهود العالم — خاصة في اوروبا الغربية وأميركا — لم يكونوا راغبين بالانضواء تحت لواء الصهيونية وانشاء دولة يهودية في فلسطين مع أنهم كانوا يرغبون في مساعدة انشاء وطن قومي كمركز روحي وثقافي لليهود فيها . ولم يكن تغيير اسم المنظمة الصهيونية الى الوكالة اليهودية وتوسيعها عام ١٩٢٩ الا ارضاء لهؤلاء وحيلة لكسب تأييدهم وقد افلحت الصهيونية بذلك . على أن الاسهاب في بحث هذه الناحية بالذات يخرج عن نطاق هذه الدراسة .

ظلت الوكالة اليهودية حكومة داخل حكومة الانتداب الى أن قامت دولة اسرائيل فاعترفت بها كمنظمة داخل دولة اسرائيل لتعمل من أجل استيعاب المهاجرين وتوطينهم ، ومن أجل تنسيق وربط مختلف المنظمات اليهودية العاملة **ضمن** اسرائيل **وخارجها** للغايات ذاتها . وتشرف على برنامج ثقافي في نشر التعليم العبري بين اليهود على مستوى عالمي ، والدعاية لاسرائيل واعطاء معلومات عنها ، وتشجع النشر وتوزع كتباً ونشرات دورية عن اسرائيل والتنمية فيها والتاريخ الصهيوني واليهودي . كما تشرف على برنامج اذاعي في اميركا اللاتينية تحت عنوان « Panorama de Israel » « آفاق اسرائيل » وتوزع في دول اميركا اللاتينية نشرة اسبوعية عنوانها : « Israel y America Latina » « اسرائيل واميركا اللاتينية » ، وفي أميركا الشمالية « Israel Digest » « مختصر أنباء اسرائيل » مجاناً .

أعيد تنظيم الوكالة اليهودية لاسرائيل في اميركا عام ١٩٦٠ وأصبح اسمها « الوكالة اليهودية لاسرائيل — فرع نيويورك » وحددت مهامها كما يلي : تحديد حصة الوكالة اليهودية من أموال الجباية اليهودية الموحدة من أجل انقاذ اليهود وتوطينهم في اسرائيل وتنفيذ برامج الاسكان .

أما لماذا أعيد تنظيم الوكالة في اميركا على هذا الشكل وما معناه وما هي العوامل التي أدت اليه ، فهذا ماسنجيب عليه في موضع لاحق من هذا البحث.

٦ — لجنة التوزيع المشتركة : J D C . Joint Distribution Committee

تأسست عام ١٩١٤ ومركزها نيويورك . تنظم برامج طبية وبرامج انعاش وتوطين في اسرائيل وتشرف مباشرة على تنفيذها كما توزع مخصصات لليهود المعوزين وراء البحار .

تنشر تقارير سنوية وبيانات احصائية عن أعمالها Annual report , Statistical Abstract

٧ — الاتحاد الأميركي لمنظمات الاسكان بواسطة التدريب O R T(١) American Federation inc .

تأسست عام ١٩٢٤ ومركزها نيويورك، تدرب اليهود — رجالاً ونساء — في التكنيك والزراعة تهيئة لارسالهم لاسرائيل . وتشرف على مدارس مهنية لهذه الغاية في جميع انحاء العالم لها كتاب سنوي ونشرة دورية ORT Bulletin and ORT Year Book ويضم هذا الاتحاد المنظمات الخمس الفرعية التالية :

١ — أصدقاء الاتحاد الاميركيين والاوروبيين American and European Friends of ORT : تأسس عام ١٩٤١ ويتخصص في نشر أفكار الاتحاد ومبادئه بين الاميركيين اليهود المتحدرين من أصل اوربي ، ويدعم مدرسة « ليتون Litton » للصناعة في القدس Auto - Mechanics School in Jerusalem .

ب — اتحاد العمال American Labor O . R . T . تأسس عام ١٩٣٧ ، ويتخصص بالعمل بين أوساط العمال اليهود خاصة في المنظمتين الاميركيتين الرئيسيتين في اميركا : اتحاد العمال الاميركيين F L O وكونغرس المنظمات الصناعية C I O .

ج — اتحاد رجال الاعمال والمهن Business and Professional OR T : تأسس عام ١٩٣٧ للعمل بين طبقة رجال الاعمال والمهن الحرة ، وينشر كتاباً سنوياً .

د — مجلس الاتحاد الوطني National ORT League : تأسس عام ١٩٤١ لتجهيز المدارس التكنيكية والصناعية والمهنية بالمعدات اللازمة لها وخاصة في اسرائيل .

هـ — اتحاد النساء الاميركيات Women's American ORT .

(١) Organization for Rehabilition Through Training .

تأسس عام ١٩٢٧ للعمل بين النساء ونشر مبادىء الاتحاد وفلسفته خاصة بين الطبقات العاملة منهن ويصدر نشرتين: « اضواء » Highlights و « اخبار الاتحاد النسائي » American ORT News, Women

٨ — مؤسسة الخدمات الموحدة : Unitied Hais Service Inc

تأسست عام ١٩٥٤ ومركزها نيويورك . منظمة تعمل على مستوى عالمي ولها فروع في أميركا الشمالية وجميع دول أميركا اللاتينية وافريقيا الشمالية وكندا واستراليا وهونغ كونغ واسرائيل . تساعد اليهود المهاجرين في المراحل السابقة للهجرة، كتحضير الوثائق للحصول على جوازات السفر والتأشيرات والتدخل لدى الهيئات القنصلية حيثما اقتضى الأمر ونقلهم واستقبالهم وانزالهم في الفنادق والتدريب للمؤالفة مع المحيط الجديد الذي ينتقلون اليه وجمع العائلات المتفرقة واتخاذ الاجراءات من أجل تمكينهم من الحصول على الجنسية — خاصة في اميركا — ولها برامج خاصة لتوطين اليهود في اميركا اللاتينية واستخدامهم لصالح اسرائيل . وتتخصص في تقصي احوال اليهود الذين لهم أقرباء في أميركا وتسهل ارسال الأموال للمعوزين اليهود في اسرائيل من اقربائهم حيثما كانوا . تنشر « أخبار العناية باللاجئين » Notes on immigrants care و « النشرة أخبارية خاصة » Special information bullitin و « احصاءات دورية كل ثلاثة أشهر Staticol abstract quarterly » (1) . ونلخص ما تقدم بالبيان التالي :

البيان رقم (١)

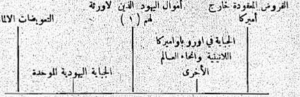


---

(١) راجع من احل المنظمات الصهيونية « الكتاب اليهودي السنوي » American jewish year book نيويورك ١٩٦٣ ص ٤٩٩ — ٥٣٥ .

لكن البيان المتقدم يعطي صورة جزئية فقط عن موارد الوكالة اليهودية في اسرائيل يقتصر على المسرح الأميركي . لكننا اذا انطلقنا الآن من الوكالة كقاعدة مركزية تنتهي الاموال المجبية اليها وأخذنا نشاطها على المسرح العالمي لحصلت لدينا صورة أوسع يوضحها البيان التالي :

البيان رقم (٢)



الوكالة اليهودية في اسرائيل

كيف تنفق الاموال الضخمة التي جمعت في اميركا بعد أن تدخل الجباية اليهودية الموحدة ثم تحول لفرع الوكالة اليهودية الاميركي المسجل لدى وزارة العدل الاميركية كوكالة لحكومة اجنبية (أو يفترض شكلا على الاقل أنها اجنبية بموجب مقتضيات القانون الاميركي) هي اسرائيل ؟

جاء في تقرير نشره المجلس اليهودي الأميركي صيف عام ١٩٦٠ ما يلي :

« لقد كان من المستحيل الاجابة على هذا السؤال بدقة خلال السنوات العشر الماضية حتى ولو جمعنا الارقام بصورة اجمالية وفي أقرب حدود ممكنة للملايين » ان مئات الملايين التي جمعت في اميركا — على أساس انها معفية من الضرائب لأنها تجبى لأهـداف انسانية ومشاريع خيرية وتربوية وثقافية ومساعدة اللاجئين وهو الاساس الوحيد لاعفائها من الضرائب اذا انفقت في هذه السبل — اما أنها انفقت في اميركا بالذات وخارج اسرائيل أو ضمن اسرائيل بالذات . » (٢) لغير الأهداف التي جمعت من أجلها . ولو عدنا مرة أخرى لنقتصر على المسرح الأميركي فقد ثبت — من المصادر الصهيونية وباعترافها — ان الوكالة اليهودية لاسرائيل (الفرع الأميركي) ينفق قسما كبيراً من الاموال على أوجه متداخلة متشابكة نوجزها بالبيان التالي :

---

(١) تقوم بهذه المهمة منظمة خاصة تدعى Jewish Restitution Successor Organization مركزها نيويورك ولها فروع في القارات الأربع ووظيفتها أن تكتشف مخلفات اليهود الذين لاورثة لهم او الذين اختفى ورثتهم ، وان تطالب بها أو بأية اموال منقولة او غير منقولة تعود ملكيتها لليهود بالأصل وأن تستعمل هذه الموارد من أجل اعادة توطين اليهود في فلسطين .

(٢) اعادة تنظيم الجباية اليهودية الموحدة — The U J A Funds Reorganization by Lessing J. Rosen Wald نيويورك ١٩٦٠ صفحة ١

البيان رقم (٣)

الوكالة اليهودية لاسرائيل - الفرع الأميركي
وظائفهـــا وخدماتها

أقسام الوكالة اليهودية التابعة للفرع الأميركي	برامج مشتركة مع فئات أخرى	مساعدات مالية لمنظمات أخرى	خدمات لفئات أخرى وللطائفة اليهودية	أعمال مالية استثمار الاموال وعقـد القروض ودفع الاقساط بناء على تعليمات صادرة عن الوكالة اليهودية في القدس .
رعاية الشباب	أفلام عن اسرائيل بالاشتراك مع جباية اسرائيل الموحدة	المجلس الصهيوني الاميركي لبرامج عن التربية والمعلومات الصهيونية	المكتبة والوثائق الصهيونية	
الهجرة أو مساعدة الأفراد الراغبين بالعمل في اسرائيل والحياة فيها .	تسجيلات اذاعية وتلفزيونية بالاشتراك مع مكتب المعلومات الاسرائيلي	وكالة التلغراف اليهودية لدى وكالات الأنباء بمعلومات تهم اليهودية العالمية ونقل أخبار اسرائيل	توزيع المنشورات الصهيونية	
المنشورات	طلاب اسرائيل في أميركا ومساعدتهم ماليا	المنظمات الصهيونية ومنها صندوق فلسطين « الكيرين هايسود » من أجل الدعاية في اميركا لجمع المزيد من الاموال المؤسسات الثقافة العبرية	لجنة مراقبة حملات الجباية والسماح بها .	
الصحافة		الابحاث والمساعدات للكونغرس اليهودي الأميركي ومجلة شؤون الشرق الاوسط ولجنة «هدوايزمن		
أميركا اللاتينية				
القضايا الاقتصادية				

وفي مايلي ايضاحات عن المجلس الصهيوني الاميركي ومؤسسات الثقافة العبرية والكونغرس اليهودي الاميركي الوارد ذكرها في هذا البيان .

المجلس الصهيوني الأميركي American Zoinist Council

تأسس عام ١٩٣٩ وأعيد تنظيمه عام ١٩٤٩ ومركزه نيويورك . يتخصص في العمل بين الشباب،ويشرف على برنامج اعلامي في اميركا عن اسرائيل والشرق الاوسط ، ويشدد على نشر الثقافة العبرية ، وله مجلس لرعاية الشباب الصهيوني في أميركايشرف مباشرة على عشر منظمات منها وينسق أعمالها ويعد برامجها بنشر مجلة « البرج » Tower وكتابا سنوياً . ويتصل به معهد لتعليم القانون اليهودي Torah Education ومعهد هرتزل The Herzl Institute ومنشورات هرتزل Herzl Press ومجلة « المجرى الوسط » Midstream الشهرية .

مؤسسات الثقافة العبرية:

في أميركا وحدها مائة وسبع منظمات دينية تربوية يهودية بالاضافة الى تسع وعشرين منظمة ثقافية،تقتصر على ذكر التالية : (١) معهد المعلمين العبرانيين Hebrew Teachers College، مركزه بروكلاين من ولاية ماساشوستس ، أسس عام ١٩٢١ للدراسات العبرية العالية للمعلمين والحاخامين،ويعطي درجات بكالوريوس وماجستر ودكتوراه في الادب العبري ، ويصدر مجلة المعلمين العبرانيين Hebrew Teachers College Bulletin (٢) المعهد العبري المتحد وله ثلاثة فروع : فرع سنسناتي فيولاية أوهايو، أسس عام ١٨٧٥ وفرع نيويورك أسس عام ١٩٢٢ وفرع لوس انجلوس أسس عام ١٩٥٠ يعد خريجيه للمراكز الدينية والتعليم الديني والخدمات الطائفية ، ويشجع الدراسات العبرية، وله مكتبة ومتحف ، يصدر « الوثائق اليهودية الاميركية » American Jewish Archives ودراسات في المصادر اليهودية Studies in Bibliography and Booklore وتختلف هذه المعاهد والتي لم نذكر أسماؤها تبعاً للفرق اليهودية الثلاث : المحافظة Conservative والارثوذكسية Orthodox والمجددة Reform .

الكونغرس اليهودي الأميركي

أسس عام ١٩١٧ وأعيد تنظيمه عام ١٩٢٢ و ١٩٣٨ يحارب (نظرياالطبع ولصالح اليهود فقط) التعصب الديني والتفرقة العنصرية ويدافع عن الحقوق المدنية لليهود وحريتهم الدينية ويعمل على بقاء الشعب اليهودي واستمراره ونمو اسرائيل بحرية وأمن ويتصل به **الكونغرس اليهودي العالمي** : World Jewish Congress .

أسس في اوروبا عام ١٩٣٦ ونظم في اميركا عام ١٩٣٩ مهمته الدفاع عن مصالح الطوائف اليهودية في مختلف انحاء العالم ويمثل المنظمات اليهودية لدى لجنة حقوق الانسان التابعة للأمم المتحدة واليونسكو ، ومنظمات دولية أخرى ، في القضايا التي تهم الشعب اليهودي ، ينظم الحياة الطائفية اليهودية في البلاد التي تنشأ فيها جاليات يهودية جديدة . يصدر تسع مجلات اهمها « خلاصة اعمال الكونغرس » Congress Digest و « الحوادث المعاصرة في الحياة اليهودية » و « القضايا الثقافية اليهودية » و « يهود العالم » ... الخ . (١)

ان القاء نظرة مدققة على البيان رقم ٣ تظهر بشكل قاطع ان اموال الجباية اليهودية الموحدة المنفقة في اميركا — والمفروض ان لاتنفق فيها بل على مشاريع انسانية تربوية ثقافية وخيرية في اسرائيل — قد انفقت على مشاريع اذاعية وصحفية وسياسية واستثمارات مالية لاتمت بصلة قريبة أو بعيدة الى الاهداف التي جبيت من اجلها . اضف الى ذلك ان مختلف المنظمات الصهيونية ، من الوكالة اليهودية في اسرائيل الى فرعها في اميركا والمنظمات الصهيونية الاخرى ، متداخلة متشابكة بعضها ببعض وعلى درجة من التعقيد والتضليل المقصودين بحيث يستحيل معرفة الأصل والفروع ، وحدود كل منها ، ودخول الاموال اليها وخروجها من بعضها البعض . وهي على اختلاف أسمائها وتعدد هيئاتها التنفيذية ورؤسائها والقائمين عليها ونشوئها في أزمنة مختلفة ولأهداف مختلفة تخدم كلها هدفا واحدا . وتقيم عشر منها على الاقل في بناية واحدة في نيويورك . ويتبادل رؤساء هذه المنظمات المقاعد من واحدة لأخرى بين سنة وسنة على أساس انتخابات شكلية . وتجد اكثر من منظمة يرأسها رئيس واحد . والغرض من ذلك مزدوج . التمويه والخداع من جهة ، وربط اليهود واستغلالهم على مختلف الوانهم ومشاربهم وقومياتهم بالحركة الصهيونية من جهة أخرى .

على انه بالرغم من جميع الجهود الصهيونية ومحاولاتها لطمس الحقائق فقد ثبتت المخالفات التالية حتى عام ١٩٦٠ :

١ — ان ١٨ مليون دولار من أموال الجباية قد اعطيت بين سنتي ١٩٥١ و ١٩٦٠ اعانات **لخمسة أحزاب سياسية رئيسية في اسرائيل** ـ لكي لايقوم ممثلو هذه الاحزاب ومؤيدوها بين صهيونيي أميركا بجمع اموال لها — مما حدا بالاحزاب السياسية الاخرى في اسرائيل التي لاتتلقى مثل هذه الاعانات ان ترفع صوتها بالاحتجاج وان تفضح أمر الاحزاب الاخرى .

---

(١) الكتاب اليهودي السنوي . المصدر ذاته .

٢ — ان ٥٠٠ مليون دولار قد أعيدت للولايات المتحدة في الحقبة ذاتها من أجل الدعاية والنشاط الثقافي فيها .

٣ — ان عدة ملايين قد انفقتها الوكالة اليهودية على دعايتها في مختلف ارجاء العالم من جل دعوة اليهود للهجرة لاسرائيل .

٤ — ان « وكالة التلغراف اليهودية » تتلقى سنويا مائة ألف دولار من الوكالة اليهودية ، في حين ان ظاهرها يشير الى أنها وكالة أنباء مستقلة . فنشراتها الاخبارية اليومية ومقالاتها الاسبوعية تغذي ثمانين صحيفة امبركية — انكليزية — يهودية وتكون حلقة دعاية بين الوكالة اليهودية ، في القدس وكل يهودي يقرأ صحيفة يهودية .

٥ — ان « معهد هرتزل » في نيويورك يتلقى سنويا ٢٠٠٠٠٠ دولار . وفي المعهد دائرة للأبحاث او « المباحث » الصهيونية تحت ستار العلم . ويقدم دروسا ومحاضرات في مواد ثقافية موجهة كلها لخدمة اسرائيل والحركة الصهيونية . وبكلمة اخرى انه CIA اسرائيلي داخل اميركا .

٦ — ان ادارة التربية والثقافة التابعة للوكالة اليهودية في نيويورك دفعت اعانات مالية للمؤسسات العلمية من أجل التأثير على الشباب الأميركي . واحدى هذه الاعانات ما تدفعه ثمنا لثماني صفحات في مجلة « المخبر التربوي » Pedagogic Reporter التي تنشر باسم « اتحاد المؤسسات الخيرية اليهودية لمدينة نيويورك » . وتسيطر مقالات الوكالة اليهودية على هذه المجلة وهي مقالات في ظاهرها دينية تربوية في حين أنها في الحقيقة تدعو للهجرة لاسرائيل وزيارتها وتبني اللغة العبرية واعطائها المركز الأول في الحياة اليهودية .

٧ — ان عدة ملايين — يصعب حصرها — قد انفقتها الوكالة اليهودية خلال السنوات العشر الماضية على أكثر من « ثلاثين مجلة أسبوعية ونصف شهرية وشهرية ودورية وسنوية عدا عن المجلات التي تصدرها بين ما تسميه يهود « الشتات » كمجلة المجرى الوسط Midstream في أميركا . (١)

ولربما بدت هذه الملايين قليلة — بالنسبة لمجموع ما حققته الجباية — وان تكن بينها مئات لا يمكن حصرها أو تدقيقها في أية موازنة معلنة . ومن الغريب أن الخلافات بين الصهيونيين أنفسهم زادت من حدة ظهور هذه الفضائح . وفي طليعتها الخلافات بين المنظمات الصهيونية الوارد

(١) اعادة تنظيم الجباية اليهودية . المصدر ذاته . ص ٤

ذكرها في البيان رقم ١ اولا على اقتسام المقاعد في الهيئة التوجيهية العليـــا وثانيا في توزيع الأموال في ما بينها وثالثا في الخلافات بين الصهيونيين واللاصهيونيين واليهود المناهضين للصهيونية وهؤلاء قلة ضئيلة .

الحملة على الجباية اليهودية الموحدة وفضائحها

بين الذين أثاروا هذه الحملة في صفوف الصهيونيين أنفسهم الـكاتبة وايز روزمارين Weis Rosmarin رئيسة تحرير مجلة أسبوعية مستقلة في نيويورك . في مقال نشرته في ٣٠ آذار ١٩٦٠ انتقدت فيه أجهزة الوكالة اليهودية خلصت فيه الى النتيجة التالية :

« ان الأدلة الثابتة التي تؤيد ما ذهبنا اليه من اساءة استعمال الاموال التي جبيت لاهداف ومشاريع خيرية من قبل الوكالة اليهودية هي أكثر بكثير من المساعدات التي اعطتها للاحزاب السياسية في اسرائيل . كل ذلك يبرر تعيين لجنة تحقيق فورية تتمثل فيها الجباية اليهودية الموحدة وجميع الفروع الاقليمية التابعة لها التي تستمد الوكالة اليهودية اموالها منها . ان اساءة استعمال هذه الأموال وسوء الادارة من قبل الوكالة اليهودية يجب ان يوقفا . فلقد حان الوقت لأن تتوقف الجباية الموحدة والمؤسسات التابعة لها عن تغطية اساءاتها لتجمع اموالا أكثر » .

لكن حملة أشد عنفاً واستمراراً بدأت منــذ عام ١٩٥٨ بعد ان كانت خافتة قبل ثم قويت واشتدت ــ قام بها المجلس اليهودي الاميركي The American Concil of Judaism وقد كان في أميركا قبل عام ١٩٤١ فئات من اليهود يعتبرون أنفسهم غير صهيونيين ولكنهم لم يشكلوا أنفسهم جماعات منظمة « ضد الصهيونية » بصورة واضحة حتى عام ١٩٤٣ اذ ظهر على مسرح اليهودية الاميركية منظمة تناهض الصهيونية وتنادي بأن اليهودية دين ذو فضائل شاملة ولكنها ليست قومية على خلاف ماتدعيه الصهيونية بأن اليهودية دين وقومية معا . وأعلنت عن مبادئها وعقائدها في « الكتاب الازرق » الذي جاء فيه :

« اننا نؤمن بالتقاليد العالمية لليهوديـــة والزيادة في التكامل الوطني والمدني والثقافي والاجتماعي للاميركيين الذين يعتنقون اليهودية . فالقومية والدين شيئان منفصلان متميزان عن بعضهما . ان قوميتنا هي الاميركية ، وديننا هو اليهودية ، ووطننا الولايات المتحدة الاميركية .

« ويجب ان تنحصر القومية اليهودية داخل حدود اسرائيل . فالمتحدثون باسم هــذه الدولة وممثلوها ووكالاتها واجهزتها لا يمثلون اليهود الاميركيين بأية حال . كما اننا نكرس

انفسنا لمد يد المعونة الخيرية الكاملة لابناء ديننا وللانسانية المعذبة . فليس هناك يهودي واحد أو مجموعة من اليهودية من حقها ان تتحدث او تمثل جميع اليهود في اميركا » .

« لقد اقيمت الولايات المتحدة على المبدأ الاساسي لحقوق الفرد بغض النظر عن عقيدته الدينية أوجنسيته السابقة ، فكل فرد فيها يجب ان يكون جزءاً متمما للشعب الاميركي ونحن اليهود الاميركيون يحتم علينا دحض الرأي الذي يعتقده البعض بأنه بالاضافة وفوق الجنسية الاسرائيلية والاميركية هنالك قومية يهودية تنسب جميع اليهود لدولة اسرائيل ودولة اسرائيل لجميع اليهود ، وان اعتقادنا يدعونا للتمسك التام بشخصيتنا الدنيوية — الوطنية التي يتمتع بها الشعب الاميركي » . (١)

ويصدر المجلس مجلتين دورية موسمية وشهرية ، وينشر كتباً في توضيح مبادئه ومحاربة الصهيونية . ومن اشهر كتابه الدكتور إلمر برغر . كما يعقد مؤتمرات سنوية يلقي فيها المحاضرات كبار الاساتذة والعلماء اليهود وغير اليهود ممن يؤيدون المجلس ومبادئه . وفي ما يلي قراران يتصلان مباشرة بالمشكلة التي نحن بصددها .

من قرار رقم ٣ المتخذ عام ١٩٥٤ :

« ان التحديد والتفريق بين القومية الاسرائيلية والديانة اليهودية ضروري للمحافظة على سلامة الطائفة اليهودية الاميركية ؛ التي ترفض مبدأ القومية اليهودية » وان الوكالة اليهودية بالرغم من تسميتها « يهودية » هي وكالة لحكومة اسرائيل وهي مسجلة كوكالة يهودية لدى حكومة الولايات المتحدة . ووجود مثل هذه الوكالات الاجنبية في هذه البلاد مبدأ مسلم به في حياتنا السياسية .

« على ضوء هذه الحقائق نناشد يهود الاميركيين أن يحققوا بين علاقات المنظمات اليهودية الاميركية وبين الوكالة اليهودية وعملائها اذ اننا نعتقد بأن تحفظات صحيحة كهذه ستكون خطوة فعالة للقضاء على البلبلة بين علاقة اليهود الاميركيين ودولة اسرائيل » .

وجاء في قرار اتخذه المجلس في ١٦ آذار ١٩٥٨ :

« ان الصهيونية التوسعية هي احدى العراقيل للسلم في الشرق الاوسط . فنحن نؤمن بأن اليهود الاميركيين يمكنهم ان يقدموا عونا بارزا برفضهم الصريح الجازم لحقوق القومية اليهودية في اسرائيل والتزاماتهم نحوها والتي تحاول الصهيونية منحها لهم .

---

(١) الكتاب الازرق The Blue Book ، المجلس اليهودي الاميركي . نيويورك .

« اننا نحث الاميركيين من جميع الاديان ان يرفضوا المبدأ الذي تروجه الصهيونية والقائل بأن دولة اسرائيل هي اتمام لنبوءة وردت في الانجيل أو أنها « الوطن » الحقيقي أو المزعوم لليهود الاميركيين ».

قد يبدو هذا النقد الموجه في أكثره للعقيدة الصهيونية كعقيدة بعيداً لأول وهلة عن موضوع بحثنا المباشر، وانما يجب أن نذكر أن هذا النقد هو تقويض للصهيونية في دعائمها بالذات وتهديم للاسس التي ترتكز اليها في تجميعها اليهود وجمع الاموال الطائلة منهم . ويبدو ان هذه الجهود على ضعفها قد آتت بعض الثمار . فقد ظهر على المستوى الرسمي - وربما لأول مرة في اميركا - عضو بارز في مجلس الشيوخ الاميركي السناتور فلاندرز Flanders ، تقدم في ١٨ تموز ١٩٥٨ بمشروع قرار الكونغرس الاميركي ابتدأه بنقد قوي للسياسة الاميركية في العالم العربي وتأييدها المستمر لاسرائيل وطالب بأن « تقوم وزارة المالية الاميركية ، بتحقيق واسع ودقيق في الملايين المعفية من الضرائب التي يتبرع بها مواطنون اميركيون بواسطة الجباية اليهودية الموحدة ، وفي ما اذا كانت تستعمل للغايات الانسانية التي تجبى من أجلها او تنفق في سبل أخرى لا تمت للمشاريع الانسانية الخيرية بصلة . فاذا ثبت انها تزيد من حدة التوتر في الشرق الاوسط وجب ايقافها أو ايجاد اسباب اخرى تبرر الاستمرار فيها » .

وقد القى السناتور فلاندرز بين ١٨ تموز و١٨ آب من السنة المذكورة سلسلة من البيانات والخطب في تأييد مشروع قراره أدرجت في وقائع الكونغرس ثم نشرها صاحبها في نشرة مستقلة رسمية صادرة عن الكونغرس .

رواية « خروج » Exodus والجباية اليهودية الموحدة

قليلون لم يسمعوا بهذه الرواية للكاتب الصهيوني الأميركي ليون اوريس Leon Uris التي نشرت لأول مرة عام ١٩٥٨ وما لبثت بعد أشهر من صدورها ان احتلت قمة لائحة الكتب الاكثر رواجاً « Best Seller » . فطبعت الملايين منها طبعات شعبية رخيصة وترجمت لعدة لغات اوروبية على انها في طليعة الانتاج الروائي الاميركي . ثم اخرجتها هوليود في فلم رفعته الدعاية الى القمة كما رفعت الكتاب من قبل . وفي ١٨ ايلول ١٩٥٩ نشر الكاتب الذي يحمل اسماً مستعاراً « ياكر Yakar » مقالا في الصحيفة الاسبوعية في لندن « الجويش كرونكل Jewish Chronicle » جاء فيه :

« لقد اصبح هذا الكتاب — خروج — في قمة لائحة الكتب الأكثر رواجاً وزحزح رواية - الدكتور جيفاكو - من قمة اللائحة ... لقد روي ان غولدا مايير قالت ان هذا

الكتاب لخدم نجاح الجباية اليهودية الموحدة في أميركا اكثر من أي حادث مفرد آخر . انها حقاً مع الأسف الشديد . وانما لايمكن ان يوجد حكم اكثر قوة على انحطاط الجمهور اليهودي الاميركي وعلى الدرك الذي تحدرت اليه الدعاية الصهيونية وثقافتها في اميركا خلال العشر سنوات الماضية .

فالكتاب برمته خليط خام ، وتحطيم للتاريخ اليهودي ، ووصف مراهق للصهيونية ، وبعض بيانات صحفية صادرة عن الوكالة اليهودية كتبها كلها مراهق وعيناه شاخصتان صوب هوليود . فالافراد الذين يصورهم لاحقيقة لهم . والحوادث مصطنعة هزلية واسلوب الكتابة والانشاء غير جدير بأي نقد جدي .

« ولكن الغاية من مقالي ليست ابداً مراجعة الكتاب فقط ، وانما لاصدر حكماً قاسياً على هذا النوع من نشاط منظمة الجباية اليهودية الموحدة التي لم تحاول خلال العديد من السنوات تنوير الجمهور اليهودي عن حقيقة الاوضاع في اسرائيل . وانما كان همها القاء خطب سطحية عاطفية تتوخى رد فعل سريع مغرقة الجمهور في عاطفية رخوة تصل حد الدموع أو في خوف من توقع كارثة جافة .

« لقد سيطر النهج الاميركي في التوصل للدولار بأسرع وقت واقصر طريق متمكنين على حملات الدعاية ، وخلقت جواً من الجهل والعاطفية الغامضة بحيث يصبح كتاب « خروج » في قمة لائحة الكتب الأكثر رواجاً » . أ هـ .

مما لاريب فيه أن الصلة وثيقة بين الجباية وهذه الرواية والفلم اللذين طبقت شهرتها الآفاق ويقدم ذلك كله صورة عن نموذج جزئي في ابعاد الستراتيجية الصهيونية وتنظيمها . فهل ثمة ريب في ان الجباية مولت الكاتب والفلم وآلة الدعاية الهائلة وراءهما ؟ ولقد جنت دون ريب اضعافاً مضاعفة مما انفقت، ولكن بعض رشاشها قد ارتد عليها كما نجد في المقال السالف الذكر.

وظهرت في الوقت ذاته من هـذا السنة في اميركا دراسة وافية لباحث اميركي يهودي معروف « هنري هوروويتز Henry Hwrowitz » رئيس تحرير مجلة دورية « المنارة » Menorah - Journal في عدد « الخريف — الشتاء » من المجلة تناول فيه بالنقد الجريء المدعوم بالارقام والاحصاءات الجباية اليهودية الموحدة وأساليبها الموجة وتضليلها كقسم من الدراسة المشار اليها في نقد الصهيونية .

ثمة سؤال اخير في هذا القسم من البحث . ما الذي يتمني ان تكون الملايين الطائلة من

هذه الاموال قد ذهبت لخزينة اسرائيل لتسليحها ـ تحت ستار المشاريع الانسانية — وبالتالي الزيادة من الروح العدوانية التوسعية في اسرائيل بالذات . اجاب على هـذا السؤال جيمس واربرغ James Warburg ،وهو كاتب اميركي معروف وخبير بالعلاقات الدولية واستاذ جامعي له عدة مؤلفات معروفة، والجدير بالذكر انه اخ لفيلكس واربرغ Felix Warburg — احد رؤساء الجباية الموحدة — وزعيم صهيوني اميركي معروف . فقد القى بياناً مسهباً عام ١٩٦٠ كنت ارغب في ادراجه بكامله ، وانما اقتصر على بعض ماجاء فيه، فقد قال : « هل هنالك واجبات ملقاة على عاتق المواطنين اليهود ازاء اسرائيل ؟ ان الكثيرين من هؤلاء ينجرفون مع عواطفهم دون ان يدققوا في الأمر . وانني لأشك كثيراً في ان عدداً ضئيلاً من هؤلاء الذين يتبرعون للنداء اليهودي الموحد او يشترون سندات قرض اسرائيل التي بيع منها حتى الآن مايزيد على ٤٠٠ مليون دولار ، قد عرفوا أية سياسة اسرائيلية يؤيدون او في ماذا كانوا يخدمون بتبرعاتهم السياسة الاميركية ... لماذا ينبغي ان تكون جميع التبرعات للجباية اليهودية الموحدة معفية من الضرائب عندما ينصب قسم كبير منها في ايدي حكومة اجنبية ثم تقوم هذه الحكومة بانفاق قسم كبير منها في الدعاية من اجل التأثير على سياسة الحكومة الاميركية ، ضد المصالح الاميركية الصحيحة .

« انني أفهم أن يسعى يهود أوروبا الذين كانوا ضحايا سياسة غير مسيحية في دول مسيحية التخلص من شعور الأقلية المضطهدة . ولكن المأساة الكبرى هو أن نشاهد خلق دولة يهودية تعامل الأقلية غير اليهودية فيها كمواطنين من الدرجة الثانية ... هنالك فرق كبير بين أن نساعد في اقامة ملجأ لمن يحتاجونه والسياسة الصهيونية الاسرائيلية التي تدعو جميع يهود العالم ليتجمعوا في اسرائيل ، وبين استدرار العطف الانساني وطلب تأييد اسرائيل كنوع من الجزية المفروضة على اليهود لأنهم يعيشون خارج اسرائيل .

« والناحية المحزنة في الموضوع هي أن دولة كاسرائيل كان يجب أن لاتخرج الى حيز الوجود قط . وان الملجأ الذي كان اليهود بحاجة اليه كان يمكن خلقه دون احداث النزاع العنيف بين العرب واليهود ودون أن نأتي للعالم بقومية متحدية غوغائية كالقومية الاسرائيلية . ولو لم تجند الصهيونية يهود العالم ، ولو كانت الحكومة البريطانية أكثر حكمة في سياستها ، ولو لم تسرع الحكومة الأميركية بمثل التسرع الذي اعترفت به باسرائيل ، لأمكن أن تنشأ بسلام في فلسطين دولة ديمقراطية قوامها العرب واليهود معا . ذلك هو الحل الذي نادى به استاذي الذي أمحضه أكبر الاعجاب الدكتور ماغنس Magnes الذي كان رئيس الجامعة العبرية في القدس .

« لم يمن وعد بلفور اقامة دولة يهودية في فلسطين . ولم يتمكن الصهيونيون من دفعه بهذا الاتجاه الا لأن عددا قليلا من اللاصهيونيين – يهودا ومسيحيين – قد عارضوه . وقد سمح الرئيس ترومان لنفسه بأن ينقـاد لضغط قادة الصهيونيـين الذين زعموا أنهـم يتكلمون باسم الشعب اليهودي . وهذا التأثير الصهيوني البالغ الذي جرفه لم يدعه يفكر بنتائج عمله البعيدة التي نرى آثارها اليوم في حدة الصراع القائم بين العرب واليهود . والسؤال المهم الذي نطرحه الآن هل سياسة اسرائيل سياسة تؤدي السلام وان ثبت لنا أنها ليست كذلك، فهل تستحق تأييد الطائفة اليهودية واستدرار أموالها ؟

« لو نحن تركنا جانباً السياسة المناقضة للديمقراطية التي تتبعها اسرائيل فانه يبدو لي أن سياسة دعوة يهود العالم للتجمع في اسرائيل هي ضد السياسة الاميركية في السعي لاقامة السلام . ولا شيء يثير عداء العرب ومخاوفهم من توسع اسرائيل اكثر من هذه الدعوة لهجرة اكبر عدد ممكن من يهود العالم لاسرائيل . ولقد سمعنا منذ بضعة ايام احد كبار المسؤولين في الوكالة اليهودية ليون دوزلن Leon Duzlin يتنبأ أن عدد سكان اسرائيل سيرتفع الى سبعة ملايين في خمس وعشرين سنة .

وعلاوة على ذلك فان سياسة تجميع اليهود في اسرائيل تخلق دورا فاسدا : فلكي يستوطن يهود جدد تحتاج اليهودية الى المال . ولكي تجمع المال فلا بد أن تحتج « بحـالة طارئة » . وهذه الحالة الطارئة قد تكون السنة في شمالي افريقيا ، والسنة المقبلة في المجر والتي بعدها في رومانيا . ولتضخيم حالات الطوارىء هذه تعمد اسرائيل الى المبالغة في الارقام . وهذا بدوره يؤدي الى زيادة مخاوف العرب من جهة واساءة معاملة اليهود في بلاد العالم من جهة أخرى ».

وأنهى واربرغ بيانه الطويل بقوله : « اني اجزم ان حالة اللاجئين العرب في فلسطين – مهما كانت مسؤولية من جعلهم لاجئين – تشكل حالة طارئة اكثر خطورة وشدة من حالة اليهود في رومانيا أو في الاتحاد السوفييتي مهما كان وضعهم مؤسفاً . ومهما تشددت الحكومات العربية في موقفهـا من هذه المشكلة فان الشعب اليهودي هو آخر شعب في العالم يجوز له أن يستمر في قبول هذه البشاعة الأخلاقية ومن واجبه ان يتعاون مع الامم المتحدة من أجل حل هذه المشكلة .

« العلاقات بين الاكثرية والاقلية في المجتمع الاميركي هي طريق مزدوج الاتجاه . فللأقلية الحق أن تقف وأن تدافع عن حقوقها . ولكن لايحق الأقلية في رأيي أن تستعمل قوتها السياسية والاقتصادية والمالية من أجل تحقيق اهداف ضد مصلحة الاكثرية . وعندمـا

يقتنع فرد من هذه الاقلية — كما انني مقتنع — بأن الاقلية تسلك مثل هذا السبيل الخاطئ، فواجبه تجاه هذه الاقلية بالذات وتجاه وطنه أن يجاهر بالحقيقة. » (١)

هذه الحملات كلها شكلت ضغطا على قادة الصهيونية في كل من أميركا واسرائيل اضطرهم على التدرج الى البحث في اعادة تنظيم الجباية وتحسين اساليبها مما يخرجها عن النقد. وقد زاد من قوة هذا الضغط ماعرف عام ١٩٦٠ ان وزارة المالية الاميركية اخذت تدقق في اوضاع الجباية اليهودية. وثبت ذلك في مقال نشره جس. ز. لوري Jesse Z. Lurie في «الجيروزاليم بوست» بتاريخ ٢٢ نيسان ١٩٦٠ (صفحة ٤). لكن المشرفين على الجباية أنكروا رسميا ان تكون وزارة المالية الاميركية، قد أجبرتهم على اعادة النظر في تنظيم مؤسستهم وفروعها وموازنتها. ورفضت وزارة المالية الاميركية من جهة ثانية ان تعلق على الموضوع سلباً أو ايجاباً كما هو شأنها في حالات مماثلة الى أن يصل الامر الى القضاء. ويصبح في وسع الجمهور ان يطلع عليه. ومع ذلك فقد تسربت اقرارات من قادة الجباية وتصريحات غير رسمية من كبار موظفي وزارة المالية الاميركية مما أدى الى النتيجة المعقولة من جميع الاطراف المعنية بضرورة اجراء تغييرات في الجباية اليهودية الموحدة ان كان لها أن تستمر في الاستفادة من اعفاء الضرائب والا كانت خسارتها فادحة. يؤيد ذلك المقال الذي نشره اليزر ليفنه Elizer Livneh — من ضباط الامن سابقا في اسرائيل وعضو الكنيست — في صحيفة ها آرتز Haaretz، بتاريخ ٢٨ آذار ١٩٦٠ تحت عنوان «عار اسرائيل» جاء فيه:

لقد حاول مجلس الادارة التنفيذي للوكالة اليهودية لمدة شهور خلت ان يكتم امرين: (١) ان وزارة المالية الاميركية ترفض استمرار السماح للجباية اليهودية الموحدة بالاستفادة من قانون اعفاء الضرائب مالم تغير كل من الجباية والوكالة اليهودية هيكلها وبناءهما. (٢) ان اسقاط الاعفاء من الضرائب يعني نقصا كبيرا في موارد الجباية اليهودية مما يؤدي مع الزمن الى انقراضها فعليا ».

اصلاح الجباية اليهودية الموحدة

في بلاغ مشترك صادر عن الوكالة اليهودية لاسرائيل وجباية اسرائيل الموحدة (راجع البيان رقم ١) بتاريخ ١١ نيسان ١٩٦٠ في نشرة الانباء اليومية الصادرة عن وكالة التلغراف اليهودي في نيويورك أعلن قادة المنظمتين الصهيونيتين اجراء الاصلاحات التالية:

---

(١) رسالة الاخبار اليهودية، اسبوعية. نيويورك. حزيران ١٩٦٠، Jewish Newsletter

١ – وقف المساعدات المالية للأحزاب السياسية في اسرائيل في نهاية عام ١٩٦١ .

٢ – نقل بعض أوجه النشاط في حقول الدعاية والاعلام والنشر من الوكالة اليهودية التي كانت تمول هذا النشاط سابقا الى المجلس الصهيوني الاميركي خلال عام ١٩٦١ .

٣ – انشاء مجلس ادارة جديد مؤلف من واحد وعشرين ممثلا – صهيونيين وغير صهيونيين – لتسيير الوكالة اليهودية لاسرائيل – الفرع الاميركي – والوكالة اليهودية في القدس. وتتخلى الوكالة اليهودية لاسرائيل – فرع نيويورك – عن قسم من مهامها ووظائفها ونشاطها الذي يهددها برفع حصانة اعفاء الضرائب عن أموالها المجلس الصهيوني الاميركي . وعقدت الوكالة اليهودية لاسرائيل – فرع نيويورك – مع الوكالة اليهودية في القدس اتفاقا تصبح بموجبه « وكالة القدس وحدها الجهة المسؤولة عن تنفيذ المشاريع التي يموّلها فرع الوكالة الاميركي في نيويورك » . (١) ماذا تعني هذه الاصلاحات التي ما كانت لتتم لولا الضغط الذي تعرضت له المنظمات الصهيونية والخلافات بين مختلف فروعها ؟ لم تكن في الواقع اكثر من ذر للرماد في العيون ، واصلاحات سطحية لاتتسم بأي شكل سيطرة الفئات الصهيونية على اموال الجباية اليهودية الموحدة . وغايتها ايهام المحتجين والمعارضين باجراء اصلاحات يقبلون بها ويصرفون النظر عن طلب اصلاحات جذرية يقتضيها القانون الاميركي بالذات ، هذا اذا نظرنا للأمر بكامله من زاوية علاقة رسمية بين حكومتين : اميركا واسرائيل على اساس شكليات قانون الضرائب الاميركي ومقتضياته .

اما مجلس الادارة الجديد فقد تم تشكيله بعد مفاوضات سرية بين قادة الوكالة اليهودية في القدس والجباية اليهودية وما قبلها . واتضح ان سبعة اعضاء من المجلس الجديد عينتهما الوكالة اليهودية في الجباية اليهودية . واما الاربعة عشر الباقون الذين لم تسمهم الوكالة فقد صار انتقاؤهم لاضفاء صفة غير صهيونية على المجلس الجديد الذي يسيطر عليه الصهيونيون . وأعلن في الوقت ذاته أن الجباية هي التي عينتهم . وقد أشار ناحوم غولدمان رئيس الجباية اليهودية الموحدة ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية – ولنذكر هنا ماسبق ان قلناه ان الوكالة والمنظمة هما اسمان مختلفان لهيــأة واحــدة – « الى مشاركة **اللاصهيونيين** في الوكالة اليهودية » وأعاد للأذهان الجهود التي بذلها وايزمن عام ١٩٢٩ لكسب مؤازرة اللاصهيونيين في تنفيذ المشاريع الصهيونية .

وعند تدقيق هوية هؤلاء الاعضاء الاربعة عشر تبين ان سبعة منهم اعضاء عاملون في منظمات صهيونية متعددة في الولايات المتحدة، حتى لقد علقت احدى صحف اسرائيل على ذلك بأنه بالرغم

(١) راجع ماتقدم : الوكالة اليهودية لاسرائيل واعادة تنظيمها عام ١٩٦٠ .

من إعلان وقف المساعدات المالية للاحزاب السياسية فان لها في المجلس الجديد من يمثل مصالحها عندما يتم التصويت على امر ما . واثنان من السبعة الباقين هما من قادة الصهيونية المعروفين . احدهما فيليب كلوتزنيك Philip Klutznick عينه الرئيس كندي سفيرا في الوفد الاميركي في الامم المتحدة يملك معملا للورق في اسرائيل ، ولعب دورا حاسما ، وهو يمثل بلاده في الامم المتحدة استغل مركزه الرسمي وراء الستار لاقناع الحكومة الاميركية **بارسال صواريخ لاسرائيل وقد تم ذلك فعلا** . وهو رئيس هيأة تدعى « مؤتمر الرؤساء » وتضم رؤساء عشر منظمات صهيونية رئيسية في اميركا مهمتها تنسيق الاعمال في مابينها ومنهم من يديرون منظمة بيع السندات الاسرائيلية في اميركا . ولو تبقى اثنان او ثلاثة من هؤلاء لاينتمون رسميا لمنظمات صهيونية فان اصواتهم – في حالة المعارضة ان وقعت – تكون لاقيمة لها في المجلس الجديد امام الاكثرية الساحقة من الآخرين .

وعندما عرف التنظيم الجديد صرح متحدث باسم « مجلس الاتحادات اليهودية وصناديق الانعاش C J F W F (راجع البيان رقم ١) – وهي التي تقدم ٩٠٪ من مجموع اموال الجباية وكانت تأمل أن يكون لها نصف عدد المراكز في المجلس الجديد – صرح قائلا : « ان هذه التنظيمات الجديدة تم الاتفاق عليها بين بعض قادة الجباية اليهودية وجباية اسرائيل والوكالة اليهودية وعلى مسؤوليتهم وحدهم . وان مجلس الاتحادات لم يعين أي ممثلين عنه في المجلس الجديد ولم يطلب اليه أن يفعل ذلك » (١) .

اما المجلس اليهودي الاميركي الذي قاد الحملة ضد الجباية فقد اتخذ في مؤتمره السنوي بتاريخ ١٥ أيار ١٩٦٠ في دنفر من ولاية كولورادو القرار التالي :

« نلاحظ ماروي عن الجباية فإنها تنوي وقف المساعدات المالية عن النشاط الصهيوني » .

« ولكننا نلاحظ أيضا ان المباحثات من اجل اعادة تنظيم الجباية قد تمت بين الجباية اليهودية الموحدة والمنظمة الصهيونية العالمية بشكل اخرج المتبرعين الاميركيين للجباية عن المشاركة في المباحثات .

« ان اعادة تنظيم الجباية يجب ان يتضمن الاصلاحات التالية :

١ – فصل صحيح صادق بين الجباية اليهودية الموحدة والوكالة اليهودية لاسرائيل والمنظمات الصهيونية الاخرى التي تستفيد حاليا من اموال الجباية .

---

(١) اعادة تنظيم الجباية اليهودية الموحدة . المصدر ذاته .ص ٥

٣ – يجب أن يكون لليهود الاميركيين منظمة المشاريع الخيرية يشرف عليها الاميركيون اشرافاً كاملا وان تقوم بمشاريع خيرية مشروعة لا في اسرائيل فقط بل في أي مكان آخر تقتضيه الحاجة . ويجب ان يتضمن مثل هذا الاشراف الاميركي تحديد ومراقبة صرف المخصصات للمستفيدين منها .

٣ – يجب ان يصار الى اعلان حسابات كاملة مفصلة ، قابلة للفحص بسهولة ، وبشكل حسابي يستطيع فيه المتبرعون الاميركيون وان يتضمن صراحة اسماء المستفيدين الأخيرين من جميع الاموال .

تحقيقات لجنة الشؤون الخارجية الاميركية عام ١٩٦٣ : أما أن هذه الاصلاحات تضليل متعمد وذر للرماد في العيون كما سبق ان اشرنا ، فهذا ما اثبته رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الاميركي السناتور فولبرايت Fulbright بتحقيقات مع كبار المسؤولين في الوكالة اليهودية لاسرائيل – فرع نيويورك – بين ٢٣ ايار و ١ آب ١٩٦٣ وذلك الوثائق التي جابه بها المسؤولين الصهيونيين انه قد هيأها منذ زمن بعيد . ونشرت محاضرها في وثيقتين رسميتين صادرتين عن الكونغرس الاميركي . ونتيجة لهذه التحقيقات ادانت لجنة الشؤون الخارجية الوكالة اليهودية في المخالفات التالية التي تمت بعــد اعلان اعادة الجباية عام ١٩٦٠ :

١ ـــ تلقى المجلس الصهيوني الاميركي « خمسة ملايين دولار لانفاقها خلال خمس سنوات للتأثير على اعضاء الكونغرس الاميركي Lobling بواسطة « عمــلاء حكومة اجنبية » « Agents of A Foreign Government » لسجلوا بهذه الصفة وفقاً لمقتضيات قوانين وزارة العدل الاميركية .

٢ ـــ تلقى « مؤتمر الرؤساء » لعشر منظمات صهيونية في اميركا مليون دولار سنوياً منذ انشائه للدعاية بين يهود اميركا واقناعهم بالهجرة لاسرائيل .

٣ ـــ ان كامل نفقات مجلة « قضايا الشرق الاوسط » قــد دفعها المجلس الصهيوني الاميركي منذ تأسيسها حتى تاريخ التحقيق .

٤ ـــ ان المجلة الاسبوعية « تقرير الشرق الاوسط » Near Aastern Report – وهي كسابقتها الوحيدة من نوعها في اميركا – يتحمل المجلس الصهيوني الاميركي كامل نفقاتها .

٥ ـــ ان المجلة الدينية الوحيــدة المتخصصة لشرق الاوسط « الارض المولودة من جديد » Land Reborn يحررها بكاملها اعضاء المجلس الصهيوني الاميركي .

٦ ـــ ان « اللجنة المسيحية الاميركية » التي كشفت قناعها بعد قيام اسرائيل واصبح

اسمها « اللجنة المسيحية من اجل اسرائيل » تأخذ كامل نفقاتها ورواتب اعضائها بسخاء من المجلس الصهيوني الاميركي لتعمل تحت ستار المسيحية من اجل كسب « عملاء » لاسرائيل بين البارزين من رجال الدين المسيحي ودون معرفة منهم في احيان كثيرة .

٧ – ان « وكالة التلغراف اليهودية » تتلقى اموالها ونفقاتها كافة من الوكالة اليهودية .

٨ – ان « رابطة دراسات الشرق الاوسط » American Association For M.E.Studies For M. E. S المتخصصة بالعمل في الاوساط الجامعية ، وان اللجنة الجامعية المشتركة لاسرائيل Inter University Committe For Israel التي تشرف على تنظيم رحلات الطلاب الاميركيين – وخاصة غير اليهود منهم – لزيارة اسرائيل وعقد مؤتمرات ثقافية فيها ، وان المؤسسة العبرية الثقافية التي تتصل بكبريات الجامعات لتعيين اساتذة صهيونيين لتدريس قضايا الشرق الاوسط ، ان هذه المنظمات الثلاث تتلقى جميع اموالها من المجلس الصهيوني الاميركي ، ويتصل بما تقدم تشجيع كتابات ومقالات مؤيدة لاسرائيل من قبل اشخاص يفترض فيهم الموضوعية والحياد ، ومحاربة الاساتذة الجامعيين غير الموالين لاسرائيل ، او الذين قد يظهر منهم اي تأييد للعرب ، والتشجيع على تأليف كتب عن اسرائيل لتدرس في المدارس الابتدائية والثانوية الاميركية ، ومساعدة دور النشر والناشرين ، والاتصال بالنقاد لعرض وتحليل الكتب عن اسرائيل عرضاً محبذاً ملائماً ، وتوزيع هذه الكتب على مستوى واسع ، ومهاجمة أية كتب او مقالات مؤيدة للعرب في اميركا وخاصة تلك التي ينشرها مثقفون عرب في اميركا (هذا عندما يتسنى لهم نشرها) والتشديد على محاربة منظمة الطلاب العرب في اميركا خاصة .

٩ – ان « لجنة الصحافة » تتألف من خمسة عشر ناشراً وكاتباً من ابرز كتاب ومحرري المجلات الاميركية ، يرأسها كاتب اميركي معروف في احدى كبريات المجلات الاميركية يعرف كل زميل بارز في هذه المهنة وله اتصالات على مستوى عال يستثمرها لصالح اسرائيل . وان هذه اللجنة قد اسست « مصرفاً للافكار » Bank of Ideas مهمته اقراض الكتاب الذين يدعمون لاسرائيل **قروضاً فكرية ومادية** وتوجيههم ومدهم بالمواضيع المثيرة عن اسرائيل . وقد قامت هذه اللجنة بنشر مئات المقالات في المجلات والصحف الاميركية . كما تعقد اجتماعات مع الكتاب العائدين من اسرائيل والذين سبق ان « شجعتهم » على زيارتها . وقد نتج عن ذلك كله ازدياد عدد الكتاب والناشرين عن اسرائيل .

١٠ – لجنة التلفزيون والراديو . تتألف هذه اللجنة من مخرجين وكتاب لمعت اسماؤهم في هذين الحقلين وترأسها سيدة متخصصة بارزة لاستخدام مواهبها في العلاقات العامة .

وصل اللجنة السمي لالقاء أحاديث عن اسرائيل واجراء مقابلات مع الوافدين منها ، واقتراح برامج على مختلف محطات الاذاعة والتلفزيون من أجل تنمية العطف على اسرائيل بين الملايين من المشاهدين الاميركيين .

١١ - مكتب المحاضرين ومهمته ارسال محاضرين عن اسرائيل لمختلف انحاء اميركا ودفع نفقاتهم . وقد ألقيت بواسطته خلال سنة واحدة ٢٢٤٠ محاضرة كان المحاضر الواحد احيانا يظهر في اربعة مراكز في المدينة الواحدة وفي يوم واحد .

١٢ - « المجلس الاستشاري للعلاقات العامة » و « لجنة الزائرين لاسرائيل » و« لجنة القضايا والدراسات » ، ومهمتها وضع دراسات ونشرات موجزة تبدي وجهة نظر اسرائيل في قضايا رئيسية كمشكلة اللاجئين العرب وتحويل الاردن و « لجنة العلاقات الدينيـــة » ومهمتها التغلغل في الكنائس والاوساط المسيحية تحت ستار التعاون المسيحي اليهودي .

هذه المعلومات التي اوجزتها ولم أتوسع في تفاصيلها الكثيرة وردت في تقرير رفعه مدير دائرة الاعلام المجلس الصهيوني الاميركي عن نشاطه خلال سنة واحدة تمهيداً لطلب مخصصات للسنة التالية . وقد جابه به السناتور فولبرايت كلا من المدير التنفيذي للوكالة اليهودية لاسرائيل - فرع نيويورك المستر هاملن Hamlin ونائب الرئيس التنفيذي للوكالة ذاتها المستر غوتليب هامر Gottlieb Hammer ومحـــامي عدة منظمات صهيونيـــة اميركية بوكشتاين Boukstin في التحقيق معهم لاقامة الدليل على ان ملايين الدولارات الاميركية التي جمعتها وتجمعها « الجباية اليهودية الموحدة » تصرف لغير الاهداف « الخيرية » التي تجمع من اجلها .

وفي ١٢ آب ١٩٦٣ عقدت مجلة « نيوزويك News week » الاسبوعية الصادرة في نيويورك مقالا حول التحقيقات الجريئة جاء فيه :

« لقد أحدث هذا الموضوع الحساس رجة بين الاميركيين البارزين ، واليهود منهم بصورة خاصة . وحدا بالبيت الابيض (اي الرئيس الاميركي) لأن يبذل مساعيه لايقاف هذه التحقيقات العلنية . ودفع السناتور يعقوب جافتس Jacob Javits (وهو زعيم صهيوني كبير في نيويورك) لأن يركض الى كواليس مجلس الشيوخ الاميركي ساعياً لطمس القضية وايقاف التحقيق .

« ومن مواطن السخرية ان ما كشفت عنه لجنة الشؤون الخارجية في تحقيقها كان شيئاً جديداً بالنسبة لليهود أنفسهم ، وخاصة منهم اولئك الذين كانوا يتبرعون « للجباية اليهودية الموحدة » دون ان يكون لديهم اية فكرة عن طريقة صرف تبرعاتهم . اما الآن فهم يعرفون ان قسماً كبيراً من تلك التبرعات كانت تتدفق بواسطة المجلس الصهيوني الاميركي لامن اجل

التأثير على اعضاء الكونغرس الاميركي والرأي العام الاميركي فحسب ، ولكن من اجل توجيه الدعاية لهؤلاء المتبرعين بالذات ليتبرعوا اكثر لاسرائيل » .

اما اساليب التضليل والخداع والتمويه والاحتيال على القانون فقد وصفها فولبرايت نفسه بكلمة Rigmarole وهي تعني حرفيا « التضليل الفاضح المتعمد والكذب الظاهر » . وفي احدى مراحل التحقيق حيث ارتبك هاملن – السالف ذكره – في الاجابة على احدى اسئلة فولبرايت قال له :

« ان كنت تستطيع يامستر هاملن توضيح هذا التعقيد وتصحيح محضر الجلسة كما تطلب ، فانت لست عبقريا فحسب بل اكبر من اي عبقري عرفته في حياتي » (الصفحة ١٧٧٩ – ١٧٨١ من وقائع الكونغرس)

الخلاصة : في تاريخ الولايات المتحدة الاميركية الدستوري حادثة فريدة من نوعها وقعت لرئيس الجمهورية الاميركي اندرو جونسون (١٨٠٨ – ١٨٧٥) . فقد تسلم منصة الرئاسة عقب اغتيال الرئيس لنكولن سنة ١٨٦٥ . وكان على خلاف جوهري مع وزير حربيته ادون ستانتون Edwin Stanton حول معاملة ولايات الجنوب التي قهرت في الحرب الاهلية وصلاحيات الحكومة الاتحادية في اتخاذ العقوبات ازاء ولايات الجنوب وقادتها وزعمائها وكان ينحو الى اتخاذ موقف شديد منها . ولما اشتد خلافه مع وزير الحربية اقاله الرئيس من منصبه دون موافقة مجلس الشيوخ كما يقضي بذلك الدستور الاميركي . فقرر الكونغرس احالة الرئيس للمحاكمة ، من قبل مجلس الشيوخ وفقا لاحكام الدستور ولمخالفته احكامه . وتمت المحاكمة فعلا ولم ينج الرئيس من الحكم عليه وخلعه من الرئاسة الا باكثرية صوت واحد .

وهنالك عشرات الامثلة يمكن ايرادها عن الحياة الدستورية في اميركا اذ حوكم وزراء وشيوخ ونواب وقادة عسكريون وخلعوا من مناصبهم وسجنوا بعد ان ادانهم القانون .

اقول ذلك لاخلص الى اننا هنا امام قضية معينة هي « قضية الجباية اليهودية الموحدة » . وصف فضائحها رئيس لجنة الشؤون الخارجية السناتور فولبرايت – وهو رئيس جامعة سابق قبل انتخابه لمجلس الشيوخ – وصفها « بالتضليل الفاضح المتعمد والكذب الظاهر » . هذه القضية بجملتها وتفاصيلها تشكل خرقا فاضحا لقوانين وزارات العدل والمالية والخارجية الاميركية وتحديا للشعب الاميركي بالذات ومصالحه . فما الذي تم فيها ؟ لقد كان من المفروض ان يحال المسؤولون عن هذه الفضائح لمحاكمتهم وفقا للقانون الاميركي . ولكن شيئا من

ذلك لم يتم وطمست معالم القضية . والذي نعرفه ان السناتور فولبرايت نفسه قد ضعف مركزه ولم يعد يسمع صوته كما كان من قبل . كل ذلك يثبت ان قبضة الصهيونية استطاعت من جديد ، وامام ادانات رسمية صريحة ، ان تطبق براثنها الحادة وان تخفي فضائحها . والذي نعلمه ايضا ان « الجباية اليهودية الموحدة » مازالت تعمل في الوسط الاميركي بجرأة وعلانية وتحد كما كانت تعمل من قبل .

ان عشرات الاسئلة تثار بحدة وشدة . هل تقبل اميركا الرسمية ان يكون في وسطها ستة ملايين مواطن ٩٥٪ منهم « عملاء » دولة اجنبية كما وصفهم المجلس اليهودي الاميركي في احدى مقرراته مستعملا لفظة « العملاء » بالذات ؟ هل يقبل الرأي العام الاميركي ان يبقى مضللا وان يستمر مخدوعا ؟ هل يقبل ان تظل هذه الجمهورية الكبيرة في قبضة جماعة مجرمة صغيرة ؟ وهل يرضى ان تتدفق الملايين من امواله سنويا على دولة مجرمة دون ان يحرك ساكنا او ان ينبس ببنت شفة ؟ هذا في وقت تبلغ فيه الارباح المعلنة السنوية للاحتكارات البترولية الغربية في الشرق الاوسط التي تشكل الاحتكارات الاميركية معظمها ، مليارا وخمسمائة دولار .

ولكننا نحن العرب لسنا خالين من المسؤولية حين تتدفق من الوطن العربي هذه الملايين المؤلفة لتملأ صناديق اميركا والغرب ، وتتدفق على الصهيونية العالمية واسرائيل الملايين المؤلفة من اميركا والغرب لتعمل هدما وتقويضا وخرابا في اسس الحياة العربية والشعب العربي ؟ هل ستستفيق اميركا يوما لترى ان تدهورها في الوطن العربي هو تدهورها في ذاتها اولاً ؟ وهل سيتمكن الوطن العربي من اشمال هذه اليقظة ؟

التشتت الفلسطيني

للكاتبة البريطانية إتيل مانين Ethel Mannin

الترجمة عن الانكليزية

للدكتور عادل عبد الله

العالم باجمعه عالم بتشتت اليهود الذين شاع الادعاء بانهم امة في المنفى بعثرت في جميع انحاء المعمورة . وقد سمع الناس في السنوات الاخيرة الكثير عن العودة او « التجمع » الكبير لليهود في « وطنهم » فلسطين ، وذلك بفضل اتساع والحاح الدعاية الصهيونية . والواقع ان قصتهم هذه قصة دراماتيكية مثيرة شأن اية قصة خيالية ، اليست هنالك رواية شهيرة كرست كلياً لهذا الموضوع بيع منها مايقدر بمليون نسخة ! لقد حولت هذه الرواية الى فلم مؤثر جداً (كما يشهد الجميع) بكى كل من شاهده من الناس في انحاء المعمورة .

(*) السيدة إتيل مانين مؤلفة رواية (الطريق الى بئر السبع) .

ولكن الذين بكوا — في العالم الغربي على كل حال — للمليون وربع المليون فلسطيني المشردين عن املاكهم ووطنهم والذين كانوا الحقيقة المؤلمة خلف هذه المأساة، فهم قلائل. قلائل اولئك الذين سمعوا بالتشتت الفلسطيني: نصف مليون فلسطيني شتتوا في المنفى في انحاء المعمورة وثلاثة ارباع مليون آخرين او مايزيد على ذلك هم الآن في حالة تعفن في المخيمات في البلاد العربية في الشرق الاوسط مع أن لكل منهم بيته وارضه في البلد الذي كان في يوم من الايام يدعى فلسطين والذي اصبح يسمى اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ ذلك البلد الذي يحتله الآن اجانب وفدوا من جميع انحاء العالم لاتجمع بينهم حتى وحدة اللغة وكل مافي الامر انهم ورثوا العقيدة اليهودية.

وخرافة «العودة» اليهودية متأصلة الجذور في الخرافة التي حاكها وتاهها هتلر بان اليهود عرق، فاليهود لم يكونوا في يوم من الايام عرقاً كما لم يكن المسيحيون والمسلمون ايضاً. فقبل الفي سنة تقريباً كانوا شعباً يتيه في الصحاري ويطمع الى ارض كنعان الزاخرة بالحليب والعسل، فيليستيا (Philistia) القديمة بلاد الفلسطينيين الذين انحدر منهم الفلسطينيون العرب. وحتى عندما عبر ابناء اسرائيل في ايام التوراة نهر الاردن واحتلوا ارض كنعان وهرب الكنعانيون امامهم (ماحدث عام ١٩٤٨ يُعتبر بالمقابل حادثة بارزة من حوادث التاريخ يعيد نفسه بعد الفي عام) لم تكن البلاد مأهولة كلياً باليهود اذ أن يوشع الذي «هدته السنون» ذكّرهم بعنف وشدة بقوله «لقد اعطيتكم ارضاً لم تكدحوا للحصول عليها ومدناً لم تبنوها الا انكم تسكنونها، شأن كروم العنب والزيتون التي لم تزرعوها الا أنكم تأكلون منها».

وفي عام ١٩٤٨ اعيد تمثيل مأساة اهالي كنعان (بلاد فلسطين الجميلة) المطرودين عن املاكهم وديارهم ، وللمرة الثانية هرب السكان امام اليهود الغزاة وهم إما في حالة رعب بعد مذابح وأعمال اخرى من الارهاب ، او انهم طردوا بالقوة - كما حدث في اللد في حزيران عام ١٩٤٨ - بعد انذار اسرائيلي دام لحظات ، او تحت تهديد الرشاشات الاسرائيلية . فالمدن التي لم يبنها اليهود وقعت في ايدي الاجانب الفاتحين الذين وفدوا من جميع انحاء المعمورة ، وكروم العنب والزيتون التي لم يزرعوها وقعت في ايديهم وهم لا يزالون يرفضون حتى هذا اليوم أن يسمحوا لمالكيها ذوي الحق الشرعي فيها أن يعودوا اليها أو أن يدفعوا تعويضاً للفلسطينيين المشتتين . مع أن الجمعية العامة للامم المتحدة ، بعد أن صعقتها نتائج اقتراحها تقسيم فلسطين ، قررت في شهر كانون الاول عام ١٩٤٨ (قرار تؤكده كل عام) بان للفلسطينيين الذين يودون العودة الحق بذلك ومن رغب عن ذلك عوض عن خسارة ممتلكاته . ومع أنه يعاد توكيد هذا القرار عاماً بعد عام إلا أنـه لم ينفذ حتى الآن وذلك لأن الضغط الصهيوني قوي جداً في جميع انحاء المعمورة وخاصة في امريكا التي تستطيع فرض تنفيذه لو أرادت ذلك .

ومما يجدر ذكره أن نعيد الى الذهن بانـــه في وقت تصريح بلفور عام ١٩١٧ لم يزد عدد الفلسطينيين اليهود عن ٧ ٪ من سكان فلسطين وأن بقية السكان كانت من العرب المسلمين والمسيحيين ، وأنه حتى في وقت متأخر من عام ١٩٤٧ عندما قسمت فلسطين لم يزد عدد المعتنقين للعقيدة اليهودية عن ثلث السكان . مع كل هذا اعطي ذلك الثلث ثلثي فلسطين وقد تضمن هذان الثلثان معظم الارض الخصبة وكل الساحل تقريباً بما فيه مينائي حيفا ويافا المهمين ، وكل ماترك

١٠ *

للفلسطينيين من الساحل هو مايُعرف الآن بقطاع غزة الذي يبلغ طوله ٢٥ ميلاً وعرضه ٥ أميال ، تحيط الأرض المحتلة نصفه وقد أدارته مصر حتى عام ١٩٦٢ عندما أعطي دستوره الخاص. وإذا أخذنا بعين الاعتبار أن الثلث المتبقي من فلسطين قد امتصته المملكة الاردنية الهاشمية فان هذا الشق المتداخل مع الارض المحتلة ليس فقط كل مابقي من فلسطين الحرة بل يعتبر بسبب مافيه من تركيز وتجمع هائل للاجئين أكثر مناطق العالم ازدحاماً بالسكان .

وعلينا أن نذكر أيضاً بان العدد الضخم من السكان الفلسطينيين القاطنين في حالة ازدحام شديد في الاكواخ في المخيمات في الاردن هم لاجئون في بلدهم، وذلك لان المخيمات قائمة في الضفة الغربية التي هي بمثابة الارداف لفلسطين ، ولكن السكان هنا وفي المخيمات في سورية ولبنان وقطاع غزة الذين يتألفون من الريفيين الذين اغتصبت أراضيهم ليسوا بالمعنى الصحيح فلسطينيي التشتت لانهم غير مبعثرين ، ومع أن جذورهم قلعت من موطنها الا انهم لا يزالون على أرض عربية . والفلسطينيون الذين يمثلون التشتت الفلسطيني بمفهومه الصحيح هم المثقفون المبعثرون في الشرق الاوسط في بلاد كالكويت ولبنان والعراق والسعودية ومصر وسورية في الغرب في بلاد كانكلترا وامريكا وحتى في بلاد ابعد من هذه، وفي معظم الاحوال نجد أن امور الفلسطينيين المثقفين الذين تخرجوا من الجامعات - والوظائف في متناول أيديهم - تسير سيراً حسناً وهم يعيشون حياة مريحة معقولة . ولكن تحدثت معهم- كما فعلت أنا في واشنطن ونيويورك وشيكاغو ولندن- تجـــدهم قد نذروا انفسهم لفكرة العودة الى بلدهم فلسطين كما هو حال الفقراء غير المثقفين من الفلسطينيين الذين يقطنون المخيمات .

التشتت والعودة امران متلازمان متمهان لبعضها البعض كالظلمة والنور . ومنذ عام ١٩٤٨ لازم التشتت الفلسطيني ولاء عاطفي لفكرة العودة اعطته الحملة لاعادة تأسيس الكيان الفلسطيني ـ المجددة ـ في المدة الاخيرة واقعاً قوياً . وتحرير فلسطين المحتلة واعادتها الى اصحابهـــا الحقيقيين امر واجب لان العدالة والتعلق والفخر بالتراث الضائع تتطلب ذلك . ونتيجة لذلك تطور ما يسمى « بالصهيونية الحديثة ... الصهيونية العربية[1] ذات هدف العودة الى الوطن » على حد تعبير السيد ا .ل. طيباوي في مقال رائع عنوانه « رؤيا العودة » Visions of the Return نشر في مجلة الشرق الاوسط Middle East Journal . يشير السيد طيباوي في مقاله الى « التشابه البارز بين آمال العرب وعواطفهم في الوقت الحاضر بخصوص العودة والآمال والعواطف التي ولدت منها الصهيونية » . والسيد طيباوي في مقاله عن شعر وفن اللاجئين الفلسطينيين العرب يستشهد بعدد من قصائد الفلسطينيين اللاجئين التي تعبر عن الحنين للعودة والتصميم على تحقيقها . وبالاضافة الى بحوثه التي قام بها بالنسبة لهذه القضية فان السيد طيباوي يعرف عما يكتب من الناحية العاطفية لكونه لاجئاً فلسطينياً .

التشتت الفلسطيني امر واقعي معاصر وهو نتيجة مباشرة لوضع سياسي وليس فكرة رومانطيقية ذات جذور تكمن في شيء حدث منذ آلاف السنين . والصهيونية السياسية ليست بحال من الأحوال فكرة رومانطيقية بل هي واقع سياسي ، الا انه قبل ان كون هرتزل (Herzl) افكاره عن الصهيونية السياسية

---

(١) ان هذا التعبير (الصهيونية العربية) غير مستحب لدى العرب حتماً . وان تكن الكاتبة قد اقتبسته بحسن نية للمقارنة بين العودتين ، وتأكيد شرعية العودة العربية .

بكثير في نهاية القرن التاسع عشر كان هناك حلم بإعادة اليهود الى فلسطين ، ارض الميعاد و كنعان التوراة ، كان هنالك حلم بإعادة شخصية فقدت بتشتت دام الفي سنة . لقد كان هرتزل يفتش عن حل لقضية ما يدعى باللاسامية (وهذا بحد ذاته تعبير خاطىء لان العرب هم أيضاً ساميون مع أن التعبير لا يشملهم) دون أن يدور بخلده تحقيق ما هو رومانطيقي - دينيلنبوءات التوراة .

يشير البرفسور ألن. ر. تيلور Alan R. Taylor في كتابه الصغير الممتاز المسمى « مقدمة لاسرائيل »[1] Prelude to Israel الى أن الصهيونية السياسية في مراحلها الأولى كانت بشكل رئيسي حركة علمانية «وأن شخصيتها الاساسية ظلت دائماً علمانية » . وإشارة الصهيونيين المتأخرة لفكرة « العودة » الرومانطيقية حققت بها الحركة بسبب استجابتها العاطفية قبل كل شيء . ثم يضيف البرفسور تيلور قوله « ولكن هذا لا يغير الحقيقة الواقعة الا وهي أن الصهيونية السياسية كانت دائماً حركة عقلية وليست مذهبية . لقد فتشت دائماً عن حل محدد لقضية محدودة وليس عن تمجيد عرقي - ديني اعلى » .

هذا هو الواقع الا أن الاستجابة العاطفية الرومانطيقية للعـودة تظل عاملاً له شأنه في فكرة «التجمع » . فسكان « اسرائيل » ليسوا يهوداً لاجئين من اضطهاد النازية في جميع انحاء العالم بل ان معظمهم ليس من اللاجئين اليهود الالمان الهاربين من النازية . والحق ان بن غوريون كان يتذمر قبل زمن ليس بالطويل بانه ليس في البلد يهود اوربيون بما فيه الكفاية بل فيه - اكثر مما يجب - من اليهود الشرقيين الذين يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية كما يعامل ما تبقى من

(١) دارتون ، لنغمان وتود ١٩٦١ ، لندن Darton, Longman & Todd, 1961 London , edition،

السكان العرب . لقد كانت الهجرة الجماعية لليهود الى فلسطين من جميع انحاء العالم - تحت تحريض المنظمات الصهيونية - مستمرة قبل مجيء هتلر للحكم ، مع ان الاضطهاد النازي اعطى الهجرة - باعتراف الجميع - دافعاً قوياً . والهدف الصهيوني الاساسي هو اعادة خلق شخصية قومية يهودية ولهذا تُدرّس العبرية في المدارس كمحاولة لاعطاء هؤلاء السكان ذوي القوميات المختلفة والذين تربطهم ببعضهم العقيدةُ المشتركة ، لغة مشتركة .

أما الصهيونية الجديدة التي دعى اليها التشتت الفلسطيني فهي شيء مغاير تماماً . انها رغبة شعب قديم - لم يفقد شخصيته القومية مطلقاً ، رغبة شعب عربي بكون جزءاً من الامة العربية - في العودة الى وطنه ، الى ذلك الجزء الذي يخصه من الوطن العربي الكبير ذلك الجزء المغتصب الذي هو فلسطين . انها ليست فكرة رومانطيقية تتاور حول عرقية دينية ، والمشكلة التي تعرضها ليست بشكل اساسي مشكلة لاجئين بل هي قضية حقوق انسانية - حق المرء فيما يمتلكه ، حقه في وطنه . انها كفاح ضد الاستعمار . لقد قيل عن الصهيونية قبل عام ١٩٤٨ بأنها عاشت لانهـا كانت تحرسها حراب البريطانيين ويمكن القول الآن بأنهـا تعيش بواسطة الدولارات الامريكية والاموال والاسلحة الالمانية .

أشار الدكتور جون ديفز (Dr. John Davies) المدير العام السابق لوكالة غوث وتشغيل اللاجئين لمدة خمس سنوات في خطاب وجهه للمجلس اليهودي الامريكي المعادي للصهيونيـة (في حفلة عشاء المجلس السنوية في السادس من شهر أيار سنة ١٩٦٤ في مدينة نيويورك) وبأنه حتى الحل الكامل لقضية اللاجئين الفلسطينيين العرب لن يحل النزاع العربي الاسرائيلي ... ويبدو

على بأن العالم الغربي في الواقع لم يفهم أبداً طبيعة التفكير العربي ولا عمق وشمول المشاعر العربية تجاه هذه القضية . إن الذي يولّد المرارة عند العرب أكثر من وجود قضية لاجئين هو وجود دولة اسرائيل في الشرق الاوسط . «قضية اللاجئين في اذهانهم هي نتاج دولة اسرائيل» ، ثم اضاف الدكتور ديفز ذاكراً صلب القضية الحقيقي : «انني اعتقد بعد تأمل بانه اذا حلّت قضية اللاجئين حلاً كاملاً - بسحر ما - فان مقاومة الشعوب العربية لاسرائيل ستستمر دون أن تنقص في الواقع شيئاً يذكر» .

أدى التشتت الفلسطيني الى وجود امة كاملة انتزعت منها املاكها ووطنها ، امة عربية ذات ديانات مختلفة (المسلم منهم والمسيحي) وذات لغة واحدة هي العربية وذات تراث حضاري واحد مشترك وذات شخصية قومية واحدة ، اذ انهم جميعاً فلسطينيون عرب كانوا الغالبية العظمى لسكان فلسطين مدة الفي عام الى أن قطّعت أوصالها . هنالك الآن امة منتشرة في المنفى في الشرق والغرب ، أمة ذات تاريخ مستمر وشخصية احتفظت بكيانها . عودة هذه الامة حق انساني اساسي خال من أية أفكار رومانطيقية أو مناورات سياسية او أية محاولة لاعادة خلق أمة ، فالأمة موجودة وهي متلاحمة تكوّن كلاً لا يتجزأ ، وسواء أكانت تعيش حياة ناعمة في نيويورك او لندن او بيروت او أية مدينة في العالم او كانت تعيش حياة تعيسة في كوخ ذي غرفة واحدة في مخيم للاجئين في الشرق الاوسط ، فانها متفقة متحدة في رغبتها القوية التي لا تردد فيها الا وهي العودة ، العودة الى الوطن .

الأمم المتحدة وقضية فلسطين

من نيسان ١٩٤٧ الى كانون الثاني ١٩٦٥

بقلم فايز صايغ
الجامعة الاميركية - بيروت

١ - مدى علاقة الامم المتحدة بالقضية :

موجز احصائي

عرضت القضية الفلسطينية أول مرة على الأمم المتحدة في نيسان ١٩٤٧ ، وظلت تعرض باستمرار منذ ذلك الحين . ولم تظفر قضية أخرى باهتمام المنظمة العالمية بشكل يماثل في حدته واتساعه ما ظفرت به هذه القضية . أما المدى الذي تدخلت فيه الامم المتحدة في مصير الارض المقدسة فيمكن أن يقاس بالنقاط التالية :

١ - تنفرد القضية الفلسطينية بين مختلف المشاكل التي عرضت على الامم المتحدة بانها قد

عولجت من قبل « المنظمات الست الرئيسية في الامم المتحدة » التي حددتها المادة السابعة من الميثاق ، على الشكل التالي :

أ ـ أدرجت **الهيئة العامة** القضية في جدول اعمال كل دورة عادية عقدتها منذ نيسان ١٩٤٧ أي من دورتها الثانية حتى نهاية الثامنة عشرة ، كما كرست لها جلستين خاصتين عام ١٩٤٧ و١٩٤٨ ، وكذلك أول جلسة استثنائية طارئة عام ١٩٥٦ ، وبذلك يغدو **المجموع عشرين دورة** .

ب ـ عالج **مجلس الامن** القضية أول مرة في اجتماعه الثاني والعشرين بعد المئة وقد خصص منذ ذلك الحين جلسة من أصل كل أربع جلسات يعقدها لدراسة الوضع في فلسطين .

ج ـ أدرج **المجلس الاقتصادي والاجتماعي** القضية في جدول أعماله في أربع من دوراته العادية .

د ـ نظر **مجلس الوصاية** في بعض جوانب القضية في خمس من جلساته ، أربع منها عادية وواحدة استثنائية .

هـ ـ درست **محكمة العدل الدولية في ثلاث جلسات علنية** قضايا قانونية ناشئة عن القضية الفلسطينية .

و ـ وأخيراً فان **السكرتارية العامة** قد أدت الخدمات المعتادة التي تتطلبها منظمات هيئة الامم الخمس الرئيسية هذه أثناء انشغالها بالقضية كما أخذت على عاتقها تفويضات اضافية أخرى عندما كانت الحاجة تدعو الى ذلك .

٢ ـ كرست المنظمات الرئيسية والجمعيات المتفرعة عنها **٩٨٥ جلسة او اجتماعا** من أجل قضية فلسطين على النحو التالي :

الهيئة العامة	٦٥٧
مجلس الأمن	٢٣١
المجلس الاقتصادي والاجتماعي	١٢
مجلس الوصاية	٨٣
محكمة العدل الدولية	٣

٣ – نظمت خمس من الوكالات الخاصة الملحقة بالأمم المتحدة برامج خاصة ترتبط ارتباطاً مباشراً بالوضع في فلسطين. هذه الوكالات هي : وكالة الصحة العالمية، وكالة التغذية العالمية، مكتب العمل الدولي، اليونيسكو، وكالة الغوث الدولية.

٤ – أنشيء خمس وخمسون وكالة فرعية خاصة كي تعالج القضية الفلسطينية بشكل شامل أو رئيسي.

٥ – تلقت المنظمات الرئيسية للأمم المتحدة أثناء مناقشات القضية الفلسطينية أكثر من ٤٠٠ اقتراح رسمي قدم من دول أعضاء، افرادياً أو جماعياً، على شكل مشروع قرار أو مشروع قرار لاحق أو تعديل لاحق.

٦ – أقر من هذه الاقتراحات رسمياً ١٣٩ قراراً على النحو التالي :

الهيئة العامة	٨٨
مجلس الأمن	٣٧
المجلس الاقتصادي والاجتماعي	٣
مجلس الوصاية	١٠
محكمة العدل الدولية (رأي استشاري)	١

٧ ـ عالج بعض هذه القرارات قضايا تنظيمية أو إدارية أو اجرائية أو مالية كما تضمن بعضها الآخر توصيات ذات صفة رئيسية .

بلغ عدد **القرارات ذات الصفة الرئيسية** التي صدرت رسمياً عن الأمم المتحدة فيما يتعلق بقضية فلسطين **٧٠** قراراً ، هي على النحو التالي :

الهيئة العامة	٣٥
مجلس الأمن	٣٢
المجلس الاقتصادي والاجتماعي	١
مجلس الوصاية	١
محكمة العدل الدولية (رأي استشاري)	١

٨ ـ ان تحليل القرارات الرئيسية التي صدرت عن المنظمات التابعة للأمم المتحدة في موضوع فلسطين، **بالاستناد الى المقترح الأصلي لكل مشروع قرار** ، يظهر الدور الذي لعبته كل دولة عضو في التأثير على عمليات صدور قرارات الامم المتحدة ، وعلى تكوين هذه الكتلة المتراكمة من القرارات الصادرة رسمياً عن المنظمة العالمية بخصوص قضية فلسطين خلال السنوات السبع عشرة الماضية .والجدول التالي يبرز الدور الذي لعبه و الاعضاء الخمس الدائمون في مجلس الأمن ، في تكوين كتلة القرارات المتراكمة التي صدرت رسمياً عن الهيئة العامة وعن مجلس الأمن في قضية فلسطين .

القرارات الهامة المتعلقة بقضية فلسطين والصادرة عن

الهيئة العامة ٣٥	مجلس الأمن ٣٢

قرارات تستند الى اقتراح انفرد بتقديمه كل من :

الصين	–	–
فرنسا	–	–
الاتحاد السوفييتي	–	–
المملكة المتحدة	١	٤
الولايات المتحدة	٥	٨

قرارات تستند الى اقتراح قدم بالاشتراك مع دول اخرى اعضاء

الصين	–	٢
فرنسا	٨	١٢
الاتحاد السوفييتي	–	–
المملكة المتحدة	١١	١٤
الولايات المتحدة	١٨	١٢

وبإيجاز نقول : لقد تبنت الجمعية العامة ومجلس الأمن رسمياً ومنذ عام ١٩٤٧ ، ٦٧ قراراً متعلقاً بقضية فلسطين ، بالاستناد الى اقتراحات من الدول الكبرى ، وتوزعت القرارات حسب ذلك على الشكل التالي :

استند قراران الى اقتراحات مقدمة من الصين

استند واحد وعشرون قراراً الى اقتراحات مقدمة من فرنسا

لم يستند اي قرار الى اقتراحات قدمها الاتحاد السوفييتي

استند ثلاثة واربعون قراراً الى اقتراحات مقدمة من الولايات المتحدة

II   قرارات الامم المتحدة المتعلقة باللاجئين العرب الفلسطينيين .

١ ـ دعمت الهيئة العامة في جلستها الاولى التي عقدتها بعد طرد اكثرية السكان العرب من اراضيهم في فلسطين ، التوصيات التي تقدم بها الوسيط الدولي الكونت فولك برنادوت، تلك التوصيات التي قدمتها حكومة المملكة الى الهيئة على شكل مشروع قرار . واعترافاً من الهيئة بحق اللاجئين بالعودة الى ديارهم ، فقد أصدرت تعليماتها بأن يسمح لهؤلاء بالعودة « في أول فرصة ممكنة ، إذا اختاروا هم العودة وتعويضهم عن « كل الخسائر والأضرار ، التي لحقت بممتلكاتهم . أما هذا الاعتراف بحق اللاجئين في العودة الى وطنهم وفي التعويض لهم عن خسائرهم فقد تضمنه القرار ١٩٤ (III) ، الصادر في ١١ كانون الاول ١٩٤٨ ، الذي اضحى الاساس الذي بنيت عليه بعد ذلك مواقف الامم المتحدة من قضية اللاجئين الفلسطينيين . والفقرة الثانية من هذا القرار تنص على مايلي :

« إذا رغب اللاجئون بالعودة إلى ديارهم والعيش بسلام مع جيرانهم فيجب ان يسمح لهم بأن يفعلوا ذلك في أول موعد ممكن من الوجهة العملية وأن يعوض الذين لايرغبون بالعودة ، عن ممتلكاتهم وعن كل ضياع أو ضرر فيها من قبل الحكومات والسلطات المسئولة ، حسب قواعد القانون الدولي أو العرف » .

٢ ـ وفي الدورة العادية التالية أي الدورة الرابعة المعقودة في خريف عام ١٩٤٩ أكدت الهيئة العامة بشدة مضمون الفقرة المشار إليها أعلاه بالنص التالي :

« بالإشارة إلى القرار ٢١٢ (III) المؤرخ في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨، والقرار ١٩٤ (III) المؤرخ في ١١ كانون الأول ١٩٤٨ ، تؤكد الهيئة بصفة خاصة ما نصت عليه الفقرة الثانية من القرار الآنف الذكر ... (القرار ٣٠٢ (IV) المؤرخ في ٨ كانون الأول ١٩٤٩ ، الفقرة الأولى من الاستهلال) .

٣ – أوضحت الهيئة العامة في دورتها العادية الخامسة المعقودة عام ١٩٥٠ قصدها مضيفة ضمانات هامة ضد اي احتمال للتمييز قانونياً أو واقعياً ضد اللاجئين عند عودتهم إلى اوطانهم فقالت : « تدعو الحكومات المعنية لاتخاذ الاجراءات الكفيلة بان يعامل اللاجئون سواء عادوا إلى اوطانهم أو اعيد اسكانهم ، دونما تمييز في الواقع او امام القانون » (القرار ٣٩٤ (V) المؤرخ في ١٤ كانون الأول ١٩٥٠ – الفقرة الثالثة) .

٤ – اكدت الهيئة العامة في كل دورة عادية عقدتها منذ عام ١٩٤٨ – ومجموعها ١٥ دورة – الاعتراف بحق اللاجئين بالعودة إلى ديارهم وفق رغبتهم الحرة وقد بدا هذا التأكيد اوضح مايكون في الفقرة الأولى من كل من القرارات الآتية :

ا – قرار رقم ٣٠٢ (IV) المؤرخ في ٨ كانون الأول ١٩٤٩

ب – « « ٣٩٤ (V) « « ١٤ « « ١٩٥٠

ج – « « ٥١٢ (VI) « « ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢

د – « « ٦١٤ (VII) « « ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢

هـ – « « ٧٢٠ (VIII) « « ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣

و – « « ٨١٨ (IX) « « ٤ كانون الأول ١٩٥٤

ز- » » ٩١٦ (X) » » ٣ كانون الأول ١٩٥٥
ح- » » ١٠١٨ (XI) » » ٢٨ شباط ١٩٥٧
ط- » » ١١٩١ (XII) » » ١٢ كانون الأول ١٩٥٨
ي- » » ١٣١٥ (XIII) » » ١٢ كانون الأول ١٩٥٨
ك- » » ١٤٥٦ (XIV) » » ٩ كانون الأول ١٩٥٩
ل- » » ١٦٠٤ (XV) » » ٢١ نيسان ١٩٦١
م- » » ١٧٢٥ (XVI) » » ٢٠ كانون الأول ١٩٦١
ن- » » ١٨٥٦ (XVII) » » ٢٠ كانون الأول ١٩٦٢
س- » » ١٩١٢ (XVIII) » » ٣ كانون الأول ١٩٦٣

ان هذا التأكيد المنتظم على القرار الرئيسي ليس إجراءاً شكلياً وإن الحقائق التي تتضمنها الفقرة التالية لتوضح ذلك بجلاء :

٥ - ربطت الهيئة العامة ربطاً مباشراً بين قبول اسرائيل في عضوية الامم المتحدة في ١١ أيار ١٩٤٩ وبين تنفيذ القرار ١٩٤ (III) الصادر قبل ذلك بخمسة اشهر . **وكانت اسرائيل بذلك ، من بين مايزيد على ٦٠ عضواً قبلوا في عضوية الامم المتحدة منذ قيامها ، الدولة الوحيدة التي ربط قبولها بتنفيذ قرارات معينة أصدرتها الهيئة العامة .**

ينص القرار ٢٧٣ (III) المؤرخ في ١١ أيار ١٩٤٩ على مايلي :

« وبملاحظة ما اعلنته حكومة اسرائيل من أنها تقبل بلا تحفظ التزامات ميثاق الأمم المتحدة ، وتفي بهـــا منذ اليوم الذي تغدو فيه عضواً في الامم المتحدة ، وتأكيداً لقرارات ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ و١١ كانون الاول ١٩٤٨ ، وبعد الاطلاع على التصريحات والتفسيرات التي اطلقها ممثل الحكومة

الاسرائيلية أمام الجمعية التأسيسية فيما يتعلق بالتزام القرارات المذكورة فان الجمعية العامة ؛... تقرر أن تقبل اسرائيل عضواً في هيئة الامم المتحدة ». (الفقرة الرابعة والخامسة من الاستهلال والفقرة العملية الثانية) .

٦ - وكلما خصصت الهيئة العامة اعتمادات لاغاثة اللاجئين أو أنشأت وكالات جديدة لإدارة هذه الاغاثة أو عددت اعمال الوكالات القائمة أوساندت برامج العمل العام والتأهيل ، فانها تبدي مباشرة التحفظ لضمان حقوق اللاجئين التي اعترفت بها في الفقرة الثانية من القرار ١٩٤ (III) وذلك بتأكيدها أن التدبير النهائي موضوع البحث **لايمس فحوى الفقرة الثانية من القرار المذكور**. وقد صيغ هذا التحفظ الهام بعبارات مماثلة في قرارات الهيئة العامة التالية :

أ - قرار رقم ٣٠٢ (IV) المؤرخ في ٨ كانون الأول ١٩٤٩ الفقرة ٥

ب - قرار رقم ٣٩٣ (V) المؤرخ في ٢ كانون الأول ١٩٥٠ الفقرة ٤

ج - قرار رقم ٥١٣ (VI) المؤرخ في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ الفقرة ٢

د - قرار رقم ٦١٤ (VII) المؤرخ في ٦ تشرين الثاني ١٩٥٢ الفقرة ٤ من الاستهلال

ه - قرار رقم ٧٢٠ (VIII) المؤرخ في ٢٧ تشرين الثاني ١٩٥٣ الفقرة ١

و - قرار رقم ٨١٨ (IX) المؤرخ في ٤ كانون الأول ١٩٥٤ الفقرة ١

ز – قرار رقم ٩١٦ (X) المؤرخ في ٣ كانون الأول ١٩٥٥ الفقرة ٣

ح – قرار رقم ١٠١٨ (XI) المؤرخ في ٢٨ شباط ١٩٥٧ الفقرة ٣ ، ٥

ط – قرار رقم ١١٩١ (XII) المؤرخ في ١٢ كانون الأول ١٩٥٧ الفقرة ٥

ي – قرار رقم ١٣١٥ (XIII) المؤرخ في ١٢ كانون الأول ١٩٥٨ الفقرة ٤

٧ – وقد لاحظت الهيئة العامة في اثنتي عشرة مناسبة على الأقل منذ عام ١٩٤٨ ، وبقلق واضح ان توصيات الفقرة الثانية من القرار ١٩٤ (III) لم تنفذ ، وقد أدى هذا الاخفاق والوضع الذي نتج عنه الى أن تعبر الهيئة العامة عن عدم رضاها بالعبارات التالية : « تأثر » ، « أسف » ، « تأثر بليغ » ، « اسف عميق » ، « تأثر بالغ » ، أو بمجموعات مختلفة من هذه العبارات والمشاعر وذلك في القرارات التالية :

آ – ٣٩٤ (V) في ١٤ كانون الأول ١٩٥٠ ، الفقرة ٢ من الاستهلال : « تأثر »

ب – ٥١٢ (VI) في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، « ٣ من الاستهلال « أسف »

جـ – ٨١٨ (IX) في ٤ كانون الاول ١٩٥٤ ، « ٣ من الاستهلال : « تأثر بليغ »

د – ٩١٦ (X) في ٣ كانون الأول ١٩٥٥ ، « ٤ من الاستهلال : « تأثر بليغ »

هـ - ١٠١٨ (XI) في ٢٨ شباط ١٩٥٧ ، « ٥ من الاستهلال « تأثر بالغ »

و - ١١٩١ (XII) في ١٢ كانون الأول ١٩٥٧ ، « ٥ من الاستهلال «أسف وتأثر بالغ »

ز - ١٣١٥ (XIII) في ١٢ كانون الثاني ١٩٥٨ ، « ٤ من الاستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

ه - ١٤٥٦ (XIV) في ٩ كانون الأول ١٩٥٩ ، « ٤ من الاستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

ط - ١٦٠٤ (XV) في ٢١ نيسان ١٩٦١ ، « ٣ من الاستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

ي - ١٧٢٥ (XVI) في ٢٠ كانون الأول ١٩٦١ ، « ٣ من الاستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

ك - ١٩٥٦ (XVII) في ٢٠ كانون الأول ١٩٦٢ ، « ٣ من الإستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

ل - ١٩١٢ (XVIII) في ٣ كانون الأول ١٩٦٣ ، « ٣ من الاستهلال « أسف عميق وتأثر بالغ »

٨ - ولم تكتف الهيئة العامة ابداً بهذا التعبير المتكرر عن الأسف والتأثر بل لقد حثت الوكالات المساعدة التي يرتبط بها الأمر ارتباطاً مباشراً كي تعمل على تنفيذ توصيات الفقرة الثانية من القرار ١٩٤ (III) بالشكل التالي :

أ - أوصت الهيئة لجنة التوفيق لدى انشائها ، وفي الفقرة التي أعلنت فيها مبدأ حرية اللاجئين في الاختيار والتي اعترفت فيها بحقوقهم في العودة مع

التعويض ، (أو ، إذاهم اختاروا ، إعادة التوطين مع التعويض) ، أن وتسهل ، تنفيذ التوصيات المذكورة وان ، تحتفظ بعلاقات وثيقة مع مدير وكالة غوث اللاجئين الفلسطينيين في الأمم المتحدة ، وان ترتبط بواسطته بالمنظمات والوكالات ذات العلاقة في الأمم المتحدة ، . (الجزء الثاني من الفقرة الثانية من القرار ١٩٤ (III)) .

ب- واجهت الهيئة العامة في دورات لاحقة عدة مناسبات حثت فيها لجنة التوفيق على ، مواصلة جهودها ، أو مواصلة ، سعيها ، او ، ان تبذل جهوداً جديدة ، او ان ، تزيد في جهودها ، ، لتنفيذ توصيات الفقرة الثانية من القرار ١٩٤ (III) :

١ – ٣٩٤ (V) في ١٤ كانون الاول ١٩٥٠ ، الفقرة ٢ (ب)
٢ – ٥١٢ (VI) في ٢٦ كانون الثاني ١٩٥٢ ، الفقرة ٥
٣ – ١٤٥٦ (XIV) في ٩ كانون الأول ١٩٥٩ ، الفقرة ١
٤ – ١٦٠٤ (XV) في ٢١ نيسان ١٩٦١ ، الفقرة ١
٥ – ١٧٢٥ (XVI) في ٢٠ كانون الأول ١٩٦١ ، الفقرة ١ (آ)
٦ – ١٨٥٦ (XVII) في ٢٠ كانون الأول ١٩٦٢ ، الفقرة ٢
٧ – ١٩١٢ (XVIII) في ٣ كانون الأول ١٩٦٣ ، الفقرة ٤

ج – دعت الهيئات العامة في مناسبات اخرى الى التعاون والتشاور المتبادل بين لجنة التوفيق وبين وكالة العمل والاغاثة للاجئي فلسطين ، حرصاً على مصلحة العمل المتبادلة بين الطرفين مع الرجوع ، بشكل خاص ، الى الفقرة الثانية من قرار الهيئة العامة رقم ١٩٤ (III) وتاريخ ١١ كانون الاول ١٩٤٨ ، :

١ ـ ٣٠٢ (IV) في ٨ كانون الأول ١٩٤٩ ، الفقرة ٢١

٢ ـ ٨١٨ (IX) في ٤ كانون الاول ١٩٥٤ ، الفقرة ٢

٣ ـ ٩١٦ (X) في ٣ كانون الاول ١٩٥٥ ، الفقرة ٢

٤ ـ ١٠١٨ (XI) في ٢٨ شباط ١٩٥٧ ، الفقرة ٤

٥ ـ ١١٩١ (XII) في ١٢ كانون الاول ١٩٥٧ ، الفقرة ٦

٦ ـ ١٣١٥ (XIII) في ١٢ كانون الاول ١٩٥٨ ، الفقرة ٦

III . احكام رسمية أصدرتها الامم المتحدة حول سلوك اسرائيل الدولي .

آ . **قرارات رسمية اتخذها مجلس الأمن ، بخصوص هجمات قامت بها القوات النظامية الاسرائيلية المسلحة على أراضي الدول العربية المجاورة .**

١ ـ قرار بتاريخ ١٨ أيار ١٩٥١ (S/ ٢١٥٧)

يرى مجلس الامن أن المعركة الجوية التي قامت بها قوات الحكومة الاسرائيلية في ٥ نيسان ١٩٥١ تشكل « خرقاً لاتفاقية وقف النار الصادرة عن مجلس الأمن في قراره المؤرخ في ١٥ تموز ١٩٤٨ . » وهي « تتعارض مع نصوص اتفاقية الهدنة والالتزامات التي يفرضها الميثاق » . (الفقرة الثانية) .

واتخذ القرار بعشرة أصوات مقابل لاشيء مع امتناع عضو واحد عن التصويت .

٢ ـ قرار بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٣ (S/٣١٣٩) :

يرى مجلس الأمن ان « العمل الذي قامت به القوات الاسرائيلية المسلحة في قبية بتاريخ ١٤ و١٥ تشرين الأول ١٩٥٣ ، يشكل « خرقاً

الاتفاقية وقف اطلاق النار الصادرة عن مجلس الأمن في ١٥ تموز ١٩٤٨ ، وهو يتعارض مع التزامات الطرفين بموجب اتفاقية الهدنة العامة والميثاق ، ولذلك فان مجلس الأمن « يشجب هذا العمل أشد الشجب » . (الفصل آ) .

واتخــــذ القرار بتسعة أصوات مقابل لاشيء مع امتناع عضوين عن التصويت .

٣ – قرار مجلس الأمن المؤرخ في ٢٩ آذار ١٩٥٥ (S/٣٣٧٨) :

ان مجلس الأمن « يشجب الاعتداء » (الذي « قامت به قوات اسرائيلية نظامية ضد قوات نظامية مصرية » في قطاع غزة بتاريخ ٢٨ شباط ١٩٥٥) ويعتبره « خرقاً لاتفاقية وقف اطلاق النار الصادرة عن مجلس الأمن في قراره المؤرخ في ١٥ تموز ١٩٤٨ » وتعارضاً مع التزامات الطرفين في اتفاقية الهدنة العامة بين مصر وإسرائيل وفي الميثاق » (الفقرة الرابعة والخامسة) .

اتخذ القرار بأكثرية احد عشر صوتاً مقابل لاشيء ودون امتناع اي عضو عن التصويت .

٤ – قرار مجلس الأمن المؤرخ في ١٩ كانون الثـــاني ١٩٥٦ (S/٣٥٣٨) :

إن مجلس الأمن : ١ – « يشجب هجوم ١١ كانون الثاني ١٩٥٥ ويعتبره خرقاً فاضحاً لاتفاق وقف اطلاق النار في قراره المؤرخ في ١٥ تموز ١٩٤٨ ، ولنصوص اتفاقية الهدنة العامة بين اسرائيل وسورية ، وللالتزامات اسرائيل في الميثاق » !

٢ – « يعبر عن تأثره البالغ بسبب اخفاق الحكومة الاسرائيلية في القيام بالتزاماتها ».

٣ – ينذر بأنه قد « يضطر إلى الأخذ باجراءات أخرى يتيحها الميثاق لإقرار السلام » (الفقرات ٣ و ٤ و ٥)

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا كل من فرنسا والمملكة المتحدة والولايات المتحدة واتخذ القرار بأكثرية احد عشر صوتاً مقابل لاشيء ودون امتناع اي عضو عن التصويت .

٥ – قرار مجلس الأمن المؤرخ في ٩نيسان١٩٦٢ (S/٥١١١)

ان مجلس الأمن : ١ – « يعود للتأكيد على قراره المؤرخ في ١٩ كانون الثاني ١٩٥٦ الذي أدان العمل الاسرائيلي العسكري » .

٢ – « يقرر ان الهجوم الاسرائيلي في ١٦ و ١٧ آذار ١٩٦٢ (قرب بحيرة طبريا) يشكل خرقاً فاضحاً لذلك القرار » .

٣ – « يدعو اسرائيل بقلق للامتناع عن هذه الأعمال في المستقبل » . (الفقرة الثانية والثالثة) .

اتخذ القرار بأكثرية عشرة أصوات مقابل لاشيء مع امتناع عضو واحد عن التصويت .

وفي اليوم التالي أي في العاشر من نيسان ١٩٦٢ أصدر الكنيست (البرلمان) الاسرائيلي قراراً نص في مقطعه الأول على مايلي : « ان الكنيست يرفض من حيث المبدأ قرار مجلس الأمن المتخذ في ٩ نيسان ١٩٦٢ » .

* * *

هذا ولم يصدر أي قرار مشابه عن أي منظمة من منظمات الأمم المتحدة ضد أي دولة عربية .

ب – قرارات اتخذتها الهيئة العامة بعد احتلال الاراضي المصرية عام ١٩٥٦ :

١ – قرار بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٥٦ (٩٩٧ [LES - T]) :

« نظراً لتوغل القوات المسلحة الاسرائيلية في الاراضي المصرية وتعبيراً عن بالغ التأثر ، تحض الهيئة العامة اسرائيل على « ان تسحب جميع قواتها وبأسرع ما يمكن الى ماخلف خطوط الهدنة » (الفقرة الأولى من الاستهلال والفقرة العملية الثانية) .

تقدمت الولايات المتحدة بمشروع القرار هذا واتخذ القرار بأكثرية ٦٤ صوتاً ضد خمسة أصوات وامتناع ستة أعضاء عن التصويت .

٢ – قرار بتاريخ ٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ (٩٩٩ (ES - I)) :

إن الهيئة العامة « إذ تلاحظ بأسف ، عدم الانصياع للقرار المتخذ في ٣ تشرين الثاني » لتؤكد من جديد ، القرار المذكور (الفقرة الأولى من الاستهلال والفقرة العملية الأولى) .

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا تسع عشرة دولة من الدول الآسيوية والافريقية الأعضاء واتخذ القرار بأكثرية ٥٩ صوتاً ضد خمسة اصوات وامتناع اثني عشر عضواً عن التصويت .

٣ – قرار بتاريخ ٧ تشرين الثاني ١٩٥٦ (١٠٠٢ (ES - I)) :

إن الهيئة العامة « تعود لتأكيد القرارات المذكورة اعلاه ، وتدعو

اسرائيل مرة اخرى ان تسحب جميع قواتها فوراً الى ما خلف خطوط الهدنة (الفقرة الأولى والثانية) .

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا تسع عشرة دولة من الدول الآسيوية والافريقية الاعضاء واتخذ القرار باكثرية ٦٥ صوتاً ضد صوت واحد وامتناع عشرة أعضاء عن التصويت .

٤ — قرار بتاريخ ٢٤ تشرين الثاني ١٩٥٦ (١١٢٠ (XI))

إن الهيئة العامة « تلاحظ بأسف ان اياً من القوات الاسرائيلية لم ينسحب وتعود فتؤكد دعوتها ثانية » (الفقرة الاولى والثانية) .

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا عشرون دولة من الدول الآسيوية والافريقية الاعضاء واتخذ القرار باغلبية ٦٣ صوتاً ضد خمسة أصوات وامتناع عشرة اعضاء عن التصويت .

٥ — قرار بتاريخ ١٩ كانون الثاني ١٩٥٧ (١١٢٣ (XI)) :

إن الهيئة العامة « تلاحظ بأسف وتأثر عدم انصياع اسرائيل للقرارات المذكورة اعلاه » (الفقرة الأولى) .

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا خمس وعشرون دولة من الدول الآسيوية الاعضاء واتخذ القرار باكثرية ٧٤ صوتاً ضد صوتين وامتناع عضوين عن التصويت .

٦ — قرار بتاريخ ٢ شباط ١٩٥٧ (١١٢٤ ، XI) :

ان الهيئة العامة : ١ — « يمضها عدم انصياع اسرائيل لقرار الانسحاب الكامل خلف خطوط الهدنة بالرغم من طلب الهيئة العامة المتكرر » .

٢ — « تدعو اسرائيل ان تكمل انسحابها خلف خطوط الهدنة دون أي تأخير » (الفقرة الأولى والثانية) .

تقدم بمشروع القرار الجماعي هذا سبع دول اعضاء من اوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية وآسيا واتخذ القرار بأكثرية ٧٤ صوتاً ضد صوتين وامتناع عضوين عن التصويت .

ج ـ قرارات تتعلق باعمال اسرائيل في القدس :

١ ـ قرار مجلس الوصاية المؤرخ في ٢٠ كانون الاول ١٩٤٩ (١١٤ (S ـ ٢)) :

إن مجلس الوصاية : ١ ـ « قلق بسبب نقل بعض الوزارات والادارات المركزية في حكومة اسرائيل الى القدس » بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٤٩ .

١ ـ « يعتبر ان مثل هذا العمل يتجاهل نصوص الفقرة الثانية من قرار الهيئة العامـــة رقم ٣٠٣ (IV) المؤرخ في ٩ كانون الاول ١٩٤٩ ويتعارض معها » .

٣ ـ يدعو اسرائيل « للرجوع عن هذه الاجراءات » .

قرار مجلس الامن المؤرخ في ١١ نيسان ١٩٦١ (S / ٤٧٨٥) .

إن مجلس الامن « يؤيد » قرار لجنة الهدنة المشتركة المتخذ في ٢٠ آذار ١٩٦١ الذي « يدين » اسرائيل « لخرقها » اتفاقية الهدنة بشأن القدس (الفقرة الاولى والثانية) .

د ـ قرارات اتخذها مجلس الأمن بعد اغتيال وسيط الأمم المتحدة الكونت برنادوت ، في اسرائيل :

١ ـ قرار بتاريخ ١٨ ايلول ١٩٤٨ (S / ١٠٠٦) :

إن مجلس الأمن « قد صدم صدمة صاعقة بالعمل الجبان الذي اقترفته مجموعة مجرمة من الارهابيين » . الفقرة الأولى من الاستهلال) .

٣ ـ قرار بتاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٤٨ (S / ١٠٤٥) .

إن مجلس الأمن : ١ ـ يلاحظ بتأثر ان الحكومة الاسرائيلية المؤقتة لم تقدم ، حتى هـذا التاريخ ، الى مجلس الامن او الى القائم بأعمـال الوسيط الدولي أي تقرير عن تقدم التحقيق في حادث الاغتيال » .

٢ ـ يذكر هذه الحكومة بأن عليها ان تنهض بجميع « التزاماتهـــا ومسؤولياتها » بشكل « كامل مخلص » . (الفقرة الاولى والثانية) .

* * *

هذا ولم يتعرض بلد في العالم سواء كان عضواً في الأمم المتحدة أو لم يكن لمثل ماتعرضت له اسرائيل من زجر ولوم وإدانة من قبل المنظمات الرئيسية للأمم المتحدة نتيجة أعمال خرقت فيها الميثاق أو لم تنصع فيهـا لقرارات الهيئات الرسمية للمنظمة العالمية .

ألبرت حوراني (*)

هل الصهيونية حلّ للقضيّة اليهوديّة

الترجمة عن الانكليزية
للدكتور فؤاد أيوب

ينبغي قبل كل شيء أن نسأل ما هي القضية اليهودية، قد توحي النظرة السطحية بأنها مجرد بضعة آلاف أو ملايين من الافراد الذين لا يريدون، أو هم لا يستطيعون أن يعيشوا في البلدان التي يقيمون فيها في الوقت الحاضر، وذلك من جراء ظروف سياسية واجتماعية مؤقتة، ولذا فانه يتوجب تأمين مكان آخر لهم يقيمون فيه، حيث يمكنهم أن يعيشوا بمزيد من السعادة والأمان بالقياس الى الوقت الحاضر. واذا كانت تلك هي القضية اليهودية كلها، فان الحل سيكون مسألة تقنية بسيطة جداً، إذ يقتصر إذن على تعداد الأفراد الذين يطلبون

(*) لايزال الاستاذ البرت حوراني، منذ اعوام استاذاً للتاريخ في جامعة اكسفورد.

ملجأ، وتوفير الفرص الاقتصادية أو ايجاد الأمكنة الفارغة لهم، ومن ثم اتخاذ الترتيبات المالية والقانونية الضرورية.

بيد أن القضية اليهودية لأكثر تعقيداً من ذلك. إنها قضية جماعة من الناس يتحدافرادها، رغماً عن اختلافهم من وجهات نظر متعددة، بروابط عصبية عاطفية وروحية قد أثارت في الماضي ولا تبرح تثير حالياً الشك والريبة، أو الحيرة على أقل تعديل، عند الشعوب التي يقيمون بين ظهرانيها: وتلك مجموعة من الانفعالات قد تظاهرت في اوروبا في سياق السنوات العشر الأخيرة (١) على صورة اضطهاد بالغ القسوة بحيث أن الكثيرين من افراد تلك الجماعة ماعادوا يستطيعون، أو ماعادوا يريدون حتى حين تتوفر لهم القدرة على ذلك، أن يعيشوا في اوروبا.

والأفضل أن نقترب من هذه القضية بمحاولة ادراك الأسباب المؤدية الى ذلك الموقف الخاص الذي يقفه العالم من اليهود. ويمكننا أن نطرح جانباً في وقت واحد نظرتين متطرفتين، أولاهما نظرة اولئك الذين يريدون أن يلقوا اللوم كله على كاهل الجلادين الكفرة الذين يحركهم، حسب ادعاء هذه الجماعة، حقد لاعقلاني حيال الضعفاء واولئك الذين ليسوا منهم، او تحفزهم الأوهام الدينية، فهم يرون في اليهود اولئك الذين اغتالوا المسيح ولا يزالون ينكرونه حتى الآن، أو يحرضهم على العمل تآمر طبقة حاكمة كل همها المحافظة على سلطانها وصرف الانتباه عن قضايا أكثر واقعية وأشد إلحاحاً.

تلك هي النظرية التي ينادي بها، بصورة عفوية أو صريحة، عدد كبير من اليهود الذين علمتهم قرون من الحياة في الحضيض أن ينظروا الى العالم الكافر (٢) على اعتباره قطيعاً من الذئاب يتأهب للانقضاض عليهم. وتلك هي أيضاً نظرية نمط معين من المسيحيين بسبب معاملة اليهود في العالم المسيحي. وإن فيها لعنصراً من الحقيقة (في الحقيقة أنه يصعب نشر نظرية تفتقر الى كل ذرة من الحقيقة)، لكنها لاتكفي بحد ذاتها من أجل تعليل مايبتغي تعليله. إنها لاتوضح السبب في استمرار هذه العواطف والأوهام اللاعقلانية طوال هذه المئات العديدة من السنين، والسبب في توجيهها ضد اليهود بشدة اعظم منها ضد أية جماعة أقلية أخرى، والسبب في استمرار وجود اليهود كجماعة رهيبة على الرغم من الاضطهاد ومن التشتت في مختلف أرجاء العالم.

ويقف في الطرف الآخر اولئك الذين يعتقدون أن الاضطهاد والحقد هما من جريرة اليهود

---

(١) يلاحظ أن هذه الدراسة كتبت عام ١٩٤٦. وقد تضمنت عدة توقعات صحت جميعها، وهي تمثل منطق الموقف العربي قبل الكارثة.

(٢) الكفار والعالم الكافر، بالنسبة الى اليهود، هم جميع الأمم غير اليهودية دون تمييز.

اطلاقا ، بسبب من بعض الخبث الأصيل والتربص لديهم . ويختلف نمط الخبث الذي يعزى الى اليهود وفقاً للزي الفكري السائد ؛ وهكذا فان التهمة توجه اليوم ، في عصرنا الحالي الذي تهيمن فيه الوساوس الاجتماعية الاقتصادية ، بأنهم القوة الموجهة الكامنة خلف الرأسمالية العالمية والشيوعية العالمية . وكثيراً ما يتهمون بالاشتراك في مؤامرة تستهدف دمار العالم والسيطرة عليه . وبذلك يتخذ اضطهادهم مظهر الدفاع عن النفس .

ولا تخلو مثل هذه النظريات أيضاً من بعض الحقيقة . ولعله صحيح ، كما هو رأي السيد ماريتان ، أن اليهود هم في قلب الاضطراب العالمي ، حاملين أينما ذهبوا عنصراً من التذمر والقلق . ولعله من الصحيح أيضاً أن الاضطهاد والشعور بأنهم غير مرغوب فيهم قد أبرزا بعض الخصائص الرديئة التي كانت تظل ضامرة بدون ذلك . ومهما يكن من شيء ، فلا بد لنا اذن أن نعلل السبب في أن يهود جميع البلدان يتحلون بهذا الخبث المخصوص ، والسبب في ارتكاسهم بهذه الطريقة بالذات تجاه الاضطهاد ، بينما ارتكست الجماعات المضطهدة الاخرى بطرق مغايرة كلياً .

فلا بد لنا ، اذا اردنا ان نفهم الأوضاع على حقيقتها ، من التعمق في القضية أكثر مما فعلت هاتان النظريتان معاً . يجب أن نبحث عن أصل القضية اليهودية في شعور اليهود بأن لهم رسالة خاصة في العالم ، رسالة تفصلهم عن الكائنات الانسانية الأخرى وتلقي على كواهلهم أعباء مخصوصة : تلك هي رسالة تأدية الشهادة عن الله أمام جميع الأمم واطاعة الناموس في كل عمل يقومون به . وإن ادعاءهم مثل هذه الرسالة أمر يرفضه العالمان المسلم والمسيحي اللذان يعتبران أن الرسالة اليهودية ، في شكلها الأصلي على الأقل ، قد انتهت . وإن هذا الشعور بالرسالة ، وما يصادفه من رفض وانكار في العالم الكافر ، ليرسخ في اشكال متبدلة حتى بين اولئك الذين قطعوا سائر روابطهم باليهودية التقليدية ، والمسيحية أو الاسلام . وهذا هو السبب الأساسي في شذوذ اليهود ، وفي قصورهم عن الدخول في مشاركة كاملة مع أي من الشعوب التي يقيمون بين ظهرانيها وانشاء علاقات معنويـــة طبيعية معها ، أي علاقات من الثقة والاحترام والاعتراف بالمساواة . ولقد أدى هذا الشذوذ ، في بعض الظروف السياسية والاقتصادية ، الى اضطهاد اليهود بصورة أكثر أو أقل عنفاً . لكن الاضطهاد لم يقض قط على الشعب اليهودي أو يضطره الى هجران تقاليده ، وذلك بسبب ما يتمتع به إحساسهم بالرسالة من قوة وعنفوان . وإن مراكز اليهود الشاذ وتاريخهم قد غذيا فيهم بعض الصفات ــ الارتياب ، والعصبية القبلية ، والاحساس بالنقص وانعدام الأمن ــ وهي صفات أصبحت بدورها أسباباً مساعدة في الاضطهاد .

كانت الجماعات ، المسيحية والمسلمة على السواء في القرون الوسطى ، تعامل اليهود بوصفهم

خوارج كلياً ، وكثيراً ما نجحوا بهذه الصفة (وإن لم يكن دائماً وفي جميع الأحوال) في إنشاء علاقات مرضية مع العالم الخارجي . مثال ذلك أنه كان في اسبانيا تسامح واحترام متبادلان بين الجماعتين المسلمة واليهودية ، وقد تدفق بينهما تيار من التأثيرات الثقافية أخصب حياة الجماعتين. ولقــد قيلت أشياء سيئة عديدة عن نظام « الأحياء اليهودية » - الغيتو - . لكنه من الهام الا يغرب عن البال أن اليهود لم يلزموا عنوة « بأحيائهم » . لقد كانت « الاحياء اليهودية » و « نظــام الملة » الذي يعادلها في الأمبرطورية العثمانية ، الشكل الطبيعي للمجتمع مع جماعة دينية منفصلة في عصر يسوده الاعتقاد بأن المجتمع يجب أن ينظم على أساس ديانة خاصة ، عصر كان القانون يشتق فيه من الايمان الديني .

ولقد استطاع اليهود ، حتى في الأزمنة المتقدمة ، أن يقيموا في بعض الاماكن وبعض الاوقات علاقات مرضية مع الجماعة التي يعيشون في كنفها . وهــذا ما تحقق إلى درجة ما في الامبرطورية البريطانية ، وفي الامبرطورية النمسوية الهنغارية القديمة ، وفي الولايات المتحدة الأميركية ، وفي تلك البلدان الاوروبية حيث توطدت التقاليد الديمقراطية . لقد تمكن اليهود من الاسهام كلياً في حياة الجماعة وتمتعوا بحقوق متساوية باعتبارهم مواطنين ، في حين كانوا يحتفظون ، اذا ارادوا ذلك ، ببعض مظاهر حياتهم الخاصة وتقاليدهم ، وبوعيهم للفوراق التي تفصلهم عن الآخرين . ولقد كان ذلك في مقــدورهم لأسباب عديدة : بسبب قوة الافكار الديمقراطية في تلك البلدان ، ولان بعض هذه الجماعات كانت جماعات غير متجانسة حيث تمكنت جماعات متنوعة من الحفاظ على فرديتها فيها ، وكان تماسكها يتحقق بفضل مبدأ يتسامى على الفوارق التي بينها ، ولان نسبة كبيرة من اليهود ، على الرغم من احتفاظهم ببعض التقاليد وروابط الدم الحارة ، قد فقدوا تعلقهم الشديد بديانتهم وشعورهم بالرسالة المتصلة ، هذا الشعور الذي تلاشى كلياً أو تحول الى لغة « الثقافة » المحايدة .

ومهما يكن من شيء ، فقد وقعت بعض التطورات في القسم الاعظم من القارة الاوروبية في سياق الاجيال القليلة الاخيرة جعلت من المحال على اليهود انشاء علاقات جديدة للاستعاضة عن « الاحياء اليهودية » . فقد حدث اولاً تبدل في أساس الدولة ، اذ جرت المحاولة في مختلف انحاء اوروبا من أجل اعادة بناء الدولة على أساس الأمة المتحدة والمتجانسة : إن « تقاليد الأمة و « روحها » هي التي تقرر بنية الحكومــة وسياستها ، ومطالبة الدولة بالاخلاص من قبل مواطنيها تجد تكريسها الحاسم في شعور الانتساب الى الجماعة القومية والاستعداد للعمل والتضحية من أجل الامة .. وان لليهود الآن علاقات غامضة بالامم الاوروبية ، فعلى الرغم من أنهم قــد

ينطقون لغة الامة التي يعيشون بين ظهرانيها ، وقد يتمكنون من ثقافتها ، فان المطالب التي تفرضها الدولة الخاصة بالامة المتجانسة على أعضائها هي من الدقة بحيث لا يستطيع كل اليهود ، مهما حسنت نواياهم ، أن يتجاوبوا معها بصورة مناسبة ، وحتى اولئك الذين يتوصلون منهم الى تحقيق هذا التجاوب لا يصادفون دائماً القبول لدى المواطنين على اعتبارهم أصحاء كاملين في الأمة .

لقد طرأ تغير على كل من طبيعة الثقافة والمجتمع الغربيين ، فأصبحا علمانيين عموميين ولـيبيين . وكان من نتيجة ذلك تبدل في موقف أهـالي الغرب حيال اليهود وموقف اليهود حيال الجماعة الغربية . ان الاوروبيين قدمالوا عاطفياً الى فقدان تعورهم بن اليهود . لقد اصبح الشعور بالنفور تجاه اولئك الذين ينكرون ما يؤمن المرء بأنه الحقيقة ويؤكدون ما يعتقد أنه الضلال أمراً أصعب من ذي قبل . من حيث المبدأ ، أصبح الحقد على اليهود ، بوصفهم يهوداً ، أمراً غير مقبول . وان الأوروبيين الذين كانوا ينفرون من اليهود أو كان موقفهـم منهم على الأقل موقف اللامبالاة ، قد اضحوا هم أنفسهم يشعرون بأنهم ملزمون بمعاملتهم على قدم المساواة ، ومنحهم كامل الحقوق المدنية والسياسية على اعتبار ذلك نتيجة ضرورية لبعض المبادىء العمومية التي يؤمنون بها ، ألا وهي المبادىء الليبرالية والديموقراطية والانسانية النزعة التي أصبحت العنصر السائد في الفكر السياسي الغربي .

ومن جهة أخرى ، فان التبدل في الفكر والمجتمع الأوروبيين قد غير أوضاع اليهود ، اذ فتح أمامهم الامكانية الفعلية أو الوهمية من أجل التمثل الفردي ، من أجل الانصهار الكلي في العالم المحيط . ومهما يكن من شيء ، فان امكانية التمثل والحافز عليه هما في نزاع مع البقايا المتشبثة من روح الاعتزال عن الكفار ، ومع ما ينطوي عليه اليهود من روح العزلة الطائفية والعائلية ، ومع الاحساس اليهودي بالرسالة ، وانه لينتج عن ذلك حالة فكرية مضطربة ومنقسمة .

ولقد حدثت تبدلات أساسية في بنية المجتمع الأوروبي الطبقية جنباً الى جنب مع التبدلات الطارئة على مبادىء الفكر الأساسية . كان اليهود يقتصرون منذ زمن بعيد في مختلف أرجاء أوروبا الوسطى الشرقية ، على الأعمال المدنية الخاصة بالطبقة الوسطى ، فهم باعة وتجار وحرفيون ، وكانوا يملكون في هذه الأعمال نصيباً كبيراً لا يتناسب مع نصيب الفئات الأخرى من السكان ، بل كان لهم احتكارها الفعلي في بعض البلدان . لكن طبقة وسطى من السكان الأصليين قد شرعت في النهوض خلال الأجيال القليلة الأخيرة ، وكان من الطبيعي أن تنخرط في المنافسة مع الطبقة الوسطى اليهودية . ولقد توافق هذا النهوض للطبقة الوسطى ، على الأقل خلال العقود الثلاثة الأخيرة ، مع ارتباك اقتصادي بالغ الشدة وفترات من الكساد ضاقت خلالها فرص الربح وازدادت المنافسة شدة .

ويجب أن نضيف عاملاً آخر الى هذه العوامل الآنفة الذكر ، ألا وهو الضيق العام الذي كانت النفس الأوروبية تعانيه في هـــذه العقود الأخيرة ، وهو الضيق الذي كان هتلر نتاجاً له ورمزاً ، والذي تجسد في عبادة القوة ، وكراهية الديانة السماوية وتبجيل اللاعقل . تلك جميعاً عوامل يمكن، اذا ماجمعت الى العوامل التي ذكرناها أعلاه ، أن تؤدي بكل سهولة الى اللاسامية.

وكانت عاقبة هذه التطورات جميعاً فشل اليهود والكفار معاً ، في معظم انحاء اوروبا ، في انشاء علاقات متبادلة معنوية مرضية . ان اليهود (باستثناء عدد قليل نسبياً من اولئك الذين حققوا التمثل بنجاح) ممزقون في اتجاهين ، بين الجماعة الأوروبية العمومية التي ينتسبون اليها بطرق متعددة وبين جماعتهم اليهودية الخاصة . انهم يعانون احساس انعزالهم عن العالم ، يثقل عليهم الشعور بأنهم يهود ، وكثيراً ما يؤدي هذا الشعور الى كراهية الذات . انهم يفتقرون الى الطمأنينة في هذا العالم ، وهم يعيشون في هوس ويأس عن الأمان ، ولما كانوا يعانون حالة من القلق ، فان بذور العبقرية فيهم لا يمكن أن تثمر الا بكل صعوبة ، هذا اذا اثمرت قط . أما (الكفار) فانهم يعون من حاليهم بصورة غير طبيعية يهودية اليهود ، وهم يدركون بصورة دائمة ما يميزهم عنهم ، ولا يستطيعون أن يعاملوهم بصورة غريزية على اعتبارهم جزءاً من جماعتهم ، بل يطالبون بأن يثبتوا أنفسهم ويبرروا وجودهم ، وهم على استعداد أبداً لان يعزوا كل شذوذ أو عيب يصادفونه عند الافراد اليهود الى يهوديتهم وأن يلوموا الجماعة اليهودية بأسرها من أجل ذلك . وان هؤلاء الكفار ليشعرون حيال قلق اليهود واضطرابهم ، أنهم هم أنفسهم يعانون القلق والاضطراب .

وفي هذه الظروف لابد أن يكون التمييز السياسي والاجتماعي حاضراً أبداً بهذا الشكل أو ذاك وحتى هذه الدرجة أو تلك ، ومن المرجح أن ينشأ الاضطهاد في فترات التوتر العام والتشوش الشامل . وفضلاً عن ذلك فانه من المرجح أن ترتكس مصائب اليهود في أحد البلدان على مركزهم في البلدان الاخرى حيث الظروف مختلفة . ومثال ذلك أن اضطهاد اليهود في اوروبا قد ارتكس على مركزهم في الولايات المتحدة ، سواء نتيجة القدوة أم بصورة أكثر مباشرة ، لان المهاجرين اليهود وغير اليهود القادمين من اوروبا قد جلبوا معهم موقفاً من القضية اليهودية صنعته الظروف السائدة في اوروبا .

ويمكن اختصار المقترحات الصهيونية من أجل معالجة القضية اليهودية كما يلي :

١ — أن شذوذ العلاقات اليهودية مع العالم الكافر مردها الى حقيقة رئيسية ، ألا وهي التشرد الذي يعانيه اليهود . وهناك أمل في تسوية القضية اذا ما اصبح اليهود أمة مثل باقي

الأمم ، وعاشوا براحة في أرض خاصة بهم ، وحازوا على صفات الدولة المستقلة ودخلوا جامعة الأمم على قدم المساواة معها .

٢ — لا يمكن أن تتوافر هذه الأرض الخاصة في أي مكان غير فلسطين ، وذلك بسبب الروابط الدينية والعاطفية التي لا تبرح تربط اليهود الى فلسطين ولأن العمل المستهدف بناء وطن قومي قد بدأ هنالك وما عاد في الامكان الشروع به في أي مكان آخر .

٣ — حتى اذا لم تؤد اقامة دولة يهودية في فلسطين الى علاج القضية اليهودية بالمعنى العميق ، فانها ستنقذ اليهود على الأقل من عواقب تشردهم الحالي ، اذ ستحميهم من الاضطهاد الذي عانوه في اوروبا مثلاً في السنوات الأخيرة .

٤ — ليس ثمة رجاء آخر في حل القضية اليهودية مادام اليهود يعيشون مشتتين بين جماعات غريبة ، وكانت لهم بنية اجتماعية واقتصادية شاذة ، وباختصار لم يكونوا أمة مكتملة مثل باقي الأمم .

ولسوف ندرس هذه المزاعم واحداً واحداً .

١ — يمكن ان نتساءل بادىء الامر عما اذا كان في مقدور اليهود ان يصبحوا أمة مثل جميع الامم الاخرى عن طريق الاستيطان في فلسطين او بأية طريقة أخرى . اذا كان التحليل السابق صحيحاً ، فان شذوذ اليهود ليس مسبباً عن حالتهم الاجتماعية والاقتصادية ، بل عن شعورهم بالرسالة المتصلة وعن ذهنية متناقلة خاصة هي من نتاج ذلك الشعور . ولن تظل هذه الذهنية قائمة فحسب اذا هم عادوا الى فلسطين ، بل يرجح ان تزداد شدة . وانه لمن الواضح ان الشعور اليهودي بالرسالة والخصوصية هو على أضعف مايكون في تلك البلدان حيث اعطي اليهود حقوق المواطنين الكاملة ، وحيث يمكنهم الاختلاط بكل حرية مع غير اليهود وهم يعيشون مشتتين بينهم ، وهو على أشد مايكون في تلك البلدان حيث يعيش اليهود في العزلة اجتماعياً وحكمياً . فهل ينتظر ، في دولة يهودية ذات محيط اجتماعي يهودي خالص وتربية تضع تأكيداً طاغياً على التقليد اليهودي ، أن يفقد المواطنون تلك الخصائص اليهودية المتميزة التي تنشأ القضية اليهودية عنها ؟ ليس من يؤيد امكانية قيام هذا الأمر الا اولئك الذين يقبلون ، سواء أكانوا يهوداً أم غيرهم ، النظرية المتطرفة التي نوقشت في مطلع هذه الرسالة ، الا وهي أن القضية اليهودية لم يخلقها الا (الكفار) وحدهم .

وصحيح ان القضية ستبدل شكلاً على الأرجح ، لكنه ليس مايحتم ان يكون هذا التبدل نحو الأفضل . ان الاعتبارات العامة وحقيقة الاتجاهات الحالية في الحياة السياسية والثقافية اليهودية توحي جميعاً بأن ذلك الشعور بالرسالة سيفقد في الدولة اليهودية الشكل الخاص به ، بل سيفقد الشكل الذهني الجمالي الذي اكتسبه عند اليهود الحديثين الذين انصهروا في الأمم الاخرى ويتخذ بدلاً من ذلك شكلاً عرقياً سياسياً اقتصادياً قومياً خاصاً من ذلك النمط الذي ما اكثر ماشاع في العقود القليلة الاخيرة . وهكذا فان الدولة اليهودية ستتجه منذ البدء نحو انشاء علاقات شاذة مع الاعضاء الآخرين في هذه الأمم ، وعلى الرغم من ان العلاقات بين الافراد والدولة قد تصبح طبيعية ، وبذلك يخفف عبء قضية اليهودية عن كاهل الفرد ضمن هذه الحدود فان العلاقة بين الدولة والدول الاخرى ستكون شاذة ، وهو ماسيكون له رد فعله على الحالة الفكرية للمواطن الفرد .

كذلك ليس من اليسير على اليهود ، كما تزعم الدعاية الصهيونية ، ان يطرحوا خصائصهم الخاصة . وحتى اذا كانت المفترضات الصهيونية صحيحة ، وكان الشذوذ اليهودي مسبباً عن التشرد اليهودي من دون أي شيء آخر ، فانه لايتأتى عن ذلك مطلقاً ان يتمكن اليهود من التخلص من شذوذهم حين يؤمن السكن لهم . ففي حياة الامم والافراد على السواء يمكن للنتيجة ان تستمر طويلاً بعد زوال علتها : فالمرء لايستطيع ان يمسح أثر مرحلة من الماضي بمجرد تبديل مقامه أو بمحاولة استئناف الحياة في المكان الذي غادره من قبل . ان اليهود الذين سيدخلون الدولة اليهودية سوف يحملون معهم الخصائص التي اكتسبوها في التشتت ، وهي خصائص سوف تتطلب اجيالا وأجيالا في أفضل الظروف من اجل التخلص منها .

وفضلاً عن ذلك ، فحتى اذا كانت اقامة الدولة اليهودية حلاً لقضية اليهود الذين سيكونون مواطنين فيها ، فانه سيكون من الضرورة بمكان أيضاً ان تأخذ بعين الاعتبار نتائجها المنتظرة على اليهود الباقين خارجها ، هؤلاء الذين سيكون من المؤكد على وجه التقريب انهم سيفوقون عدداً على اولئك الذين سيدخلونها . ويدعي الصهيونيون ان هذه الدولة ستحسن مركزهم ، اذ ستمنحهم موضوعاً للكبرياء المشتركة والولاء اللذين سيخففان من عبء الحياة في المنفى ويقويان وجدانهم اليهودي ، ان الدولة ستساعدهم في أيام الاضطهاد ، اما بالحماية الدبلوماسية واما بتأمين الملجأ لهم . ومهما يكن من شيء ، فانه لايقل عن ذلك احتمالاً أن يحدث العكس تماماً . فقد تهدد اقامة الدولة اليهودية الحياة الباطنة للأقلية الضئيلة من اليهود وتنفي فكرهم وعاطفتهم ، واذ بهم يحسون أنهم غرباء كلياً عن العالم المحيط بهم ، وقد لايكون لهذه الدولة ، اي مفعول في الحالة الذهنية والولاءات الخاصة بالاقلية الضئيلة الاخرى من اولئك الذين انصهروا مع

سائر المقاصد والاغراض . لكن الغالبية العظمى من اليهود الذين ينقسمون بين عالمين وولائين ، الذين لايستطيعون ولا يريدون أن ينصهروا بصورة تامة ، ومع ذلك فهم ينتسبون بطرق عديدة الى البلدان التي يقيمون فيها ، فان اقامة دولة يهودية سوف تضاعف من انقسامهم الذاتي ونزاعهم الباطن . انها لن تشدد من صراعهم فحسب ، بل سوف توسع مداه ايضاً . فهي سوف تثير ، سياسياً ، مسألة الولاء في شكل حاد وعملي ، أنها ستثير ثقافياً مسألة الانقسام الذاتي بطريقة لم يسبق أن أثيرت بها خلال القرون التي لم تستعمل اللغة العبرية طوالها الا من اجل الاغراض الدينية، اذ كانت الثقافة العبرية الزمنية مفقودة .

وحتى اذا لم يكن لخلق الدولة أي تاثير على الحالة الذهنية لليهود الذين يعيشون في العالم الخارجي ، فانه سيؤثر مع ذلك في مركزهم . انه سيزيد من الشكوك والريبة التي تراود منذ الآن غير اليهود بشأن ولاء اليهود من مواطنيهم وتجعل من الاعسر على اليهودي أن يقنع جيرانه بقبوله كعضو كامل في الجماعة . انه سيجعل امراً محالاً ماهو على قـدر كاف من الصعوبة منذ الآن ، اعني حياة اليهودي الذي يريد ان ينصهر في جماعته .

وفضلاً عن ذلك ، فان هذه الدولة ستتخذ ذريعة اضافية من اجل مناهضة السامية . «ان اليهودي غريب لامكان له هنا» ، او «ان لليهودي بلده الخاص، فليعد ادراجه اليه اذن» . كذلك ليس مايؤكد مطلقاً أن الدولة اليهودية ستكون قادرة على مساعدته في ساعة الضيق ، ذلك أننا اذا اخذنا المقاييس العالمية ، فان هذه الدولة ستكون دولة ضعيفة ، من المرتبة الثالثة ، ولن يكون لنشاطها الدبلوماسي قيمة كبرى حيال الدول الاقوى . وقد تتردد في ايواء عـدد كبير من اللاجئين القادمين من الخارج ، هؤلاء الذين سيؤدي قدومهم الى تمزيق حياتها الاجتماعية والاقتصادية . وحتى اذا رغبت في ايوائهم ، فقد لايكون ذلك في مستطاعها ، بسبب من عدم توفر المكان او بسبب معارضة العناصر غير اليهودية الموجودة ضمن الدولة او حولها .

ويمكننا أن نفصح عن شك آخر: فحتى اذا صحت مزاعم الصهيونيين ، واستطاع اليهود في فلسطين أن يصنعوا لأنفسهم حياة طبيعية ، فلعلهم يخسرون — هم والعالم على حد سواء — اكثر مما يكسبون ، انهم سيفقدون ثقافتهم الاممية، وحساسيتهم ، وسعة افقهم؛ ولسوف يفقدون كذلك شعورهم بالرسالة !!

٢ — حتى اذا قبلنا بامكان حل القضية اليهودية بتجميع اليهود في منطقة واحدة حيث يحصلون على الحكم الذاتي، فانه يبقى أمامنا بعد ،أن نبرهن على أن فلسطين هي منطقة الاقامة الممكنة الوحيدة ، يعني ان اي توطين لليهود على نطاق واسع — في مناطق اخرى — امر غير عملي .

ويمكن تقديم مجموعتين من الأسباب من أجل البرهان على تعذره :

آ — قد يقال ان تخصيص ارض محلية ، مستحيلة لأن حكومات العالم لا ترضى بوضع مناطق مناسبة تحت تصرف المقيمين اليهود . وليس من شأن العرب ان يقولوا ما اذا كان ذلك صحيحاً أم لا . . . ومهما يكن من شيء ، فان هذا القول يضارع في حال صحته الاعتراف بأن سائر الشعوب تتحسس بمثل شعور عرب فلسطين بشأن الهجرة اليهودية على صعيد واسع ، مع الفارق انه يمكن قسر العرب على الاذعان في حين لا يمكن قسر الشعوب الاخرى عليه . وان مثل هذا التأكيد لينهض على مفهوم دني من الاخلاقية السياسية ، وهو مغلوط على أية حال :

ذلك أنه لم يعد في الامكان قسر العرب على التسليم بصورة منفعلة بأية سياسة ترغب الدول الكبرى في فرضها عليهم .

ب — ويمكن بالمقابل أن يقال إن الاسكان أمر مستحيل من جراء عدم توفر أية منطقة ملائمة لتوطين اليهود . وليس هذا صحيحاً من وجهة النظر الاقتصادية الصارمة ، ان في شمالي أميركا وجنوبها وفي استراليا مناطق هي أقل تطوراً وأقل كثافة بالسكان من فلسطين . فالمساحات الصغيرة في فلسطين ، على الشاطىء وفي مرج ابن عامر ، حيث يمكن القيام باستثمار الأرض بصورة قصوى مع توظيف رساميل صغيرة نسبياً ، هي حالياً قيد الاستثمار برمتها . وتبقى بعد ذلك الاراضي العالية الكثيفة السكان منذ الآن ، ولا يمكن زيادة استثمارها إلا بتكاليف باهظة ، والنقب حيث لا يصبح التطور ممكناً دون الحصول على مقادير مناسبة من المياه ، وحيث لم يكشف التنقيب حتى الآن عن وجود مثل تلك المقادير من المياه .

واذا أخذنا المناخ بعين الاعتبار ، فان هناك كذلك بلداناً أنسب من فلسطين من اجل المستوطنين الذين اعتادوا طويلاً المناخ الاوروبي ؛ أضف الى ذلك ان في العالم اماكن يمكنهم ان يقيموا فيها علاقات ثقافية مع السكان غير اليهود أوثق منها في فلسطين .

ويتشبث الصهيونيون بخصوص هذه الناحية بميزتين مزعومتين يتحلى بهما الاستيطان في فلسطين ، زاعمين انهما لا تتوفران في البلدان الاخرى . فهم يقولون اولاً ان فكرة العودة الى فلسطين تثير من الحماسة اكثر مما يثيره اي مخطط آخر للاستيطان ، وهذه الحماسة ضرورية كل الضرورة من اجل اعمال البناء ، ولقد كان هذا الزعم يصح ايام كانت الصهيونية ترفاً ولم يكن يرضى بالذهاب الى فلسطين غير اولئك اليهود الذين هم صهيونيون عن قناعة وايمان . . بيد ان المشكلة في الظروف الراهنة هي مشكلة ايجاد مأوى فوري لاولئك اليهود الذين ما عادوا يستطيعون ان يعيشوا في اوروبا . أليست فكرة انقاذ اليهود الاوروبيين من المزيد من الحرمان ومنحهم امكانية الحياة الجديدة كافية من اجل توليد الحماسة ؟ ولقد كان اليهود

الذين يهاجرون الى امیرکا ، حتى تاريخ فرض القيود الصارمة على الهجرة الى الولايات المتحدة ، اكبر عدداً بما لا يقاس من اليهود الذين يهاجرون الى فلسطين . ترى الحماسة او النجاح اعوزاهم في بناء حياتهم الجديدة في امیرکا اكثر من اخوتهم في صهيون ؟

وقد يقول الصهيونيون ، ثانيــاً ، ان فلسطين توفر لليهود امكانية الاستقلال المطلق والحكم الذاتي ؛ وهي امكانية لن تتوفر في المناطق المقترحة الاخرى . فلن تكون أية حكومة مستعدة لأن تسلم اي جزء من اراضيها بصورة دائمة وكاملة الى المستوطنين اليهود الذين سيكون اقصى آمالهم في هذه الحال الاستقلال المحلي ، وبذلك يكون مركزهم مزعزعاً ، ولا يفلتون من شرور انتشت واخطاره . تلك عودة الى الوضع الذي ناقشناه في الفقرة (آ) اعلاه ، ألا وهو امكانية قسر العرب على القبول بتضحيات يستحيل الزام الشعوب الاخرى بها . وفيا عدا ذلك ، فليس صحيحاً أن فلسطين توفر امكانية الاستقلال المطلق . لعل ذلك يصح لو أن فلسطين لم تكن آهلة ، وكانت جزيرة في عرض البحر ؛ بيــد أن وجود ماينوف على مليون عربي يزداد عددهم باستمرار سيكون على الدوام ، من جهة واحدة ، حجر عثرة في طريق تحقيق اليهود الحكم الذاتي التام ، كما أن فلسطين هي ، من جهة ثانية ، جزء لايتجزأ من وجهة النظر الجغرافية من سورية والعــالم العربي . وحتى اذا اقيمت دولة يهودية في فلسطين ، فانها ستكون تابعة اقتصادياً لارادة العرب ، **ومن المشكوك فيه أن تحوز مايكفي من القوة المادية مايشعرها بالأمان او يمكنها (اذا شاءت ذلك) من الامتناع عن أن تصبح مجرد أداة ودمية في ايدي الدول الكبرى .** وهكذا فان فلسطين لاتقدم عملياً لليهود اكثر مما يتوقعون الحصول عليه في مناطق الاستيطان المقترحة الاخرى .

وقد يقال ايضاً ان العمل يجب ان يستمر في فلسطين لأنه قد بوشر به سلفاً هناك . واذا ماتركنا جانباً افتقار هذه الحجة الى التماسك المنطقي ، فانه ينبغي الاشارة الى الحقيقة التالية ، ألا وهي انه ليس ماينهض المنجزات اليهودية السابقة في فلسطين مثل محــاولة اقامة دولة يهودية هناك . لقد انشأ اليهود في فلسطين جماعة كبيرة حسنة التنظيم ، وانقذوا نصف مليون شخص من القتل في اوروبا واحيوا اللغة والثقافة العبريتين ، ولن يكون في مقدورهم الحفــاظ على ماخلقوه الا بواسطة العلاقات الطيبة مع العرب ؛ اما محاولة توسيعه فلا بد ان تثير عداوة العرب الاكيدة والدائمة داخل فلسطين وخارجها ، وبذلك تعرض البناء كله للخطر . وهكذا فان اقامة اليهود مؤسســات ذات قيمة في فلسطين لاتشكل سبباً يستدعي اقــامة دولة يهودية في فلسطين ، بل بالاحرى سبباً يعارض مثل هذا المسعى الأبله والخطير .

٣ – ان ماقيل أعلاه يوفر الجواب على الحجة الزاعمة أن الدولة اليهودية في فلسطين ستنقذ على الأقل اليهود من أخطار التشتت ، وذلك حتى اذا هي لم تشف أدوائهم العميقـة . ولقد ألمحنا سابقاً الى ان اقامة دولة يهودية في فلسطين يمكن على قدم المساواة ان تضاعف وأن تنقص من القلق الذي يساور اولئك اليهود الذين سيبقون خارج فلسطين . أما أولئك الذين سيكونون مواطنين في الدولة ، فان أمنهم يرتبط بتحقيق شرط واحد ، ألا وهو اقامة العلاقات الطيبة مع العرب داخل فلسطين وخارجها على حد سواء . **وعلى الرغم من تأكيدات الدعاية الصهيونية ، فليس هناك ادنى أمل في تحقيق هذا الشرط في حال قيام دولة يهودية.** فلن يرضخ العرب في فلسطين لصيرورتهم أقلية دون صراع طويل ، وسوف تساعدهم الدول العربية بكل الوسائط ، سواء بدافع العطف القومي أم بدافع الادراك النامي لخطر الصهيونية على العـالم العربي بأسره . وهكذا فان الدولة اليهودية ستجد نفسها مرغمة على اتخاذ موقف العداء حيال الدول العربية ، وذلك أولا بدافع الاحساس بالعزلة والخطر على اعتباره مقدمة من أجل سحق أقليتها العربية ، وثانياً بدافع حاجتها الى الأسواق ، وأخيراً من جراء ضغط السكان (فيما اذا انفجر الاضطهاد من جديد وأصبحت الهجرة على نطاق واسع أمراً لا مفر منه) . ولسوف تبذل المساعي من أجل اتباع سياسة توسعية وسياسة التحالف مع أية دولة كبرى ، كائنة ما كانت ، يتضح أن لديها استعداداً من أجل دعم تلك السياسة. **ولسوف يكون من نتائج ذلك مضاعفة عداء العالم العربي لهـا . وفي مثل هذه الظروف ، أيكون اليهود أكثر أمناً مما هم عليه في لتشتت الأوروبي ، أو هل يتحقق لهم بعض الأمن الذي يتمتعون به في شمالي أميركا وجنوبها وفي الكومنولث البريطاني ؟**

٤ – قد يطلب ممن نقد الصهيونية أن يقترح حلاً بديلاً من أجل القضية اليهودية . وعلى أية حال ، فان مثل هذا المطلب يفترض بصورة مسبقة ان القضية اليهودية يمكن ان تحل بواسطة السياسة التي تتبعها الحكومات . وليس هذا صحيحاً في واقع الأمر . فاذا كان التحليل المعروض في هذه الصفحات مضبوطاً ، فذلك يعني أن القضية اليهودية ، اذا ماتعمقنا في جذورها ، تنشأ عن وجود شعور ثابت عند اليهود بأنهم شعب خاص ، وأنهم قد اختيروا من بين سائر الشعوب الأخرى من اجل تحقيق مصير مخصوص في هذا العالم . واذا مافقد اليهود هذا الشعور ، فلن تبقى هناك اية عقبة في سبيل انصهارهم ، ولسوف يزول اليهود اذن ، وتزول معهم مشكلاتهم التي

في اقامة العلاقات الطبيعية مع بقية العالم . لكنهم بقدر مايثابرون على الاحتفاظ باحساس التميز والرسالة ، فان التوتر سيستمر بينهم وبين جيرانهم ، وهو توتر لابد ان يثير المصاعب دائماً بالنسبة الى الأفراد اليهود والى الجماعات اليهودية على السواء ، وقد يؤدي في بعض الظروف السياسية والاقتصادية الى تعرضهم لاضطهاد يتراوح شدة وقوة . وفي هذه الظروف يظل الانصهار ممكناً بالنسبة الى الافراد ، لكن ليس بالنسبة الى الشعب اليهودي في مجموعه .

ان هذا التوتر قد يؤدي على الدوام الى مثل هذه النتائج ، لكنها ليست نتائج محتومة على اية حال . ان هناك توتراً « شاذاً » من الريبة والحقد والقلق ، لكنه يمكن ان يكون هناك ايضاً توتر « طبيعي » من الاحترام المتبادل والثقة والرضى ، ان تحقيق مثل هذا التوتر في آخر الأمر قضية افراد وقلوب ، لكن ثمة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية لابد ان تساعد على تحقيقه ، ويمكننا ان نذكر من بينها العوامل التالية :

١ – انتشار الأفكار الديموقراطية السليمة بين الشعوب الأوروبية . ففي عصر الثورة الفرنسية عومل اليهود بتسامح لم يكن الحافز اليه حب خصوص لهم أو عطف خاص عليهم ، بل لأن معاملتهم السيئة كانت تناقض اذن المبادىء التي كانت الحكومات الثورية تؤمن بها . ولسوف يكون الأمر كذلك في الجماعة الديموقراطية السليمة حيث سيمتنع حتى اولئك الذين لايحبون اليهود عن اظهار شعورهم احتراماً لمبادىء الحرية والمساواة الجارفة .

٢ – لن يكون للعصابات النوعية والصورية ، الدستورية أو الأممية ، ادنى فعالية في دولة يسود فيها الحكم المطلق ، لكنه يكون لها مفعول حقيقي ، وان يكن مفعولا محدودا ، في دولة لاتعدم الرأي العام واحترام القانون . انها ستساعد في خلق بعض المقاييس ، وبذلك تلقن هيئة المواطنين نوع السلوك الذي يجب ان يتوقعوه من جانب حكامهم .

٣ – ان تأمين الجهاز القضائي والاداري من أجل دراسة المظالم وتقويمها لايخلو هو الآخر من الأثر الفعال . ومن المؤكد أن مثل هذه الاجهزة تذهب هباء منثوراً في اوقات الاضطهاد الذي تعمد الحكومة اليه عن سابق عزم وتصميم لبعض الاغراض السياسية . لكن مثل هذه الاوقات نادرة ، وما يجب ان يخشى عادة هو التمييز المحلي والمحدود ، الناجم عن خبث بعض الموظفين الخصوصيين او سوء تدبيرهم ، او عن بعض الاخطاء النوعية . واذا ماعولجت مثل هذه القضايا المحلية على الفور وفي موضع نشوئها ، فهي قد تخضع للمعالجة بكل سهولة ، لكن نتائجها قد تتجاوز محليتها اذا هي تركت وشأنها بحيث تسود وتتفاقم .

٤ – ان من الامور الاساسية من أجل سلامة العالم ان يطرأ التبدل على مفهوم القومية المتجانسة الذي ساد اوروبا في العقود الاخيرة ، بحيث يفسح المجال لمفهوم عن الدولة يتغاضى عن الفوارق الثقافية والمحلية

وبعض الفوارق الأخرى . ان الفكرة الخاطئة التي تزعم ان قوة الدولة وقف على تجانسها يجب ان تستبدل بالرأي القائل ان الدولة الأشد بأساً هي الدولة التي وفقت بين الولاء وارادة العمل الجماعية من جهـــة ، واكبر درجة ممكنة من التنوع الجماعي والمحلي والفردي من جهة ثانية .

٥ ـ لعلنا يجب ان نتوقع شيئاً من انتشار الحركات اليسارية في اوروبة ، هذه التي ستحقق افكار المساواة وافكار روابط المصلحة المشتركة التي تتجاوز الفوارق القومية والعرقية والشعبية .

٦ ـ ان من واجب الدول الكبرى ، في هذا العمل كله ، ان تأخذ زمام المبادرة وتستخدم نفوذها في هذا المضمار . ان اوروبا برمتها على وجه التقريب ستكون مرتبطة بالولايات المتحدة وبريطانيا العظمى والاتحاد السوفييتي ، سياسياً واقتصادياً ، عـــلى حد سواء ، طوال السنوات العديدة الآتية . ان لهذه الدول الثلاث الكبرى جميعاً سجلاً بشأن اليهود هو افضل بالايقاس من سجلات معظم الدول الاخرى ، وقد قطعت جميعاً شوطاً بعيداً في حل قضاياها اليهودية الخاصة بطرق مختلفة ، وان في مقدورها اذا شاءت ان تجعل من معاملة اليهود الحسنة احد شروط مساعدتها المتواصلة للحكومات الاوروبية .

٧ ـ اذا لم تكن التدابير كافية لتجعل الحياة ممكنة بالنسبة الى اليهود في اوروبا ، وكان الكثيرون من هؤلاء راغبين في الهجرة أو مقسورين عليها ، فان الهجرة يجب أن تكون خاضعة لاشراف الأمم المتحدة على أساس أن تتحمل سائر الدول الأعضاء نصيباً من العبء يتناسب مع مواردها البشرية والاقتصادية ، وألا تلزم أية بقعة من الأرض أو أي عضو في الأمم المتحدة على تحمل نصيب غير متناسب بدون موافقة سكانه الأصليين .

٨ ـ ان الهجرة الفردية لن تكون كافية بحد ذاتها . وانه لمن الضروري كذلك توفير التسهيلات من اجل اولئك اليهود الذين يرغبون في الهجرة الجماعية والمحافظة على حياتهم الجماعية اليهودية في اماكن اقامتهم الجديدة (*) . ولقد مضت سنوات على البحث الجاري بغرض اكتشاف اماكن مناسبة من اجل الاستيطان اليهودي ، ويبدو ان افضل هـــذه الاماكن هو غربي اوستراليا وتاسمانيا والبرازيل . وينبغي للامم المتحدة ان تشجع هذه المشاريع والمشاريع الاخرى المماثلة وان تبذل كل ما في وسعها من اجل تسهيل الهجرة الجماعية .

(*) يلاحظ من هـــذا البحث العلمي الانساني القيم الذي كتبه المفكر العربي الاستاذ البرت حوراني عام ١٩٤٦ دحضاً لمطامع الصهيونين . ـ يلاحظ اي سمو انساني واخلاقي ، يطبع البحث العلمي ، واي تجرد يبدو على الباحث ، في نظرته الى يهود العالم .

قضية حق وعدل

بقلم رودولفو خيل بن أمية RodclfoGil Benumeya

ترجمة عن الاسبانية نزار سعيد

في أثناء دراسة القضايا الفلسطينية ، ان لم نقتصر على ملاحظة الظروف غير الشرعية التي انبثق منها وعاش مايسمى بـ (دولة اسرائيل) وإن لم نقتصر على تامل كيف ألحق الخطأ في حل قضية اللاجئين إهانــــة الى الانسانية والقواعد الدولية ، فاننا عند ذلك نصل الى جوهر المشكلة الذي هو جد مختلف.. ذلك ان المشكلة الفلسطينية ، بشكل بيّن مطلق ، لاتقوم في خطوطها الواضحة الراهنة على تحويلات نهر الاردن ولا المساعدة المادية للاجئين ولا دعم خطوط الهدنة . كذلك فهي ليست قضية أخلاقية وحسب ، ولكنها ايضاً سياسية وتاريخية ينتج عن هذا ان من المهم

(*) رودولفو خيل بن امية رئيس تحرير مجلة Africa في مدريد ومن المهتمين بالقضايا العربية.

هو جعل فلسطين دولة واحدة متآلفة ، وفقاً للشكل العربي الطبيعي الذي كان لها منذ قرون وقرون ، وان من الضروري اعادة الحق الى الأفراد الفلسطينيين وسائر الشعب الفلسطيني بجميع طوائفه الدينية . مثل هـــذا المطلب حول التكفير عن السيئات المرتكبة واعادة الامور الى نصابها ، نلقى صداه لدى أصفى التقاليد الروحية لمجموعة الدول الناطقة بالاسبانية ، ذات الاعلان الداوي بحقوق الشعوب والأفراد ، الذي وجد ودعم منذ القرن السادس عشر حتى مطلع القرن الحالي ، على يد جميع الأمم والشعوب التي تنطق باللسان الاسباني . ففي ظـــل عزم تلك الشعوب على ألا يسحق شعب بأكمله ولا يطأطىء رأسه ولا يشرد من أرضه ومأواه ، نجد الاجماع منعقداً على طريقة النظر الى كل ماهو عدل ومنطقي ، في الروحية الاسبانية والكوبية والمكسيكية والارجنتينية والشيلية والكولومبية والبرازيلية .

وبالنسبة الى شخصياً أجدني في نقطة التلاقي التي يتوحّد عندها ويذوب العالمان المتصاهران : العالم العربي والعالم الاسباني . ذاك اني منحدر في آن واحد من حسينيي القدس وأمويي دمشق ، وقد ولدت في الاندلس ، على حين يرتبط جزء كبير من حياتي بكوبا . وكنت قبل الحرب العالمية الثانية تمرنت كمريد ومساعد للامير شكيب ارسلان عندما كان ينشر في (جنيف) مجلته الشهيرة (الامة العربية) . وشهدت ، بصفة مراقب ، المؤتمر البرلماني للبلاد العربية والاسلامية في القاهرة ، وشننْتُ بين عامي ١٩٤٨ و ١٩٤٩ معركة في الصحافة الاسبانية والاميريكية الجنوبية من أجل فلسطين العربية تلقيت عليها شكران الهيئة العربية العليا التي كانت تمارس اعمالها آنذاك ، وفي القاهرة ، خلال السنة المنصرمة ١٩٦٤ ، كان لي شرف حضور الاعمال الاولى

الولادة المنظمة الفلسطينية الراهنة التي ترأسهـــا ، صديقي العزيز السيد أحمد الشقيري ، فبسبب تلك السنين وذلك الاهتمام الثابت وذلك العمل الدؤوب انتهيت الى الرأي التالي ، وهو أن على الفلسطيني أن يتمسك دائماً بوجهة النظر ذات الشطرين : الشرعي المحلي ، والشرعي العالمي ، أعني ماهو مشروع محلياً وما هو مشروع عالمياً .

ففي مجال الشرعية المحلية ، اعتقد ان وجود وقف اطلاق النار ووجود موظفي الامم المتحدة ، يمكن أن يكون منها فائدة موقتة ، بيد أن وقف اطلاق النار على هذه الحـــال ، هو نتيجة التعسف الذي نجم عن الهـــدنة التي فرضت عدة دول كبرى على العرب احتراماً سنة ١٩٤٨ وهكذا حالت تلك الدول الكبرى ، عن طريق التضليل ، دون النصر الذي كانت جيوش الدول العربية قد اوشكت أن تحققه على الصيونيين .

وفي مجال الشرعية العالمية ، يعتبر تشتت اللاجئين الفلسطينيين ، عاماً بعد عام ، وجه المأساة ، وهـــذا دون ريب مايجعل وجود منظمة الامم واحترامها لدى الشرق الأوسط في حالة خطر او افلاس ، ذلك لأن ولادة اسرائيل ، مثل مخطط التقسيم الذي سبقها ، هما ثمرتا ضغط وقع على كثير من اعضاء الامم المتحدة عنـــد التصويت ، ولأن اسرائيل نقضت ، بالتالي ، كل القرارات التي اتخذتها الامم المتحدة في شأن اللاجئين . وأخـــيراً ، لأن الأوامر اليومية للامم المتحدة لم تُحتَمَ امام تهديدات التوسع والاعتداءات المتكررة الصادرة عن تل أبيب من حين لآخر . وان على الامم المتحدة أن تباشر في اعادة النظر في كل شيء منذ البداية (أو ليكن منذ اللحظة الجنونية التي فرض فيها على العرب وعد بلفور دون مشورتهم) . وعلى هذا يكون ضرورياً من

الناحية القانونية اعادة الأمور الى نصابها ورد الحقوق الى اصحابها ، بشكل رسمي ، فلقد كان باطلا كل ماحققته اسرائيل بعد ذلك التصريح .

في ضوء هذا التصفح المزدوج ، وسواء في الموقف الداخلي أو الموقف الخارجي ، يترتب على الذين يرون الى المسألة وفق طريقة اسبانيا والبلدان الأمريكية ، في الكلام والاحساسات والعواطف والنظر الى الحقيقة ، أن يأخذوا بالحسبان أن مجموعةالعالم الاسباني كانت قد حددت موقفها نهائياً بالنسبة لما يسمى بـ « العنصر الخليط » الاممي ، ولهذا فهي تشدد التضامن مع الشعوب المهانة والمضطهدة . ومما لا ريب فيه أن قضية الفلسطينيين ، مسلمين ومسيحيين تترك أثراً من أعمق الآثار في وعي الشعوب الاسبانية ، وذلك أنه في الأرجنتين والشيلي والاورغواي ومقاطعات الكناري الاسبانية .. الـخ .. تقيم أسر من أصول سورية وفلسطينية ، مختلطة في كثير من الاحيان ومندمجة مع الاسر الاسبانية المحلية .

وبعودتنا بصورة محمولة إلى اسبانية الأقدم عهداً ، المقصودة على وجه التحديد (ونعني بها شبه الجزيرة الموصول بأوربة من طرف والمشهور بالاسم القديم : بلاد الأندلس) نرى في إسبانيةهذه أن ما هوأوربي موجود دون شك ، ولكنه أمرهامشيفقط ، فالجنوب من شبه الجزيرة العربي يؤلف المنطقة المسماة بالاندلس على التحديد ، حيث الأراضي وأساس التكوين البشري امتداد متمم للبلد الأخ الجاربلاد المراكشيين . ثم إن الاندلس نفسهامع ما يلحق بها من بلاد الاكستر امادورا وجزر الكناري ، كانت تؤلف القسم الاسباني الذي اتخذ منطلقاً لاستكشاف اميركا على يد (كريستوف كولومب) ولكل ما تلاه من جهد في سبيل بناء الأقاليم والامم . ولنذكر أيضاً أن اسبانيا تلقت اسمها واوائل صور ثقافتها المدنية عن سكان الذين الشواطيء عرفوا بالفينيقيين قبل المسيح بقرون . فاسبانيا اذن : شرقية ، وافريقية شمالية ، وأمريكية

جنوبية، وأوروبية في آن واحد. وعلى هذا الأساس تفقه اسبانيا مطامح الشعوب التي فقدت أوطانها. وتكتب بعض الصحف والمجلات المدريدية الغراء أن الشعب الفلسطيني هو أعظم الشعوب التي تأمل في استعادة حقها بالنضال...

إن فلسطين، عقب طرد الأكثرية الأصيلة من أبنائها، هي «وطن بدون شعب». أما أنا، شخصياً، فقد صرحت واصرح وسأظل مصرحاً خلافاً لذلك وبكل عزم، أن الفلسطينيين هم شعب ووطن معاً، وأن كل واحد من الرجال وكل واحدة من النساء يعود بأصله الى ما هو «أرضه المقدسة». ويتوجهون الى فلسطين بكاملها على إختلاف أشكال الايمان بالله فيما بينهم. إن فلسطين ليست المادة الجمدة لموقع على المصور الجغرافي وحسب، ولكنها شعور البقاء والخلود لاواصر الدماء والتقاليد منذ آلاف السنين. وينبغي أن يظل هذا قائماً، فهو الحافز الأكبر لبنات الفلسطينيين وأبنائهم وذراريهم، حيثما ولدوا وحيثما أقاموا، وانه لشعور جد عميق وأصيل، حتى ليحرك نفوس أولئك الذين يرون في الفلسطينيين جماعة ليست ذات بال.

عندما شاهدت سنة ١٩٦٤ إبان انعقاد جلسة الجامعة العربية كيف كان العرب يشرعون في بعث العمل الفلسطيني الموحد، عن طريق الكيان الفلسطيني الجديد الرائع، كتبت على صفحات اكبر الصحف الناطقة باللسان الاسباني، أن الفلسطينيين ينشئون «شعباً جديداً» في الوقت الحاضر، على حين انهم كانوا في السابق معتبرين على الدوام وبصورة جازمة شعباً تاريخياً قديماً. وذلك على التدقيق لأن الارادة الفاعلة في البعث وتكتيل الجميع (على وحدة في الآراء والإرادات) تؤلف الجواب الأقدر أزاء اللامبالاة العالمية المؤلمة غير المسوغة...

وتوجهت بعد الى القارئين والسامعين في اميركا الجنوبية وأنا اعالج القضية الفلسطينية ، مذكراً اياهم بسابقة قانونية لتصيقة بروحية العالم الاسباني لقد ذكّرت بما انطلق من النظريات الاساسية للارجنتينيين « كارلوس كالبو » و « خوسيه ماريا دراغو » والمكسيكي « استوادا » خلال المؤتمرات الكبرى العامة للدول الاميركية ، التي توالت منذ ١٨٩٠ حتى ١٩٣٦ حين جاهدت بعناد لاقرار البرنامج المكسيكي البرازيلي ، الذي نص على ألا يكون لأية دولة ، ولأي شعب ، الحق بالتدخل في الشؤون الداخلية الاخرى . كما يدين النص نفسه ، بشكل اكبر ، التدخل الذي يصل الى حد تخريب شعب بكامله ونفيه وحذفه ، كما هي عليه حال الفلسطينيين المضطهدين المشردين اليوم .

وكما قام في هذا التاريخ من مبادىء عامة حديثة إسبانية أميركية كذلك كان في ماضي شبه الجزيرة علماء حقوقيون ، من العصرين المسيحيين السادس عشر والسابع عشر ، حددوا حقوق الشعوب – في جامعات سالامنكا وغرناطة – وأضافوا اليها قدراً كبيراً من قواعد أخرى سلفت في الاندلس الاسلامية إبان حكم خليفة قرطبة الاسباني السوري ، ذلك الخليفة الذي ازدهرت في عهده المذاهب القانونية لكثير من العلماء والفقهاء المشهورين .

هكذا اذن ، ومن مختلف المصادر يؤول كل شيء تقريباً الى ان سوابق الفكر الاسباني القانوني وقواعده تلتقي على اعلان أن ما يسمى بدولة اسرائيل التي انبثقت اصطناعاً سنة ١٩٤٨ كانت وما تزال أثراً لمجموعة من أعمال التجاوز على القانون والمناقضة لروح ميثاق الامم المتحدة ونصه ، وكذا ، وبصورة فاضحة ، لوجهة النظر والاسلوب القانونيين لدى مجموعة العالم الاسباني .

وعلى كل حال ، فاليوم تهدد القوة وأعمال العنف بشكل متزايد ، حرمة القانون الدولي والحقوق المعترف بها للعرب كسكان سابقين لفلسطين ، ويحدق في الوقت نفسه أخطر تهديد للسلم والأمن بالشرق الأدنى .

وأخيراً ، فان من خط هذه السطور وهذه الدراسة ، ظهورها على صفحات مجلة في دمشق . ذلك أنه اذا كانت هذه العاصمة ، لأزمان سلفت ، أمّ اقدم المدن في المشرق كله ، فان دمشق بمَن عَمّرها من الأمويين هي بالنسبة الى تاريخي الشخصي ، « أمّي الخاصة بي » سواء بالفكر والدم ، أو باستلهامي إياها وحماسي لها .



نظرة ارنولد توينبي

الى تاريخ اليهود

« كثيراً ماتردد في الأوساط القومية والثقافية ، الحديث عن موقف المؤرخ العالمي آرنولد توينبي من اليهود الصهاينة ، وهو المفكر الذي يعتبر كاتب أكبر دراسة للتاريخ ظهرت في العصر الحديث .

ويمكن تلخيص نظرة المؤرخ توينبي الى الموضوع باربع نقاط :

أ ـ فقدت اليهودية مبرر وجودها بعد ظهور المسيحية ، لأن الديانة المسيحية هي المرحلة النهائية في الكشوف الروحية التي بدأ بها اليهود .

ب ـ فقدت اليهودية رسالتها الروحية العالمية حين تحولت إلى أداة سياسية استخدمها اليهود لمقاومة النفوذ الهليني .

حـ ـ اليهود الآن ليسوا سوى مجتمع متحجر ، هو بقية من العالم السوري القديم الذي اندثر بظهور العرب والاسلام .

د ـ ان الصهيونية نزعة يهودية مستقبلية مادية ، تهدف الى اشادة ملك لليهود جديد . وكان حكم التاريخ ان كل نزعة من هذا النوع مصيرها الى الاخفاق ، ولو نجحت لزمن عابر .

وفيما يلي مقاطع مترجمة عن كتاب (مختصر دراسة التاريخ) في جزئيه الأول والثاني ، وهو الكتاب الصادر قبل اغتصاب فلسطين .

تحرير المعرفة

إن السلفية والمستقبلية محاولتان للتخلص من واقع مريض ، يرى أصحابه أن اصلاحه يتم إما بالعودة إلى الوراء لاستعادة مجد غابر ، أو بالعيش في انتظار معجزة يحققها المستقبل.

ولا تختلف المستقبلية عن السلفية إلا في اتجاهها الزمني ، في سبيل انفلاتها من مأزق قائم. إلا أن المستقبلية تذهب أبعد من السلفية في حملتها ضد الطبائع البشرية. فان من طبائع البشر الأصيلة ، الفرار من الحاضر ، باتخاذ وسيلة الانسحاب الى ماض مألوف. لكن الطبيعة البشرية أشد ميلاً إلى التشبث بحاضر مكروه ، منها الى المجازفة في مجاهل المستقبل. ومن ثم نجد الجهد النفساني في حالة المستقبلية ، أقوى بشكل واضح ، منه في حالة السلفية وغالبا ماتصبح المستقبلية نزعة النفوس المتحفزة التي جربت السلفية وخاب أملها.

وإذا كانت المستقبلية — بتجاهلها الواقع — تخفق مثلما تخفق السلفية ، إلا أن اخفاق المستقبلية يؤدي الى تساميها الذاتي ، وارتفاعها الى مرتبة التجلي.

« ولقد أظهر اليهود رد فعل عاقل ، رداً على تدمير مملكتهم — يهوذا — فانهم — بعدما ابتلعتهم الامبراطوريتان البابلية الجديدة والاخيمينية وتفرقوا هباء — ما كان في وسعهم أن يأملوا ، عن اقتناع ، في رجعة ذات طابع سلفي ، أي إلى الحالة التي كانوا عليها قبل تشتتهم ، وقتما كانت مملكة يهوذا تحيا حياة اقليمية مستقلة.

وكان يعتبر ضرباً من الخيال ، الجري وراء أمل استعادة حالة انقضت وأصبحت فوق متناول الاسترجاع. ولما كان اليهود يعجزون عن الحياة دون أمل يبث فيهم قدرة انتشال انفسهم من حاضر لايرتضونه ، فقد وقع على من نشأ منهم بعد فترة النفي ، عبء التطلع نحو اقامة مملكة (داوود) في ماضي مملكة يهوذا السياسي ، أي أنهم تطلعوا الى اقامة مملكة مادية من ذلك النوع الذي عرف في عالم

الامبراطوريات ... ومصداقاً لذلك ، شاهدت مرحلة الفوضى القصيرة الأمد التي مرت بها الامبراطورية الاخيمينية ـ وتقع بين وفاة قمبيز وقيام دارا ـ محاولة عام (٥٢٢ ق.م) أعادة تشييد مملكة داوود . كذلك خدع اليهود بانتصار المكابيين في الفصل الأخير من تاريخ الدولة السلوقية حتى وصول الفيالق الرومانية . وقد دفعت النزعة المستقبلية اليهود الى تحدي قوة روما بقيادة بار كوكابا ١٣٢ – ١٣٥م فلقنتهم روما درساً علمهم فيه أن نزعة (مستقبلية) من هـذا النوع ، لا فائدة ترجى منها .

كشف اليهود ، بعدما أسفرت الأحداث عن افلاس المستقبلية ، كشفاً آخر تجلى في معرفتهم مملكة الرب . وكان أن تطورت شخصيـة المؤسس المنتظر للمجتمع اليهودي الجديد من الصورة المادية الى صورة المسيح ، فاذا مااضمحل أملهم الدنيوي اضمحلالاً جامداً ، فان الشخصية الالهية تتأجج ، وتعظم حتى تملأ الكون بأسره . فقد شعر اليهود أن الههم المحلي يجب أن يبدو إلهاً يتكافأ مجـال نفوذه مع مطـامحهم المستقبلية ، فبدأوا ينظرون اليه على أنه إله العالم ، وأن مملكة الرب هي جنة الله على الأرض . غير أن هذه الجنة الأرضية تزول ولذلك فان مملكة الرب الحقيقية هي في عالم الآخرة وحده . وإذا كان الاقلاع عن نزعة العنف قد عاون اليهود على البقاء كمجتمع متحجر ، فان التغير المماثل له في نفوس رفقـاء السيد المسيح قد فتح الطريق أمامهم لتحقيق أعظم الانتصارات .

اليهود والمسيح :

شاهدنا كيف أن المستقبلية دفعت اليهود نحو العنف . وقد انصرف المكابيون قبل نهاية القرن الثاني ق.م عن تأدية دورهم كحماة للدين اليهودي من هجوم الهلينية ، الى مؤسسين لدولة مادية طمحت الى أن تخلف الدولة

الساوقية . ومع ذلك كان انتصار المكابيين ضيق النطاق « وكانت المنفعة المترتبة على القوة ، لايؤبه لها . وما إن برزت حتى أضاعت على الدين اليهودي مستقبله الروحي بأسره . فان من أعظم تناقضات التاريخ اليهودي أن تصبح الأرض الجديدة في خلال مائة عام من استيلاء الكسندر جانايوس (١٠٢ - ٧٦) ق.م عليها لصالح اليهودية ، موطن نبي يهودي من الجليل ، هدفت رسالته الى استكمال التجربة الدينية اليهودية بأسرها . فكان أن صدف زعماء يهوذا من يهود عصر هذا النبي ، عن تلك الرسالة الملهمة التي أتاهم بها أحد أبناء الجليل من الأمميين الذين سبق أن أجبروا على اعتنـــاق اليهودية . وهكذا لم تقتصر اليهودية على التنكر لماضيها ، بل انهـا خسرت مستقبلها كذلك » .

أما الفريسيون ، فكانوا في الأصل من أتقيـــاء اليهود ومتزمتيهم لكنهم تحالفوا مع الرومان ضد اليهود ، وتشاهدهم أثناء عذاب المسيح عنـد الصلب ، يقفون متحمسين الى جانب السلطات الرومانية لتدبير موت نبي من جنسهم » .

إن المسيح ـ في درامة العهد الجديد ـ تنبذه مدرسة الكتبة والفريسيين . ولقد كانت بشارة المسيح على الأرض هي المطابقة الحقيقية للأمنيـة اليهودية عن ظهور المسيح . إن الفراسة والاستقامة اللتين دفعتا الكتبة والفريسيين الى المقدمة في الأزمات السابقة ، قد تخلتا عنهم الآن في أزمة أعظم شأناً . فكان قوام اليهود الذين استجابوا للدعوة من أصحاب الفقر والمسكنة .

واذا كانت كبرياء الفريسيين قد منعتهم من أن يستجيبوا لدعوة السيد المسيح ، فان الشعب اليهودي قد عزل نفسه عن العالم أجمع حين سمح لأنانيته أن تسوقه الى ادعاء أنه « شعب الله المختار » . ويعلق المؤرخ توينبي على ذلك بقوله :

« وإن أقبح أمثلة عبادة الذات الفانية صيتاً ، يتمثل في خطيئة اليهود التي تتبدى في العهد الجديد. فان هذا الشعب الذي كان مدركاً لكنزه الروحي وفخوراً به ، سمح لنفسه بأن تفتنه هذه المرحلة الفذة ، وان كانت انتقالية . لكن اليهود بعد أن تنبأوا بالحقيقة المطلقة الخالدة تركوا لأنفسهم العنان لتستهويهم حقيقة ناقصة نسبية وموقوتة . ومدار تلك الحقيقة اعتبارهم السمو الروحي الذي بلغوه بالعمل والكد ، امتيازاً خلعه الرب عليهم وحدهم بموجب عهد أبدي يجعل منهم شعب الله المختار .

وهكذا أضلتهم الحقيقة الناقصة فأردتهم في خطأ مميت . وان احتضان اليهود لصفة شعب الله المختار قد انحرفت بهم الى العقم الفكري ، وقادتهم الى نبذ كنز أعظم قدراً تهيأ لهم بمقدم عيسى الناصري » .

اليهود في ظل المسيحية والاسلام حتى القرن العشرين

حين انقلب ذهول اليهودية الى عداوة صريحة فعالة ضد المسيحية ، تحول ناشرو العقيدة الجديدة الى الامم ، شارعين عن عمد في غزو أمم جديدة للمسيحية ، في أرض أبعد كثيراً من أقصى حدود مملكة المكابيين . وقد آتت أسمى تعبيرات المسيحية ثمارها في الارض الجديدة الغريبة ـ ايطاليا ـ كشاهد صدق على صحة القول بأن لا كرامة لنبي في وطنه . وقد كان ثمن موقفهم المتعصب ضد المسيحية أن عانوا من عقدة الاضطهاد ، وظهرت لديهم النفسية اليهودية بكل خصائصها المعروفة .

« واليهود الذين يظهرون بكل جلاء في الوقت الحاضر الصفات اليهودية المألوفة ، هم يهود شرق أوروبا الاشكنازيين الذين ظلوا في رومانيا والاراضي المتاخمة لها التي كانت داخلة في الامبراطورية الروسية تحت ما يسمى « الحظيرة اليهودية » محصورين أدبياً ، ان لم يكن بحكم التشريع ، في حي خاص بهم يدعى

« الغيتو » بفعل تلك الأمم المسيحية المتأخرة التي كان من نصيب اليهود ان يعيشوا بين ظهرانيها .

« وتجد النفسية اليهودية بالفعل أقل وضوحاً بين يهود هولندا وبريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة المتحررين . واذ نتأمل في قصر الفترة التي انقضت منذ تحرير اليهود قانوناً في هذه البلاد الاخيرة ، وكيف ان تحررهم الادبي ما زال ابعد من ان يكون كاملا حتى في بلاد الغرب المستنيرة نسبياً ، فاننا لن نبخس مغزى تغير النفسية الذي يبدو هنا واضحاً .

« ولعلنا نلاحظ أيضاً في يهود الغرب المتحررين ان الذين هم من اصل اشكنازي ووفدوا اليه من الحظيرة اليهودية ، ما تزال تبدو في نفوسهم روح يهودية أشد مما تبدو في نفسية « السيفارديم » الاقل عدداً ، والذين يقيمون في أوروبا بعد ان قدموا من ديار الاسلام .

ويتأتى تعليل هذا الاختلاف بعد كبير انغمسنا بالتبابن في تاريخ هاتين الجماعتين :

« ينحدر اليهود الاشكنازيون من اليهود الذين اغتنموا فرصة فتح الرومان أبواب اوروبا فحققوا ارباحا من ممارسة تجارة الفرق في مقاطعات ما وراء الالب شبه الهمجية . وتضاعفت محنة هؤلاء الاشكنازيين باعتنــــاق الامبراطورية الرومانية الديانة المسيحية ثم انهيارها . اذ اصبحوا يعانون من تعصب الكنيسة المسيحية ومن ازدراء البرابرة . اذ لا يستطيع البربري أن يتحمل مشاهدة مقيم غريب يحيا حياة منعزلة ويحصل على ربح بفضل التبادل التجاري الذي كان الهمجي يفتقر الى المهارة اللازمة لممارسته بنفسه .

« فاندفع المسيحيون الغربيون مسيرين بهذه المشاعر الى اضطهاد اليهودي طالما لا غنى لهم عنه ، ثم طردوه بمجرد ما أحسوا بقدرتهم على الاستغناء عنه .

« وبالأحرى صاحب قيام المسيحية الغربية وامتدادها ، دفع الاشكنازيين شرقاً من حدود الامبراطورية الرومانية القديمة في أرض الراين الى حدود المسيحية الغربية في (الحظيرة) .

« وفي داخل المسيحية الغربية الآخذة في الانتشار طفق اليهود يطردون من بلد بعد آخر ، كلما بلغت الشعوب الغربية المتعاقبة مستوى معيناً من الكفاية الاقتصادية ، مثلما طردهم من انكلترا ادوارد الاول ١٢٧٢ - ١٣٠٧ م في حين قبل هؤلاء اليهود المنفيون من داخل القارة في أقاليم الحدود المتقدمة ، بل انهم دعوا للاقامة في بلد بعد الآخر إبان المراحل الاولى لتحويلها الغربي ، باعتبارهم رواداً تجاريين . لكنهم مالبثوا أن تعرضوا للاضطهاد ثم طردوا في النهاية مرة أخرى بمجرد أن أصبحوا غير ضروريين للحياة الاقتصادية في ملجئهم الوقتي .

« وفي الحظيرة توقفت هذه الرحلة الطويلة لليهود الاشكنازيين من الغرب الى الشرق . وبلغ اضطهادهم ذروته . وذلك لأنه هنا ، وعند نقطة التقاء المسيحية الغربية بالمسيحية الأرثوذكسية الروسية ، أمسك باليهود وطحنوا بين شقي الرحى . وعندما نشدوا في هذه المرحلة معاودة الإرتحال شرقاً ، سدت « روسيا المقدسة » الطريق في وجوههم . بيد أن أمم الغرب الرئيسية التي كانت البادئة بطرد اليهود في القرون الوسطى ، بلغت في هذا الوقت - لحسن طالع الاشكنازيين - مستوى من الكفاية الاقتصادية ، لم تعد تخشى معه تلك الأمم تعريض نفسها للمنافسة الاقتصادية اليهودية ، مثلما حدث في انكلترا في عصر الكومنولث وقتما أذن كرومويل (١٦٥٣ - ١٦٥٨ م) لليهود بالعودة الى بلاده .

وجاء تحرير اليهود في الغرب في الوقت المناسب ليهيء مخرجاً مناسباً

اللاشكنازيين عندما وصلت بهم رحلتهم القديمة نحو الشرق الى الحائط الذي لامنفذ له والذي يكون حد « روسيا المقدسة » الغربي .

وطفق مد الهجرة الاشكنازية يتراجع طوال القرن الماضي من الشرق الى الغرب : من « الحظيرة » الى انكلترا والولايات المتحدة .

ولم يكن مستغرباً أن تبدي الاشكنازية التي أودعها ماضيها بين تراجع المد والجزر ، مايدعى بالنفسية اليهودية بشكل أكثر وضوحاً من السفاردية ، اخوانهم في الدين ، الذين وضعهم طالعهم في أماكن كانوا فيها أسعد حالاً .

ويفسر ضعف الروح اليهودية الذي نلاحظه بين مهاجري طائفةالسفاردية من اسبانيا والبرتغال ، بحياتهم السابقة في دار الاسلام . ففي فارس وفي المقاطعات الرومانية التي استولى عليها العرب في نهاية الأمر ، وجد أصحاب التشتت اليهودي أنفسهم في مركز أسعد نسبياً . بل انه من المؤكد أن وضعهم في عهد الخلافة العباسية لم يكن أقل ملاءمة لهم من وضع اليهود في العصر الحاضر في البلاد الغربية التي تحرر فيها اليهود .

« إن المصيبة التاريخية التي حلت بالسفارديم هي بانتقال شبه جزيرة أيبريا تدريجياً من المسلمين الى المسيحيين الغربيين ، وهذا الانتقال تم في نهاية القرن الخامس عشر وقتاعرض عليهم غزاتهم المسيحيون أن يختاروا بين أمور ثلاثة : الابادة أو الطرد أو اعتناق المسيحية »

« ولنلق نظرة على مآل أفراد سفاردية شبه الجزيرة الأيبرية الذين أنقذوا حياتهم بقبولهم احدى طريقي الاختيار الأخيرتين ، وهم الذين مازال ذريتهم باقية الى اليوم .

« وجد أولئك الذين آثروا المنفى ملاذاً لدى أعداء اسبانيا والبرتغال

الكاثوليكيتين : في هولندا وتركيا وتوسكاني . أما أولئك الذين قصدوا تركيا فقد شجعهم حماتهم من الأتراك العثمانيين على الاقامة في القسطنطينية وسالونيك، وفي المراكز الحضرية الصغيرة في الروملي ليسدوا الفراغ الناشىء عن زوال الطبقة اليونانية المتوسطة الحضرية السابقة ، أو فنائها . فاستطاع اللاجئون السفارديون في ظل هذه الظروف المواتية أن يتخصصوا في التجارة وأن تروج أحوالهم من غير أن يؤدوا الثمن باظهار « نفسية اشكنازية » .

أما بالنسبة للمارانوس - يهود شبه جزيرة أيبريا - الذين ارتضوا اعتناق الدين المسيحي منذ أربعة أو خمسة قرون مضت ، فقد هبطت حدة صفاتهم اليهودية المميزة لهم ، الى حد التلاشي تقريباً . وهناك أكثر من سبب يحمل على الاعتقاد بوجود صبغة قوية في الوقت الحاضر من دم هؤلاء المرتدين اليهـــود في عروق الايبريين سكان اسبانيا والبرتغال ، لاسيما في الطبقات العليا والمتوسطة . بيد أنه يصعب على أكثر المحللين حذقاً أن يستشف أصحاب الأصل اليهودي ، اذا عرضت عليه عينات حية من الطبقتين العليا والوسطى الخاليتين من الاسبانيين والبرتغاليين .

ولقد حاول حزب من اليهود ، الذين حررهم الغرب في العصور الحديثة ، استكمال تحرير جماعتهم باقامة دولة قومية وفقاً للنسق الغربي . اذ يهدف الصهيونيون في نهاية المطاف الى تخليص الشعب اليهودي من العقدة النفسية الشاذة التي كونتها قرون النقمة .

وعند هذا الهدف الأخير المرتجى يلتقي الصهيونيون مع المدرسة المنافسة لهم ذات الفكر اليهودي المتحرر . اذ يتفق الصهيونيون مع الاندماجيين في الرغبة في علاج اليهود من وضعهم كشعب شاذ . الا أنهم يفترقون عنهم في مدى تقديرهم طريقة الاندماجيين التي يعتبرونها غير وافية بالغرض .

وقوام المثل الأعلى للاندماجيين أن يصبح اليهودي في هولندا أو انكلترا

أو أمريكا مجرد مواطن هولندي أو انكليزي أو أمريكي يهودي الدين . ويستندون في ذلك الى أنه ليس ثمة مايبرر اخفاق المواطن اليهودي في أي بلد مستنير ، في أن يصبح مواطناً مندمجاً راضياً بهذا البلد ، لمجرد تصادف توجهه الى المعبد اليهودي يوم السبت عوضاً عن الذهاب الى الكنيسة يوم الأحد .

ويرد الصهيونيون على ذلك باجابتين :

الأولى - تشير الى أنه بفرض قدرة طريقة الادماج على احداث النتيجة التي ينسبها اليها المدافعون عنها ، فانها قابلة للتطبيق فقط في تلك البلاد المستنيرة ، وامثال هؤلاء اليهود يكونون قلة ضئيلة جداً من يهود العالم .

الثانية - تدعي أنه حتى في ظل أحسن الظروف موافقة ، لن يتأتى حل المشكلة اليهودية بهذه الطريقة . **لأن كون المرء يهودياً شيء أبعد مدى من كونه يهودي الدين .**

واليهودي الذي يسعى الى تحويل نفسه الى هولندي أو انكليزي أو امريكي يشوه - في أعين الصهاينة - شخصيته اليهودية ، دون أن يكون لديه أي نية في اكتساب شخصية الهولندي الكاملة أو أية جنسية أخرى يقع عليها اختياره من بين جنسيات الامم . فاذا أراد اليهود أن ينجحوا في أن يصبحوا مثل بقية الامم الاخرى فأحرى ان تنفذ عملية الاندماج - كما يدعي الصهيونيون - على أساس قومي لافردي . فبدلاً من أن يحاول الافراد اليهود عبثاً الاندماج بحيث يصبحون أفراداً انكليز أو هولنديين ، يجب على الشعب اليهودي نفسه أن يتحول الى شعب عائل الشعب الانكليزي ، وذلك بانشاء وطن قومي يغدو فيه اليهودي كالانكليزي في انكلترا ، سيداً في بيته الخاص .

ويقول توينبي انه برغم قصر عمر النظرية الصهيونية فقد استطاعت أن

تصدق بالأمر الواقع فلسفتها ، وأنشأت دولة يهودية ، اتحول فيها ابناء (الغيتو) الى فلاحين . يبقى أن سوء حظ هذه التجربة ، يكمن في اخفاق الصهيونية في استرضاء العرب سكان البلاد الأصليين . »

ـ وهنا يشير توينبي بقليل الكلام الى مقتل اسرائيل ، مادام استرضاء العرب مستحيلا . ولو استطاع المؤرخ الباحث أن يدنو من اطراف السياسة الدولية المعاصرة لتابع منطق فلسفته ، في أن المستقبلية الصهيونية التي قامت على العنف ، سيهدمها العنف ، كما حدث للمستقبلية اليهودية أزاء الرومان .

وعلى كل حال ، فان توينبي ، بعد تأليف كتابه الذي نترجم عنه ، وبعد اغتصاب فلسطين واقامة دولة العصابة الصهيونية ، دخل في مشادات عديدة ضد الاغتصاب الصهيوني ، وضد انشاء اسرائيل بالعنف . وتتلخص آراؤه في الموضوع أن اليهود الذين كسبوا عطف العالم عليهم بسبب اضطهاد النازي لهم ، قد خسروا (هويتهم الانسانية) عندما اقاموا دولتهم بالعنف ، وانقلبوا في نظر التاريخ من (ضحايا) الى (سفاحين) ...

العرقية الصهيونية

في مفارقاتها

بقلم اديب اللجمي

«انه لأكثر اهمية في الوقت الحاضر أن نجرد الشعوب من السلاح ، من ان نقودها الى الحرب ، وأكثر أهمية أن نستخدم لصالحنا العواطف التي تفجرت في لهب من أن نطفىء أوارها ، وأكثر أهمية أن ندرك أفكار غيرنا ، وان نفسرها بدلاً من أن نستأصلها . ان الغرض الأساسي لارادتنا هو التالي : أن نضعف عقل الجمهور بالنقد ، وان نبعده عن التأملات الجادة التي يقصد بها اثارة المقاومة ، وأن نوجه قوى العقل نحو معركة كاذبة من البلاغة الفارغة ... فلكي نضع الرأي العام تحت تصرفنا ، يجب أن نجعله في حالة جيدة ، وذلك بالتعبير من جميع

الجهات عن آراء كثيرة تبلغ من التناقض وتسمو مدة تبلغ من الطول حداً يكفي ليجعل غير اليهود يفقدون رؤوسهم في التيه ».

ربما خيل لمن يقرأ هذا النص لأول وهلة ، أنه يقرأ أحد الأوامر التي يصدرها (غوبلز) في إبان الفورة الفاشستية ، محدداً فيه ميدان الدعاوة والتضليل وتزييف عقول البشر . ولكن هذا النص مأخوذ من البروتوكول الخاص من كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) . فهو تعبير — من تعابير كثيرة — عن عقلية ونمط في السلوك والمنطق ، تتسم بهما الصهيونية في القرن العشرين .

لم يعد ثمة جدال بين الباحثين حول القصد السياسي العملي الذي قامت الصهيونية لتحقيقه . ان الصهيونية عمل محدد ، نشاط مرسوم ، يستهدف إقامة الدولة اليهودية ، الدولة التي يجب ألا يكون فيها سوى رعايا يهود ، والتي ، بفضل وجودها ، تمنح وجوداً وكياناً لسائر اليهود الذين يعيشون خارجها .

وبتعبير آخر ، إذا كانت الصهيونية قد قامت وبرزت خلال القرنين الماضي والحاضر من مبادىء وأسس معروفة ، فان من اكبر مقوماتها إلحاحها على وجود هوية خاصة بكل يهودي — مهما يكن وطنه الذي يعيش فيه — تجعله يتميز عن أي مواطن آخر ، كما تجعله يقترب بل يلتصق بأي يهودي آخر مهما يكن بعيداً عنه في المكان واللغة والعادات ، فالصهيونية هي انكار للكيانات الدولية من جهة ، وانكار للقوميات الأخرى ، من جهة ثانية ، وتأكيد لذاتها فقط من جهة ثالثة . ولا يختلف هذا الموقف عن أي موقف عرقي نشهده عند بعض الدول أو بعض الجماعات الحديثة .

إن أول مظاهر العرقية الصهيونية إنكارها لكل كيان دولي ، فهي لم

تدعُ يهود العالم الى أن يزيدوا من ولائهم الى البلاد التي يعيشون فوق أرضها ، وهي لم تبشر هؤلاء اليهود بأن يكونوا مواطنين طيبين في مختلف البلاد التي يحملون جنسيتها ، بل كانت دعوتها إليهم ، على العكس تماماً ، إهابة بهم ألا يعترفوا فعلاً بوجود ارتباط عضوي أو بنيوي بينهم وبين أبناء الوطن الذي يعيشون فيه . كانت دعوتها وماتزال اليهم أن يكون ارتباطهم أول مايكون بالمنظمة ، منظمتهم الصهيونية ، وبإسرائيل . إن اليهودي ، في منطق صهيوني ، يجب ألا يكون بولونياً ، ولا روسياً ولا فرنسياً ، وان يكن آباؤه وأجداده قد عاشوا منذ مئات السنين في بولونيا أو روسيا أو فرنسا ، ان عليه أن ينكر شخصيته البولونية ، بل إنه ليست له بالاصل مثل هذه الشخصية . ان الحياة مع الآخرين ، مع الشعوب الأخرى يجب ألا تستتبع بالضرورة زوال الذاتية اليهودية . وكل اعتراف من اليهود بأنهم مواطنون في البلد الذي يعيشون فيه هو إزالة لكيانهم الخاص ، لعرقهم ، هذا العرق الذي يمتد في مفهومهم الى مافوق وماتحت البنيان الدولي لأمة ما . فالصهيونية هي إذن انعاش لهذه العرقية اليهودية ، وهي استنكار لكل محاولة تقوم على إذابة اليهودي في الوطن الذي يؤويه ويمنحه جنسيته .

ولكن الامر لايقتصر عند هذا الحد . ان من اولى نتائج هذا الموقف أن يشعر اليهودي الفرنسي بغربته عن الوطن الفرنسي وان يشعر ، في مرحلة ثانية ، بتمايزه عن المواطنين الفرنسيين وأن يسلك في مرحلة ثالثة سلوك المستقل ، غير الملتزم تجـــاه الوطن الفرنسي . ذلك بأن شخصيته الحقيقية ليست كونه فرنسياً ، بل كونه يهودياً . ان الدعوة الصهيونية

هي دعوة الى هذه اليقظة الدائمة ، الى هذا الحذر المستمر الذي يجب أن يتذرع به كل يهودي .

وثانية نتائج هذا الموقف ـ وهي نتيجة على غاية من الخطورة أن الصهيوني لايجد أية مفارقة في أن يتآمر على الوطن الذي يعيش فيه . ولم لا يفعل ؟ أي رباط ، أي ميثاق ، أية صلة ، تربطه بهذا الوطن ؟ انه يعيش فوق أرض لايحس ، بل لايريد أن يحس بأنها أرضه ؟ انه يعيش في مجتمع لايريد أن يعترف بفضله عليه ... بل انه ليذهب في سلوكه الى ماهو أبعد من ذلك . ان من حق الصهيوني أن يعبث بهذا المجتمع ... من هنا نشأت جميع هذه التناقضات في حياة اليهود في بلاد أوروبا المختلفة . إن الصهيونيين منهم يبيحون لانفسهم كل الوان التنكيل بتلك البلاد ، يتجسسون عليها ، يستغلون ابناءها ، ينشرون الفوضى في ربوعها . ومع ذلك فانهم يطالبون المجتمعات الأوربية في أن تتسامح معهم ، في أن تعتبر تآمرهم عملاً مشروعاً ... الموقف ذاته وقفته العرقية الصهيونية من قضية فلسطين ، وشعب فلسطين العربي . ليس في مفهوم الصهيونية حق لعرب فلسطين في ان يدافعوا عن ارضهم ، عن كيانهم ، عن حضارتهم ، مادام الدخيل الصهيوني هو الذي يعبث بجميع هذه المقدسات ، فاذا حدث ان طالب المواطن العربي الفلسطيني ببيته وأرضه وحقه السليب فطلبه اثم ، بل جناية ... كذلك كانت الحال بين الصهيونية في اوروبا والمجتمعات التي كانت تحتضنهم . إن على هذه المجتمعات ان تتحمل أذاهم ، وألا تقوم بأي جواب على تحدياتهم وغشهم .

والغريب الغريب في الامر أن اي رد فعل يقوم به الاوروبيون تجاه الصهيونيين يعتبر في نظر هؤلاء اضطهاداً لليهود ، لادفاعاً عن بقاء كيان المجتمع

الغربي . لقد برعت الصهيونية أيما براعة في قلب هذه الحقائق ، وفي تحويل المعتدي (وهو الصهيونية) الى مظلوم يعاني الاضطهاد والذل . ان الصهيونية تستغرب وتستهجن أن تقف منها المجتمعات المختلفة موقف الحذر ، موقف المتحفظ او موقف العداء ؛ ولكنها في الوقت نفسه ، لاتتساءل ، ولا تريد أن تتساءل ما إذا كانت هي بالذات مصدر وسبب هذا الموقف .. اذ ليس ثمة من شك ابداً في ان الموقف العدواني الذي تقفه جميع المجتمعات (بغض النظر عن الحكومات والافراد الرسميين الذين يمكن شراؤهم) من السلوك الصهيوني انما يفسر بالمبادءة العدوانية التي تمارسها الصهيونية ذاتها في تلك المجتمعات ، ورغم ان كثيرين من الحكام في الغرب مازالوا متواطئين مع الحركة الصهيونية في عرقيتها واذاها وكبريائها ، فان المجتمعات الغربية مازالت على العكس ، تحس بأن الخطر الصهيوني جاثم فوق صدورها .. ان هذه الظاهرة تتفرد بها الصهيونية من دون سائر الجماعات القومية التي هي اقلية بأفرادها ، والتي تعيش في مجتمع غير مجتمعها الأساسي . فالأرمن مثلاً في فرنسا او سورية يعيشون كمواطنين ، ولاتبدو لديهم اية نزعة تسلطية او استعلائية . انهم مندمجون في الوطن الذي احتضنهم ، ولايشعرون انهم متمايزون عنه في شيء .

والقومية الصهيونية ، نتيجة لما سبق ، تنكر على القوميات الاخرى وجودها ، ولاتعترف بقومية إلا لها وحدها .

إن الدعوة الصهيونية لاتعني فقط مجرد استيلاء على أرض العرب وإقامة دولة لاسرائيل في أرض العرب ؛ إنها أكثر من ذلك ؛ إنها دعوة ، بل سلوك ، يتجه الى تحويل العالم كله الى عالم صهيوني ، عالم يسير في ركاب الصهيونية ، دون

أن يندمج فيها ، لقد فكرت دول كثيرة استعمارية في أن تندمج في الماضي مع الشعوب التي استعمرتها ، فلما وجدت مقاومة من تلك الشعوب تخلت عن نزعاتها الاستعمارية . أما الاستعمار الصهيوني فهو لون جديد من الاستعمار ، يطرح وجوده الآن لا على الأرض العربية فحسب ، بل على سطح الأرض كلها . إن جميع الحركات الصهيونية التي تنشط اليوم في أوروبا وأمريكا تنطلق من مسلمة بديهية بالنسبة اليهاوهي أنها حركات فوق الدولة التي يقوم فيها النشاط الصهيوني ، بل هي حركات تستهتر بجميع القيم التي تشد المجتمع الأوروبي الى دوله . إنها تعبير عن إنكار كامل للقوميات الأخرى ، ولوجودها أو بقائها . العقل الصهيوني ، في مفهومه العميق ، يأبى المشاركة ، ويقاوم أي تعايش . لذا فان الصهيونية بذاتها ليست عدواً للقومية العربية وحسب ، بل هي خصم لدود لسائر القوميات .

ونتيجة لهذا المنطلق ، تعتبر الصهيونية كل ما عداها من أقوام وشعوب ومجتمعات ، مجرد كائنات وكيانات أدنى منها . في التلمود نماذج من هذه العرقية الغريبة : « ان النطفة التي خلقت منها بقية الشعوب الخارجة عن الديانة اليهودية هي نطفة حصان » ..... « الأمم الخارجة عن دين اليهود ليست كلاباً فقط ، بل حميراً أيضاً ..» . « إن الشعب المختار هو الذي يستحق الحياة الأبدية ، وأما باقي الشعوب فمثلهم كمثل الحمير . » ..... ومع ذلك فمازالت الصهيونية تتباكى على ما أصابها من اضطهاد على أيدي النازية .

إن المفارقة الصارخة في العرقية الصهيونية أنها تكافح النزعات العرقية - في حال وجودها عند الآخرين - لا لأن النزعة العرقية شر بذاتها ، ولا لأن العرقية تتنافى ومفهوم التعايش بين الشعوب ، وقيام تعاون في سبيل صون القيم الانسانية والحفاظ على الحضارة وغيرها ؛ انها تكافح العرقية لدى الآخرين

لئلا تبقى عرقية أخرى غير الصهيونية نفسها . . مثل هذا الغرور ، نلمسه يوميا في جميع الآثار والمؤلفات وأنماط السلوك التي يطالعنا بها كتاب صهيونيون أو منظمات ينتمون اليها . إن من يقرأ كتاب بن غوريون الأخير (صدرت ترجمة فرنسية لهـــذا الكتاب بعنوان : اسرائيـــل – سنوات الكفاح Ben Gourion - Israël - Annés de lutte) يجد في كل صفحة من صفحاته هـــذا التحدي الموجه لا الى العرب وحسب ، بل الى العقل الانساني كله . إنه مزيج من الاستهتار بالانسان كقيمة ، ومن الاستعلاء بالصهيونية كمثل أعلى ، ومن الضلال وتزييف الحقيقة ، حتى الحقائق البسيطة التي تعارف عليها البشر منذ عصور طويلة .

خطأ كبير يقع فيه المسؤولون أو المفكرون في تفسير الصهيونية ، حين يتصورونها مجرد حركة قامت لغرض واحد هو اقامة دولة اسرائيل في قلب الوطن العربي . قلت في مطلع هذا المقال ان الباحثين يجمعون على ان القصد السياسي العملي للصهيونية هو سعيها لتحقيق الدولة اليهودية . . . والواقع ان الصهيونية اكثر من مجرد هذا الطموح . بل هي أكثر من مجرد استمرار السعي لمد سلطانها على اجزاء اخرى من الارض العربية . . . **ان الصهيونية في جوهرها عقل متسلط ، عقل لايعتبر العرب وخدمهم عائقاً في وجهه ، بقدر مايعتبر الانسانية كلها عدواً له** . انها عقل تجاوز المفاهيم النازية بمراحل كبيرة جداً . لقد تخلصت الانسانية من النازية حين احست بخطرها وادركت ابعاد تهديدها للحضارة ولكل ماجهد الانســان طوال قرون في بنـائه واشادته ، ومن واجب الانسانية ان تعي الآن ، وقبل فوات الاوان ، ان الصهيونية اشد خطراً عليها من النازية أيام وجودها .

ان العالم قد بذل عشرات الملايين من ابنائه كي يتحرر من النازية كعقل وسلوك معاً ، بذل هذه الدماء وهو يعلم ان الخلاص من النازية أهم بكثير من التضحية بتلك الارواح التي ذهبت ، دفاعاً عن سلامة ماتبقى من البشرية ... واليوم يجد العالم نفسه أمام عقل جديد يفوق كثيراً العقل النازي في ارادته الشريرة ، اعني العقل الصهيوني الذي ينطلق من مسلمة ان البقاء هو للصهيونية وحدها ، دون سواها ، وأن جميع الوسائل ـ وكلها وسائل دنيئة ، منحطة ، شريرة ـ هي مشروعة بل اخلاقية ماذامت تحقق مزيداً من المد الصهيوني ، ومزيداً من الانحسار لقوى البناء في العالم ... والواقع ان على جميع الشعوب ان تدرك اليوم جميع ابعاد هذا العقل الصهيوني المدمر الذي مافتىء يتسرب الى الطبقات العليا من القيادات المسؤولة عن المجتمعات الغربية ، والذي يحاول التسرب ايضاً الى القيادات المسؤولة في القارة الأفريقية ، فليس من واجب العرب وحدهم أن يدرأوا عن أنفسهم خطر المد الصهيوني ، وليس من واجب العرب وحدهم ان يصرفوا جهدهم لازاحة هذا الخطر عن أرضهم ، ان قسط الشعوب الأخرى من هذه المسؤولية يجب ألا يقل عن قسط العرب أنفسهم . ولئن كانت مشكلة الجوع في العالم هي من كبريات المشكلات التي تزيد من التوتر بين شعوب الارض ، فان الصهيونية في عبثها المستمر بأمن العالم وسلامته وحضارته ، هي مشكلة لا تقل خطورة عن جوع ثلاثة أرباع البشر . كلتاهما تفرضان تعاوناً دولياً صادقاً للقضاء عليهما وإنقاذ الانسانية من ويلاتهما .

تشريدة العصر

بقلم مواطننا العربي في البرازيل

ولسون رحّال

الترجمة عن البرتغالية

أكتب بروح متجردة تمام التجرد من كل انحياز بضع كلمات حول المأساة الدينية — الاستعمارية التي نزلت بفلسطين . أنا ككل الناس من غير اليهود أحس نحو اليهود بشعور متناقض وغير مستقر يتراوح بين أشد الاعجاب والاحترام وبين أشد صنوف الكره عفوية !

وهذا الشعور ليس بناجم عن تأملات عميقة عرقية أو ايديولوجية ولكنه رد الفعل الطبيعي لمشاعر الناس العامة تجاه سلوك وحالة فكرية من قبل اليهود غريبين كل الغرابة ، في الزمان وفي المكان .

ولكي أوضح مدى الحياد الذي أواجه به اليهود أذكر أني سنة ١٩٥٦ حين كنت نائباً في المجلس التشريعي لولاية سان باولو (البرازيل) كنت بالرغم مني السبب في اثارة سيئي الفهم من الجاليات العربية واليهودية المحلية . في ذلك الوقت انطلقت حملة لاسامية عنيفة في عاصمة ولايتي وهذه الحملة ، بقدر ما استطعت أن أستخلص منها ، كانت من عمل عناصر تخلفت عن التجمعات النازية المتلاشية في البرازيل : (حزب التمثيل الشعبي) . وبصفتي الزعيم البرلماني لحاكم سان باولو ، يومذاك ، السيد جانيو كوادروس ، وبعد أن لاحظت الظاهرة بالبصيرة النافذة التي أورثني اياها أصلي العربي ، وجدت من واجبي أن أفضح على الناس علناً أصل وأهداف تلك الظاهرة ، المفسدة ، وكان هذا كافياً لأن أتلقى التهاني الفياضة من اليهود والانتقادات الفياضة أيضاً من العرب . وأكثر من هذا . كان هذا كافياً لأولئك لأن يتصوروا أنهم كسبوني لقضيتهم (التي استطاعت أن تكون في لحظة عابرة قضيتي) وللآخرين أن يظنوا أنهم فقدوني من تأييد أفكارهم (التي استطاعت أن تكون في لحظة عابرة أفكاري نفسها) .

قاسيت اذن من الظلم وعدم الفهم ، ومن نعوت لاسمي بالمعنى الاثيم من قبل بعضهم ، ومن تقدير كبير لموقفي من قبل الآخرين ، وعلى أي حال فاني لما لم أكن رجلاً تقلقه مهام أو أهواء سهلة ، فاني حاولت دوماً أن اوضح أن الحجج نفسها التي استخدمتها لادانة محاولة السطو علينا من قبل التمييز العنصري سوف تصلح ، ذات يوم ، لتبرير موقف آخر ، يتخذ استناداً الى الاسس الفكرية نفسها ، فيما لو تحول مضطهدو الامس الى مضطهدين في الغد .

وبالاختصار فاني بصفتي رجلاً يسارياً يهتم بالبحث عن اسباب الامور

اكثر من اهتمامه بتشعباتها ، تعلمت أن اخضع تصرفي السياسي لبحث طبع عن الفلسفة المحركة ، لأصل في النهاية الى الينبوع المحرض الآلهة والحقائق .

ولهذا ، كانت المشكلة اليهودية بالنسبة لي ، في كل انحاء العالم ذات صلة عميقة بالتركيب الرأسمالي لكل بلد ، وكانت غير قابلة لأي عـلاج على اساس قواعد الاخلاق المتفق عليها .

ولهذا ، ايضاً ، على السواء ، لايصبح اليهودي مشكلة قومية وما فوق – قومية ، إلا بمقدار ماتهمل النظم الاساسية بذل جهدها الممكن لتخليصه من اوهام قدر دبني يستند في الحقيقة الى الإله الكبير المهيمن : المال .

ومن أراد ان يتفحص مأساة فلسطين في تجرد لايستطيع إلا أن يستخلص أن الامر يتعلق بأكبر ضربة تشريد في عصرنا . ومن المؤكد أن اليهود انفسهم في المانيا النازية فهموا في جسدهم نفسه ، واقعة أنهم كانوا تجاه مجنون ، وفي بلاد تحت سيطرة بركانية من الهوس الجماعي . لكن اليهود كانوا هناك بصفة غزاة سريين . لم تكن الارض ارضهم ولا العادات ولا التقاليد ولا الدين . كان ثمة فقط الذهب .

أما العرب فلا . كانوا يسكنون فلسطين منذ أزمان لاتحيط بها الذاكرة مختلطين بشعوب أخرى هي بدورها سامية ، كما أنهم هم أنفسهم واليهود ساميون ! والى هذا فان من المؤكد أن العرب توطنوا في فلسطين بشكل سلمي منذ سنة ٦٣٧ أى منذ ثلاثة عشر قرنا . كان لهم هناك بيوتهم وأراضيهم وأملاكهم وكانوا يزرعون كل قطعة أرض بشكل مشهود من التصميم والعزم من جيل الى جيل .

وحين أعلن وعد بلفور سنة ١٩١٧ كان اليهود يشكلون أقل من ٨٪ من السكان ويزرعون مساحة ١٦٢٥ هكتاراً تمثل حوالي ٢٪ من مساحة فلسطين العامة .

وكل الناس يعلمون ـ فقد كان ذلك بالامس ـ كيف تم الاستيلاء على فلسطين من قبل اليهود وطرد مليون ونصف مليون عربي من سكانها المقيمين فيها الى خارج البلاد. إن اليهود كانوا يؤكدون استنادهم الى « الوعد التوراتي » لهم بأرض كنعان ، بينما كانوا في الحقيقة مدفوعين بالشروط الملائمة لهم للتوضع الوطيد في هذه الأرض ، ضد مصلحة العرب ، وبغريزتهم الجامحة للامتلاك .

وهكذا حصل اليهود الصهيونيون في نهاية سنة ١٩١٧ كتعويض على تأييدهم قضية الحلفاء في الحرب العالمية الاولى ، على الوعد المشهور من اللورد بلفور الذي كان يومئذ وزير الخارجية لبريطانيا العظمى في وزارة لويد جورج . وفي كتاب موجه الى المصرفي اليهودي روتشيلد كان بلفور يؤكد :

« إن حكومة جلالته تنظر بعين العطف الى إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين وسوف تبذل أحسن المساعي لتسهيل ادراك هذه الغاية مع البيان الجلي بأن لا تقوم بشيء يضر بالحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية المقيمة في فلسطين . أو بالحقوق السياسية التي يتمتع بها اليهود في أي بلد آخر » .

وتتابع الامر فرحبت عصبة الامم ببريطانيا لتنفيذ صك الانتداب على فلسطين ، (وهو لفظ مخفف كان يعني ببساطة وصراحة الاستعمار البريطاني للأرض المقدسة) ، واندفعت بريطانيا الى تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين في الوقت الذي وضعت فيه جميع الصعوبات أمام الاستقرار الطبيعي للاكثرية العربية في البلاد . وهكذا كان ان توصل الـ ٨ ٪ من اليهود الذين كانوا يسكنون فلسطين سنة ١٩١٨ الى أن أصبحوا الـ ٣٣ ٪ الذين تركتهم بريطانيا هنـــاك حين انسحبت من فلسطين بمناسبة انتهاء انتدابها . وأصبحوا أصحاب الضربة النهائية

التي نفذت الآن من قبل الامم المتحدة في عمل من أفظع أعمال الطرد الجماعي التي لم يقع لها مثيل في التاريخ أبداً . كان للولايات المتحدة وما يزال لها مصالح كبيرة الأهمية في فلسطين وفي تسليمها الى الصهيونيين . ليس فقط بنتيجة أحوال أمريكا الداخلية (وول ستريت والسياسة الانتخابية الامريكية تتـأثران تأثراً كبيراً بالتجمعات اليهودية الواسعة الأمريكية) بل ايضاً بسبب الوضع الرائع الجغرافي والاستراتيجي لفلسطين ، القائمة في قلب الوطن العربي ، والتي تسمح بمرور كل الطرق لتجزئة هذا الوطن ، وللاستغلال الاستعماري لبتروله الغزير ، وهكذا فان طرد العرب الفلسطينيين جماعات كان بالنسبة للولايات المتحـدة لعبة لا يعود عليها منها سوى المفيد والمسلي ! وبديهي أنه لم يدخل في حسابها أي اعتبارات عرقية او سياسة تتضمن الاحترام الانساني للعرب المقيمين في فلسطين أو الرعاية لمبادىء تقرير المصير المقبولة من قبل الامم المتحدة .

وهكذا عقدت تلك الجلسة المهينة للامم المتحدة في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ وكان يرأسها مع الأسف واحـد من مواطني بلادي البارزين وهو يومئذ السفير (أزوالدو آرانيا) ذلك الرجل الشديد الارتباط بالحكومة الاميركية والذي انتهى مؤخراً جداً بأن تبنى مواقف سياسية هي عملياً مواقف ذات طابـع وطني .

وقد شعرت الولايات المتحدة أن عدداً من الدول تتقاعس في قبول فكرة مصادرة فلسطين لصالح اليهود فأطلقت اليد بشكل رهيب لأسلوبها المعروف (بالاقناع) عن طريق الضغط الاقتصادي . فرنسا مثلا هددتها بقطع المعونة التي تصلها حسب مشروع مارشال . وبلاد أخرى مثل هاييتي ، أثيوبيا ، الفيليبين ، البارغواي ، لوكسمبورغ ، وكثير غيرها ، كبلادي التي كانت

مفعمة بمفهوم زائف من عدم التأثر التاريخي بالمصالح الدولية للولايات المتحدة، ناقشتها الامة الاميركية العظيمة حاملة عصا بيد وكيساً من الدراهم باليد الاخرى .

ونتيجة لذلك وصلت بعض البلاد الى خزي تغيير تصريحاتها التي سبق أن أعلنتها حول التصويت بشكل بدلت فيه بـ (لا) الكرامة، (نعم) الخضوع .

تقرير اللجنة الخاصة الذي اقر من قبل هيئة الامم المتحدة غير النزيهة كان يوصي بأن يقام في فلسطين ، دولة يهودية ، وأخرى عربية ومنطقة دولية حول القدس . وكما هو منتظر لم يقبل العرب الحل المقترح ، بينما انسحب الانكليز من فلسطين بعد أن فتحوا كل الابواب لدخول جموع اليهود الذين كانوا مدربين تدريباً كاملاً وطويلاً للهجمة النهائية ، فطردوا من فلسطين العرب العريقين هنا أو جعلوا عيش بعضهم في أرض أجداده نفسها غير محتمل مما ادى الى النتيجة نفسها .

وهكذا كان أن لجأ حوالي مليون ونصف المليون من العرب الفلسطينيين الى المناطق المجاورة مجردين من أراضيهم وبيوتهم بدون أبسط الشروط لامكان العيش الكريم . والبلاد التي استقبلتهم - وهي بدورها غير نامية - لم يكن لديها الوسائل لتوفر لهم العمل والمعونة اللازمة . ولكي نأخذ فكرة عن عدم الامكان هذا يكفي أن نذكر بعض الحقائق عن اللاجئين فهم يشكلون ٧٥٪ من كافة سكان الاردن و ٣٦٥ بالمئة من كافة سكان منطقة غزة .

ومن البديهي ، حتى بالنسبة لليهود المنصفين ، أن الصهيونيين قد احتلوا فلسطين دون أي مبرر ، دولة اسرائيل ليست دولة ولم تكن يوماً لاسرائيل . انها نتيجة عملية سلب نظمت من قبل الاستعمار في وسط عالم كريم كان يلد أمماً وأفكاراً متعاونة .

ان اعطاء هذا السلب الصفة الشرعية بحجج توراتية أو تبريرات عرقية أو ادعاء الحاجة لاعطاء أرض الى أناس لم يفعلوا شيئاً للحصول عليها أو لاستحقاقها، يعادل اعطاء الصفة الرسمية للدينيات والضلالات التي لم تكن أبداً ناجحة في كل الأزمان وفي كل العالم.

وبالرغم من هذه البداهة الواضحة كالنهار فمن الصعب جداً – وأعترف بذلك – أن أضع في العبارات الدقيقة، أمام العقول التي لم يسبق لها الاتصال بالموضوع، المشكلة التي ثارت للانسانية كلها، بسبب قيام دولة اسرائيل ففي الدرجة الاولى: أعاد هتلر الاعتبار أمام عيون الناس الى كل اليهود الأخيار منهم والأشرار. التعاون والتعاطف العالميان، اللذان أثارتهما، في كل أنحاء الدنيا، مذابح اليهود، وجها توجيهاً بارعاً لأغراض الصهيونيين الاستعمارية وبشكل جعل الناس يعتقدون ان نضال العرب، الذي لايعدو ان يكون رغبة شرعية من قبلهم في أن يستعيدوا أموالهم والوطن الذي اليهم يعود، أن نضال العرب هذا انما هو نضال لاسامي، ويعنون به نضالاً ضد اليهودية. والأدهى من ذلك أن الصهيونيين في هذا التشويه للحقيقة، يحاولون التغطية على الواقع الأليم وهو أنهم يستعملون ضد العرب، في قسوة أقل افتضاحاً ولكنها ليست أقل عنفاً، كثيراً من الأساليب ذاتها التي ذاقوها هم أنفسهم في جلودهم على أيدي النازيين. كما تدين تدان.

ومن ناحية ثانية، ان العرب أنفسهم الذين استيقظوا الآن فقط على الصيغ اللائقة لمجابهة مشاكل العصر، لم يتحرروا بعد تحرراً كاملاً من العراقيل التي يلقيها التعصب الديني دوماً في طريقهم نحو المستقبل، ذلك التعصب الذي

غذته بمهارة القوى الاستعمارية . ان ما يجب أن يكون واضحاً ولا يتحقق وضوحه دوما — هو أن القرآن والكتاب المقدس والتلمود ليسوا اطلاقاً موضع بحث وليس لهم أية علاقة مع هذه المشكلة العارضة والارضية . مشكلة غزو جماعي للسكن بأيد مسلحة .

ومن ناحية ثالثة يجب ألا يغيب عن بالنا أن النضال العنيف ضد الصهيونية لا يتضمن بالضرورة النضال العنصري ضد اليهود. ذلك أن العرب واليهود كانوا حتى الآن يعيشون جميعاً ، وفي سلام حسن ، دهوراً طويلة في فلسطين نفسها دون أن ننسى أنه من الناحية التاريخية ، في العصور الوسطى مثلاً ، حين كان العرب يسيطرون على شبه الجزيرة الايبرية ، لم يضطهد هؤلاء أبداً اولئك ولا أقاموا الصعوبات في وجه ممارستهم الخاصة للعقيدة التي يتخذون .

ان اليهودي غير المتعصب ، غير المنقاد الى الدين أو الى الامبريالية ، لديه من الفهم والحساسية ما يكفي حتى لأن يفهم هو نفسه ولأن يساند نضال العرب المشروع .

قرأت في جريدة محلية ترجمة مقال لليهودي مكسيم رودنسون نشره في مجلة « جون افريك » ، وفيه يذكر هذه التأكيدات التي يمكن أن يقول بها أي مواطن عربي معتدل :

« ان العرب في حالة حرب مع دولة اسرائيل . وان المسؤولين الصهيونيين قد أثاروا حركة سببت لهم ضرراً عظيماً فقد حرموا العرب من قسم من أرض وطنهم ، معطين لانفسهم حقوقاً دينية على هذه الارض وهم يرفضون الاعتراف بهذا الضرر كما لا يريدون القبول بأي تنازل . ومن الطبيعي أن

ينظر العرب الى هؤلاء المسؤولين كأعداء لهم والى البلاد التي لم يوقعوا معها السلم ، كبلاد عدوة .

صحيح أن الصهيونيين والاسرائيليين هم يهود . وصحيح أن كثيراً من اليهود ، في العالم ، هم غير صهيونيين لكنهم يشعرون على الرغم من كل شيء بالتساند مع الاسرائيليين . وقد تأتى هذا عن نوع من الشعور القومي الذي خلقته وأنمته وقوته اللاسامية . إن هؤلاء اليهود يتقبلون عن طواعية كل المشاعر التي تمليها الصهيونية ، ويجدون له المبررات والأعذار ، ويخلطون بين الدفاع عن حقوقهم الطبيعية ككائنات انسانية وبين التأييد لمؤسسة سياسية سلبت حقوق الآخرين ، ان ذلك لمؤسف .

كل شعوب الأرض ، كل الضمير العالمي ، كل الرجال والنساء القادرين على التفكير والشعور بأنفسهم يجب أن يفهموا ، وأن يؤيدوا العرب في نضالهم الملحمي للحصول على حقهم الذي لانزاع فيه ، في العودة الى ارض وطنهم . وليس ذلك نتيجة لواجب طبيعي في التساند الانساني فقط ولكن لأن كل واحد من تلك الشعوب ومن تلك الضمائر ، ومن اولئك الرجال والنساء يمكن أن يروا أنهم قد يكونون الضحايا المقبلة لا بالمعنى الاقتصادي بل حتى بالمعنى الفيزيكي . لهذه الآلة اليهودية الضخمة التي سلحها الاستعمار لتأكل شعوباً وتشرب دماً . واذا كان الممثلون الوطنيون للحكومات المستبدة هم المكبلون المهددون في المجالس العليا التي تقرر مصائر الشعوب فلم يبق للجماهير في كل بلد إلا أن تعمل على اقناعهم أو أن تبدلهم بغية الانسجام مع نفسها .

العدالة لفلسطين

• بقلم غوميث تيّو

JOSÉ LUIS GOMEZ TELLO

ترجمة عن الاسبانية

مايزال مليون من العرب ينتظرون العدالة والخبز والسلام ، منذ خمسة عشر عاماً . وهم الرجال والنساء والأطفال الذين شرّدهم اليهود من ديارهم وجردوهم من أراضيهم ومنازلهم ، فراحوا ضحايا مؤامرة عالمية للصهيونية . « من الضروري أن تتحول فلسطين الى مأوى للشعب اليهودي . ومن الممكن تحويل السكان العرب عن هذا الاقليم الى الأقاليم العربية المجاورة » هكذا قال ذات يوم الصهيوني سميلا نسكي . وفي سبيل هذا الهدف اقتلع ذلك المليون من

* خوسيه لويس غوميث تيو محرر في صحيفة Arriba بمدريد .

الكائنات الانسانية من وطنه ، وأنضبت موارد الحياة أمامـــه وألقي به في معسكرات اللاجئين المؤثرة ليعيش على صدقة عالمية بدلا من أن يترك في سلام ودعة في بساتينه الخاصة وأراضيه وحقوله المزروعة .

عشر مـــــدن عربية : يافا ، حيفا ، صفد ، اللد ، الرملة ، طبريا ، بيسان ، سمخ ، المجدل ، شفا عمرو ... وسبعمئة من الضياع والدساكر ... بدد سكانها العرب على أيدي الدولة المصطنعة المسماة اسرائيل . فأين هم أولئك السكان؟ لقد غدوا في الخيام على طريق عمان القدس ، وفي أكواخ غزة ، مبعثرين في الأصقاع العربية .

وتقدر الأموال العربية التي استباحهـــا اليهود بألفي مليون من الليرات الاسترلينية . فكيف يصدق الكلام بعد ، عن «الأعجوبة» الاقتصادية لاسرائيل التي هي ثمرة سلبهم المذكور للعرب مع مساهمات اليهودية العالمية التي هي بدورها نتيجة استغلال شغل الرجال والنساء غير اليهود في العالم كله من قبل « الرأسمالية الكبرى » التي لا وطن لها ؟ وكيف يقبل الكلام عن المساعدة المحـــدودة التي تقدمها مؤسسات عالمية معدودة للاجئين العرب ؟ ان التصدق بكسرة خبز على الأطفال العرب الجيـاع بؤس اذا ماقورن بألفي مليون من الليرات الاسترلينية انتزعها اليهود من أصحابها العرب ، فكسرة الخبز التي ترمى لهؤلاء الأطفال هي من مالهم .

لقـــد ردت السيادة ورد الاستقلال الى مئات الملايين من الآسيويين والافريقيين والأوروبيين ، منذ نهاية الحرب العالمية الثانية . بيد أن حربين عالميتين – وقد كانتـــا حربين يهوديتين – لم تعودا على الأوروبيين بشيء الا التمزق فيما بينهم ، ولم يستفد من كل هذا الا اليهود وحدهم

فقد كانت نتيجة الحرب العالمية الاولى الواضحة تصريح بلفور الذي استهدف احالة ادعاء الصهيوني هيرتزل الى حقيقة واقعة. وما هو الا استفتاء اليهود على اقامة وطن لهم وقد ألبس لباس الاعتراف الرسمي. وفي مؤتمر فرساي للسلم كانت السيطرة للمندوبين اليهود أو اليهود المتنصرين الذين فازوا بتصريح بلفور والانتداب بريطانيا على فلسطين تقدمة وتكرمة.

ومعاهدة فرساي التي هي من صنع الصهيونية العالمية، وهي التي جعلت الحرب العالمية الثانية أمراً لامفر منه. وفي هذه الحرب استنفر العالم كله ضد المانيا مثاراً بشبح المظالم التي ارتكبتها ضد اليهود.

ولئن كانت اعتداءات الالمان على اليهود قد استدعت الحرب العالمية الثانية، فماذا كانت الثمرة الوحيدة لتلك الحرب؟ انها لم تكن تحرير بولونيا، ولكن كانت خلق دولة اسرائيل. وهكذا توج عمل الصهيونية الذي ابتدأ منذ النزاع الاول. فان الحربين الكبيرين اللتين كلفتا الانسانية مايقارب مئة مليون من الحيوات البشرية ومآسي لاتنتهي وكوارث لم تخطر على قلب بشر، قد كانتا ضروريتين لتحقيق مطامع هيرتزل ووايزمان.

وفضلا عن هذه النتائج، فان ثمة شعبا قد دفع الثمن قاسيا اكثر من غيره، الا وهو الشعب العربي الفلسطيني الذي شرد من دياره بالرشاشات والقنابل على يد عصابات الهاغانا وشتيرن والارغون «ان فلسطين ينبغي ان تكون لليهود. اما العرب، فلهم الصحراء» هكذا كان يردد «جابوتينسكي» بوقاحة.. وقد ألقي بالعرب الى الصحراء: ستون الفا بين شباط ونيسان عام ١٩٤٨، وثلاثمائة وتسعون الفا بين نيسان وايار واربعون الفا حتى وقف اطلاق النار سنة ١٩٤٩.

ومن قطعة الارض ، او المنزل ، او البستان ، الذي كان يطرد عنه او عنها واحد من العرب ، كان يتخذ مقام لواحد من اليهود يصل من بعيد البلدان صدّيان للسلب . وعلى هذا النحو خلقت اغرب الدول : دولة يقطنها الاغراب ، وتمولها الرساميل الغربية ، ويدافع عنها ويسلحها الاغراب ، وبمثل هذا وصلوا للتفاخر ، على سنة التوراة . وبلغ رقم المهاجرين اكثر من مليونين . فهل من منقصة جديدة بالشهر اعظم من ان اسرائيل ليست دولة ، وانما هي تشكيل مصطنع أعد كي يستخدم وسيلة لمشروعات اخرى ؟ ان تحويل الاردن الى النقب الذي يمنع وسائل الحياة عن ملايين اخرى من العرب في البلدان المجاورة ، قد كشف لأبسط الناس عن مضمون تلك المشروعات الا وهو الامتداد الامبريالي لما تسمى دولة اسرائيل حتى تتسلط على كل الشمال الافريقي . حيث يتهدد ملايين من الخلق المصير نفسه ، مصير المليون من الاوائل المشردين عن فلسطين .

أمّا من صوت يرتفع طالباً العدالة لاولئك المشردين ؟ انهم ليسوا محتاجين للصدقة التي تتيح لهم فقط الاحتضار ببطء ، كلا ولا الى المشروعات الطوباوية لتوطينهم في البلاد العربية . ان هذا ليصلح من اجل طمأنة القلقين و حماة اسرائيل ، ومن اجل تدعيم اسرائيل واعطاء مظاهر من الحلول للدراما الانسانية . وعلى الخصوص من اجل اضفاء الشرعية على استلاب اليهود فلسطين . وفي غد ، خلال خمسة أعوام أو خمسين عاماً ، كما كان يقول هرتزل ، سيستأنف الزحف العدواني الاسرائيلي نحو بعض الجوار ، بغية الاستيلاء على اجزاء اخرى من الارض العربية وتضخيم الفتوحات الاسرائيلية .

وذلك هو « السلام » الذي كان ينبغي فرضه في رأي بعضهم على الشرق الاوسط ... « السلام المهوّد » بيد اننا جميعاً نعلم أنه مامن سلام كهذا الا وهو فاصل بين اعتدائين . ذلك لأن اليهود لايكفّون عن حلمهم الموعود : وهو السيطرة . وان السلام الوحيد الصحيح يكون بالحل العربي لقضية فلسطين ، أي : فلسطين العرب .



« للمفكر الاشتراكي مكسيم رودنسون »

حول القضية الفلسطينية واسرائيل

رسالة من الدكتور سلمان قطاية

باريس —

- لايمكن بأي شكل كان ان نمزج بين اليهودية والصهيونية
- من الخطأ علمياً ان نتحدث عن عرق يهودي
- لايمكن ان اضع مصلحتي كيهودي فوق وجهة نظر ومطالب العرب
- هناك دولتان عرقيتان في العالم : دولة اتحاد جنوب افريقيا واسرائيل

الاستاذ مكسيم رودانسون، هو مدير المدرسة العملية للدراسات العليا في السوربون واستاذ لعلم الاجتماع فيها ، وله دراسات قيمة حول المشكلات الاجتماعية العالمية وبصورة خاصة مشكلات العالم العربي والاسلامي. ومن مؤلفاته كتاب عن « محمد » صدر عام ١٩٦١ . ورغم انه يهودي ، فقد كان من القلائل في فرنسا الذين تفهموا المشكلة الفلسطينية فهماً دقيقاً وعرف صدق مطالب العرب وحقوقهم فيها ، وله مواقف مشرفة

كثيرة في هذا الموضوع . ففي المحاضرة التي اقامتها « رابطة الطلاب اليهود في فرنسا » يوم الخميس ١٢ آذار ١٩٦٤ ، كان الوحيد من الفرنسيين، ممن وقف امام اكاذيب الصهيونية والرد على مزاعمها وبسط بوضوح وجلاء وجهة نظر العرب . وقد دعته جمعية الطلاب العرب في ١٧ نيسان الماضي فألقى محـــاضرة قيمة عن « الاشتراكية في الفكر العربي » .

وقد ذهب إليه في داره لفيف من الطلاب العرب ، فطرحنا عليه اسئلة مختلفة حول القضية الفلسطينية ـ بمناسبة اصدار عدد مجلة المعرفة في الموضوع ـ فاجاب بالاجابات التالية :

● ما هو موقفك من الصهيونية باعتبارك فرنسياً يهودياً ؟

ـ لقد قال عني الكاتب الصهيوني روبير مزراحي في كتابه « الوضـــع الفكري للانسان اليهودي» الصادر في باريس عام ١٩٦٣ بانني يهودي يحقد على العرق السامي Antisémite . وكتب طبيب نفساني صهيوني يدعي انني مجنـــون مصاب بداء الفصام او العصاب . والواقـــع انني لا هذا ولا ذاك . لقد صرحت مراراً وأكرر الآن بان الصهيونية والحقد على العرق السامي Antisémitisme هما اللذان خلقا اسرائيل ، وجعلامنها أمة . وانا لا انتمي إلى هذه الأمة . فلقدكان لي حق الاختيار فاخترت ان اكون فرنسياً يهودياً ، ولا أريد ان اكون مواطناً إسرائيلياً . وانا على استعداد للدفاع عن « يهود » اسرائيل ضد كل ظلم ولكن ليس لمساندتهم في الظلم .

● ان الدعاية الصهيونية تريد ان تدمج الصهيونية واليهودية معاً ، فهل لهذا الدمج نصيب من الصحة في رأيكم ؟

— الواقع ان قادة اسرائيل ودعاة الصهيونية يقومون بكل ما في وسعهم لكي يجعلوا من الصهيونية واليهودية شيئاً واحداً. وباعتقادي، انهما شيئان مختلفان تمام الاختلاف، ويجب في أيامنا هذه أن نميز جزءاً ثالثاً من اليهود اسميه: متعلقين باليهودية — او متهودين — Judaïcidé

لنتحدث اولاً عن الصهيونية: إنه اتجاه، يهودي طبعاً، جعل هدفه منذ اواخر القرن التاسع عشر ان يجمع اليهود في بلد واحد هو فلسطين، إذ وجد انه تجمعهم عناصر دينية وعرقية بدون وحدة جغرافية منذ قرابة الفي عام.

ومن الهام ان نلاحظ هنا: انه في البدء كان القـــادة الصهيونيون من العناصر السياسية يعتبرون ان أهم هدف هو أن يعطى لليهود قاعدة جغرافية مهما كانت. وعرضت عليهم مشاريع مختلفة وخاصة من قبل انكلترا التي عرضت على هيرتزل اوغندا عام ١٩٠٣. ولكن الرأي اتجه نحو فلسطين تحت ضغط اليهود المتعصبين المتمسكين بالتقاليد، خاصة يهود روسيا. وقام بعضهم باتصالات مع السلطان عبد الحميد لتأسيس بؤرة قومية يهودية في فلسطين، ولم تكن فكرة تأسيس دولة يهودية واردة.

اما اليهودية فهي تنطبق على كل يهودي متمسك بدينه، والايمان به ايماناً تقليدياً. اما اليهود المتعلقين باليهودية: فينطبق هذا التعريف على اليهود من احفاد الرؤساء الدينيين الذين لم يقطعوا علاقاتهم مع التقاليد والثقافة اليهودية، دون ان يكونوا بسبب ذلك متدينين، او حتى مؤمنين.

قلت آنفاً ان هذا التفريق ملازم للعصر الحديث، وبالفعل فان هـذا التفريق لم يكن ضرورياً في زمن كانت فيه المجموعة اليهودية Communauté Juive

مندمجة اندماجاً كافياً ، وكان من يقطع علاقاته معها من ابنائها ينخرط مباشرة، وبسرعة شديدة بالوسط المحيط ، ويقطع كل علاقة مع التقاليد والثقافة اليهوديتين (امثال المسيحيين الجدد في اسبانيا ، واسبينوزا ، ووالد ماركس الخ ...)

ولكن تحت تأثير الافكار اللادينية ، في اوروبا الغربية بشكل خاص ، تشكلت فئة جديدة هي ما باستطاعتنا تسميتها : المتعلقين باليهودية الأسباب التي ذكرتها سابقا. ووا‌ضح ان الفرق بين الاثنين ليس قاطعاً (اي بين هؤلاء والبهود)، وبين هذه وتلك مراحل متعددة من التطور : لأن هذا ليس موضوعنا الآن . فلنعد الى الصهيونية: لقد فرضت هذه نفسها كنضال ضد (التمثل) في المحيط المجاور.

وهذا ماتؤيده تصريحات نوم غولدمان(١) رئيس « المؤتمر اليهودي العالمي » التي تدعي بأن الخطر الكبير الذي يهدد يهود العالم اليوم هو (التمثل) Assimilatiom وفي كتاب « تشريح اليهودية الفرنسية » الصادر عام ١٩٦٢، يدعي مؤلفه « رابي » ادعاء اعظم فيقول : بان القس غريغوار طلب — غداة الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ تسوية حقوق اليهود مع الفرنسيين، فبدا لأجيال عديدة متعاقبة من اليهود الفرنسيين كامل مخلّص محرر . ثم يقول رابي: ان القس غريغوار كان يهذا يغذّي المشروع الخطير والخبيث لضياع اليهود في المجتمع الفرنسي — تمثلهم —

● ماهو الصدى الذي لاقاه دعاة الصهيونية لدى الجماهير اليهودية؟

— لقد استطاعوا ان يجمعوا حولهم بعض العناصر وخاصة في المجتمعات التي ظلت عمليا في مستوى القرون الوسطى (اوروبا الوسطى، وروسيا القيصرية الخ . .) ، والمجتمعات التي كانت مهددة بخطر الحقد على العرق السامي . ومثّل يهود انكلترا واميركا الذين لم يتجاوبوا مع نداء الصهيونية واضح على ذلك.

(١) تصريح ادلى به غولدمان الى جريدة « لوموند » البارسية في ١٩٦٤/٣/١٨

والخلاصة ، وعلى عكس مايدعيه دعاة الصهيونية ، لايمكن بأي شكل كان ان تدمج اليهودية والصهيونية . وان تصريحات غولدمان ، الساخط لضعف نتائج الحركة الصهيونية في فرانسة ، يؤكد لنا ذلك . وعلى كل حال، فمنذ ولادة الصهيونية ، وقف بعض المثقفين اليهود ضدها امثال : تروتسكي وروزا لوكسمبورغ ، ورادیك وغيرهم . ومثل آخر على هذا : الاستاذ سليفان ليفي استاذ الحضارة الهندية في السوربون ، الذي كان عضواً في اللجنة التي زارت فلسطين عام ١٩١٨ لدراسة الوضع ، ولكنه كان دوماً ضد الصهيونية .وعندماعقد مؤتمر السلام عام ١٩٢٠ رفض وايزمان أن يصافحه .

ولنلاحظ انه ، حتى فيمايتعلق بالاسرائيليين، يجب ان لانعمم الاحكام فنظن ان كل من ذهب الى فلسطين فعل ذلك لايمانه بالصهيونية . فعدد كبير منهم ذهب اليها عقب خروجه من المعتقلات النازية لانه لم يكن يدري اين الذهاب . كذلك فان عدداً منهم أرسله هتلر الى فلسطين حسب اتفاق عقد بين وزارة اقتصاد الرايخ الثالث والقادة الصهيونيين عام ١٩٣٢-١٩٣٣ وقد وجدت هذه الوثائق في ارشيف وزارة الخارجية الألمانية .

● ماهي الاعتبارات التي تخولنا الكلام عن امة يهودية ؟

— اظن ان المناقشة حول هذا الموضوع قد اخذت بسرعة شكل خصومة مدرسية أو تلمودية وهذا خطأ ، يجب ان ننظر الى الواقع اولا . واعتقد انه يجب ان نحدد ثلاث فئات من يهود العالم :

اولا : المجتمعات الدينية ، والعلاقات الدينية فيها متينة بين عناصرها.

وإلى هذه المجتمعات الدينية ، والقرية في آن واحد ، يجب ان نضم

مجتمع يهود امريكا .فان من قواعد المجتمع الامريكي المصرح بها ، ان كل مجموعة عرقية ودينية خاصة (أرمن ، يهود ..) تشكل مجتمعاً مغلقا نوعا ما . فاذا أضفنا الى ذلك ظاهرة « الجيل الثالث » التي أوضحها علماء الاجتماع ، والتي تقول بان الجيل الحالي ينجرف نحو الايمان التقليدي ، فهم لماذا مزجت بين المجتمع الامريكي والمجتمعات الدينية .

ثانيا : المجتمعات شبه القومية في بعض البلاد كالاتحاد السوفييتي وبولونيا الخ .. وهذا مايسميه مزارحي « قومية ديالكتية » بمعنى انها قومية محتفظ بها نتيجة نفور المجتمع المحيط بهامنها.يجب أن نضيف عليها الشكل الثقافي ،أي الثقافة بيديش Yiddish وهي رابطة نامية جداً ضمن هذه المجتمعات .

ثالثا : هؤلاء الذين على درجات متفاوتة من التمثل مع المحيط ، والذين قطعوا علاقاتهم مع الايمان التقليدي . ولكنهم يظلون اما في سرهم او جهرهم مرتبطين بالتقاليد والثقافة اليهودية . وقد ظهر ذلك في كل من اهتم بصورة موضوعية بالمشكلة اليهودية ، مثل سـارتر وآرون . ان باعث وحدة هذه المجتمعات اليهودية ، هو بالاساس الحقد على السامية . بقي أن تتضح عند الكثيرين من افراد المجتمعات اليهودية ، وبدرجات متفاوتة ، وخلال العصور ، الارادة في تمتين هوية ما .

● **ماهي الاعتبارات التي تمكننا من وصف هذه الهوية بالقومية؟ وهل يمكن للفئات الثلاث المذكورة أن تشكل أمة مثل الأمة الفرنسية والألمانية وغيرهما ؟**

— هذا ماأريد أن أصل اليه . ان مشكلة القومية مشكلة معقدة بشكل

خاص . ويبدو أن العالم الاشتراكي نفسه لم يتمكن من تخطي التناقضات المتعلقة بمشكلة القومية . لقد حاول ستالين أن يحدد عدداً من العناصر الموضوعية لتعريف الأمة . ودون أن نناقش هذه العناصر يكفي أن نعلم أنها تؤدي الى رفض اعتبار سويسرا وبلجيكا أمتين موجودتين واقعياً . باستطاعتنا ، على كل حال ، القول بأن ستالين كان قاطعاً في أحكامه ، فيقول بأنه اذا نقص أحد العناصر التي عرّفها (جغرافية ، لغة ، ثقافة مشتركة ، تاريخ مشترك ، وحدة الأسواق .. الخ) فلا يمكن لنا الكلام عن أمة ما . وفيما يتعلق بالمجتمعات اليهودية ، نجد أن الصهيونيين يميلون الى القول بأنها محددة بعناصر عرقية ، وثقافية ، ودينية . هذه العناصر ، بالاضافة الى الرغبة في تمتين هوية ما ، كافيـــة حسب قولهم لتعريف أمة ما .

لا أقول بأن هذه العناصر الثلاثة مع تلك الرغبة ، غير كافية فحسب لتعريف أمة ما ، بل هي نفسها غير كاملة ، وبصورة صريحة ، في المجتمعـــات اليهودية نفسها .

١ — من الناحية الدينية :

لأن هناك فئة من اليهود غير متدينين ، بصرف النظر عن الخلافات بين الطوائف والميول الدينية المختلفة ضمن كل مجموعة .

٢ — من الناحية الثقافية :

لقد كانت المجموعات اليهودية تتأثر بشكل كبير بثقافات المجتمعـات التي تعيش فيها . ففي فرنسة مثلا ، ليس باستطاعتي أن أجد ثمانية يهود من عشرة ممن يعرفون مفكري اليهود في القرن السابع عشر أو في العصور الوسطى . بينما أغلبهم —وربما كلهم— يستطيع التحدث والنقاش الطويل حول موليير أو لافونتين .

ومن جهة أخرى استغرب جداً أن أجد يهودياً من أوربة الغربية مثلاً يتفق على الصعيد الثقافي مع يهودي من أوروبا الوسطى المتمسك بثقافة اليديش .

٣ — من الناحية العرقية :

وهذه أضعف ناحية . مثلاً : المجتمعات اليهودية في الصين وفي الحبشة هي على الغالب مؤلفة في أساسها من الحبشيين والصينيين الذين اعتنقوا الدين اليهودي. ونحن نعلم أن اليهودية كدين دخلت بشكل واسع في بداية القرن الأول للمسيح إلى كثير من البلدان الاوروبية وغيرها . ومن غير المعقول أن يكون كل هؤلاء أحفاد يهود فلسطين القدامى . ومن هذه الناحية فيجب أن نلاحظ أن العلاقات بين اليهود الأوروبيين ويهود فلسطين القدامى ، على الصعيد العرقي ، هي أقل بكثير من علاقات هؤلاء مع عرب فلسطين .

ومهما كان الأمر فان نتائج أبحاث علم الانسيات Ethnologie سمحت بالاستنتاج أنه من الخطأ التكلم عن عرق يهودي . لقد جرت بحوث في أوروبا ، فوجد أن نسبة الزمر الدموية : أ ، ب ، أ ب ، وصفر في فئة يهودية ما، هي نفسها الموجودة في الفئات المحيطة . وهذا برهان علمي أكبر قيمة من الادعاء بوجود عرى ملونة Chomosoms تحمل معها صفات وراثية من حيث الشكل الجسماني أو الاستعداد النفساني العام لكل اليهود .

● **هل تعتقدون بأن الصهيونية قد حلت مشكلة اليهود في العالم؟**

— أعتقد أن السؤال الذي يجب طرحه قبل هذا السؤال هو : هـــل الصهيونية ، كأيديولوجية تريد أن تمنح قاعدة جغرافية لليهود المشتتين Disspora

تستطيع أن تحل مشكلة اليهود؟ أذكر هنا مقالاً لريمون آرون (١) ، ذكر فيه أن الصهيونية الحديثة ليست أول فكرة صهيونية . فبعد احتلال الملك الأشوري نبوخذ نصر لاورشليم عام ٥٨٦ قبل ميلاد المسيح ، ونقل اليهود الى بابل ، جاء سيروس ملك الفرس عام ٥٣٨ قبل المسيح وسمح لليهود بالعودة الى بلادهم ، ولكن قسماً ضئيلاً منهم عاد ، وبقيت الأغلبية في بابل حيث شكلت مجتمعاً زاهراً.

كل هذا كي أؤكد : بأنه اذا لم تكن هناك موجة من الحقد ضد العرق السامي كالتي عرفها العصر الحديث (من البوغروم الى النازية) فان اليهود — مهما كان عطفهم وتعاونهم مع القادة الصهيونيين — يفضلون البقاء ضمن البلاد التي تبنتهم . ومن النادر أن نجد يهوداً امريكيين أو انكليزاً أو فرنسيين يخاطرون بالذهاب الى اسرائيل .

ان الكسب الأساسي للصهيونية هي دولة اسرائيل . وأقول مثلما قال آرون ، ان دولة اسرائيل لن تقضي على اليهود المشتتين .

من المؤكد ، أن بامكان بعضهم أن يرد علي بقوله : ان وجود اسرائيل يسمح لي ذات يوم ، وضمن وضع تاريخي خاص أكون خلاله ملاحقاً لكوني يهودياً ، أن أجد فيها ملجأ .

ومن البديهي أن أتشبث في حالة المصيبة بأي طريق للخلاص ، ولكن هذا لا يبرر الاختيار المضطرب المزعج الناتج عن قومية مزدوجة . ومن جهة أخرى ، فان هذا لا يسمح لي بأن أضع مصلحتي كيهودي فوق وجهة نظر ومطالب

(١) استاذ علم الماركسية في السوربون وهو يهودي . نشر بحثاً في الفيغارو الادبية في ٢٤ — ٩ — ٦٢ .

العرب. كلا ان هذه الطريقة في حل المشكلة تبدو لي خاطئة ومتناقضة مع مهات الانسان الذي يريد الحرية والعدالة للجميع. ولكن الذي خلقته الصهيونية، مشكلة صعبة الحل في هذه المنطقة من العالم: الشرق الأوسط، حيث لم تكن فيها عملياً أية مشكلة. وأوضح كلامي:

ان يهود الشرق الأوسط كانوا يتمتعون بأيديولوجية المغلوبين على أمرهم، وكان وضعهم مشابهاً لوضع المسيحيين في البلاد الاشتراكية اليوم. ولكن الضغط الذي كانوا يعانونه لم يصل قط الى الدرجة التي وصل اليها الحقد على العرق السامي في اوروبا الشرقية والغربية. وكان في برلمان، تركيا الفتاة، عام ١٩٠٨، نواب يهود. وعلى كل حال، فان نظام «الملة» في عهد الامبراطورية العثمانية، كان يعطي اليهود حق انشاء مؤسسات خاصة ومستقلة داخلياً، وبشكل خاص المؤسسات الحقوقية. وهكذا فان الصهيونية قد خلقت في الشرق الأوسط مشكلة مؤلمة باستطاعتنا أن نناقشها بعد قليل.

نتيجة أخرى للصهيونية: هي تأسيس قانون يميز بين عرق وآخر، وهو قانون العودة الشهير الذي يمنح الجنسية الاسرائيليـــة لكل يهودي، مها كانت معتقداته، بمجرد أن يتخطى الحدود، بينما نجد الفلاح الفلسطيني العربي الذي يعيش في فلسطين منذ الأبد، يمر بشكليات طويلة منذ أن يتخطى حدود قريته.

أقول نتيجة لهذا: هناك دولتان عرقيتان في العالم: الأولى اتحاد جنوب افريقيا، والثانية اسرائيل.

وعلاوة على ذلك فلقد كان من نتائج الصهيونية أن يكون في البـــلاد

الإسلامية (باكستان مثلا) صدى للحقد على العرق السامي ؛ حيث لم يكن هذا الحقد موجوداً عملياً من قبل .*

● نعتقد - كطلاب عرب تقدميين - ان النضال ضد الصهيونية ليس إلا وجهاً من وجوه النضال ضد الاستعمار الذي نكافحه ، لأن احتلال فلسطين هو مشروع استعماري بكل معنى الكلمة ، مما جعل من القادة الاسرائيليين حلفاء غير مشروطين للأمبريالية في الشرق الاوسط . ماقولكم في هذا التفسير الذي - نؤكد لكم - أنه ليس له أي اعتبار شخصي أو عاطفي؟

— وحتى الأشخاص الذين يوافقون على آرائي يرون انني ابالغ حينما ادمج مشكلة فلسطين مع المشكلة الاستعمارية . واذكر بشكل خاص ماقاله لي ، منذ فترة ، صحافي فرنسي يهودي بأن هذا ليس من الاستعمار في شيء إذ لا استغلال الشعب من قبل عناصر شعب آخر . وهنا اظن انه يجب ان نتفق على الكلمات .

باعتقادي ان الاستعمار (كما عرفته الانسانية خلال القرن التاسع عشر باستغلاله المباشر) ليس سوى وجه لحركة السيطرة الكبرى مع الإستعاضة عن شعب بشعب آخر جاء من اوروبا . وأعود الى التعريف الذي حدده رينيه مونيه ، لنستطيع التكلم عن الاستعمار كما حصل احتلال مع سيطرة ، وعندما تحصل هجرة مع وضع قانون لإضفاء الشرعية عليها ، واعتقد ان هذا هو وضع اسرائيل .

وعلى هذه التهمة ترد الأوساط الاسرائيلية والصهيونية بصورة عامة بأربع حجج ، والواقع إنها ليست حججاً . وأعود هنا الى ماقلته في المناقشة التي جرت في ١٢ آذار .

أولاً : لم يحسن العرب زرع الأرض وتركوها للخراب . وتوجد هذه

* باكستان ، لاتدعي ، على كل حال ، انها دولة عرقية ، وهي تختلف اختلافاً كبيراً من حيث التكوين الديني الايديولوجي ، عن اسرائيل . — المعرفة —

الفكرة في كل الدعايات الصهيونية . وهذا خطأ. لقد كان لفلسطين العربية زراعة زاهرة مدة طويلة ، ضمن الشروط التقنية للعصور الوسطى . والانحطاط (النسبي) لهذه الزراعة عائد الى الشروط الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي لاعلاقة لها قط بالعرب . ويقال من ناحية أخرى ان مستوى حياة العرب (وحتى مستوى وعيهم الاجتماعي) قد ارتفع منذ قيـــام اسرائيل !! وأن الصهيونيين قد اشتروا الأرض بشكل نظامي من العرب ، وخاصة من كبار الملاك الذين باعوا أراضيهم غالياً وهم على عــلم بما سيجري . ربما كان هذا صحيحاً حتى عام ١٩٤٨ ، ولكن نظام الشراء و « الأسعار الجيدة المدفوعة » لاتسمح بانتزاع الملكية القومية . ثم إنه اعتباراً من سنة ١٩٤٨ اتخذت قوانين حقيقية لمصادرة أملاك العرب .

ثانياً : ويضيف الصهاينة قولهم : أن دولة اسرائيل اشتراكية وتقدمية وطليعة التقدم في الشرق الأوسط . باستطاعتنا أن نناقش بنيان هذه الدولة ولكن حتى ولو كان صحيحاً فهل هذا تعزية للعرب الذين انتزع وطنهم من قبل دولة اشتراكية وتقدمية . !! ثم ألم يكتب انجلز « بان البروليتاريا المنتصرة لاتستطيع ان تفرض سعادة ما على شعب أجنبي عنها دون ان تخاطر بانتصارها بالذات » . انه ادعاء استعماري كلاسيكي بان المستعمرات هي قطب التقدم التقني . ولكن مناهضي الاستعمار يجيبون ، بصورة لاتقل كلاسيكية : هذا لايبرر فقدان الاستقلال .

ثالثاً : ان القوميـــة العربية حاقدة على العرق السامي ، ومن هنا فهي ورثية هتلر Antisémite . وهذا هو إدعاء اليهود : كل من هو ضد اليهود فهو حاقد على العرق السامي . ولكن الفكر السليم يرفض هذه الفكرة

السخيفة Absurde فليس كل يهودي بمنوع Tabou . لكل انسان الحق في أن يقول بأن روبي مثلاً قذر . دون ان يوصم من أجل ذلك بالحقـد على العرق السامي . ولا يقف العرب أمام وجه اليهود كيهود ، إنما يناهضون الصهاينة من أجل منطقة سياسية محدودة وهي فلسطين تلك البلاد التي لم تعرف مشكلة العرقية ضد اليهود قبل الحركة الصهيونية .

ولكن مناهضة الصهيونية تتدهور أحياناً الى الحقد على العرق السامي ، وهذا مثل على ماتسميه « العرقية الناتجة عن الحرب » وهي مؤقتة ومن الصعب تجنبها أثناء التصادم وخاصة على مستوى الجماهير المعبأة . فمنذ عام ١٩١٤ حتى ١٩١٨ كان كل من يمس فكرة الجرمانية في أغراض مفاهيمها ، من قريب أو بعيد ، مكروهاً في فرنسة . وقادة العرب الأكثر تعقلاً ، حاولوا ان يتفادوا ذلك الى أقصى حد ، لكن الصهاينة يستقتلون على تحريضهم مجبرين بصورة آلية كل يهود العالم على الاشتراك في القتال .

ورابعاً وأخيراً : لايمكن لوعد بلفور ان يعتبر برهاناً قاطعاً يبرر إحتلال فلسطين .

ان تصريح بلفور (وزير خارجية بريطانية) الموجه الى اللورد روتشيلد في ٢ تشرين ثاني عام ١٩١٧ ، هو تصريح انكليزي يتصرف بقطعة من منطقة عربية دون أي اتفاق عربي . ومن الواضح ـ من ناحية أقوى ـ ان اسرائيل تشكل حالياً حليفاً للاستعمار (الامريكي بشكل خاص) لايمكن انكاره في الشرق الأوسط . وكانت حرب السويس برهاناً على هذا التحالف . ولا يستطيع القادة الصهيونيون ـ نظراً لضعفهم ضمن عالم ينفر منهم ـ إلا ان يعتمدوا على قوى خارجية .

ولقد اختاروا الاعتماد تارة على امبريالية غربية وتارة على امبريالية غربية أخرى ، وفضلوا بصورة خاصة اختيار أمريكا لانهـــا اغنى وأقوى ، ولديهم وسيلة هامة للضغط عليهـــا مؤلفة من خمسة ملايين يهودي تقريبـــا من اليهود الامريكيين الذين يميلون الى مساندة اسرائيل بدافع عاطفي أو ديني . وقد أجاب ترومان في تشرين اول عام ١٩٤٦ على أسئلة الوزراء المفوضـــين الذين كانوا يعرضون له اذى القرارات المساندة للصهيونية في البلاد العربية ، بقوله « أنا آسف ياسادتي ،إذ علي ان أجيب رغبة مئات الالوف من البشر الذين يريدون للصهيونية النجاح وليس لدي مئات الالوف من الناخبين العرب ».

ثم ودعنا الاستاذ شاكرين له صراحته وصدقه للقضية العربية ، الشيء الذي سبب له هجوماً عنيفا شنته الصحف الخاضعة للصهيونية ، ولكنه وقف امامها بشجاعة وثبات . والشيء الذي اود ان الفت انظار القراء اليه وخاصة المسؤولين منهم الى ان في فرنسة واوروبا والعالم كله ، اشخاص امثال الاستاذ رودانسون في تفهمه لقضية فلسطين، وما على البلاد العربية سوى القيام بالدعاية اللازمة لتكسب الى جانبها عطفاً وسنداً مما يعينها على القضاء على الصهيونية.



التشابه بين النازية والصهيونية

بقلم سامي هداوي

بيروت —

يعترض الصهيونيون والاسرائيليون بشدة على المقارنة التي يثيرها بعض المطلعين على تاريخي الصهيونية والنازية ، بين الجرائم التي ارتكبها النازيون بحق يهود اوروبا والجرائم التي ارتكبها الصهيونيون بحق عرب فلسطين ، ويتهم الصهيونيون كل من يثير هذه المقارنة بالنزعة « اللاسامية » ، وهو تعبير يحاول الغربيون تحاشيه قدر الامكان .

غير أن الفارق الكبير بين فظائع الحركتين يكمن في كون الصهيونيين استطاعوا بمالهم ونفوذهم تأليب الرأي العام العالمي بأجمعه على

النازية وإدانة ألمانيا ومقاطعتها قبل وبعد الحرب العالمية الأولى ، وحتى اتهام قداسة البابا بيوس الثاني عشر بالتغاضي وبعدم الاحتجاج على ما حل باليهود من تنكيل على أيدي النــازيين ، بينما لم يفلح العرب — بسبب النفوذ الصهيوني — في استثارة انتباه الرأي العــام العالمي للفظائع التي اقترفها الصهيونيون بحق عرب فلسطين .

ولابد من مقارنة معاملة الصهيونيين لعرب فلسطين بمعاملة النازيين لليهود في أوروبا ، ليدرك الرأي العام العربي مدى الفظائع الصهيونية والشبه الوثيق بين الحركتين ، ومن المؤسف ان العالم العربي مازال يعطف الآن على الحركة الصهيونية برغم الفظائع التي ارتكبتها بحق عرب فلسطين ، فقد طبق الصهيونيون بدقة في معاملتهم لعرب فلسطين الوسائل ذاتها التي سبق أن اتبعها النازيون تجاه اليهود ، على اعتبار ان هذه المعــاملة سهلت للصهيونيين سبل اقامة الدولة اليهودية في الاراضي المقدسة .

لقد سبق المؤرخ البريطاني المعروف ، ارنولد توينبي ، ان قارن بين النازية والصهيونية في كتابه « دراسة عن التاريخ » فقال : « لقد كانت ردة فعل اليهود الفورية تجــاه تجربتهم الخاصة هي تحولهم بدورهم الى مضطهدين ، والمرة الاولى منذ عام ١٣٥ بعد المسيح ، وفي أول مناسبة سنحت لهم ليتزلوا بغيرهم من البشر — الذين لم يلحقوا باليهود أي أذى إنما صودف انهم أضعف منهم — بعضاً من الظلم والعذاب الذين أنزلا باليهود ... » . ويضيف توينبي قائلاً: « عام ١٩٤٨ ، كان اليهود يعلمون ، من تجربتهم الخاصة ، مايفعلون . وقد كانت مأساتهم أعظم لأنهم لم يتحاشوا بل قلدوا فظائع النازيين ضدهم »(١) .

غالباً مايتناسى العالم الغربي ان هتلر لم يكن المجرم الوحيد بحق الانسانية . ان الصهيونيين مدانون أيضاً بجرائم ارتكبوها في فلسطين بحق اناس أبرياء ، ومن سخرية القدر أنه في الوقت الذي كان البريطانيون يخوضون فيه أعنف المعارك ضد المانيا النازية لانقاذ بقايا اليهودية الاوروبية من الفناء على أيدي النازيين ، كان الارهابيون الصهيونيون في فلسطين ، « بمعاونة مؤيديهم الناشطين وغير الناشطين ، يعرقلون بصورة مباشرة المجهود الحربي البريطاني وبالتالي يساعدون العدو » ، كما أعلن ذلك في تصريح مشترك ، رئيس الوزارة البريطانية والقائد العام في فلسطين ، آنذاك . ومن العجيب

(١) Toynbee, Arnold, A Study of History, Vol. VIII, pp. 289-290.

لأن يتناسى اليهود كل التضحيات التي بذلها البريطانيون — الذين أخلوا بوعودهم المقدسة للعرب استجابة لمطالب اليهود في الاستيلاء على فلسطين — فأخذوا يردون على جميل البريطانيين في فلسطين بموجة من الاغتيال والتخريب . ورغم كل ماقامت به الصهيونية ضد البريطانيين في فلسطين نجد أن الحكومة البريطانية استمرت في عطفها على الحركة الصهيونية ومساعدتها ، حتى الآن .

ان جرائم الصهيونيين في فلسطين خلال سني الحرب لأكثر من أن تحصى ، ويكفي مثالاً عليها ذكر الحوادث الثلاث التالية :

١ — قتل الصهيونيون جنديين بريطانيين عزلاً من السلاح وسحلوهما من شاطيء احدى المدن اليهودية وعلقوهما في بستان برتقال ومثلوا في جثتيهما لا لجرم ارتكباه سوى أنهما بريطانيان .

٢ — أقدم اثنان من الارهابيين الصهيونيين على اغتيال الوزير البريطاني المقيم في القاهرة ، اللورد موين ، وذلك لأن سياسته في فلسطين لاتتمشى مع المطامع الصهيونية .

وهذه الجريمة دفعت رئيس الوزراء البريطاني ، المستر ونستون تشرشل — وهو المعروف بتأييده الشديد للصهيونية — الى أن يعلن في مجلس العموم البريطاني ، اثناء عرضه لقائمة الجرائم الصهيونية ، عن امتعاضه من الفظائع التي ارتكبوها في فلسطين اذ قال : « اذا كانت آمالنا في الصهيونية ستتبخر مع مسدسات المجرمين ، وجهودنا في سبيل مستقبل الصهيونية سوف تؤدي الى خلق طبقة جديدة من المجرمين الجديرين بالمانيا النازية ، فان الكثيرين من أمثالي سيضطرون لاعادة النظر في مواقفهم التي اتخذوها في السابق ، بثبات واستمرار . » (١) والجدير بالذكر أن الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، اغتيل ايضاً بأيدي الاسرائيليين في القدس المحتلة في ١٧ ايلول ١٩٤٨ ، لاقتراحه حلاً يضع حداً لمطامع اليهود بالتوسع واجلاء عرب فلسطين عن اراضيهم وتجريدهم منها .

٣ — في شهر تموز ١٩٤٦ نسفت العصابات الصهيونية الارهابية جناح فندق الملك داوود في القدس الذي كان يضم مكاتب الحكومة مما ادى الى مقتل ماينوف عن مائة موظف ، وذلك بسبب رغبة الحكومة البريطانية

(١) Palestine Government, A Survey of Palestine 1945-46, Vol. I. p. 73.

في تنفيذ سياسة الكتاب الابيض الصادر عام ١٩٣٩ والقاضي بايقاف الهجرة اليهودية الى فلسطين ومنح البلاد استقلالها ضمن مرحلة عشر سنوات .

لم يعر الصهيونيون تحذير تشرشل لهم أي انتباه ، ربما لعلمهم انه ليس بمقدوره ولا بمقدور الحكومة البريطانية ، منعهم من تنفيذ مآربهم ، فزادوا من حدة هجماتهم على البريطانيين، ثم تبجحوا فيما بعد بكونهم أجلوا البريطانيين عن فلسطين ، وهم الذين بذلوا كل مستطاع لتأمين توطين اليهود في فلسطين .

وبالاضافة الى ذلك، لم يكتف الصهيونيون بما حصلوا عليه من مغانم من الامم المتحدة عن طريق التحايل والتآمر والضغط والتهديد وغيرها من الوسائل القسرية، بل حاولوا الاستيلاء على فلسطين بأكملها عن طريق الارهاب بالقوة المسلحة والتصفيات الدموية للعزّل والنساء والاطفال ، وما تصريح بن غوريون شبه المتلزي بأن « قــوة السلاح ... لا القرارات الرسمية ستحسم القضية الفلسطينية »(١) الا دليل على فقدان احترام الاسرائيليين للسلطة العالمية التي اوجدت الدولة اليهودية وتخطيطهم للوصول الى هدفهم في فلسطين .

وفيما يلي اربع حوادث مؤلمة اخترناها من جملة حوادث أخرى اقترفها الصهيونيون بعــد صدور قرار التقسيم تظهر الطابع الاجرامي لهذه الحركة :

١ ـ دير ياسين (٩ نيسان ١٩٤٨) : قامت قوة يهودية مؤلفة من ٥٠٠ مسلح ومجهزة بالرشاشات والاسلحة الاوتوماتيكية باجتياح القرية ... فداسوا على الأهالي وكادوا أن يقضوا عليهم ، ضربا باعقاب البنادق ، ثم اقتادوا الرجال والنساء والأطفال والمقعدين الى ساحة القرية حيث أجهز المهاجمون عليهم بنيران الرشاشات والقنابل اليدوية وبالخناجر والسيوف، فكانت مجزرة دموية مريعة ظل ضحاياها ـ وأكثرهم من المراهقين والنساء والمقعدين ـ ملقوين في العراء يتلوعون من الالم ، تملأ أجسادهم آثار الرصاص وتتدفق الدماء من فجوات جراحهم ، هذا بينما كان جلادوهم يتلذذون بمرآهم .

ومن فظاعة أعمالهم أن بعض الارهابيين اليهود أخــذوا يتراهنون على جنس الجنين في احشاء بعض الامهات الحاملات ، ثم يبقرون بطون الحاملات **وهنّ احياء وينتزعون أحشاءهن** كقرينة لكسب الرهان . وفي تلك الليلة قضى الارهابيون الصهيونيون « الابطال » على مائتين وخمسين ضحية . (٢)

---

(١) Ben Gurion, David, Rebirth and Destiny of Israel, pp. 227, 232.

(٢) Proche Orient Magazine, May 1950

وكما سبق لتشرشل أن استنكر فظائع الصهيونيين عام ١٩٤٦ ، كذلك فعـل وزير المستعمرات البريطاني اذ صرح أمام مجلس العموم في ١٢ نيسان ١٩٤٨ قائلاً : « ان هـذا الاعتداء الآثم لدليل على الوحشية . انه جريمة أخرى تضاف على قائمة طويلة من الاعمال المنكرة التي ارتكبهـا الصهيونيون لغاية اليوم ، والحكومة البريطانية تجد نفسها عاجزة عن التعبير عن استنكارها وقلقها العميق لهذه الحوادث . » وكان من واجب الحكومة المنتدبة ، بصفتها مسؤولة عن الامن في البلاد ، ان تعاقب المسؤولين عن هذه الجريمة النكراء ، غير أنها اكتفت بتصريح كانت نتيجته النسيان .

أدان عـدد من اليهود ما ارتكبه أبناء قومهم في مجزرة دير ياسين ، ومن جملتهم « جون كمشي » ، وهو يهودي بريطاني التابعية صادف وجوده في القدس اثناء المجزرة فكتب : « إن كل ما ذكره الارهابيون الصهيونيون لا يبرر ، ولا يمكن أن يبرر ، اغتيال ٢٠٠ شخصاً من العرب الابرياء بينهم أكثر من مائة امرأة وولد . ولا تقل عنها فظاعة الدعاية التي توخاهـا جماعه الارغون باستعراضهم عدداً من الاسرى العرب المعدمين عبر شوارع القدس » (١) وكذلك قال المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي : « ان الجرائم المنكرة التي ارتكبها الصهيونيون اليهود تجاه عرب فلسطين والمماثلة للجرائم التي ارتكبها النازيون ضد اليهود بتنكيلهم بالرجال والنساء والاطفال في دير ياسين في ٩ نيسان ١٩٤٨ ، كانت من العوامل التي عجلت بإجـلاء السكان العرب عن البلاد ... » (٢)

٢– قبيا (١٤ تشرين الاول ١٩٥٣) : ثم ارتكب الصهيونيون مجزرة أخرى لا تقل فظاعة عن مجزرة دير ياسين في قرية « قبيا » الاردنية ، انما في هذه المجزرة ، كانت الصهيونية قد اصبحت « **دولة** » ، تأسست بموجب قرار من الامم المتحدة وقبلت عضويتها المنظمة الدولية كدولة « محبة للسلام » و « قادرة على القيام بموجباتها المنصوص عليها في شرعة الامم المتحدة » ، كما جاء في قرار قبول عضوية اسرائيل في هيئة الامم . وسأستشهد في وصف هذه المجزرة الاثيمة بافتتاحية كتبها الاب « رالف غورمان » ، وهو أب كاثوليكي أمضى عدة سنوات في القدس : « لقد كان الارهاب سلاحاً سياسياً بايدي النازيين وما زال يمارس لهذه الغاية من قبل الشيوعيين ، الا انه لا النازيون ولا الشيوعيون استعملوا الارهاب برباطة الجأش وبالقسوة التي استعملها الاسرائيليون في مجزرة قبيا . »

(١) Kimche, Jon - The Seven Fallen Pillars - P. 227

(٢) Toynbee - A Study of History - Vol. VIII - P. 290

ان التقرير الرسمي لمراقب الهدنة في فلسطين يزيل أي شك في أن الاسرائيليين وأكثرهم لاجئون من الاضطهاد الهتلري ـ اقترفوا هذه المذبحة الرهيبة بحق الابرياء من الرجال والنساء والاطفال ، كما يظهر التقرير ايضا ان المجزرة كانت نشاطا رسميا للدولة ، ينفذه جهاز رسمي هو الجيش ...

« لقد كان مساء الرابع عشر من تشرين الاول أمسية عادية اخرى بالنسبة لسكان القرية الآمنين والبالغ عددهم الألف وخمسماية نسمة ، الى ان بلغت الساعة التاسعة والنصف اذ بدت القرية وكأن نار القيامة قد صبت عليها فبدأت قنابل مدفعية الورتر التي صوبت بدقة من الجانب الاسرائيلي قبل حلول الظلام ـ تنهال على القرية . وبعد ان دمرت القرية جزئيا ودفن عدد كبير من سكانها تحت انقاض المنازل المهدمة أو مزقوا أربا بالقنابل ، تقدمت نصف سرية من الجيش الاسرائيلي النظامي وطوقت القرية لتقطع طريق الهرب على الباقين .

«عندئذ بدأت مذبحة رهيبة لا يمكن تصديقها لو لم يؤكد صحتها شهود محايدون موثوق بتجردهم ، فذبح الرجال والنساء والاطفال عن عمد وتصميم وأعصاب باردة » .

«وكان جواب الاسرائيليين الوحيد على استنكار العالم المتمدن أملتهم هو التحدي والتبرير ، فبرر رئيس الوزراء بن غوريون المجرمين ، وعلقت الجرائد الاسرائيلية علنا لبطولاتهم ، وحتى الصهيونيين الاميركيين لم يظهروا اي اهتمام بالقضية ، اللهم الا بشيء الخوف من ان تتوقف الدولارات الاميركية عن تغذية خزائن الدولة الاسرائيلية بحرية ، كالسابق . (١)

٣ ـ كفر قاسم (٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦) : اذا وصفت مجزرة قبيا بانها كانت أكثر ارهابا من مجازر النازيين ، فان مجزرة كفر قاسم فاقت مجزرة قبيا فظاعة باعتبار ان القرية تقع ضمن الاراضي المحتلة من الاسرائيليين وتعتمد في أمنها على حماية مهاجميها ، اي ما يسمى « بحكومة » اسرائيل .

في مجزرة كفر قاسم ، أردت قوات الامن اليهودية واحـــدا وخمسين قرويا بنيران مدافعها الرشاشة ، وذلك اثناء عودة هؤلاء القرويين الآمنين من عملهم في الحقول خارج القرية الى منازلهم ؛ ولم يكن هناك من سبب لارتكاب هذه الجريمة سوى تعطش الاسرائيليين للدم العربي . وقد احصي بين القتلى ١٢ امرأة وفتاة و ١٠ أطفال تتراوح أعمارهم بين الـ ١٤ و ١٧ سنة ، وسبعة آخرين تتراوح أعمارهم بين الثانية والثلاثة عشر سنة ، كما أصيب ثلاثة عشر آخرون بجراح مؤثرة .

(١) Sign Magazine, December 1953

حاولت اسرائيل بادىء الامر طمس خبر هذه الجريمة، وحين تسربت انباؤها للخارج، تظاهرت الحكومة الاسرائيلية بتوقيف مرتكبي الجريمة في محاولة ظاهرية لتخفيف الاستنكار العام لهذه الجريمة، كما برهنت الاحداث فيا بعد، اذ ان الضباط والجنود الاحد عشر الذين حولوا للمحاكمة الصورية كمسؤولين عن مجزرة كفرقاسم، أعطوا جميعهم فيا بعد زيادة على رواتبهم تعادل الخمسين بالمائة (١)، وذلك على ما يبدو، مكافأة على ما قاموا به من عمل بطولي في كفر قاسم.

وحين خفتت أصوات الاستنكار، اطلق سراح المجرمين، وأعيدوا الى وظائفهم، وفي بعض الحالات رُقّوا ايضا.

وقد علق كاتب يهودي اميركي في نشرة معارضة للحركة الصهيونية على اطلاق اسرائيل سراح المسؤولين عن هذه الجريمة بقوله: « ان المسؤول الحقيقي هو الحكومة الاسرائيلية نفسها » ووصف الجريمة بانها « مماثلة للفظائع النازية » (٢).

٤ — قطـــاع غزّة (غزو سيناء في ٢٩ تشرين الاول ١٩٥٦):

اذا اعتبرنا ان مجازر دير ياسين وقبيا وكفر قاسم هي « مجازر صغيرة » بالنسبة للمجازر النازية، فقد تمكن الاسرائيليون من ان يتفوقوا في قطاع غزة على النازيين من حيث فظاعة المذابح وعدد ضحاياها، ومن الغريب أنهم ما زالوا يمتعضون عندما يقارن ارهابهم بارهاب النازيين. ففي عام ١٩٦١ احتج السفير الاسرائيلي في كندا على ما قاله المؤرخ توينبي بقوله ان الارهاب النازي « كان يخطط وينفذ ببرودة تامة » فأجابه المؤرخ قائلا: « رغم ذلك اشعر ان تصفية القوات الاسرائيلية للمدنيين العرب تمت باعصاب باردة وبقصد معين. ان من المحال ان تبلغ اهمية الاثم في أي جرم أكثر من مائة بالمائة، وكل جريمة تعتبر جريمة مهما كانت. مثلا اذا اغتلت رجلاً واحداً، اعتبرت مجرماً، ولا لزوم لأن يبلغ رقم ضحاياي اجرامي الستة ملايين أو الألف ضحية. » (٣)

من المؤسف انه لم يجر تحقيق دقيق عن فظائع الاسرائيليين في قطاع غزة بعد انسحاب قواتهم من القطاع ورغم ان الاسرائيليين قتلوا الآلاف من شبان القطاع نظراً لاعتبارهم عنصراً خطراً بالنسبة لهم، فان الارقام التي استطاعت الامم المتحدة والمصادر الحيادية التثبت من صحتها تشير الى ان عدد الضحايا الذين اغتالتهم القوات الاسرائيلية من المدنيين العرب في القطاع بلغ:

(١) The Israeli Hebrew newspaper Haaretz, April 11, 1957.

(٢) The Jewish Newsletter, November 3, 1958.

(٣) Statement made at a debate held in Montreal, Canada on Jan. 31 1961

۳۰۰ ضحية في رفح ، ٤٠٠ ضحية في مدينة غزة ، ٩٥٠ ضحية في خان يونس . كما ان القوات الاسرائيلية اقتادت أربعين طالباً من طلاب غزة الى نقطة ما قرب خط الهدنة حيث أطلقت النار عليهم ودفنتهم في حفرة واحدة . وبعد انسحاب الاسرائيليين من القطاع قام السكان العرب باعادة دفن بقايا الضحايا . وبالاضافة الى هذه الجرائم الجماعية ، قام اليهود ايضاً بسلب البيوت ونهب المخازن التجارية (١) على غرار مافعلوه ببيوت العرب وممتلكاتهم في فلسطين عام ١٩٤٨ .

هذا جزء بسيط مما اقترفه الصهيونيون تجاه عرب فلسطين دون ان يدانوا من العالم المتمدن ، وهذا الرأي العام المتمدن لم يستنكر خطف الاسرائيليين لأدولف ايخمان بطريقة قرصانية واحضاره للمحاكمة واعدامه جزاء اشتراكه في جرائم النازيين ضد اليهود وذلك بعد انقضاء ١٥ عاماً على سقوط هتلر . ومن سخرية القدر ان الحكم في هذه القضية كانت اسرائيل نفسها ، المدانة بفظائع لاتقل وحشية عن فظائع النازيين . ان المنطق يقتضي على « من أراد ان يحكم بالعدل أن يلج المحكمة بأيدي ناصعة » . فهل أيدي اسرائيل نظيفة ؟ ومن في اسرائيل مؤهل لأن يحكم في هذه القضية ؟ سبق لحايم وايزمن ان صرح عام ١٩٤٨ بأنه « على يقين من ان العالم سوف يحكم على الدولة اليهودية بالنسبة لمعاملتها للعرب » . (٢) فلو أن العالم اخذ كلامه على محمل الجد ، وحكم على اسرائيل من خلال معاملتها للعرب ، ترى ماهو الحكم الذي يصدره ؟ سيكون حكمه ، حتماً ، مماثلاً لحكمه على النازيين .

لقد خرج من قلب اسرائيل صوت صادق يقارن بين جرائم ايخمن والفظائع التي ارتكبها حاكموه ، فقال :

« نتساءل بمزيد من الاسى والحياء هل ان اسرائيل — التي انقضى ١٣ عاماً على انزالها النفي والبؤس بمئات الآلاف من الرجال والنساء والاطفال الذين لاذنب لهم سوى انهم عرب ، وعلى حرمانها السكان العرب في اسرائيل من الحقوق الانسانية البديهية ، وعلى مصادرتها لاكثر اراضيهم ، وعلى اجبارهم للتوسل كل مرة يودون الحصول على رخصة للتجول في البلاد — هل ان لاسرائيل القبيا وغزة وكفرقاسم والهجمات المتعمدة على مصر — هل لها الحق المعنوي لأن تنصب نفسها كحكم ؟ ان الزعماء والصحفيين الاسرائيليين يشهرون بشدة بالالمان الذين لم يحركوا ساكناً اثناء

(١) From a statement by the Mayor of Gaza Munir Rayess befor the U. N. Special political Committee on December 12 1962 - UN Document A/SPC/SR. 366 p. 7

(٢) Weizmann, Chaim, Trial and Error, p. 462.

الحكم النازي الوحشي ، بما فيهم اولئك الذين لم يتورطوا بهذا الحكم بل على حدمهم استفادوا من مآسي اليهود ، وحتى الالمان التحررين والليبرالين اصبحوا نازيين برأيهم . ولكن ، كيف يتصرف اليهود في اسرائيل اليوم ؟ الا يوافقون علناً ، لاضمناً ، على تصرفات حكومتهم غير الانسانية ؟ كم يبلغ عـدد البيوت اليهودية في اسرائيل التي لاتضم املاكاً عربية ؟ ألم تشيد « الكيبوتزيم » (المستعمرات اليهودية) النظام الاشتراكي على ارض عربية سليبة ؟ يا له من مشهد ! اليوم ، في مدينة الانبياء وتحت بصر الانسانية ، يجلسون كقضاة » (١)

والمقارنة نعرض فيما يلي تقييماً لاعمال النازيين مقارناً باعمال الصهيونيين :

١ — قامت النازية على عصبية قومية خالصة ، وعلى التفرقة العنصرية وولاء الالمان المقيمين خارج المانيا للحركة النازية .

— بالمقابل تقوم الصهيونية على عصبية يهودية خالصة ، وعلى التفرقة العنصرية وعلى تفضيل ولاء معتنقيها لاسرائيل على ولائهم للاوطـان التي يقيمون فيها .

٢ — ادين النـازيون لتسببهم في تهجير وتشريد وتقتيل اليهود الاوروبيين .

— اقترف الصهيونيون فظائع ومذابح وانزلوا ويلات لاتوصف بما يتوف عن مليون عربي في فلسطين .

٣ — اقتاد النازيون اليهود الى معسكرات الاعتقال او أكرهوهم على مغادرة البلاد كلاجئين ، غير انهم سمحوا لهم بأخذ امتعتهم معهم .

— شرد الاسرائيليون الفلسطينيين العرب واستولوا على ممتلكاتهم واضطروهم للسكنى في المخيمات لاجئين يتعاشون على حسنة الامم المتحدة الهزيلة ، ولم يسمحوا لهم بأخذ قطعة واحدة من امتعتهم معهم .

٤ — أصـدر النازيون قوانين تكرس التمييز ضد اليهود وتحرمهم من التملك وتضيق عليهم سبل العيش .

— اصـدر الاسرائيليون قوانين تكرس التمييز ضد العرب وتحرمهم من ممتلكاتهم وتضيق عليهم سبل العيش الكريم وتجعل منهم مواطنين من الدرجة الثانية .

---

(١) The Third Force Movement in Israel, A Messenger from Israel, (New York : Jewish Newsletter, May 1, 1961).

٥ — منحت حكومة المانية الغربية اسرائيل « تعويضات » عما اصاب اليهود اثناء الحكم النازي ، كما عوضت على الافراد منهم ، وعند الامكان اعادت لهم ملكياتهم الخاصة .

— استثمرت اسرائيل الملكيات العربية واستعملت مدخولها لتوطين المهاجرين اليهود وهي ترفض ان تدفع حتى الايجارات المستحقة عن البيوت والاراضي المملوكة من العرب

٦ — نفذت القوانين التي استصدرها الحلفاء لتقويم الأجحاف اللاحق باليهود باكلها .

— بقيت مقررات الامم المتحدة التي تطلب من اسرائيل اعادة الملكيات الخاصة ودفع تعويضات عن الخسائر أو الاضرار التي لحقت باملاك العرب دونما تنفيذ .

٧ — يستطيع اليهود العودة الى المانيا واستعادة املاكهم التي يقال انهم اكرهوا على التخلي عنها وبيعها .

— لاتسمح اسرائيل لعرب فلسطين بالعودة الى وطنهم او بالمطالبة باملاكهم التي « صودرت » .

٨ — حكم الحلفاء على الزعماء النازيين بالاعدام على الجرائم التي ارتكبوها ضد الانسانية ، واعدم الاسرائيليون ايخمان وحرقوا جثته بموجب قانون « وحيد » سن بعد ادانة ايخمان وعلى افعال ارتكبها قبل قيام اسرائيل ، وفوق اراضي غير اسرائيلية ، هذا مع العلم بان قبول اسرائيل « بالتعويضات » الالمانية الغربية اسقط ادعاء اليهود بحق مقاضاة المجرمين النازيين .

— ارتكب بن غوريون ومناحيم بيغين ومساعديهم من الصهيونيين جرائم بحق عرب فلسطين لاتقل فظاعة عن جرائم النازيين التي دفع هؤلاء حياتهم جزاء لها ، وبدلاً من ان ينالوا الجزاء الذي ناله امثالهم من النازيين ، تفتح العواصم العالمية ابوابها لهم وتستقبلهم بكامل التقدير والاحترام المخصصين للابطال ، وذلك لتأسيسهم « دولة » على أرض سليبة .

٩ — اقلقت الفظائع النازية الضمير الالماني ولم توفر المانيا جهداً للتكفير عنها .

— لا زال الضمير الاسرائيلي ميتاً ، لايحرك ساكناً تجاه مأساة حوالي المليون بشري يلاقون كل ضروب البؤس والشقاء في مخيمات اللاجئين ويشكون من الحرمان والاذلال وخيبة الأمل .

ان الفارق بين الحكومة الالمانية وبين حكومة « اسرائيل المزعومة » يكمن في ان الحكومة الالمانية استطاعت ان تبدل الحكم النازي المتسلط بحكم يدرك الواجبات الانسانية

والمعنوية وعوضت عن ويلات الحكم النازي ماديا ، بينما تنكرت الحكومة الاسرائيلية لكل مسؤولية انسانية وقلدت الاساليب النازية على اعتبار ان هذه الاساليب ساعدت على تأسيس وقيام دولة يهودية في فلسطين .

هذا هو سجل الحركة المجرمة المسماة « بالصهيونية » والتي تفتقر لكل مقومات الانسانية . انها نتاج مؤامرة دنيئة تمكنت خلال ثلاثين سنة ، بالتواطؤ مع الدول الكبرى ، من حرمان عرب فلسطين من مسكنهم وملكهم ومعيشتهم .

ان الاحداث التي ادت الى المأساة الفلسطينية ليست بعيدة عن أعين العرب ، والغاية من سردها اليوم تذكير العرب فحسب بالمخاطر التي تواجه مستقبل الوجود العربي والتذكير بانه لا يمكن مهادنة الصهيونية ، وما لم تقتلع هذه العقيدة الهدامة من جذورها نهائيا ، ربما توصلت الى تحقيق مطامعها في توسيع رقعة « الدولة اليهودية » وبالتالي استعباد العالم العربي باجمعه اقتصاديا ، كما يطمحون .

سبعة عشر عاما انقضت على نفي العرب من فلسطين ، والاسرائيليون يحتلون بيوتهم واراضيهم براحة واطمئنان ، ولا يتوانون لحظة عن السعي ، بكل وقاحة ، لتحقيق مآربهم العدوانية ومزاولة سياسة الارهاب والتمييز العنصري والديني ومن ناحية اخرى ما زالت الدول الغربية تمدهم بالدعم المعنوي والسياسي والاقتصادي والعسكري ، دون اي اعتبار لمطالب حق وقضية عدل ، بينما عرب فلسطين يترقبون بالسنين في مخيماتهم الضمير العالمي ، والضمير اليهودي خاصة ان يستيقظ على مأساتهم . فهل عبثا ما ينتظرون ؟

ان انتظارهم ، فعلا ، يذهب سدى طالما هم يأملون من غيرهم ان يفعلوا لاجلهم ما يتوجب عليهم هم ان يفعلوه لأنفسهم ، لقد برهنت الامم المتحدة انها اضعف واعجز من أن تفرض أي حل على اسرائيل ، كما برهنت الولايات المتحدة انها ترزح تحت وطأة النفوذ الصهيوني المرتبط « بالاصوات اليهودية » ومن جهة اخرى يقف شعور الاوروبيين بالاثم لما ارتكبته اوروبا من مظالم تجاه اليهود والوهم المتزايد من اثارة ما يسمى بالمشاعر اللاسامية ، حاجزا امام تحسس الضمير الغربي باي شعور بالاثم الاسرائيلي تجاه العرب . لقد برهنت تهمة اللاسامية انها سلاح فعال في ايدي الصهيونية لترويع كل من يخالف سياستهم . وقد ذكر الدكتور دافيد ريسمن ، وهو استاذ يهودي غير صهيوني في جامعة هارفرد ، في وصفه نفوذ الصهيونيين في الولايات المتحدة ان في « استطاعة الصهيونيين ان يتوعدوا ليس فقط بالاصوات الانتخابية أو المساعدات المادية أو التنظيمات اليهودية التي لا تقل عنها أهمية ، بل ايضا بتهديد أي شخص يعارض مخططاتهم السياسية تجاه اسرائيل بالنزعة اللاسامية » .

ان تهمة كهذه جعلت الكثيرين من المفكرين يحجمون عن التعبير عن آرائهم بصراحة، كما أدت بالكثيرين من الذين تجرأوا على المجاهرة بآرائهم الى الافلاس المادي.

يجب ان يتذكر العرب ان قيام اسرائيل ضمن الحدود الحالية للمنطقة المحتلة من فلسطين ليس قطعاً آخر مطاف الطموح الصهيوني، بل بدايته، وحين اجتاحت اسرائيل الاراضي المصرية عام ١٩٥٦، صرح بن غوريون، رئيس الوزراء آنذاك، ان الجيش الاسرائيلي لم يهاجم «الاراضي المصرية» بل «حرر»، حسب ادعائه، «الاراضي التي تخص اسرائيل»، وعليه أطلق على جزيرة تيران لقب جزيرة يوتفات العبراني، كما لقب خليج العقبة بخليج ايلات.

والواقع ان المطامع الصهيونية في التوسع على حساب الاراضي العربية تظهر بجلاء من وقت الى آخر، رغم التصريحات الرسمية باكتفاء اسرائيل بالاراضي التي تحتلها الآن، وآخر مستند يثبت هذه المطامع جرى نشره مؤخراً من قبل الحكومة الاميركية بمناسبة نشر الوثائق السرية التي انقضى عشرون عاماً على صدورها وهذه الوثيقة عبارة عن تقرير سري ارسله الممثل الخاص للرئيس روزفلت لرئيسه بتاريخ ٣ - ٥ - ١٩٤٣، ويقول فيه حرفياً: «ان الجمعية الصهيونية في فلسطين قد اظهرت من جهتها ارتباطها ببرنامج موسع غايته: (١) انشاء دولة يهودية مستقلة تضم فلسطين وشرقي الاردن، على الارجح، (٢) مع الزمن، ترحيل السكان العرب من فلسطين الى العراق، و (٣) تزعم اليهودية للشرق الاوسط باكمله في حقول التطور الاقتصادي والسيطرة».

وليس سراً أن الصهيونيين يعملون لهذه الغاية، وليس بمستبعد ان يورطوا العالم في حرب عالمية ثالثة اذا حيل دون تنفيذهم لمخططاتهم في زمن السلم، خاصة وان عملاءهم منتشرون في كافة انحاء العالم ليطمسوا الحقائق ويحرضوا الرأي العام العالمي ضد العرب. ان جميع الدلائل تشير الى توقعهم الحصول على مغانم جديدة وسط كارثة كهذه، فالحرب العالمية الاولى اعطت الصهيونيين موطئ قدم في فلسطين بواسطة وعد بلفور، والحرب العالمية الثانية منحتهم «دولة يهودية»، ولربما كان بمقدور حرب عالمية ثالثة ان تسلمهم كما يتصورون — الامبراطورية التي يسمون اليها «من النيل الى الفرات» وبما انهم نجحوا مرتين في مؤامراتهم العالمية، فقد يكون من غير المستبعد ان يتشجعوا على الاقدام على مغامرة أخرى.

---

(١) The Jewish Newsletter (N. Y.) 9 Jan. 1961

(٢) N. Y. Times, 8 November 1956.

(٣) U. S. Dept. of State, Foreign Relations of the U. S. 1943, the Near East & Africa, Washington D. C. 1964, Vol. IV. pp. 776-777.

والسؤال الآن ماذا يعمل العرب في مواجهة هذا التهديد المتعاظم للسلامة اراضيهم ، فيما خلا عقد الاجتماعات واتخاذ المقررات التي تبقى حبرا على ورق ؟ هل علينا ان نكتف ايدينا ونبتهل لله لحصول معجزة ؟ ام هل علينا ان نكتفي بمناقشات هيئة الامم المتحدة التي لا ينتج عنها سوى حسنة لا تزيد عن التبرع « سنتات » فقط لكل لاجيء ؟ ام ان علينا ان نامل بأن مكاتب الدعاية العربيـة التابعة للجامعة العربية ، يضاف اليها الآن شبكة مكاتب جبهة التحرير الفلسطينية المنتشرة في مختلف ارجاء العالم ، سوف تتمكن من ان تقلب الرأي العام العالمي لصالح عرب فلسطين ؟

ان الجهود العربية التي بذلت في الخارج خلال العشرين عاما المنصرمة لم تنتج شيئا ، بل بالعكس دفعت الدعاية الصهيونية على زيادة نشاطها .. لذلك ، يتوجب على العرب الآن اعادة تقييم مخططاتهم وعلاقاتهم مع الدول الغربية والسعي لايجاد طرق وسبل جديدة لمواجهة الخطر الصهيوني واستعادة فلسطين . **ان خبرة ثلاثة عشر عاماً قضيتها في الولايات المتحدة أحاضر وأكتب عن القضية الفلسطينية أقنعتني بأنه لايمكن ايجاد حل مرض للقضية الفلسطينية الا اذا جاء هذا الحل من داخل العالم العربي ، وعند ذلك يمكن تحطيم الصهيونية واستعادة فلسطين .**

ان العرب يملكون الامكانية والقدرة والطاقة اللازمة لتحطيم الصهيونية ، ليس في فلسطين فحسب ، بل في مختلف ارجاء العالم . غير ان هذا العمل يحتاج الى الوحدة والتصميم والتضحية ، وقد برهن التاريخ ان باستطاعة العرب ، متحدين ، ان يدحروا كل الغزاة الذين اجتاحوا أرض فلسطين ، وقد توالى على فلسطين غزاة عديدون منهم الاسرائيليون الاقدمون فالصليبيون والعثمانيون والبريطانيون مؤخرا . فأين هؤلاء الغزاة ؟ لقد أصبحوا ، جميعهم ، في خبر التاريخ ، وهكذا سوف يصبح مصير الاحتلال الصهيوني الحالي ، اذا اردنا .

وأخيراً لنمنح أنفسنا فرصة للتأمل بروية ، ولنتساءل : هل كان أباؤنا أكثر شجاعة مما نحن عليه اليوم ؟ هل كانوا أكثر اندفاعاً ؟ هل أحبوا موطنهم أكثر مما أحببناه ؟ هل كانوا يملكون وسائل أقوى وتسهيلات أوفر مما نملك حاليا لقهر العدو ؟ اذا ، لماذا كل هذا الاستضعاف ؟

فلنتحد ولنظهر تصميما وشجاعة أمتن مما اظهرنا لغاية اليوم ، ولنتناس فروقاتنا ومصالحنا الانانية ولنستعد لتضحية كبرى ، عندئذ نقلد أسلافنا بالتضحية والشجاعة ، ونبرهن لهم اننا اهل التراث الذي ائتمنونا عليه .

عندئذ فقط نكافأ ببلوغ ما نصبو اليه من حرية وكرامة ونجاح .

أمّة عربيّة

أو

أمّة يهوديّة

ذلك هو السّؤال ..

بقلم يوسف الخطيب

لقد كان قيام دولة « إسرائيل » في عام ١٩٤٨ تعبيراً مادياً صارخاً عن حالة ترهل تاريخية في جسد الأمة العربية ، استغلتها الصهيونية الدولية في تحقيق المرحلة الأولى ، فقط ، من برنامجها السياسي ذي المراحل الثلاث .. بينما المرحلة الثانية على وجه التحديد ، هي ابتلاع : الضفة الغربية ، وشرقي الاردن ، وحوران ، والحرمون ، وجنوبي لبنان ، فيما يسمى عادة ، بالتعبير الصهيوني . « فلسطين التاريخية (Historic Palestine) » .. وأما المرحلة الثالثة ، والأخيرة ، فهي استكمال صورة الدولة اليهودية ، من وادي الرافدين الى وادي النيل.

والحقيقة المؤلمة ، هي أنه ليس ثمة مايدعو الى الاعتقاد ، أو مجرد التفاؤل السطحي ، بأن حالة الترهل تلك قد زايلت واقعنا العربي ، بحيث يستحيل ، أو يتعذر ، على الصهيونية أن تقفز ، صباح غد ، مثلاً ، مرحلة التثبيت التي بدأتها عام ١٩٤٨ ، الى مرحلة التوسع ، الثانية ، على تخوم النفوذ ، وعلى ابواب دمشق .. ذلك أن جميع الانقلابات العسكرية ، أوما يسمى الانتفاضات ، أو الثورات الموضعيــة ، التي تعاقبت على الوطن العربي خلال الجيل المنصرم — ومعظمها استثمار واجهة القضية الفلسطينية — لم تكن ، في الحقيقة ، بالرد القومي المتكافىء مع خطورة التحدي الصهيوني ، بل على العكس ، ربما نخرت في مناعة المقاومة العربية العامة ، من حيث كان يجب أن تعزز هذه المناعة ضد استئناف الصهيونية خطوتيها التاليتين ..

إن حالة مفجعة من عدم التنبه والاستجابة لتيارات العصر ومؤثراته — شبيهة بتلك التي عشناها قبيل النكبة — تكاد تكون اليوم الطابع المميز للواقع العربي ، سواء أخذنا الواقع الرسمي بتفككه ، وسذاجته ، وطفولته السياســية ، أو الواقع الشعبي بتخلفه ، وامراضه الحادة المزمنة ..

نحن لم نستطع ، الى اليوم ، أن نحدد ، تماماً ، بؤرة تحديات العصر لفكرة انبعاثنا القومي .. لانجرد التمة الذهنية في تحديد مثل هذه البؤرة ، ولكن ، لنستطيع بالتالي أن نسلط في اتجاهها ماتستحق من مقاومة وإصرار .. ان ثمة تحديات صلبة وكثيرة تكتنف وجودنا القومي ، ولعله ليس من الصعب على أي محرر ناشىء ، في صحيفة من الدرجة الثالثة ، أن يعدد لك « أسماء » تلك التحديات ، بمثل طلاقة تلميذ نجيب يتلو عليك معلقة امرىء القيس .. لكن ، ما الفائدة من كل ذلك ؟! .. اننا مطالبون ، تحت عاصفة العصر ، أن نتفاعل مع الحقائق ، لا أن نستظهرها وحسب .. ان المشكلة هي في تحديد « بؤرة » هذه التحديات ، لافي مجرد الاحاطة بها .. أى ، بالدقة ، في تحديد النقطة ، الوحيدة حتماً ، التي تعلمنا مقتل التنين ، لأن ألف طعنة طائشة ، أوجانبية ، في زعانف التنين ، أوفي زرده الفولاذي ، لن تزيده الا هياجاً دموياً صاخباً ، بينما ، من جهـــة أخرى ، يتحول « خضرنا » العربي المعاصر ، الى مجرد « دون كيشوت » بائس ..

ان التوصل الى تحديد « بؤرة » هذه التحديات ، الداخلية والخارجية ، سيكون من شأنه توجيه الطاقة الثورية العربية وجهتها السليمة ، بل التخلص من هذا « التسيب الثوري » ان جاز التعبير ، وحصره ، بقوة وزخم ، ضمن مجرى التاريخ الانساني العريض .. وبدون أن يتوصل الفكر السياسي العربي الى مثل هذا التحديد الحاسم لقلب المشكلة ، فان جهدنا العام سيظل ، على حاله ، مبدداً في ثانوياتها الضالة ..

ان قلب المشكلة ، في اعتقادي ، أي « بؤرتها » التي نبحث عنها ، والتي مازالت ، للأسف ، مغشاة بضباب السذاجة السياسية ، هي ، دون مواربة ، « الحركة الصهيونية » على وجه التحديد .. انها التلخيص العام لجميع تحديات العصر .. ان الصفحة ، او الصفحات القليلة ، التي سيُدوَّن فيها مجمل تاريخ الامة العربية في القرن العشرين ، ستدور ، دون ريب ، حول محور الصراع « العربي ـ الصهيوني » ، وكل ماعدا ذلك ، حتى الغزو الاستعماري التقليدي لمختلف أرجاء الوطن ، لن يحتل اكثر من منزلة هامشية ضيقة في الحساب الأخير .. ذلك أن « الحركة الصهيونية » كظاهرة ، تفوق ، بيون شاسع ، ظاهرة « الاستعمار التقليدي » الآخذة في الافول على النطاق العالمي .. ثمة مفكرون سياسيون مازالوا ، بفعل العادة ، يُدرجون الحركة الصهيونية ضمن أشكال الاستعمار المتعددة ، ولربما كان ذلك صحيحاً لو ان علاقة الحركة بالاستعمار كانت علاقة اختلاف في الدرجة وحسب ، الا أنها ، في الحقيقة ، علاقة أختلاف في الدرجة وفي النوع .. في الدرجة من بعض وجوهها ، العدوانية ، التوسعية ، الرأسمالية ، المتماثلة مع وجوه الاستعمار .. ولكن ، في النوع ايضاً ، من حيث قاعدتها الايديولوجية الخاصة بها .. وهذا مايحملنا على أن نواجه الحركة الصهيونية في موقعها الحقيقي الخطير ، دون أن نغفل ـ أو نخطىء ـ معاً ، طبيعة علاقتها بالاستعمار التقليدي ، فهي ، وان ترعرعت في كنفه ، وتتكىء اليوم على دعمه السياسي والاقتصادي ، الا أن ارتباطها به هو ارتباط حاذق ، ولكنه غير عضوي ..

قلنا ، ان الحركة الصهيونية ، بهذا المعنى ، هي في الحقيقة بؤرة جميع التحديات المعاصرة التي تمتحن عندها ارادة بعثنا القومي . . ونحن اذا استعرنا لغة الاطباء في هذا الصدد ، لقلنا ان جميع اوجاع الامة العربية في القرن العشرين ، من استرخاء ، وصداع ، وغثيان أيضا ـ وجميعها قابلة للشفاء بالحد الأدنى من المعالجة في الأحوال الطبيعية ـ انما هي ناجمة في الاصل ، وستظل ناجمة باستمرار عن تلك المستعمرة السرطانية التي بدأت تتمكن من جسد الوطن العربي اعتباراً من وعد بلفور عام ١٩١٧ ، والتي لاشفاء منها ابداً بمجرد العقاقير المسكنة ، وانما تستدعي عملية جراحية ، حاذقة ، وبالغة الخطر . . ومن هنا تماما تقف الامة العربية وجها لوجه أمام الاختيار التاريخي الصعب : إما ان تعجل في عملية البتر هذه ، بكل ماتنطوي عليه من تضحيات سخية ، شأن جميع الانجازات القومية العظمى في التاريخ ، وبذلك يسهل عليها ان تتخلص ايضا من جميع مشاكلها الثانوية ، فيما بعد .. واما ان تبدد جهدها ، عبثا في تسكين مثل هذه المشاكل الثانوية ، متغافلة عن مواجهة المشكلة الرئيسية الام ، فبذلك لاتفعل شيئا أكثر من تسليمها بالاضمحلال البطيء ، والانتحار المخجل خارج التاريخ ...

قد لايسلم الكثيرون بأن للحركة الصهيونية مثل هذا الدور الرئيسي ، الأهم ، في تعطيل

انجازنا القومي المرتقب الى درجة التدمير ... انهم يسلمون بجزء من الحقيقة ، فقط ، عندما يصنفون ، التحدي الصهيوني ضمن قائمة طويلة من التحديات الكبرى ، « المتساوية !! » ... لكنهم ، عند وضع السؤال أمامهم في صيغته التالية : « أي هذه التحديات هو الرئيسي ؟ . أيها بمثابة العبء الاول والأهم ؟! ... » ، فانهم عند ذلك بين مشدوه أمام حدة السؤال وجدته ، أو مراوغ يقفز من سطح قضية الوحدة ، الى سطح قضية الاشتراكية ، مكتفيا بوضع القضية الفلسطينية ضمن حجمها الجغرافي الهزيل ، ولكنه ذلك الحجم ذو الصدى العميق على كامل الصعيد القومي ! !

ان منطقاً كهذا ، عدا عن افتقاره للتحليل العلمي الرصين ، يفتقر في الوقت نفسه لمجرد الاحاطة العامة ، المادية ، بحقائق الامور .. ذلك أن النطـــاق الجغرافي للحركة الصهيونية ليس « اسرائيل الراهنة » ، ولا فلسطين « السياسية » التي كانت تقع تحت الانتداب البريطاني ، ولا حتى فلسطين « التاريخية » الموصوفة في كتـــابات الصهيونيين .. ان النطاق الجغرافي للحركة الصهيونية — أي ، بالنتيجة ، للصراع العربي الصهيوني — لايمكن أن ينحصر حتى ضمن الشعار التقليدي القائل .. « من الفرات — الى النيل » .. ذلك باعتبار أن هذه الرقعة ، على اتساعها ، ماهي الا النطاق الدستوري المحض لدولة « الامة اليهودية » ، بينما الظلال الاقتصادية لهذه الدولة لابد لها أن تتمدد على الشعار التقليدي المقابل .. « من المحيط — الى الخليج » .. بمعنى أن الوطن العربي بأسره هو النطاق الجغرافي «الحقيقي» للحركة الصهيونية ، من حيث الهيمنة السياسية ، والاقتصادية ، في آن واحد ..

هنا ، لابد لنا أن نصحح خطأ" تكتيكياً عريقاً في الدبلوماسية العربية ، كلما اثيرت القضية الفلسطينية على صعيد الرأي العام العالمي ، فعلى الرغم من واقعية أطماع الصهيونية في « اسرائيل اكبر » ، الا أنه كان من الخطأ الفادح أن نكرر في المحافل الدولية ، دوماً ، أن تلك الاطماع التوسعية هي حجتنا الرئيسية ضد « اسرائيل الراهنة » .. لقد سمعنا ذلك مراراً من كبار الساسة والحكام العرب ، عند مخاطبتهم للرأي العام العالمي ، متكئين الى حجة « الدفاع المشروع عن النفس » في تبرير الصراع العربي مع الصهيونية .. ويجب ألا ننسى هنـــا دفاع بعض المفكرين السياسيين عن هذا المنطق الأخرق ، باعتباره ، في نظرهم ، ضرورياً للاستهلاك الدعائي الخارجي ، فكأنهم يقولون للعالم : نحن لانعادي الصهيونية لأنها اغتصبت فلسطين ، انما نعادي الصهيونية لأنها تعمل على اغتصاب اكبر !!.. وطبيعي أن العالم المحموم بقضايا الساعة لايمكنه الاصغاء لمثل هذه التخمينات المرجومة في الغيب .. لقد حجبنا عن العالم أصل القضية الفلسطينية ، باعتبارها قضية تحرير تامة ، لاحاجة ابداً لتعليقها على أطماع توسعية من قبل العدو ..

ان موطن الخطأ – والخطر – معاً ، في هذا المنطق الديبلوماسي المتهافت — لأننا لانغالي ، علمياً ، أن نقول الخائن — هو في اتخاذ معركة التحرير الفلسطينية ذريعة وقائية ، ضد خطر محتمل الوقوع بحيث لايبقى لهذه المعركة أي مسوغ قانوني ، في حالة ما اذا قطعت اسرائيل تعهداً على نفسها — كاذباً بالطبع — بلجم مطامعها ضمن حدودها القائمة ..

ان معركة تحرير فلسطين ، كان يجب أن تظل قضية قائمة بذاتها ، دون الحاجة الى تبريرها باحتمالات المستقبل .. لأن احتمالات المستقبل ، من وجهة نظر الحقوق الدولية ، لايمكن أن تشكل « سبباً للحرب Casus Belli » ..

من الجهة المقابلة .. نلاحظ أن الديبلوماسية الصهيونية مازالت ترتع في نعمة اخطاء الديبلوماسية العربية ، وذلك بتأكيدها المستمر ، دوليا ، على اكتفائها بحدودها الحالية ، بل وبادعائها أيضا الرغبة في الصلح واقرار السلام في المنطقة، حتى ليمكن القول – بأسف – بأن موضوع الصراع العربي الصهيوني ، في تصور الرأي العام العالمي قد اتخذ شكل دولة صغرى مسالمة وتقدمية هي اسرائيل .. يقابلها محيط مظلم هائج بالحقد والكراهية والتعصب ، هو الوطن العربي !! ولئن كان مرد ذلك ، من جهة اولى ، لذكاء الديبلوماسية الصهيونية ، فانه راجع أيضا لعشوائية الديبلوماسية العربية ، من جهة ثانية ..

نحن ندعو ، هنا ، الى تصحيح عكسي في استراتيجية السياسة العربية ازاء القضية الفلسطينية وذلك على افتراض أن سلسلة الهزائل والبهلوانيات التي رافقت هذه القضية يمكن أن تسمى استراتيجية .. اننا على الصعيد الدولي ، كما أسلفنا ، مانزال نطرح الجانب القومي من القضية الفلسطينية ، بمعنى أن الوجود الصهيوني في فلسطين المحتلة يشكل خطراً كامناً على مستوى الوطن العربي كله .. ان هذا الجانب القومي من القضية كان يجب أن نخاطب به الرأي العام « العربي » لا « الدولي » ، لأن الاول هو المعني مباشرة بشؤون أمنه القومي ، بينما الثاني لايرى أمامه حقيقة واقعة اسمها « القومية العربية » يمكن أن تهددها تلك الدويلة المزعومة اسرائيل .. بل ليس في وسع هذا الطرف الثاني – أي الرأي العام العالمي – أن يتصور لمئة مليون عربي « يزعمون » أن مليوني يهودي في فلسطين يشكلون خطراً على وجودهم القومي !!.. انه على العكس ، يمكن أن يتصور بحرارة لقضية أخرى ، أكثر واقعية وانسانية .. لقضية مليون فلسطيني أخرجتهم الصهيونية من وطنهم الاصلي .. لقضية « شعب » ذي « كيان » يطالب تحت ظل شرعة الأمم المتحدة ، بحق العودة ، وبحق تقرير المصير .. ان مندوبي الغالبية العظمى من دول العالم يتهكمون عادة على مندوبي الدول العربية متسائلين : « أين يوجد هذا « الشعب » الفلسطيني ..

أهو حقيقي أم مجرد شبح .. واذا كان حقيقياً ، ويناضل من أجل قضية حقيقية ، فأين يمارس نضاله المستتر هذا .. في أي جزء من خارطة العالم .. بل ، على الأقل ، أين هم مندوبو هذا « الشعب بالذات » يدافعون عن قضيتهم ، بأنفسهم ، في هذا المحفل الدولي .. الشقيري .. انه مندوب سورية ، هذا صحيح .. مندوب السعودية ، هذا صحيح .. مندوب الكويت أيضاً ، هذا صحيح .. لكنه ، وهو الفلسطيني ، لم يقف أمامنا مرة واحدة باسم « الشعب الفلسطيني » أي ممثلاً لهذا الشعب ، ناطقاً باسم نضاله ، موفداً من قبله ، شأن جميع الحركات التحررية في العالم .. »

ان مايسمى ببعث « الكيان الفلسطيني » يناقض في جوهره مفهوم القومية العربية ، باعتبار أن المفهوم القومي يرتكز أساساً على صهر جميع الكيانات العربية ضمن بوتقة الكيان القومي الواحد .. فما دام الأمر كذلك ، ماالذي يدعونا اذن الى الالحاح والتشديد على ضرورة بعث « الكيان الفلسطيني » ؟! . ان مايدعونا الى ذلك فعلاً هو تلبية الحاجة « الدولية » لا « العربية » ورغم هذا ، فاننا نلاحظ أن منظمة التحرير الفلسطينية — المفروض فيها أنها هي تجسيد الكيان الفلسطيني — ذات حضور « عربي » ألف مرة اكثر من حضورها « الدولي » !! . وهكذا ، للعجب الشديد ، نؤقلم القضية الفلسطينية حيث يجب أن نعطيها الصبغة القومية على الصعيد العربي . ثم نعطيها الصبغة القومية حيث يجب أن نؤقلمها على الصعيد الدولي .. ألا وهو الوضع المعكوس الذي آن أن نصححه بعد كل هذا الزمن الطويل .

بالنسبة للحركة الصهيونية ، لا متسع طبعاً لمثل هذه الاخطاء المدمرة ، لأن الحركة ، باعتبارها تحدياً لمئة مليون عربي ، وبحكم ظروفها البشرية والتاريخية الخاصة ، وضعت نفسها ضمن شروط بالغة الصعوبة كمن يمشي فوق حد السيف ، فأقل خطأ ترتكبه قد يجعلها في وضع مصيري بالغ الخطورة .. انها ، بيد ، تحمل غصن الزيتون أمام الرأي العام العالمي ، وبيد أخرى ، تحفر السراديب وتزرع الالغام تحت وجودنا القومي .. انها اذ تسلح نفسها حتى الاسنان بالتعبير الغربي ، على أساس استراتيجية عسكرية « هجومية » ، فهي ، في الوقت نفسه ، لاتجد فرصة ذهبية تستغلها دولياً أفضل من ذلك المنطق العربي القائل ... « نحن ضد اسرائيل الراهنة ، لاننا نتوجس من اسرائيل اكبر !! » .. فمثل هذا المنطق يعطيها ، وقد أعطاها بالفعل مرتعاً دعائياً خصباً تقطع فيه الوعود والضمانات — الكاذبة — حول نواياها السلمية ... انها تقتطف مثلا استعارة مسؤول عربي كبير ، امام صحفي ايرلندي ، لمثل مرجل البخار الذي ان ازداد فيه الضغط عن حده الطبيعي فلابد ان ينفجر (*) .. وترد على ذلك مجلة New Outlook

---

(*) New Outlook, vol. III, No. 3 (25) .

« Does immigration mean expansion ? » ..

by : Haim Darin - Dabkin.

الاسرائيلية الدولية التوزيع ، بأن الهجرة اليهودية الى فلسطين المحتلة لايجب ان تقترن في أذهان العرب بأية نية للتوسع الصهيوني .. ان الكاتب الصهيوني الذي تكفل بالرد على استثارة ذلك المسؤول العربي ، قد استعار بدوره جميع البراهين العلمية والتكنولوجية ، لاثبات ان تلك الرقعة الممتدة من رأس الناقورة في الشمال ، حتى ميناء العقبة في الجنوب ، يمكن ان تستوعب مايزيد على خمسة ملايين يهودي ،دون ان يستوجب ذلك ضرورة انفجارهم في الاقطار المجاورة..

اما وأن المخاطب بهاتين الاستعارتين — العربية والصهيونية على السواء — انما هو بالدرجة الاولى الرأي العام الغربي المتعاطف مع الصهيونية ، والذي لايؤمن في مثل هذه الحالة بشيء كايمانه بلغة « الرقم » ، فان اثني عشر مليون هولندي ، مثلا ، يعيشون برخاء فوق رقعة من الارض لاتبلغ نحو مساحة القطر السوري (*) ، لهم اميل الى التسليم الاعمى بوجهة النظر الصهيونية ، واسقاط مثل هذه الحجة العربية ..

هنالك بين العرب ايضاً من يقعون فريسة لمثل هذا الوهم من ان الصهيونية لا تنوي ، أو ربما هي تنوي ولكنها لاتقدر ، ان توسع الرقعة الراهنة لدولتها القومية .. ولسوف يوجد بيننا اليوم من يستخف بأحلام الصهيونية في دولة .. « من الفرات ... الى النيل » . تماماً مثل استخفافنا بالامس من سعيها لاقامة دولتها — التجريبية — الراهنة « اسرائيل » .. ونحن هنا نستعير تعبير الصهيونية نفسها في وصف « اسرائيل » بأنها مجرد دولة « تجريبية » لا اكثر Experimental State .

ان البرنامج السياسي الصهيونية يضع في حساباته البعيدة صورة هذه الدولة الممتدة من النيل الى الفرات ، ليصبح ممكناً بواسطتها استيعاب جميع يهود العالم في دولة قومية مكتملة الشروط ، وهذا هو الأساس العقائدي الصلب للحركة الصهيونية .. ان ثمة سمة هامة في برنامجها السياسي ، هي أنه ، وان يكن مرحلي التنفيذ على حقب متباعدة ، الا انه لايقبل التجزئة من حيث المبدأ .. انه كل متكامل لايصبح انجازاً تاريخياً اذا هو اسقط أياً من شروطه الجغرافية او البشرية ،وطبيعي ان الصهيونية التي انتظرت نصف قرن بكامله الى ان انجزت مرحلة التثبيت الأولى ، ممثلة في « اسرائيل — التجريبية » ، لهي قادرة ايضا ان تنتظر مزيداً من الزمن لتحقيق خطوتها التوسعية ، الثانية ، في الأردن بكامله والشطر الجنوبي من سورية ولبنان .. لكن الصهيونية لا تنتظر وحسب .. انها تنتظر أثناء ماهي تعمل .. انها تنتظر بمقدار ماتمليه عليها حساباتها العلمية المدروسة ..

---

* مساحة سورية ٧٢،٢٣٤ ميل مربع — عدد سكانها التقريبي ٥ ملايين
مساحة هولندا ١٢،٦٧٠ ميل مربع — عدد سكانها التقريبي ١٢ مليون
مساحة « اسرائيل » ٧،٩٩٣ ميل مربع — عدد سكانها التقريبي ٢،٥ مليون

يقول المفكر الصهيوني الدكتور آلن تيلر (*) : « هنالك اعتقاد سائد ، اليوم ، بان الحركة الصهيونية قد حققت انجازها النهائي ممثلا في دولة اسرائيل .. غير أن هذه الدولة ، في الحقيقة ، ليست هي المسألة .. انها مجرد انجاز جزئي وحسب » ..

ولعله من الضروري هنا ان نضمن هذه الدراسة مجمل الفصل الذي عقده تيلر في كتابه « توطئة لاسرائيل » تحت عنوان « العبء المتبقي على الصهيونية السياسية » ، وذلك حتى يقف المفكر السياسي العربي على بعض الحقائق الهامة ، التي ستساعده ، حتماً ، على تحديد بؤرة التحديات للقومية العربية ، ممثلة في الحركة الصهيونية ، على نحو ما أسلفنا في مستهل هذه الدراسة ..

يقول تيلر :

« ... ان الهدف الاصلي للصهيونية كان التوصل الى حل مرض لمشكلة « اللاسامية Anti - Semitism » ، من خلال ايجاد وضع قومي National Status للشعب اليهودي ، ذلك ان الصهيونيين قد وجدوا ان الحل القومي هو الأنسب ، بالنسبة لمشكلة كهذه « عرقية - دينية Ethno - Religions » .. ولقد أضافوا الى هذا المنطلق الاساسي وصفاً محدداً لمفهوم « الأمة » ، على ان تتوضع ضمن الحدود التاريخية لفلسطين .. لا فلسطين التي وقعت تحت الانتداب البريطاني .. ولكن تلك التي تشمل شرقي الاردن ، وجنوبي لبنان ، وجبل الحرمون .. ثم مالبث هؤلاء ان وسعوا مدلول فلسطين الجغرافي في عام ۱۹۱۷ ، بحيث يدخل فيه ايضاً سهل حوران ..

« ان أياً من هذين الشرطين لم يتحقق حتى يومنا الحاضر .. فالغالبية العظمى من يهود العالم ما زالت تعيش في حالة غير قومية ، كما ان دولة اسرائيل لا تكاد تضم شيئاً ذا بال ممايسميه الصهيونيون عادة « فلسطين التاريخية » .. وهكذا ، فان اسرائيل ، بواقعها الحالي ماهي الا دولة يهودية تجريبية فقط ، فشلت حتى في وضع الاكثرية اليهودية ضمن حالة قومية ، كما ان سلطانها السياسي ينحصر في اقل من نصف فلسطين التاريخية ، او ما يسمى « ارض اسرائيل Eretz Israel » ..

« إن هذا لايعني أن الحركة الصهيونية قد اكتفت بهذا الانجاز النصفي لهدفها التقليدي بل على العكس ما يزال هذا الهدف قائماً في صلب الحركة ، وما يزال الصهيونيون يسمون لانجازه بتمامه .. ولهذا السبب تحتفظ الصهيونية ببقائها ، ولم تنته دورها بقيام اسرائيل ، فثمة عمل ، ذو شعبتين ، ينتظر التحقيق :

(*) Prelude to Israel , By : Dr. Alan R . Taylor . « The remaning task for Political Zionism » . New York , 1959 .

« اولاً : تجميع يهود العالم من المنفى Diaspora ، واستيعاب أغلبية يهودية محسوسة في المواطنية الاسرائيلية، وبدون ذلك ستبقى الصهيونية حركة ناقصة وغير مستوفية لاغراضها..

« ثانياً : لابد أن تتمد، اسرائيل على كامل « أرض اسرائيل » ، ليس لمجرد اسباب رومانتيكية ، ولكن ، لاعطاء الدولة قوتها الاقتصادية اللازمة ، ولايجاد متسع من الارض لاعادة توطين ! ! يهود المنفى العالمي . .

وبمعزل عن هاتين المهمتين ، يجب على الصهيونية ايضاً ان تتخذ الخطوات الكفيلة لجعل اسرائيل دولة « مستمرة الوجود » ، وذلك بطلب الدعم الاقتصادي والسياسي ، سواء من الدول الصديقة أو من يهود المنفى .. وهكذا ، اذا نحن عاينا بالمنظار التاريخي المهام التي ما تزال تواجه الصهيونية ، فاننا نجد ان أهداف الحركة ومتطلباتها السياسية لا تختلف بصورة ملموسة عما كانت عليه في أيام هرتزل . .

وما زلنا نقتطف كلام تيلر ، وهذا بالغ الأهمية :

« ... ان المطامح الاقليمية الصهيونية ليست مسألة تخمينية : فالحركة ، عبر تاريخها ، قد أفصحت عن هــذه المطامح دون خطأ أو ابهام .. ان مذكرة المنظمة الصهيونية الى المجلس الأعلى لمؤتمر باريس عام ١٩١٩ قد « اقترحت » تضمين شرق الأردن في فلسطين ، بينما « طالبت رسمياً » بوجوب تضمين الحرمون وجنوبي لبنان .. ولقد كان الغرض من ذلك هو توسيع نطاق تطبيق وعد بلفور ، ليصبح ممكنا لهذه المناطق أن تستقبل المهاجرين اليهود.. وعندما أصدر تشرشل الكتاب الابيض في عام ١٩٢٢ ، واستثنى شرق الاردن بصورة قاطعة من فلسطين ، اعتبر الصهيونيون ذلك الكتاب خسارة كبيرة لهم ، وأشار وايزمن الى ذلك ، في سيرته الذاتية ، بقوله :

« ان كتاب تشرشل الأبيض كان في نظرنا عملية اختلاس خطيرة من وعد بلفور ، فقد أسقط شرقي الاردن من دائرة نشاط الصهيونية ... » كما كشف وايزمن النقاب أيضاً عن مصالح الصهيونية في لبنان الجنوبي ، عندما سعى للحصول على موافقة فرنسا لادخال هذه المنطقة ضمن حدود فلسطين ، عام ١٩٢٠ . .

« ان تحقيق « اسرائيل اكبر » ما يزال في طليعة أهداف الحركة الصهيونية . . ففي مقدمة الكتاب الحكومي السنوي لدولة اسرائيل ، عن سنة ١٩٥٢ ، يؤكد بن غوريون : ... انه يجب القول بأن دولة اسرائيل قد أقيمت على مجرد جزء من ارض اسرائيل ... وفي الكتاب نفسه ، عن سنة ١٩٥٥ ، نجد الصدى التالي لبن غوريون :... ان اقامة هذه الدولة الجديدة لا يجب ، بحال من الأحوال ، ان ينتقص من النطاق التاريخي لأرض اسرائيل . .

« وبقدر ما تكون الاحزاب اكثر تطرفاً في اسرائيل ، بقدر ما تلح على فكرة التوسع .. ان حزبي حيروت ، وآحدوت ها عفودا ، قد التزما سياسة التوسع الى درجة استكمال « ارض اسرائيل » بينما يؤيد حزب الصهيونيين العموميين هذه السياسة عندما توضع موضع التنفيذ ، حيث يؤكد في برنامجه السياسي على « أن دولة اسرائيل لم تبرز الى الوجود من أجل نفسها فقط ، ولكنهـــا وجدت كأداة لحمل الرسالة الصهيونية » . وهكذا نلاحظ بوضوح ان الفكرة الاصلية للصهيونية ما زالت قائمة . .

« وعلى الرغم من ان البعض يصر على أن اسرائيل الراهنة يمكن أن تستوعب المزيد والمزيد من المهاجرين اليهود ، فانها قلة من النـــاس تلك التي تفترض أن ملايين عديدة من اليهود يمكن أن يتدبروا أمرهم في ذات اسرائيل ليست اكبر من اسرائيل الراهنة . .

« ان الحركة الصهيونية اذا ما فشلت ، بمرور الزمن ، في جلب اعـــداد كبيرة من اليهود لاسرائيل ، فانها ستفقد حيويتها . . ان البرنامج السياسي للصهيونية يرتكز على مقدمة منطقية أساسية، هي أن الحل الوحيد لمشكلةاللاسامية هوالقوميةاليهودية » ان هذه هيالفكرة الاساسية ، والصورة النهائية ، معاً للحركة الصهيونية .

« فاذا افترضنا ، مثلاً ، أن اليهودية العالمية تفضل البقاء حيث هي في المنفى ، فمعنى ذلك أن الحجة الصهيونية قد فقدت صلابتها ، وستبقى اسرائيل مجرد تجربة .. ولعل هذا هو السبب الرئيسي الذي يحمل الصهيونيين على أن يضعوا « عبء تجميع اليهود » فوق جميع الاعباءالاخرى التي تواجههم .. ان بن غوريون يؤكد على أن « التجميع » أمر بالغ الاهمية بالنسبة لوجود الدولة واستمرارها ..

« لقد أشار بن غوريون بوضوح الى طبيعة هذا العبء الرئيسي ، في مقالة له ظهرت في جريدة Jerusalem Post ـ يومية الاسرائيلية في صيف عام ١٩٥١ ، فهو يخاطب الصهيونيين، مذكراً :.. بأن الصهيونية لم تكتمل بعد .. بأن الامة اليهودية لم « تتجمع » بعد .... ثم يقول ، بصورة عامة :

« ان المساعدات غير المشروطة

« والتعليم الالزامي للغة العبرية ،

« وتشجيع حركة الهالوتسيك ، *

« هي في اعتقادي الشروط الثلاثة الجوهرية لوجود

« الحركة الصهيونية ، وبالعمل على انجازها يُعرف

« المرء بأنه صهيوني ..

(*) حركة الهالوتسيك Halutzic هي التي ترعى عملية تهجير اليهود الى فلسطين المحتلة .

« واليوم ، فلننظر خلفنا نحو ستين سنة من تاريخ الديلوماسية الصهيونية : لقد اعلن تيودور هيرتزل أهداف الحركة في عام ١٨٩٦ ، وأشار الى برنامج ذي ثلاث نقاط لتحقيق تلك الاهداف .. ورغم ذلك فان اهداف الصهيونية ، في جوهرها ، ماتزال على حالها حتى يومنا الحاضر .

« ان ثمة عاملين يتعلق بهما مصير الحركة الصهيونية .. العامل الاول خاص بالمقدمة المنطقية Premise التي ينهض عليها الجانب السياسي للصهيونية ، من ان « القومية اليهودية » هي الحل الاوحد « المشكلة اليهودية » ، فاذا ما قرر اليهود في المنفى ان ثمة حـــلا آخر لمشكلتهم ، في المنفى نفسه ، فمعنى ذلك ان الصهيونية قد سقطت .. أما العامل الثاني الذي يتعلق به مصير الصهيونية ، فيختص بمنهجها من حيث علاقة الوسيلة بالغاية .. لقد عمل الصهيونيون خلال الستين سنة الماضية على بلوغ غايتهم بأية وسيلة .. ومهما يكن من شيء ، فانهم عندما زرعوا دولتهم في منتصف شعب لم يحصلوا منه على اذن مسبق ، فانما زرعوا بذلك موقفاً من المعارضة والعداء .. ان الاسرائيليين اليوم ، يعانون من هذا الموقف ، وثمة احتمال ماثل باستمرار بأن موقف العداء هذا الذي سببته المنهجية الصهيونية ، قد يؤدي يوماً الى استحالة حـــماية اسرائيل ..

« الزمن وحده هو الذي يمكن ان ينبىء اي هذه العوامل سيحدد مصير اسرائيل . » .

* * *

على هذا الاساس ـ اي بالاستناد الى هذه الوثيقة الخاصة باطماع الصهيونية التوسعية ـ يتضح بما لايقبل الشك ان العرب ليسوا هم وحدهم الذين يرفضون .. « اسرائيل الراهنة » .. بل الصهيونية ايضاً ترفضها ، ولكن ، في الاتجاه المعاكس .. ذلك ان الحركة الصهيونية ، بحكم طبيعتها الخاصة المعقدة ، اما ان تضم جميع يهود العالم في دولة قومية واحدة ، او تضمحل .. اما ان توطن اخر يهودي تائه في المنفى ، او تفقد الاساس الذي نهضت عليه .. اما ان تحل مشكلة اللاسامية قومياً ، او تحل نفسها .. اما أن تستوعب في اسرائيـــل كبرى « جميع اليهود » ، واما ان تترك في المنفى « جميع اليهود » .. واذا نحن تصورنا ، على المدى البعيد ، ان الصهيونية قد تنازلت عن جزء ما من رقعة مابين الفرات والنيل ، فمعنى ذلك اننا نتصور ، في الوقت نفسه ، انها قد تنازلت عن نفسها وألقت السلاح .. وهذا في الحقيقة ما لا يبدو محتملا من اي زاوية نظرنا اليه خاصة امام حالة الترهل هذه التي مازالت سائدة معظم ارجاء الوطن العربي ...

إننا يجب ان نوجه اهتمامنا النضالي ، المنصب حالياً ، ضمن وجهتنا الرئيسية العاجلة .. القضاء على اسرائيل .. أي اقتلاع هذه البقعة السرطانية من جسد الوطن قبل ان تتمدد فيه ، لاننا — ونحن الآن نتفقه في اليسارية ، لابعقولنا ، بل بعضلاتنا — انما نهرب ، بنذالة تاريخية، من معركتنا اليسارية الحقيقية في فلسطين .. معركة الوجود او اللاوجود .. انه يجب ، اولا، ان نضمن وجودنا القومي فوق هذا الجزء من خارطة العالم ، وعند ذلك نكون قد ربحنا ، فعلا ، معركة اليسار بمفهومها الانساني العميق .. والا .. فان عضلاتنا التي نشغلها في فقه اليسارية اليوم ، لن نجد ما نشغلها فيه غداً اكثر من مطابخ السادة اليهود .. شعب في مواطنية الدرجة الاولى ، وشعب في مواطنية الدرجة الثانية .. امة تولد ، وامة تموت !

نحو استراتيجية عربية

لقضية فلسطين

بقلم هيثم الكيلاني

لعل اكبر خطيئة ارتكبتها الستراتيجية السياسية العربية - ولا تزال - ازاء قضية فلسطين، انها مافتئت تفتش عن الحل النهائي لهذه القضية في خارج الوطن العربي، وقد ادت هذه الخطيئة - بحكم استمرار بقائها والرغبة في الابتعاد عن ارض المعركة وتأجيل زمانها وإشغال الاذهان عنها - الى اهمال القيم الستراتيجية العظمى للوطن العربي، مما سهل على الاستعمار الاوروبي، منذ الحرب العالمية الاولى، استخدام هـذا الموقع لتحقيق اغراضه واحتلال ارض العرب وتعطيل طاقاتهم. حتى اذا

(*) يراجع في الموضوع، كتاب صدر للمؤلف في سلسلة كتب قومية التي تصدرها وزارة الثقافة بعنوان (الموقع الاستراتيجي العربي).

تمخضت الحرب العالمية الثانية عن مبادىء ونتائج جديدة هزت كيان الاستعمار ، غيّر هذا خطة توضعه ، دون ان يغيّر غايته . فلملم فلوله وقواعده ، واستراح في لقاء مع الصهيونية العالمية فوق ارض فلسطين . وقد ولد من هـذا التزاوج دولة غـاصبة ، تعيش في بحر متلاطم واسع من العزم على استعادة الوطن السليب ، فنشأت بذلك حالة جديدة من العلاقات بين الدول لم يشهد العالم لها مثيلا في تاريخه الحديث .

واذا كانت الحرب في الماضي ـ كما يقول المفكر العسكري الالمـاني كلوزويتز ـ استمراراً للعلاقات الدبلوماسية بشكل ما من الاشكال ، فاننا نستطيع ان نقول ان الدبلوماسية الحديثة ـ العربية المتفرقة والاجنبية والصهيونية ـ في قضية فلسطين ليست سوى استمرار الحرب بشكل ما من الاشكال . وذلك لأن وطننا العربي ، الذي اصبحت قضية فلسطين محور مستقبله وتطوره ـ بالرغم من تجاهل بعض الدول العربية هذه الحقيقة الواقعية ـ لايزال مسرحاً هاماً للاحداث الدولية ، حتى انه اصبح ـ بعد انشاء اسرائيل ـ محوراً لمشاغل السياسة العالمية .

وازاء هذا الموقف ، لابد للدبلوماسية العربية من ان تواجـه المشكلات النـاتجة عن اطماع الاستعمار والمتولدة من وجود اسرائيل ، ولن تستطيع دبلوماسياتنا تأدية رسالتها الا اذا كانت نشيطة واعية منتشرة في جميع انحاء الارض حتى لاتبقى دولة دون ان يكون فيها بعثة لاحدى الدول العربية . ولابد لهذه الدبلوماسية من ان تكون واعية لمشكلات الوطن العربي كله ، فلاتكون البعثة مقتصرة في عملها على المنافع المباشرة لدولتها فقط ، وانما يجب ان تتجاوز هـذه المنافع ، بحيث تلتقي في جهود مشتركة بقية البعثات العربية ضمن خطة موحدة ترسم للدبلوماسية العربية اهدافها وحدود عملها المشترك ، لتستطيع بعـد ذلك

الانطلاق ومواجهة المحاولات التي يبذلها الاستعمار والصهيونية لجعل دبلوماسيتها انعزالية ودفاعية ، وبخاصة ان اسرائيل تتحدى الرأي العالمي كله ، وليس العرب وحدهم . واكبر دليل على ذلك مواقفها المتعددة ازاء قرارات منظمة الامم المتحدة فيما يتعلق بقضية فلسطين ، ازاء انها رفضت – ولاتزال ترفض – تنفيذ هذه هذه القرارات ، ان هذا الموقف الرافض ، وهذا التحدي لايمكن ان يستمرا ، ولا بد ان يوضع لهما حد . ولن تتمكن الدبلوماسية العربية من مواجهة هذا الموقف إلا اذا استطاعت ان تنشط وفق خطة مرسومة في جميع انحاء الكرة الارضية ، متخذة موقف القوة ، ومعتمدة على مرتكزين هامين :

– اولهما قرار مجلس الملوك والرؤساء يوم ١٦ كانون الثاني عام ١٩٦٤ اذ ينص على « ان العرب في موقفهم الدفاعي العادل سينظمون علاقاتهم السياسية والاقتصادية بالدول على اساس مواقفها من كفاح العرب المشروع ضد المطامع الصهيونية في العالم العربي » .

– وثانيهما مايؤكده تاريخ العلاقات الدبلوماسية من ان قوى السياسة الخارجية ليست دائماً قوى ثابتة او متكتلة او منحازة الى هذا الجانب أو ذاك ، وانما هي قوى يمكن ان تطرأ عليها عوامل تؤثر فيها أو في بعضها ، او تغير اتجاه وقدرة محصلتها . ولذا فان من شأن العمل الدبلوماسي الواعي المركز الدؤوب الصابر ان يؤثر في توجيه هذه القوى لدعم موقف العرب وتأييد قضيتهم .

واستناداً الى هذين المرتكزين ، تستطيع الدبلوماسية العربية ، متسلحة بخطط تفصيلية مرحلية ، ان تنطلق لتأدية رسالتها في العالم الخارجي وفي المنظمات الدولية والقارية والاقليمية ، غير ناسية حقيقة اصبحت بديهية مسلماً بها ، وهي ان الاستعمار والصهيونية ، في مرحلتنا الحاضرة وفي وطننا العربي ، صنوان يكمل

احدهما الآخر . ولاحياة لأحدهما اذا زال صنوه من الوجود . ومن هنا ينتهي التحليل بنا الى قانون علمي يقول « ان اسرائيل كدولة هي الاستعمار كموضوع».

ونحن لا ننكر ان الدبلوماسية العربية ستواجه صعوبات وعثرات كثيرة ، وبخاصة أن الدبلوماسية المادية تختبىء متسلحة وراء المبادىء والمفاهيم الانسانية ، وخلف ادعاءات السلم الكاذب . وابرز مايوضح هذا الموقف سعي الدبلوماسية الصهيونية والاستعمارية لتحييد الوطن العربي والشرق الاوسط وزع السلاح من بلدان هذه المنطقة نزعاً كاملا . ولقد نادى الصهاينة وزعماء اسرائيل بهذه الفكرة ، واعلن رئيس المؤتمر الصهيوني العالمي في مؤتمر صحفي عقده بباريز في مطلع عام ١٩٦٤ ان الوقت قد حان لتقترح حكومة اسرائيل فكرة تحييد الشرق الاوسط وان الدواء الوحيد للحالة المضطربة فيه هو ضمان الكتلتين الشرقية والغربية للوضع الراهن في هذه المنطقة الحساسة من العالم ، ضمانا ينتهي بعقد اتفاقية لتجريد المنطقة من السلاح . وقد قام ابا ايبان وزير خارجية اسرائيل ، بجولة في عواصم الكتلة الغربية ، في مطلع هذا العام ، ليسعى الى تحقيق هذا الغرض .

ويرافق هذه الدعوة مخطط سياسي رهيب ، بدأت ملامحه تتكشف يوما بعد يوم . ويقوم هذا المخطط في اسسه — دون ان نلجأ الى تحليله خشية الاطالة — على مبدأ « اللاحرب واللاسلم » بين الدول العربية واسرائيل ، بحيث تبقى الجيوش العربية مشدودة الى جبهات عريضة ، جامدة عليها او حولها ، فتتعطل الطاقات العربية عن النمو والتطور ، ويظل الشعب العربي يراوح في حلقة دوامة مفرغة ، حتى تنمو شجرة التخلف ، وتتسع ظلالها ، بينما تنطلق اسرائيل في طريق التضخم السريع ضمن حدودها ، حتى يبلغ بها الامر حد الانفجار ودفع حدودها وتوسيع رقعتها وتثبيت كيانها وطغيانها الاقتصادي في افريقيا وآسيا .

ويهدف هذا المبدأ الخطير واللاحرب واللاسلم، الى كسب عامل الزمن لصالح اسرائيل، حيث تمر عدة سنوات أخر، ويقضي جيل النكبة نحبه، وتلقى القضية بين ايدي الجيل الجديد، الذي يراها حقا تاريخيا متوارثا، يتركه للزمن والظروف كي تسهم معه في الحصول على هذا الحق، ويكافح من أجله كفاحا سياسيا في المجالس الادبية والمحافل العالمية.

وفي مواجهة هذه الدعوة وهذا المخطط، لا بد لدبلوماسية العرب واجهزة اعلامهم وجالياتهم من ان تنشط في تقديم الوثائق والوقائع والمعلومات الى المنظمات الدولية والحكومات الاجنبية والرأي العام الدولي، كي يتبين العالم كله زيف هذه الدعوة والنوايا العدوانية الخبيثة وراءها.

ونحن في جهدنا هذا، لابد لنا من ان نجعل ستراتيجيتنا تنبع من دراسة عميقة لمواقع التأثير في العالم، لكي تستمد بعد ذلك قوة من استغلال الصراع في العالم، لكسب مزيد من التأييد لقضية فلسطين في المجالات الدولية. سوى ان هذه الامكانية ستظل منحصرة ضمن نطاق محاولات لا تعطي نتائج ايجابية مثمرة، الا اذا انطلقت من مفهوم اعتبار قضية فلسطين مرتبطة بقضية الكيان العربي كوحـــدة لا تتجزأ، وان النصر او الهزيمة في فلسطين نصر وهزيمة للامة العربية كلها.

ان منطلقات العمل الجدي في المجال الدبلوماسي تكمن في ايجاد ستراتيجية عربية شاملة قادرة على جعل الوطن العربي مركز قوة اقتصـــادية وسياسة وعسكرية نستطيع بها ان نضع يدنا على مفتاح قوتنا، وهو البترول.

وحتى تنجح مثل هذه الستراتيجية الشاملة، لابد من ان تتوفر لهـا عوامل عدة في الوطن العربي. الا ان هذه العوامل على اختلاف اشكالها، تتجلى

حول محور رئيسي الا وهو الكيان الفلسطيني ذو المحتوى الشعبي النابع من الارادة المطلقة للشعب العربي الفلسطيني في استعادة وطنه السليب . وان عرب فلسطين يشكلون طاقة ثورية هائلة ، تستطيع ان تعطي العرب في مختلف ديارهم حيوية ديناميكية وانطلاقة تاريخية جديدة ، يمكنها ان تغير معظم علاقات القوى السياسية وبنيانها في الوطن العربي ، وبخاصة ان جميع العوامل اللازمة لتشكيل قوة ثائرة منظمة متوفرة في المجتمعات الفلسطينية المنتشرة في البلدان العربية المضيفة . ومن المؤكد ان شروع هذه القوة في العمل الثوري سيرفع القضية من مستوى الشعارات والمفاهيم الغامضة والمنافع والمناسبات الى مستوى العمل اليومي الجاد الذي تتحدد المواقف على اساسه . فلقد اثبت تاريخ قضية فلسطين ، في جملته وتفصيلاته ، عجز السياسة والدبلوماسية والمؤتمرات والاعمال الجانبية والقرارات الهامشية عن حل هذه القضية . وليس ثمة سبيل غير سبيل الكفاح وتعبئة الشعب الفلسطيني ليقوم بدور الطليعة الواعية الفدائية في استعادة الوطن السليب . وهذا الكفاح هو المفهوم الاول الذي تبنى عليه الستراتيجية الشاملة .

ان العقل العلمي الموضوعي ، الذي يواجه ، بجرأة وصراحة ، القضية بكل ابعادها وحدودها هو وحده المؤهل لايجاد حل لها ، وهو وحده القادر على تخطيط الستراتيجية الشاملة . ومما لاشك فيه ، أن هذا التفكير العلمي ، سيقيم هذه الستراتيجية على أساس حشد جميع الطاقات العربية البشرية والاقتصادية والسياسية والعسكرية وتنظيمها وتعبئتها لتزج جميعها في المعركة الى جانب الكيان الفلسطيني صاحب الحق وحامل راية الكفاح . وسيجد هذا التفكير ان منطق التوحيد ، وبخاصة في الناحية العسكرية ، يفرض نفسه . ويقتضي هذا المنطق في

المعركة الحربية : قيادة عليا موحدة ، وجبهة موحدة ، وخطة موحدة ، وتوزيعا لجميع القوات تبعا لهذه الخطة ، غير متأثر بالعوامل والغايات السياسية .

ان المفهوم الاساسي لقضية فلسطين في هذه الستراتيجية الشاملة يلغي اعتبار هذه القضية موضوعاً مستقلاً بذاته ، ويجعلها قضية مصير الوطن العربي كله ، من خليجه الى محيطه ، بشعبه وحكوماته ومنظماته وثرواته واقتصادياته واجياله الحالية والقادمة . كما ان هذه القضية امتحان مباشر للحركة الثورية العربية التي اشتعلت جذواتها في بعض اقطار الوطن .

واذ ننطلق من هذا المفهوم ، نجد ان تلاقي الكيانات العربية ضمن نطاق اتحاد أو وحدة موسومة مراحلها ، محددة اغراضها ، انما هو السبيل — ولا سبيل غيره — لتعبئة طاقات الامة العربية وحشدها واستخدامها في المعركة ، سواء في الميدان السياسي او الاقتصادي او الاجتماعي او العسكري . وعندما يجد الغاصبون في فلسطين المحتلة الساعة المؤاتية لبدء مغامرتهم ، فلن يحمي الكيانات العربية المشتتة جزع الحريصين على هذه الكيانات وثباتهم على تبعثرها وتفككها . فالسبيل الى الحفاظ على الكيان العربي هو قوة الكيان ، وقوته في وحدته .



تأمّلات

في دَوْر الصّهيونيّة في أفريقية

للكاتب الصّومالي الدكتور جُون فيَاني (*)

الترجمة عن الانكليزية لمحمد جلال الخطيب .

دعوة الى تعاون عربي أفريقي ، لانتزاع السرطانين الصهيوني ، والاستعماري من جسد الامة العربية ، والشعوب الافريقية .

حين قامت مجلة المعرفة بتوجيه دعوتها الى للمشاركة في حديث عن الصهيونية ، قبلت هذا الشرف مؤملاً الا تكون مقالتي هذه : « تأملات في دور الصهيونية في أفوريقيا » مجرد تأكيد لما كتبه غيري من المشتركين في الموضوع ، فحسب ، بل عساها تلقي ضوءاً جديداً على التفكير الافريقي حيـــال القضية الفلسطينية تبعاً للتطورات الأخيرة في القارة الافريقية .. تلك التطورات التي نجد أبرزها وأوضحها مثلاً في روديـسيا .

(*) جون جوزيف فياني دكتور في الاقتصاد السياسي من جامعة لندن . صاحب مجلة Economic Form التي تصدر طبعة في الصومال توزع في آسيا وأفريقيـــة ، وطبعة في اللوكسمبورغ توزع في أوربة وأمريكة . وله عدة مؤلفات عن أفريقية ، وعرف بمحاضراته في معظم العواصم العالمية .

ولا يغيبن عن أذهاننا أن التغلغل الصهيوني ، خلال السنوات الأولى لاستقلال بلدان أفريقيا ، قد استطاع أن يحقق تقدماً سريعاً ، في كافة الدول الافريقية تقريباً ،باستثناء الدول الافريقية الاعضاء في الجامعة العربية ،والصومال؛ وكان ذلك سبباً لانزعاج الدول العربية ، وداعياً الى سخطها واستنكارها . كما كان من نتائج عدم تجاوب العديد من الحكومات الافريقية مع النوايا الطيبة للعرب، وعدم تعاونها معهم في ايجاد تسوية مبكرة للقضية الفلسطينية عن طريق قطع كافة علاقاتها مع اسرائيل ، ما بدا من خيبة أمل واسعة النطاق لدى الدوائر العربية . الا ان هذا الموقف من الصهيونية في معظم تلك البلدان كان مرده الى عوامل تحجز دول معينة عن دفعها . نتيجة للتضليل والاستسلام للضغط الغربي .

لقد دخل رجال السلك القنصلي الاسرائيلي وغيرهم من العملاء الصهاينة الى افريقيا باللبوس الغربي ، خلال العهد الاستعماري ، وقاموا بوضع أهم خطوط الخطة الاستعمارية الشاملة لتشكيل قوة استعمارية جديدة تخدم المصالح الغربية ، حين اصبحت نهاية الاستعمار التقليدي القديم قاب قوسين أو أدنى .

وكانت الخطة امريكية — انكليزية على مستوى عال ، باركتها وأقرتها ضمناً كل من فرنسا وألمانيا الغربية . وكان القصد من هذه الخطة هو تنفيذ ما كان الاستعماريون بحاجة ظاهرة اليه في لعبة ما بعد الاستعمار ، يدفعهم الى ذلك الهستيريا التي تلازمهم وتملأ اذهانهم حيال الشيوعية .

وقدر لافريقيا ان تخوض نزاعاً قوياً مع قوى الصهيونية منذ مطلع القرن العشرين . ففي عام ١٩٠٣ تلقى الصهاينة عرضاً بتحييم منطقة التلال في كينيا ، الا انه لم يقدر لهذه الخطوة ان تستكمل مراحل تنفيذها بسبب موت « تيودور هرتزل » وما تبع ذلك من فوضى في صفوف الصهاينة انفسهم . كما عرضت عليهم

منطقة « مالاغاسي » (الـــتي كانت تعرف بمدغشقر) ، الا ان الشروط التي كان انتقال السلطة من الفرنسيين الى الصهاينة سيتم وفقالها ، لم يرض عنها كلا الطرفين، لأسباب عديدة ، كان اهمها رغبة الصهاينة في استيطان فلسطين بالذات . وهكذا صرف النظر عن القضية مرة أخرى .

ان فشل الصهاينة في تثبيت اقدامهم في المنطقة الافريقية ، بشكل يسمح لهم بفرض السيطرة الصهيونية كاملة ، قد انقذ القارة من أبشع الوان الاستعمار التي عرفتها البشرية ، ولا نستطيع ان نؤكد تماماً ما اذا كان مرد هذا الفشل الى طبيعة المناخ في افريقيـــا ، او الى وجود البعوض ، او الى نفور بعض القوى الاستعمارية من فكرة تخليها عن جزء من مستعمراتها للصهيونية لغير ما سبب مبرر. الا انه لو قدر للحكم صهيوني ان يرسي دعائمه في الارض الافريقية ، فان مما لا شك فيه على الاطلاق ان القوى العربية لن تدخر حينئذ وسعا في ان تقدم كل عون ممكن لازالة الدخيل الصهيوني عن القارة . ودليل ذلك فيما يقدمه العرب من عون معنوي ومادي وعسكري للافريقيين في الوقت الحاضر ، لتحرير بلادهم من الحكم الاستعماري الغاشم ، الذي يمارسه البرتغاليون في انغولا وموزامبيق ، والحكم العنصري الجائر في جنوبي افريقيا ، وحكومة « سميث » العنصرية في روديسيا ، وانواع اخرى من انظمة الحكم الظالمة في بعض المقاطعات في القارة الافريقية ، كما هو الحال في الصومال الفرنسي ، والممتلكات البرتغالية والاسبانية على الساحل الغربي .

ولعل من حسن الحظ ان تصبح الصهيونية في هذه الايام ، الطفل العليل للاستعمار الجديد ، من وجوه عديدة . ورغم ان العلاقات الدبلوماسية مازالت قائمة بين بعض بلدان افريقيا واسرائيل ـ ترضية لبعض القوى الغربية الكبرى ـ

الا انها على اي حال بلغت أسوأ حالات التدهور خلال الاشهر القليلة الاخيرة .

ان سلوك افريقيا الجديد، حيال الصهاينة ، ينبع من وعيها المتزايد لسجلهم الحافل بالاعمال المعادية لافريقيا ، إبان العهد الاستعماري ، وللخطر الذي يشكلونه على المجتمعات الجديدة ، التي قرر الافريقيون اقامتها في بلادهم ، كما ينبع من حاجتها لصداقة العرب والتعاون معهم لمحاربة قوى الشر الاستعمارية في كل الجبهات ، وتوثيق هذا التعاون من اجل تحسين اوضاعها ، وتبادل اسباب التطور والتقدم معهم .

كانت بعض الدول في الماضي ، تستخدم الاعتراف باسرائيل ، اداة سياسية لحمل الحكومات العربية على الكف عن مهاجمة تلك الدول . كما ان دولاً اخرى استخدمت الاعتراف بدافع من حزازات قديمة ووسيلة من وسائل الانتقام .

ومن الامثلة الحية على هـــذه العلاقات الدبلوماسية الكاملة التي أقامتها اثيوبيا مع اسرائيل خريف ١٩٦١ ، وسيل الزيارات التي قام بها رؤساء الدول الافريقية لاسرائيل خلال الاعوام الاولى لاستقلال بلدان افريقيا . ولكن ، بفعل من التحسن العام في الجو السياسي في أفريقيا ، وبفضل التقارب الذي ساد العلائق الفرنسية ـــ العربية ، (خاصة وأن تحيز بعض بلدان أفريقيا ضد العرب ، كان في معظم الأحوال ، نتيجة مباشرة للجفاء الذي تميزت به العلاقات الفرنسية ـــ العربية) بدأ ميزان العلاقات السياسية بين بلدان افريقيا والعالم العربي بالتحول والتحسن .

ان موقف اسرائيل تجاه قضايا الاستعمار ، والذي تشهد به سجلات مناقشات الأمم المتحدة قد خلف أثره السيء لدى الدول الافريقية . كما كان انحياز اسرائيل المتواصل ، الى جانب القوى الاستعمارية ، وعلى رأسها بريطانيا وفرنسا ، لدى دفاعها عن سياستها الاستعمارية ، أبعد مايكون عن مناصرة القضية الافريقية . وكان في تقديمها العون لمنظمة الجيش الفرنسي السري خلال الأزمة الجزائرية ،

وامداد البرتغال بالسلاح بشكل مستمر لتمكنها من خنق الحركة الوطنية في أنغولا مانفرّ الافريقيين منها . هذا بالاضافة الى أن تعاون الصهيونية مع بريطانيا وفرنسا في حرب السويس عام ١٩٥٦ ، ودعمها الصريح للمنصريين المتعصبين في جنوب أفريقيا ، وتأييدها لحكومة « إيان سميث » المنصرية في روديسيا من عهد قريب « وقائع تضيف الشيء الكثير الى سجل الصهيونية الحافل بالمخازي . وهذه الوقائع تساهم في كشف ماعليه الصهيونية من نفاق لايعرف الحدود .

مثال جنوب أفريقيا

يزداد تفهم الافريقيين لعوامل تكوين النزاع العربي ـ الصهيوني ونتائجه يوماً بعد يوم . فقد وجدوا خير مقياس لهذا النزاع ، في جنوبي أفريقيا : فهي بلد عانى سكانه الأصليون ، من عمليات الترحيل الوحشية ، على يد أقلية من المهاجرين. ولكن القياس يقف عند هذا الحد ، اذ بينا ترتكز سياسة التمييز أو « التنمية القائمة على أساس من التمييز ، في جنوبي افريقيا ، على التمييز في التنمية بين الأجناس ، مما دعا الى الاستنكار العالمي الشامل لهذه السياسة ، نجد الصهاينة في اسرائيل قد بنو سياستهم على أساس من الكراهية ، والاضطهاد ، واغتصاب الممتلكات ، والتهجير الجماعي ، وإذلال المواطنين العرب بشكل غير انساني .
كل هذا ، وأعمدة الصحف المتحيزة ، تواصل حديثها بحماس عن التقدم الاجتماعي والاقتصادي الملحوظ ، الذي حققه ذلك البلد ، لتجعل منه مثلاً يحتذى في أعين الدول الافريقية الحديثة . الا أن آراء هذه الصحف أعجز من أن تغير الحقائق المؤسية الثابتة القائمة في فلسطين ، وكما أن الافريقيين لايقبلون بأن يطأطئوا رؤوسهم لسيطرة دائمة يفرضها على بلادهم حفنة من المهاجرين ، فلا نتوقعن

من العرب أن يسمحوا للسيطرة غير المشروعة التي يمارسها الحكم الصهيوني في اسرائيل أن تستمر الى الأبد .

ان السيطرة البيضاء في جنوب افريقيا ، كانت خيانة للتعهدات التي قطعتها بريطانيا للقبائل الأفريقية ، يضاف الى ذلك ما أفادته هذه السيطرة من الضعف النسبي لدى المواطنين الافريقيين ، وعدم تنبههم للدوافع السياسية البريطانية . ولا تنحصر القضية الفلسطينية في كونها عملية اغتصاب ماكرة قامت بها حفنة مشابهة من المهاجرين الصهاينة وساعد على تنفيذها تواطؤ غربي ينطلق من السياسة الاستراتيجية البريطانية في الشرق الاوسط ؛ بل تتعدى ذلك الى كونها ابتزازاً دينياً جائراً اتجه الضمير الغربي لتسديد ديونه التي توهمها حقت عليه نتيجة لاضطهاد اليهود في أوربا ، من حساب العرب .

ان اعمال « الهيستدروت » (اتحاد عمال اسرائيل) ؛ وشركات الانشاء، والخبراء الصهيونيين في وسائل الصحافة ، واتحادات التجارة ، والمدارس ... لم تعد ذات اثر يذكر في معظم البلدان الافريقية . اما في بعض البلدان كساحل العاج واثيوبيا ومالاغاسي وكينيا والسنغال وليبريا و — الى درجـــة اقل — تانزانيا والكونغو ليوبولدفيل ، فان النفوذ الصهيوني مازال يشكل قوة ذات شأن، رغم ان هذا يتعارض تماماً مع العداوة المتمكنة بين هذا النفوذ وبين قادة الشعوب الحقيقيين . أما في غانا وغينيا ومالي وبلدان اخرى .. حيث تسللت الصهيونية الى اعمال البناء وشركات الملاحة البحرية والجوية في مطلع ستينيات هذا العصر ، فقد لقيت صدمات قاسية .

وكانت الصهيونية تحاول بشكل عام ان ترتبط وتتعاون مع الحكام الذين يحبذون الاوضاع الاستعمارية الراهنة في بلادهم . ويعتمد ذلك على العون الذي

تقدمه لها القوى الاستعمارية السابقة ، التي لاترى مانعاً - بدورها - من أن تستخدم المستشارين الصهيونيين في ثني الزعماء الجدد عن التفكير في تغيير الاحوال الراهنة لاقتصاد بلادهم ، وخلق اقتصاد خاضع للتوجيه الوطني . ولعل من الممكن تأويل ذلك السكوت عن الوجود الصهيوني - في بعض بلدان افريقيا - بأنه نوع من الاستسلام للضغط الاوربي . ووجدت كل من كينيا وتازانيا نفسيهما في موقف حاسم حيال قضية تحديد موقفها من النزاع العربي - الاسرائيلي : وكان عليها الاختيار بين العرب والصهاينة . وبينما اختارت الاخيرة (تازانيا) - وبشكل قاطع - أن تتعاون مع العرب ، جاعلة من تعاونها هذا حجر الزاوية في سياستها الخارجية ؛ نجد الاولى مازال تحاول - برغبة صادقة - ان تتخلص من ارتباطها مع الصهاينة ؛ هذه الارتباطات التي قامت على تفاهم شخصي (بين توم مبويا زعيم اتحاد العمال الكيني ؛ وبين زعماء الهيستدروت) وهي تميل الآن الى التعاون مع العرب .

التعاون والتضامن

ان التعاون والتضامن بين الافريقيين والعرب أمران طبيعيــان فلها جذورهما البعيدة في التاريخ واللغة والثقافة ، وفي الدين في بعض الاحيان. ولقد قام التعاون بين العرب والافريقيين قبل ان تطأ قدم اي غريب ارض افريقيــا بقرون طويلة . فالعربية تنتشر في بلدان عديدة ، كما أنها تدرس في المدارس ، في جميع البلدان الافريقية الاعضاء في الجامعة العربية ، والصومال وموريتانياوتشاد ومالي وغينيا وغانا وتازانيا والنيجر ونيجيريا وكينيا . . بل وفي كل دولة افريقية تقريبا . وذكرت في مقال سابق نشر في « المعرفة » ان سبعين بالمئــة من العرب يعيشون في افريقيا وهم افريقيون ؛ وهذا في الواقع ، يجعل اللغــة العربية احدى

اللغات الوطنية الرئيسية في القارة ؛ كما يسام في دعم الروابط القوية التي لا تنفصم، القائمة بين شعب المنطقة العربية وبين الشعوب الأخرى في باقي مناطق القارة.

ويجمع شعوب المنطقتين قدر مشترك ، ومشاكل مشتركة هي أكثر توافقا فيا بينها ما قد يبدو لاول وهلة . ولهذا فليس من الغرابة في شيء ، أن يعتبر شعب العالم العربي ، مشاكل افريقيا مشاكله بنفس الطريقة التي يعتبر بها الكثير من شعوب افريقيا ، المشاكل العربية مشاكلها الخاصة . ان شعب كلا المنطقتين يؤمن بالحاجة الى الوحدة : الوحدة العربية ، والوحدة الافريقية ، اللتين تعتبرهما هذه الشعوب مصدراً من مصادر القوة .

والوحدة العربية والوحدة الافريقية متطابقتان متكاملتان ، لذا ، فللفرقة في احدى المنطقتين صداه البعيد لدى الأخرى .

ففي تحقيق الوحدة العربية : التي تعني تحرير فلسطين كجزء لا يتجزأ منها ، والوحدة الافريقية : التي تشمل مناطق النفوذ في القسم الجنوبي من القارة ، تكمن امكانية ظهور التضامن ، والتعاون الافريقي ـ العربي بشكله الفعال .

لقد اصبح الأفريقيون الان ، واكثر من اي وقت مضى ، اعمق تفهماً ووعيا لالتزاماتهم ، وللدور الذي يتوجب عليهم القيام به في مساعدة العرب على تحرير وطنهم .. واقله ان يقطعوا كل اتصال لهم بالصهاينة ، ويقدموا العون المنوي لاخوانهم العرب .

ان مثل هذا التعاون امر جوهري ، لان مستقبل افريقيا يعتمد الى درجة قصوى على سلوك العرب حيال المشاكل التي تواجهها القارة . فان العون العربي امر حيوي بالنسبة لانتصار افريقيا في روديسيا ، مثلا ، لانه قد ظهر مصداق ما اكده « سميث » مراراً من ان روديسيا ستبقى وستعيش كائنة ما كانت

النتائج التي ستترتب على العقوبات المفروضة بحقها بسبب اعلانها الاستقلال من جانب واحد .

ولم يقصر العرب في تقديم ما استطاعوا في هذا المجال . فقد تقاطر العون من كافة الاقطار العربية بأشكال متعددة : من استنكار شديد لحكم « سميث » غير الشرعي ، واتهام لبريطانيا بمحاولة خلق اسرائيل أخرى ، وتنبيه للحكومات الأفريقية الى ضرورة المقاومة بكل ما أوتيت من قوة .. هذا بالاضافة الى الكثير من المساعدات الأخرى التي أخذت تتدفق على افريقيا بشكل متصل .

وسرعان ما قام العرب بفضح نفاق السياسة البريطـــانية لصالح أبناء جلدتها في روديسيا .

ان مسألة العقوبات ، كما نعلم جميعا ، غير عملية ولا جدوى منها على الاطلاق ولكنها لعبة ضرورية بالنسبة لبريطانيا ، بل هي حركة مسرحية تقوم بها لتجنبها الظهور بمظهر المتجاوز عن حركة العصيان .

ولقد وقف الصهاينة بقوة الى جانب « سميث » و « فيروورد » و « سالازار » والبريطانيين . ولكن بوسع التضامن الافريقي ـ العربي ان يمضي قدماً في كشف المخططات الاستعمارية وفي حل الأزمة برمتها .

ولعل هذا يجعل كلاً من العرب والافريقيين يقف على مفترق الطرق لاتخاذ القرار الحاسم : وهنا تتجلى الحاجة للتضامن والتعاون أوثق لازالة كلا السرطانين : الصهيوني والاستعماري من قلب الجسد الافريقي والجسد العربي ، ذينك (الخراجين) اللذين أعاقا شعوب المنطقتين عن بناء اقتصاد حر نشيط لا يخضع الا للتوجيه الوطني ، كما كانا عائقين كبيرين في طريق تحقيق الوحدة .

ضد الليبراليّة والاشتراكيّة

.. والتاريخ .. وشروط الحياة

فيما يلي يلخص (تحرير المعرفة) ويعرض ويحلل بعض الآراء الحديثة في الصهيونية واسرائيل، مما لم يتسع المجال لنشره بنصوصه الكاملة في هذا العدد الخاص.

التلخيص يتناول موضوعين احدهما للجامعي الفرنسي اليهودي (ريمون آرون) نشره في مجلة (فيغارو ليترير) وعرّبه للمعرفة الاستاذ صلاح الدهني.

والثاني للباحث الجامعي اليهودي الامريكي موريس كوهن، الذي نشره عام ١٩٤٧ تحت عنوان: الصهيونية ... ليبرالية أم قبلية ؟!
ترجمه عن الانكليزية تحرير المعرفة.

بالاضافه الى تلخيص مطالعات وآراء متفرقة في موضوع (التحالف الصهيوني الاستعماري) .

* * *

في التاريخ القريب . ومنذ مئة عام على الأخص ، عندما توطدت النظرية الليبرالية الديموقراطية، وعندما افتتحت الماركسية بنظريتها المادية التاريخية، حاولت الليبرالية بطريقتها ، والماركسية بطريقتها أيضاً — كنظامين وعقيدتين — ، اخراج (الغيتو اليهودي) أي عقلية الفيئة أو عقلية (الحي اليهودي المغلق) إلى تيار التعاون ، والعمل المشترك ، ففشلت الليبرالية ، والاشتراكية معاً ، في اجراء هذا التحويل البشري بتخريب خلية (الغيتو) . بل قد حدث أحياناً ، أن الصهيونية في حركة رد فعل عنيفة ، قامت بالقول وبالعمل ضد القيم الانسانية والاجتماعية التي تنادي بها النظريات الديموقراطية والاشتراكية .

لم تستطع الشيوعية أن تذيب تحجر العقل اليهودي ، وتعدده في تيارات عالمية واسعة ، ينسى فيها أنانيته وغروره ويعمل بالتالي ليس من اجل مضطهدي اليهود ، بل من أجل كل مضطهد في العالم .

ولم تستطع الليبرالية ، في دعوتها الى التسامح وتعايش الأديان والأجناس دون انكارها والغائها — أن تحقق ماتدعيه من تمثل اليهودي في الوطن الذي يعيش فيه ، وتمنحه جميع صفات المواطن الكامل .

بل قد تحدت الصهيونية كلاً من النظرية الليبرالية ، والاشتراكية وأكدت أن اليهودي لايمكن ان تحل عقدته الا بانشاء وطن خاص به في فلسطين ، ارض تاريخه . إنما الشيوعية والليبرالية دعوتان الى اذابة (الشخصية اليهودية) وامتصاصها .

فالصهيونية كما يصفها آرون ، وكوهن ، دعوة الى (التجمع العرقي) ، والى (الحقد الوطني) وإلى (الاستغلال السياسي للدين) أضافت لها اخيراً دعوتها الحربية العدوانية الى انتهاك الحرمات ، واغتصاب الأراضي ، لتقيم (دولة علمانية ليبرالية تقدمية) على انقاض كل المبادىء والقيم ، وعلى حساب العرب وحدهم ، بالتالي .

● يقول (موريس كوهن) إن الصهيونية التي تحارب اللاسامية ، كحركة عرقية ، هي نفسها دعوة الى العرقية العنيفة عندما تؤكد أن لليهودي رسالة لايستطيع اداءها إلا في فلسطين. وأن اليهود عرق متفوق بمجموعة من الصفات والفضائل . لايستقيم معه وطن الا في (ارض الميعاد) ولا لغة الا اللغة العبرية .

● ليست الصهيونية حركة انسانية في عطفها على العرق اليهودي . بل هي تزعم انها تحمل

الحل الوحيد للمعضلة اليهودية . وان إصرارها على فلسطين بالذات ، (فلسفة وطنية خاصة ، هي تحد مباشر لكل من لايزال يؤمن بالليبرالية) .

● ان الليبرالية ليست في انشاء (دولة ذات احزاب) في فلسطين . انها دولة ذات واجهة ليبرالية كاذبة ، ترفض حرية الانسان ، وترفض تعايش اليهودي وغير اليهودي الا تعايشاً تبعياً لا ينطوي على أي مبدأ من مبادىء المساواة ، بين الاجناس والأديان .

● فما الفرق ، اذن ، بين الحركة (التوتونية) المرقية ذات التفوق الثقافي الحضاري — Kultur * — وبين الصهيونية التي تزعم ان اليهود لا يسعهم العالم بأسره . وانهم (دين) يجب ان يكون له (وطن) . **فأي دين هذا الذي لايعيش الا ضمن أضيق حدوده . وأي وطن لايتسع الا لأبناء دين واحد .**

ان اليهود في دول المعسكرين الاشتراكي والديموقراطي الذين يرفضون اعلان ولاءهم لاسرائيل كدولة وللصهيونية كسياسة انما يدفعهم الى هذا الموقف ثلاثة اعتبارات أساسية :

الأول : ان اسرائيل ، كما اراد لها الصهاينة ان تكون ، هي دولة مؤسسة على شعور عرقي خاص ، وعلى ديانة قبلية ، وعلى عقيدة غيبية ، في أرض انتزعت انتزاعاً ، وليس لليهود فيها سوى ما زعموه من (حقوق مقدسة) تعود الى ما قبل الفي عام من التاريخ .

الثاني : ان الدولة الاشتراكية ، والدولة الديموقراطية — نظريا — لا تقبلان بالولاء السياسي المزدوج في حدود سيادتها ، مع الفارق ان الدول الديموقراطية تفسح المجال للحركة الصهيونية — باسم حرية التعبير — والدول الاشتراكية تغلق الأبواب بوجهها .

الثالث : وهو اعتبار أساسي ان اسرائيل لا يمكن ان توحي ليهودي الدياسبورا — المنفى — بالاستقرار والطمأنينة الى مستقبله ومستقبل ذرياته . فهذه الدولة ، كما قال رعون آرون ، (قامت بالسيف ولا غنى لها عن الاستمرار بالسيف) في محيط يطوق اسرائيل بالعداء ، ولن يزول هذا العداء . بمعنى ان اليهود في اسرائيل سيعيشون في حالة ذعر دائم لا نهاية لها ، ولا طمأنينة معها الى كيان في مهب الرياح .

ان مستقبل اسرائيل — يقول آرون — سيظل مستقبل شعب مهدد ، يحيى ضمن مايشبه معسكراً مقطوعاً ، يعتمد على جيوشه ليمتنع على الفناء والموت . واذا كان من اليسير أن نفهم بان اولئك الذين نجوا من اكبر مذابح التاريخ ، قد اقسموا الا يواجهوا السكين بايد خالية ... فانه من العبث

(*) كما تكتب بالألمانية ، وتعني التميز الثقافي الحضاري .

أن يتجاهل المرء بان (الاسرائيليين) قد اختاروا الحياة الخطرة ، في نقطة تلاقي للخطوط الاستراتيجية ، في موقع سكينته الآفة ، ووطئته اقدام الجنود . لقد اصبح الاسرائيليون – الكلام دائماً لريمون آرون – بيادق في الشطرنج الدولي ، وحكم عليهم بالمشاركة في اللعبة الشيطانية لسياسة القوة . . .

هذا من جهة سياسية مصيرية . ومن جهة ثقافية قومية ، يؤكد (آرون) ان محاولة اسرائيل المذعورة انشاء قومية ذات ثقافة مستقلة ، عملية خاسرة ، اذ ان اتصالها ، لكي تعيش ، باوروبا والولايات المتحدة الأمريكية ، سوف يتضارب حتماً مع (الأنانية القومية) اللازمة لكل قومية مكافحة في سبيل البقاء . !!

ويعود (آرون) فيصر على حياة الخطر التي زج الاسرائيليون انفسهم في خضمها ، فيستبعد المصالحة بين اسرائيل وجاراتها في الوقت الحاضر وفي المستقبل البعيد ايضاً ويقول : **ان سلطان الدولة المسيحية في القدس – الصليبية – قد دام قرنين كاملين ، لاحقبتين ولا جيلين . . وبرغم ذلك فلم يتقبله المسلمون ، وظلوا في عدائه ومقاومته حتى قضوا عليه !**

وهكذا فان اليهودي اذا كان صاحب دين فانه لجدير به ان يعلم بأن (اسرائيل) ليست صاحبة رسالة روحية ، بل قد فقدتها بمجرد اغلاق الباب على الرسالة في حدود (دولة صغيرة) تائهة في خضم الشرق الأدنى .

واذا كان اليهودي علمانيا ثقافيا ، فجدير به أن يعلم بأن (اسرائيل) ليست خلية ثقافية ذات كيان ، بل هي اجترار للثقافة الغربية واستمرار لها .

واذا كان اليهودي طالب سلامة وأمن ، فليس في الارض التي اغتصبها (الاسرائيلي) وتجاه الاهلين اصحاب الارض الذين شردهم بالسيف ، يستطيع أن ينشر الأمن والسلامة والاستقرار **لاسيا وأن اسرائيل قد حكمت على نفسها – لكي تعيش – أن تشارك مشاركة جدية في اللعبة الشيطانية (لسياسة القوة) في الشرق .**

ان المشاركة في اللعبة الشيطانية لسياسة القوة – هي مايسميه العرب : المحالفة الطبيعية بين الاستعمار والصهيونية .

ولن يقلل من خطر المحالفة هذه في نظر العرب ، أن الدول الديموقراطية صاحبة الاستعمار، هي محتضنة المبادىء الليبرالية الداعية الى الحرية والاخاء والمساواة كما لايقلل من خطر هذه المحالفة ، أن بعض اليهود في الدول الديموقراطية ، يرفضون الصهيونية ، وازدواجية الولاء السياسي .

فالصهيونية لم تنم وتتوسع ، لتغدو من بعد (دولة) في أرض العرب ، لأنها قوة عالمية لاتقاوم . بل لأن الاستعمار الغربي الماثل في دوله الكبرى المعروفة التي حاربت الاستقلال العربي، والقومية العربية ، قد وجد في الصهيونية الناشئة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، أقوى اداة عالمية ، لقهر العرب وابقائهم في حالة التخلف والضعف والتبعية . وقد قالت جريدة (التايمس) منذ عام ١٩٢٠ عندما تحرك العرب ضد بريطانيا : **لو لم تكن قضية الوطن اليهودي في فلسطين موجودة ، لوجب علينا ان نوجدها ... »**

وهكذا فقد كانت الصهيونية (احتياطي) الحرب الاستعمارية ضد العرب مرة ، ورأس الكبش الاستعماري الذي ينطح القضية العربية مباشرة مرة أخرى . ثم غدت (اللعبة الشيطانية) لعبة سياسية مكشوفة ، بدءاً من عام التقسيم ، والاعتراف باسرائيل .

وسيفشل دعاة العقيدة (الليبرالية) في الدعوة الى امتصاص اليهودي سياسيا في رحاب الدولة الديموقراطية : طالما ان هذه الدولة بالذات ، صاحبة الاستعمار القديم او الجديد ، هي صاحبة المصلحة الاولى ليس في ابقاء اسرائيل ، فحسب ، دولة عاصرة في النطاق العربي ، بل في جعلها دولة مفتوحة على العالم تتصل به وتأخذ منه وتعيش من خلايا الصهيونية واوكار الاستعمار معا .

وها هي الدول التي تعادي العرب في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية، تمضي وتحرث الارض ، وتمضي وراءها الصهيونية وتبذر في التراب بذورها .



كيف نجابه اسرائيل

محاضرة

للاستاذ فؤاد الشايب

ألقاها مساء ١٥ ايار ١٩٥١

في دار النادي العربي بدمشق

من منشورات النادي العربي بدمشق

ليسمح لي القارىء ان اقدم في ختام هذا الفصل محاضرة القيت منذ خمسة عشر عاماً في دمشق ونشرهـا النادي العربي . وليس من جديد اضيفه . لقد كانت الرؤية واضحة لدينا نحن المواطنين العاديين . ولكن السياسات والقيادات هي التي ملأت طريقنا ضباباً وغباراً .. سرنا وراءها فلا نراها ، وسارت امامنا ، فلا ترانا .

سيداتي سادتي

اعجبت حقاً بفكرة هذا النادي القومي عندما انبأني بأنه محتفل يوم الخامس عشر من ايار بذكرى دخول الجيوش العربية أرض فلسطين لأن ذكريات الألم كذكريات الهناء، واليسر ، يجب أن تحيى ، ومن لم

يحمل في جنباته تلك الحبة الميتة ،لايرجو أن تورق نفسه وتزهر وتثمر ، انا نحن امة حفلت أيامها بالاحداث والمآسي . ولابد للتراب ان ينتفض ،وللزمن أن يتم فعله ومن لم يذكر مواضع الألم والوجع فاته الكثير من اسباب المتعة والعافية .

عندما حدثني القائمون على هذا النـــادي الكريم بفكرة الذكرى ، والتحدث فيها ، كنت منصرفاً الى مطالعة كتب للدعاية الصهيونية نشرت في امريكا وبريطانيا ، ساقتني واجبات وظيفتي الى الاطلاع عليها فقرأت فيها مايجب ان يقرأه المثقفون والساسة عندنا عما نسميه نحن « كارثة » ويسميه هؤلاء الكتاب الأجانب نعمة ، وظفراً للحرية ،والحق ، والانسانية ،لنتعلم على الأقل كيف يكتب التاريخ وتدرس قضايا الانسان وكيف خسرنا المعركة في ضمير العالم الكبير ، قبل أن نخسرها في جولتنا الصغيرة مع العدو .

لقد تحقق لدي بعد مطالعة هذه الكتب الصهيونية اننا نحن وقد أهرقنا أنهاراً من الحبر على أطنان من الورق ، هنا ، وفي كل بلد عربي ،لم نكتب بعد تاريخ الكارثة كما يجب أن يكتب ، ولم نقل شيئاً مذكوراً مما يجب أن يقال ، ولم نخاطب بها النفوس المقهورة .ولقد توهمنا، خطأ بأننا في معركة الكلام ، قد افرغنا الجولة حديثاً وتصريحاً وكتابة ونشراً واذاعة ، وان النفوس أصبحت تعـــاف القول والقوالين ، والحديث والمتحدثين .

لقد علمتني هذه الكتب المنشورة بأقلام صهيونيين وانصار الصيهونيين ، في اوربة والاميريكيتين ، اننا لانعرف كيف نخاطب انفسنـا ولاسوانا عندما نتحدث عن فلسطين . فنفوسنا لم نملأها بسوى الهواء ، وعقول سوانا لم نبعث لها سوى رشاش من الحماسة والزبد المتخثر على الاشداق ، فلم ننشر في الناس سوى الهباء ، ولم نرسل فيهم سوى الفقاقيع.وان مانزعم انه كلام ودفاع ، لم يكن سوى صراخ أجش ، واختلاج مريض ، وهذيان مرسل على سجيته البدائية .هي بضع

رصاصات من القول الطائش اطلقناها في الفضاء بفيض حماسي، قبل دخول المركة، وعندما غدونا في خضمها، كانت بنادقنا فارغة، وحماستنا منطفئة.

لقد سحقنا عدونا سحقا في معترك الكلام والنشر، فسجل علينا هزيمة، لايزال بعضنا يظن انها، اتفه شأنا من ان تقاس بهزيمة الجيوش العربية في فلسطين. لذلك عندما زحفت بواخر المدو نحو الشاطىء العربي، تقل من يسميهم هو ويسميهم العالم (معذبي الارض) . . متحديا مانسميه نحن، ويسميه بعض الموظفين (نطاق الهجرة غير المشروعة) كانت أكف الملايين من سكان الارض تصفق طربا بالزحف هؤلاء القراصنة الغاصبين، وكنا نحن في شرع العالم الذي يقرأ ويسمع، جماعة من البداة العصاة، نمنع الرحمة والمأوى عن المضطهدين — ونتآمر مع النازية في نفخ الغرور العصبي — وسحق المبادىء الانسانية الرحيمة في العالم.

هنا أيها السيدات والسادة يجب ان نقرر واقعا لامفر من الاعتراف به، مهما تمردنا على الحقائق — وطاحت بنا عواصف الغرور — هو أن **الصهيونية قد كسبت معركة الرأي العام العالمي — كسبا مطلقا — ومايزال هذا الرأي العام موصدا دوننا، نقرعه بأكف اطفال، ولانتقن في هذا الهوان حتى ذرف الدموع.**

ابدأ بسرد الوقائع، وبين يدي كتاب الكاتب الاميركي اللاتيـــني، جورج غراسيا غرانادوس، مندوب حكومة غواتيالا — ومالدراك ماغواتيالا — ورئيس وفدها الى هيئة الامم المتحدة، وأحد الاعضاء الأحد عشر الذين تألفت منهم لجنة دولية للتحقيق، استندت الهيأة العامة للمنظمة عام ١٩٤٧ على تقريرها بالتقسيم، فاقرت التقسيم — كما هو معلوم —

هذا الغرانادوس، الذي استطاع ان يوجه بجهود عملي وفكري، عدداً من اعضاء اللجنة، ويحملهم على قرار التقسيم، والأخذ بيد الصهيونية، كاتب

وسياسي مناضل في بلاده ذهب الى فلسطين ، وهو على يقين من انـــه بنصرة مطالب اليهود ، المذبين في الارض ، انما يخدم قضية انسانية مثالية ، ويناهض الاستعمار البريطاني في وقت واحد . وقد أهدى كتابه (ميلاد اسرائيل) باللغة الانكليزية ، هكذا : الى كل من يحب الحرية باخلاص أهدي كتابي — وراح في نحو من ثلاثمائة صفحة كبيرة ، يسرد وقائع (الدراما) اليهودية كما رآهـــا في انكسارها وانتصارها ، محاولا ان يكون في كتابه ، — كما زعم — مراقباً حيادياً ، وكاتباً انسانياً وحاملا رسالة مقدسة .

واقد قاطع العرب — كما تعلمون اللجنة الاحد عشرية — فلم يسمع وزملاؤه العشرة من حججهم الا خطب وفودهم في ليك سا كسيس — وأحاط به اليهود من تل أبيب الى بئر السبع ، وصحراء النقب ، وراحوا يضربون على وتر مثاليته التي يدعيها — فأروه المهاجرين من المانيا ، كيف يصبحون فلاحين وابطالا ، ويحيلون الصحراء جنات وازهاراً وثمـــاراً ، وأروه خيام البدو في اطراف الصحراء ، على انهم العرب الذين يدفعهم الانكليز بالتهديد ، الى مقاطعة اللجنة الدولية ، وقدموا له المواد التي كتب بها كتابه ، وزود بها نفسه في هيئة الامم ليكون محامي اسرائيل رقم (اثنين) . وكانت غواتيمالا ، هي الدولة الثانية التي اعترفت باسرائيل بعدما فاجأ الرئيس ترومان هيئة الامم ، بعقده مؤتمراً صحافياً ، في وشنطن اعلن فيه اعتراف الولايات المتحدة بالدولة الصهيونية بينما كان لا يزال وفده في ليك سا كسيس ، يبحث مع بقية الوفود كيفية تنفيذ التقسيم .

ليس المجال متسعاً لأعرض لكم صور هذا الكتاب الغواتيمالي ، وأثره في نفس القارىء الخالي الذهن ، وحسبي أن الخص الفكر الاساسية التي قام عليها

الكتاب ، وسواء من عشرات المنشورات ، لتعلموا أي اسلوب من الانشـــاء والنشر ، عمد اليه الصهيونيون ، ودعاتهم ، ليجمعوا حولهم من هنا وهناك ،ومن الشرق والغرب ، الانصار والمجندين :

الفكرة الأولى : يجب ان ينقذ اليهود من اضطهاد عالمي ، قاسوا اهواله، مئات السنين ، فهم شعب جديرون كسواهم من الشعوب او أجدر ، بنعمة الحياة الحرة المستقرة . وتحت نفوذ هذه الفكرة ، حمل الاعضاء الاحد عشر حقائبهم الى فلسطين . ولقد كانوا جميعهم ، مؤمنين بصدق الخرافة اليهودية التي اذاعهـا اليهود تحت الشمس ، بان النازية قد قتلت من آبائهم وامهاتهم واطفالهم عشرة ملايين يهودي خلال اعوام الحرب ـ حتى ان الصابون الذي يغتسل به النازي من عظام الضحايا ، وعلى السردين من مفروم لحوم الاطفـــال ، والادوية والعقاقير من مصل دمائهم ، وعصارة أكبادهم .

الفكرة الثانية : ان العرب يضنون بواحد من مئة من الارض ، على اليهود ، بينما يهملون التسعة والتسعين منها ، بوراً وصحراء ، وخراباً . فلا يعيشون في هذه الارض المباركة ، ولا يتركون سواهم يعيش . فها هم اليهود ، منذ نصف قرن ، يفجرون الحياة والماء في قلب الصحراء وفي رواكد المستنقعات ، وينشرون الظل والعطر ، حيث يسود البعوض ، وتختنق الارواح سحابات كثيفة دكناء من الحيات . وهكذا فان استثمار الارض لا يمس مصالح العرب ، بل ان مصالحهم لا تؤمن الا بمثل هذا المجهود العملي الجبار . وكل ما هنالك ان الاذى انما يصيب الكبرياء القومي عند العرب ، وهذا ليس بالامر الذي يؤبه له ازاء فداحة الدراما اليهودية في العالم . ولن يمضي وقت حتى يتصـــالح عرب ويهود ، تحت ضغط

الضرورة والحاجة ، لان اليهود بحاجة الى الانتاج الزراعي المصدر من الدول المجاورة ، والعرب بحاجة الى الانتاج اليهودي الصناعي ، فيتمم احدهما الآخر - كما قال بن غوريون لغراناندوس - ثم لا بد للامر الواقع ان يحدث تبديلا في نفوس العرب ، « لانهم في باطنهم معنا ويأبى عليهم التسليم بالحقيقة ، غرورهم ، واسيادهم وحلفاؤهم الانكليز » ..!! فالصناعة اليهودية - كما يقول غراناندوس تعقيباً على قول بن غوريون - تبني شمول الازدهار جميع ربوع الشرق الادنى ، وانقلاباً سريعاً من حكومات اقطاعية الى شعوب تقدمية حرة .

ولقد أستطاع اليهود قبل غراناندوس وبعده عن طريق ملايين النشرات المكتوبة والمصورة ان يلصقوا بالعرب كلهم صورة الخيمة المهترئة ، والذباب المتكاكيء على عيون الاطفال ، وبالبهودية المناضلة في فلسطين ، صورة الاجسام الشقر ، المفتولة السواعد ، تغادر اوربة وامريكة ، الى صحراء النقب لتفجر الينابيع وتجري الحياة .

والفكرة الثالثة - التي قامت عليها الصهيونية ، ودعاتها في المعسكرين الشرقي والغربي ، وفي بعض الأوساط المحايدة ان العرب اينا كانوا ، عبيد الاستعمار الانكليزي ، الذي يضع السلاح بيد العرب تارة ، وبيد اليهود اخرى ليقتتلوا فيا بينهم ، وان سيادتهم في الشرق الأوسط ، موطدة مع العرب ، لأنهم خانعون اذلاء ، ومزعزعة الاركان الى جانب دولة يهودية ديموقراطية حرة . ثم ان الانكليز ، يعملون لتأييد سلطانهم في هذه البقعة عن طريق الانتداب او اي اسلوب من اساليب الحكم ؛ فهم يقاومون بالقوة او بالحيلة ، كل من اشتد ساعده فهدد هذا السلطان .

ومهما يكن من امر الصواب في هذه الفكرة التي تفنن الدعاة الصهيونيون في نشرها واذاعتها ، انما يهمنا ان نصل الى المرمى الذي اصابته سهامها ، في تصوير العرب ، امـــة لا قضية لهم ، وليس جهادهم في فلسطين سوى حركة مسرحية يخرجها الانكليز ، لاغراضهم الاستعمارية . وان اليهود بعد ان كانوا ضحايا هتلر والطغاة في اوربة ، انما يؤلفون مرة ثانية ضحايا العرب ومن ورائهم حراب الانكليز . ولقد اخذ هذا التهويل ، بقلوب الكثرة من المناضلين ، والمفكرين في اوربة ، ولم يكن الرأي العام في روسيا ومن حولها ، وفي امريكة الشمالية وبعض امريكة اللاتينية ، ليتردد في قبول اية فكرة سوء عن الاستعمار الانكليزي . ولما كان هذا الرأي العام يجهل العرب ، بقدر ما يعرف الانكليز فقد قبل بلا جدل ، ان العرب ، مجموعة من القطعان الهائمة في الصحراء ، لاروح فيهم ، الا ما ينفخه الانكليز ، عندما يشاؤون . ولقد اقنع اعضاء لجنة التحقيق خلال اقامتهم في فلسطين ان موظفي الانتداب المدنيين والعسكريين ، هم الذين يكرهون العرب بالقوة على الفرار من وجه اللجنة ، ومقاطعتها ، بينما خيل اليهم ان العرب لو ترك لهم الامر لاحتشدوا مواكب لتحية الاعضاء والترحيب بهم وقد اتيح لهم ، في مكان بعيد عن عيون الرقباء والجنود البريطانيين ، ان يشاهدوا خيمة يهودية كتب عليها بالعربية « ادخل ايها العربي هنا ... اهلا بك .. فنحن اخوان ... » وشاهدوا اليهود يشربون القهوة المرة في مضارب البدو !!

ولقد ربح الصهيونيون ربحاً كبيراً خلال العامين الاخيرين من حياة الانتداب ، فوطدوا حركة المقاومة ، ونظموها ، واستقبلوا المهاجرين بالمئات والألوف تحت عيون الانكليز ـ اصدقاء العرب ـ ، واستفادوا من حماية نظام الانتداب لهم ليتحدوا العرب ويتمردوا عليهم ، عندما كانوا يذيعون في كل مكان تحت الشمس فظائع

الحكم الانكليزي العسكري ، وقد استطاعوا بحادثة واحدة ان يضربوا سمعة الانكليز ، باكثر ما تفعله حرب ثلاثين عاما ، عندما حكمت محاكم فلسطين العسكرية على ثلاثة من عصابة الارغون بالاعدام ، فاختطف الصهيونيون جنديين انكليزيين ، واحتفظوا بهما رهائن للموت اذا نفذ حكم الاعدام ، حتى ان الجرائد الانكليزية نفسها اخذت في تيار الدعاية الصهيونية ، ومن لم يؤخذ ، كان يتساءل: فيمَ نبعث اولادنا الى فلسطين ليموتوا .. وكان بحث الانكليز على انهاء الانتداب .

الفكرة الرابعة - التي تشبث بهـا دعاة الصهيونية ، حتى رسخت اقدامهم في فلسطين ، هي (وعد بلفور) ولقد ظل الصهيونيون يتحدثون من بئر (وعد بلفور) وحده ربع قرن واكثر ، عندما لم يكن بين ايديهم من حيلة سوى الوعد ، وصك الانتداب ، الذي نص على دعم الوعد بوطن قومي لليهود . حتى اذا حان الوقت ، رجموا امة بلفور بالحجارة - واصبحت حجتهم الاولى الكسب بالامر الواقع - وبتأليب الرأي العام العالمي الى جانبهم ضد الانكليز وحلفائهم العرب . حتى ان الحزب الشيوعي اليهودي كسب عدداً كبيراً من الشباب العرب ، على اساس الحقد المكبوت ضد السلطة البريطانية .

ويقول أعضاء لجنة التحقيق الاحد عشرية ، الذين زاروا فلسطين ، أن الوعد البلفوري وثيقة شرعية بيد اليهود ، أصبحت قوة دولية ، بتأييد صك الانتداب لها ؛ ولا ينقص من قيمتها أن العرب لم يعترفوا بهـا او بالانتداب فأي وثيقة ابرمها الحلفاء ، وأخذوا فيها رأي الشعوب ذات العلاقـة ، بعد الحرب الكونية الأولى .. ؛ فقد سلخت أجزاء من هذه الدولة ، لتلحق بتلك ، دون استشارة الطرفين او معرفة رأي السكان . على أن الانكليز وقد عرفوا من اشتداد الساعد

اليهودي ما عرفوا ، حاولوا أن يمطلوا الوعد ، ويخونوا أمانة الانتداب ، فاذا لم تحقق جمعية الامم في جنيف وعد بلفور بالروح الذي اطلق فيها عام ١٩١٧ فان منظمة الامم المتحدة لجديرة بأن تثأر لليهود من نكول الانكليز . فالوعد لم يعد وثيقة بريطانية بل حجة دولية بيد أصحاب الحق ، عندما ينحصر النزاع في عرض الوثائق والحجج الشرعية .

وكانت الفكرة الخامسة التي أطلقها الصهيونيون ودعاتهم رداً على حجة قوية — اعترف حتى خصوم العرب بوجاهتها — هي أنه إذا كان لليهود حق في وطن قومي وإذا كان ضمير العالم يرحب بهجرتهم الواسعة غير المحدودة الى فلسطين وإذا كان وعد بلفور وثيقة شرعية في أيديهم فما وضع العرب سكان البلاد وأهلها إزاء هذا السيل الجارف ، أو ليس لهم ،مهما كان شأنهم، حق الاقامة والاستقرار في وطنهم !؟

كان جواب بن غوريون ، الذي تبنته لجنة التحقيق فيا بعد وسمه مندوبو الدول على لسان الصهيونيين في كل مناسبة : (**إن حقنا في فلسطين لايحده سوى قيد واحد ، إذا لم يفرضوه علينا ، فرضناه على أنفسنا وهو أنه لايجوز بحال من الأحوال أن يؤدي انشاء وطننا الى ترحيل السكان العرب من بلادهم .**

إذن — فأنتم تزعمون أن باستطاعتكم أن تعيشوا أصدقاء مع العرب — وجنباً الى جنب !؟ طرح هذا السؤال مندوب الهند في اللجنة الاحد عشرية ..

وكان جواب بن غوريون ، ووايزمان : أسسوا الدولة اليهودية أولاً ونحن على ثقة من أن الوقت سيحل عقدة الخلاف مع العرب . اعطونا الفرصة النامية وافسحوا لنا المجال لنأتلف مع الوسط ونتعاون مع العرب !..

كان بن غوريون ووايزمان أمام اللجان الدولية يتكلمان كما يتكلم النساك والزهاد الفقراء وكان الدعاة ينشـــرون آراء الوكالة اليهودية بان صحراء النقب وحدهـا لو أعطيت لليهود لكفتهم وطناً فالنقب لايسكن اطرافهـا سوى بعض العرب المترحلين بينما تتسع إذا استثمرت بالوسائل العلمية الحديثة لاسكان مليون ونصف المليون من اليهود وليس في سكنى الصحراء المتروكة مايضر بصالح العرب .

وسئل بن غوريون في لجنة التحقيق : إذن أنتم تطلبون من هيئة الأمم ثلاثة أمور . أولها الغاء الكتاب الأبيض وثانيها انشاء الدولة اليهودية وثالثهـا التعاون مع العرب ... لماذا لا نبدأ مثلا بالأمر الثالث وهو الأهم .التعاون مع العرب؟ وكان جواب بن غوريون ضعيفاً فاتراً : أيها السادة ! طالما أنه **باستطاعة العرب ان يمنعوا دولتنا من النشوء .. فلن يتم معهم أي تعاون .. ولكن إذا وضعوا أمام الوقائع المقررة لانوا واستكانوا !** .

لم يكن جواب بن غوريون مقنعاً ، ولكن الدول ذات العلاقة ، كانت على ثقة من أن مايجب ان يحدث في فلسطين هو انشاء دولة بالقوة ...

لقد طرح السؤال مندوب الهند ، وهو يخاطب - بن غوريون - : إذن تريد أيها السيد ، ان تحمل هيئة الامم على استعمال القوة لانشاء الدولة اليهودية ؟

فاصفر وجه الصهيوني أمام نظرات مندوب الهند،وتهرب من الجواب قائلا :

أنتم تفرضون ان القوة لم تستعمل ضد أحد قبل الآن !! اذن لماذا تستعمل القوة المسلحة ضدنا ! أليس الاسطول الانكليزي هو الذي يمنع هجرة الالوف من المعذبين الى بلادهم ؟!

قال مندوب الهند مهتاجـاً : هذا ليس بالجواب على سؤالي . ان القوة تستعمل ضد خارقي القوانين ... وهذا هو وضع المنع الشرعي لهجرة اليهود .

وهنا تدخل بعض الأعضاء لوقف المشادة بين الهند ، والصهيونية لقد كانت مشادة قصيرة ، ولكنها صورت نقطة الضعف في الفكرة الخامسة التي تذرع بها الصهيونيون ليحملوا العالم على قبول دولتهم في فلسطين ..!

لم يكن أحد من أنصار الصهيونيين ، يعتقد في قرارة نفسه ، ان اليهود سيخلدون الى السكينة والهدوء ، وان التقسيم ، سيضع كلا الجانبين ، في حدودهما المفروضة ، وان السلام في الشرق الأوسط يمالج عن هذا السبيل ولكن هؤلاء الانصار ، كانوا على ثقة من أن اليهود ، سيجدون لأنفسهم طريقهم .

زعم (غرانادوس) الغواتيمالي في كتابه — ان ضميره ، ليؤنبه ، اذ ينظر الى مصير العرب سكان البلاد ، في ظل دولة صهيونية . ثم لوى شفتيه طارداً شبح الضمير وهو يقول ان الجواب على هذه المعضلة ليس في الكتب ، فلندع هـــذه الأرض المضطربة تعطي جوابها ..!!

كان غرانادوس ، والمئات من أنصار الصهيونيين ، يتطلعون الى آفاق فلسطين ، يحجبها النقع ، والى الأرض تخضبها الدماء . وكان الصهيونيون انفسهم ، يستمدون للمعركة بلا هوادة . وكانت الدول التي تعضدهم ، تؤمن بحل أخير للمعضلة ، وهو الأمر الواقع .

لقد كسب الصهيونيون معركة الرأي العام العالمي في النقاط الأربع التي ذكرتها ، فبثوا رسلهم ودعاتهم في أقطار الأرض ، فلم يكن يعرف العالم صورتنا الا من خلال مضارب البدو ، والذئاب ، وحكومات الاقطاع المتأخرة على ان النقطة الخامسة التي تردد أمامها جزء من ضمير العالم : وهي انه اذا كان لليهود حقوق في فلسطين ، فما موقف الضمير العالمي ، من حقوق العرب انفسهم ؟ هذه النقطة ، كسب الصهيونيون معركتها بالعمل ، وبفرض الامر الواقع .

على ان القتيل الذي دفنوه ، وأهالوا عليه التراب ، لم يضع حداً للمأتم لأن الأرض لم تستطع أن تهضم الدماء ، ومازال المأتم قائماً .

فالدم المهدور على تراب العرب ، ليس سوى هؤلاء المعذبين المشردين الذين قذفتهم الموجة اليهودية المجتاحة ، ولا تزال تهدد بالاجتياح . واللاجئون حجتنا ، لدى ضمير العالم ، اذا كنا نعرف تقديم الحجج ، انهم كما يقول أحد أنصار الصهيونية أول جرح في صميم القضية الاسرائيلية .

لا أدري هل تذكر منابر هيئة الامم كلام بن غوريون : « ان حقنا في فلسطين لانحده سوى قيد واحد ، اذا لم يفرضوه علينا ، فرضناه على انفسنا : وهو إن إنشاء دولتنا لا يؤدي بحال من الأحوال الى ترحيل السكان العرب ... » .

ولكن ما أعلمه وتعلمونه أيها السادة ، ان الدول التي باركت اصابعها ، مع أصابع الصهيونية بدفن القتيل العربي ، ليروعها اليوم أن ترى بقايا دمائه على التراب تصرخ بوجه الصهيونية ، واسرائيل ، واعضاء لجنة التحقيق ، وهيئة الامم ، ومجلس الامن ، والمئات من السحرة والمشعوذين امثـــال غرانادوس . وهي تخشى أن يصبح اللاجئون بيد العرب ورقة سياسية ، كتلك التي كانت بيد الصهيونية ابان عهد هتلر ومعسكرات الاعتقال . فينقلب ضمير العالم ، وتحاصر اسرائيل محاصرة .

لذلك رأينا هذه الدول ، توجه نحونا انسانيتها المزورة المزوقة بدبلوماسية المبعوثين لتهيل التراب على آثار الدماء ، بعد أن اهالته على جثة القتيل فتلاحقنا ببعثات ، ومشاريع لتوطين اللاجئين ، ومنحنا المساعدات لاقرارهم نهائياً بعيداً عن اسرائيل .

انهم يخشون ان نحسن استعمال (حقنا المهضوم) بعد ان فشلنا في استعمال حقنا المشروع .

انهم يخشون ان تثير جريمة (الدماء المهدورة) ضمير العالم حيث عجزت جريمة القتيل الدفين . فيتهافتون على ابوابنا بكرمهم وسخائهم .. وما هم الا اعوان صهيونية ، تريد خنق الصوت وطي آخر اثار الجريمة ...

ولعلكم تعلمون مثلي ما اعلم ايها السادة ، ان ليس في بوادر نشاطنا العام ، ما يحقق مخاوف المتخوفين من استغلال ورقـة اللاجئين كما استغل اليهود ورقة مضطهديهم ..

نحن نصرخ دائماً بفظائع دير ياسين ، ولكننا نصرخ ألمنا في مجامع مقفلة وتحت قباب سميكة . ولا يبلغ الزبد الراغي حول افواه مفوهينا ابعد من مرامي اكتافهم وصدورهم .. اما ذلك العالم الكبير ، ذلك العالم الذي غدا عدوا فظاً قاسياً باحكامه علينا ، فهو لا يعلم شيئاً عن نوباتنا الصياحية تحت قبابنا السميكة ، ومجامعنا الطافحة بالزبد . فاي كاتب يستأجر استأجرناه ، واي ضمير يقتنع بالحق اقنعناه !؟ اين وثائق دير ياسين في الكتب والنشرات تملأ الشوارع والبيوت واين مأساة اللاجئين تلقى في رحاب العالم الواسع الأرجاء .؟! بل اية محاولة قمنا بهـا لندخل في ضمير هذا العالم العدو ، الذي اغلق دون جهلنا ابوابه واصبحنا اينا ارتمينا ، ومحـو اي معسكر اتجهنا لا نلقى سوى الوجوه المقنعة والابتسامات الصفراء والكهوف المطلسمة ، كاننا غرباء عن العالم ، ونحن نزعم لانفسنا رسالة وننسب لارضنا مدنية ، ودوننا دون العالم الاكبر ، عدو لدود وخصم عنيد ، نشر احابيله ، وبث عيونه وارصاده ، ووزع في ارجاء المعمورة السنته ولهواته ومهد للمعركة المرتقبة في فلسطين تمهيداً محسوباً ، مضبوطاً ، حتى اذا التقينا بـه

في جولة او بعض جولة ونحن نرميه باللصوصية ، والاجتياح، كان العالم بأسره من وراء العـــدو ، يسمينا باننا نحن المعتدون المجتاحون ، البرابرة ، اعداء الحرية والانسانية ، والحق .

ايها السيدات والسادة :

ان فن التهويل الذي احاق بقضيتنا ، بالرغم من ان لنا في منظمات العالم ممثلين ومندوبين ، ومبعوثين ضاعت اصواتهم في لجب العـــداء والازدراء ، واللا اكتراث ، ان هذا التهويل ، الذي احاق بقضيتنا فمسخها ونسبها الى نمو طحلبي في جذع الحركة الاستعمارية في الشرق الاوسط لافدح خطباً واجل شأناً من أية ضربة وجهت الينا من عدو يتقن فن العداء ، وما كنا نحسب له أي حساب .

لقد درس العدو نفسيتنا ، واحوالنا ، وعرف خيرنا من شرنا ، وأدرك دون عناء ، مواطن الضعف في حياتنا الاجتماعية والقومية ، وراح يضرب في مواطن الضعف هذه ، حتى بلغ من سمعتنا الدولية مأرباً ، فنفض قبائحنا بوجه الشمس ، ورمى على فضائلنا شارات من الشك والغموض . وإلا فكيف يضرب على هذه الاوتار الحسة التي ذكرتهـــا لكم دون أن يكون على علم مطلق بمواطن الضعف ، ومواقع التهلكة !

لقد هول في مبدأ اهمالنا استغلال الارض ، واستثمار خيراتها ، وصورنا قوماً ، بدائيين ، بداة عراة في مدننا وقرانا على السواء . نجهل خيرات الارض ونمنعها عن سوانا بكبرياء وصلف .. نهدد العدو بذبحه ، عندما تحين الساعة ، ونبتسم بسخرية عندما يقال لنا هذا يهودي ، كأننا اعظم من ان نشتمه .. ثم ننصرف الى اقرب مقهى من مقاهي البلد لنلعب الشيش بيش ؟!!

بلى لقد هول العدو في نقل صورتنا عبر البحار والصحاري الى

العالم في كل مكان . ولكن اليس اهمالنا الارض حدثاً واقعاً .. او ليس احتقار التراب الذي تتألف ذراته من اجساد الملايين من اسلافنا واسلاف اسلافنا امراً مفعولاً ؟! أوليس عجيباً أن يصبح اليهودي العالمي، الذي لم يتعلق قط بأرض ، ولم يرتبط قط بتراب ، ولم يكن همه سوى احتجان المال الخفيف والاستعداد للترحل أبداً، صاحب ولع وهيام بالارض مهما امتنعت عليه، بصحرائها، واجوائها ، وقحطها وحمياتها ، ونهمل نحن ، ثرواتنا البكر على سطح الارض وفي بطنها ونأخذ بالانحلال رابطة المواطن بوطنه ، تبعاً لتراخي علاقة الحارث بزرعه وضرعه . او ليس في نداء العدو على رؤوس الاشهاد اننا لا نستحق ارضنا ما يبعث على العبرة والتأمل !

قال صهيوني من عصابة الايرغون: أن نتراخى عن اهدافنا، ولو اشترك العالم بأسره مع العرب في فرض الحصار الاقتصادي علينا، ان نستسلم ولو بلغ بنا الامر أن نخفض مستوى معيشة افرادنا، حتى حدود مستوى معيشة الفرد العربي ..!

انه صهيوني من زمرة الكذابين الاشرين . وساحدثكم بعد قليل عن ضائقة اسرائيل .. ولكن هل لدينا فكرة عن انخفاض مستوى المعيشة الفردية في قوانا العربية بينما خيرات الارض تسرح في جنباتها وتدعو الى العمل والاقتطاف ؟

اما انقضيتنا القومية وعلى الاخص في فلسطين نفحة من روح الاستعمار الانكليزي ، واما ان جهادنا في فلسطين ، حركة مسرحية انكليزية يقصد منها العمل على ابطال وعد بلفور ، فتشويه واضح فيه التهويل والاقذاع والتمثيل ولكن ايها السادة اليست السياسة الاستعمارية هذه نقطة ضعف في حياتنا

السياسية ، للعدو فيها الف مجال للتقول والاستغلال والافتراء ؟ ! انني اترك لكم تصور خطر هذا الضعف واثره في حياتنا القومية ، والدولية بقدر ما تعلمون وتتصورون ، وحسبنا عبرة ان العدو يرينا مقاتلنا بروس حرابه .

لا ادري فيما اذا كان العرب قد صح عزمهم بعد ان بلغوا مابلغوه من استهتار بمصايرهم على ان يخرجوا الى ميدان العالم الواسع من نقطة الدفاع الى نقطة الهجوم وينفضوا على الملأ معايب الصهيونية ومثالب اسرائيل ويتقدموا الى الصفوف الامامية من موكب الحياة حيث الاذان والعيون التي تسمع وترى وتعي .

اقول لا ادري اذا صح العزم وانبلج الصبح ومضى دور الغطيط والنقيق وفطن العرب الى ضرورة دخولهم معركة العالم الواسع ، وهم على ذلك قادرون بامكانياتهم المادية المتوفرة . اقول لا ادري .. ولست هنا لأضع نصب العين برنامجاً للدعاية ، واساليب في قحم حصون العدو بل انني سألخص في تتمة حديثي نقاط الضعف في حياة اسرائيل حيث يجب ان نصوب السهام مثلما فعلوا بسهامهم الموجهة نحو نقاط ضعفنا ولست على يقين من انني محيط بالموضوع احاطة كافية لأن هذه المعرفة بدقائقها هي من عمل هيئات ومنظمات وحكومات وليست جهود المطالعين والباحثين سوى محاولات بدائية . ثم اعرض بعد ذلك الى مواقع القوة في حياة هذه المنظمة الصهيونية لاننا لانستطيع ضرب العدو الا اذا كشفنا في جسمه كعب اشيل ولعلكم تعلمون قصة البطل اشيل او اخيلوس الذي ادرع بالزرد والحديد من قمة رأسه الى اخمص قدمه وظل جزء من مؤخرة قدمه مكشوفاً فجاءه السهم القاتل فيه عندما عرف خصمه موضعه .

كذلك لانستطيع ان نقوى على العدو الا اذا عرفنا مواطن القوة فيه.

ان نقطة الضعف الاولى في القضية الصهيونية - بصرف النظر عن الاغتصاب وعدم الشرعية - التي انتشر دعاتها في ارجاء الارض ، يتحدثون عن مآسي اليهودية في المانيا ، ومذابح النـــازي ، ومعسكرات الاعتقال ، ومحارق الاجساد ، ويندبون حظ اليهود في عالم معاد لليهودية ، يطاردهم جلادوه ، تحت كل سماء وفوق كل ارض .. فهاموا على وجوههم ، حتى وجدوا في فلسطين مقراً ، لاينشدون فيه سوى العدالة والرحمة ، وابسط اسباب الحياة .. اقول ان نقطة الضعف في القضية الصهيونية هذه - امام الدول - وأزاء ضمير العـالم الحر - هو اقامة هذا الوطن على انقاض الوطن العربي ، وتشريدهم الالوف من اهل البلاد واصحابها ولقد سمعنا الكثيرين من انصار الصهيونية يشيدون باسرائيل ، ويهتفون بعدالة قضيتها ، ويقفون مفحمين ، امام هذا النوع الجديد من الاضطهاد والارهاب الذي يرحل شعباً عن دياره ليحل محله شعباً آخر .

وقد عرف التاريخ شتى انواع الاجتياح والقهر ، ومر تحت الشمس مئات الطغاة والفاتحين ، وذاق العـــالم في الاربعة قرون الاخيرة شر اساليب الاستعمار والاستثمار ، والانتداب والحماية ، والوصاية . وقلما عرف التاريخ جريمة ادمى من جريمة ترحيل شعب ، والقضاء قضاء مبرماً على خصم .

ولم يكن في نصوص وعد بلفور ولا في صك الانتداب ، ولا في شرعـة أنصار الصهيونيـــة ، ولا في مبـدأ التقسيم ، ان يسحق الوطن القومي الوف العرب ، ويذريهم في الجهات الاربـع - ويجعل عليهم وطنهم وارضهم حراماً ، بعد أن شقت خناجر الصهيونيين ، وهم يستجدون

الرحمة والعدالة في كل واد وناد – مؤكدين ومقتسين انه مفروض عليهم مساكنة العرب والعيش بجوارهم إخواناً وأهلا – كما زعم مراراً بن غوريون ووايزمن وأحزابهما .

لذلك نرى الدول التي أخذت بيد الصهيونية الى الشاطىء العربي ، توجه عنايتها ودرايتها ، وسياستها ، بكل قوة وحنكة ، – الى معالجة قضية اللاجئين بعد ان يئست من حمل اسرائيل على قبولهم ورد أرضهم وحقهم اليهم ، بالاسلوب الذي ترمي من ورائه الى هضمهم ، وستر طابقهم ، وانقاذ القضية الصهيونية ، من شبح الجريمة التي دشنت بها حكماً بناه مضطهدو هتلر والفارون من جحيم الخراب النازي .

فلا يكفي ان يرفض العرب حلاً انهزامياً مدبراً بالعمل على استيطان اللاجئين ومساعدة الدول العربية بامتصاصهم – بل لابد ان تنشر مأساة اللاجئين في آفاق الكون ، وتوجيه الحملة بدكاً وسخاء ، الى صميم سمعة اسرائيل الدولية . وانه لمن المؤسف ان يكون تقصير الدول العربية في هذا الموضوع معيباً ، بل داعياً الى الأسى والحزن .

ومن نقاط ضعف اسرائيل في الميدان الدولي ، وأخص بالذكر الميدان الاوروبي ، ماعرف من أخبارهم عن اضطهادهم الاديان غير اليهودية ، وفرضهم الرقابة الشديدة على الأحبار والرهبان ، وعنادهم في مقاومة تدويل القدس .

ان موقفهم من الاسلام ، ليس سراً . على انهم يحاولون بجهودات تبشيرية وسياسية ان يوهموا العالم المسيحي انهم أجدر من العرب ، بحماية الأماكن

المقدسة ، وانهم ديمقراطيون متسامحون ، تجاه المسيحية ، وممثليها، وقد استأجروا عدداً من الصحفيين والكتاب ، لينشروا في اوربة ، ويدافعوا عما الحق بسمعة اسرائيل من لوثات عنصرية ودينية - برزت واضحة في مطلع حكمهم .

لقد قتل اليهود عدداً من الأحبار والرهبان ، وسجنوا منهم عشرات ، وعطلوا وحجزوا أملاك ثماني كنائس في القدس ، وسبع في حيفا ، واخرى في الناصرة ، والجليل ، والنقب . ومرة رحلوا ثمانمائة من سكان قرية مسيحية ، وتركوهم في العراء بلا أكل وتحت السياط اياماً ، ليحملوهم على الاعتراف باسم راهب كانوا يلاحقونه لعلاقته بجماعة القائد القاوقجي ، وبلغت اخبار هؤلاء مسامع الفاتيكان . ولقد احدثوا من التخريب في الكنائس ماقدر من قبل لجنة مسيحية ببليون ونصف مليون جنيه . ولا تزال وزارة الدين في اسرائيل ، تفاوض ممثلي الكنائس في التعويض عليهم . وقدم راهب كبير ، باسم الفاتيكان ، ليفتش أملاك بعض الكنائس في اسرائيل ، فهاج الشارع اليهودي ، وصدرت الصحف بحروف كبيرة مطالبة بطرده ، زاعمة انه من أصل ألماني ، بالرغم من انه يحمل جوازاً دبلوماسياً من الفاتيكان .

وعندما أقرت هيئة الامم المتحدة تدويل القدس ، أقسم عشرة آلاف صهيوني من عصابة الارغون الذين يضمهم اليوم حزب (حيروت) أو حزب الحرية ، ان يعيدوا الى فلسطين عهد الارهاب ، ويقتلوا اي ممثل لهيئة الامم ، يصل اليها ليحكمها . واضطروا الحكومة ان تنقل نصف اداراتها الى الجزء اليهودي من القدس ، اعلانا بأن المدينة الكبرى هي عاصمة اليهودية ، واسرائيل . ولقد استطاعوا ان يقنعوا بعض الدول الكبرى بالسكوت عن تنفيذ التدويل .

ووقفت منظمة الامم المتحدة ، امام الفجور الصهيوني عاجزة مغلولة .

وأوفدت اسرائيل وفودها الى دول أوربة المسيحية تبشر بدين التسامح والاخوة في تل ابيب ، وآزر هؤلاء الدعاة ، مأجورون من مختلف الجنسيات لرفع الحواجز الصفيقة بين العالم اليهودي والمسيحي . وكانت نقطة الدعوة ان الاسلام عدو اليهودية والمسيحية معاً ، ويجب ان تتضافر الجهود لتطويق الخطر في مهده. ولقد أبدع اليهود فناً جديداً من الدعاية في اوربة المسيحيـــة ، فزعموا انهم وحدهم في الشرق الأدنى ، درع الوقاية الاكبر ضد الخطر الشيوعي ، وهم في هذا الميدان ـ كما يقولون ـ حلفاء الفاتيكان ، وكنائس المسيحية في العالم الغربي . كذلك فقد بثوا دعاتهم في اوربة ، لتبعث اليهم ألوف الزوار في المناسبات الدينية ، على ان تقوم اسرائيل بتسهيل شؤون الحج والزيارة .

اما نحن ، ودولنا وكنائسنا ، في الشرق العربي ، فقد وقفنا في هـذا الموضوع ، ومن نقطة الضعف هذه ، نتفرج ، ونتسمع . بل ليس لنا في الحق عيون ترى ، وآذان تسمع ، بينما تسعى اسرائيل الى فرض حصار عالمي صفيق حول عروبتنا واسلامنا .

ومن نقاط الضعف البارزة في حياة اسرائيل الوطنية والدولية ، انها مجموعة عصابات ، تحولت تحت ضغط الحاجة والضرورة الى مجموعة احزاب ، تحمل في ثناياها أحقاد العصابات واجرام قطاع الطرق ، وافانين الهوس السياسي .

وانه لمن عجائب هذه الدولة الخليط ، انها تتألف من رعايا اثنين وخمسين دولة ، وقد نشأ فيها حتى عام ١٩٥٠ سبعة وعشرون حزباً سياسياً ، وصل منها الى (الكنيست) أي مجلس النيابة ، سبعة احزاب ، يتوزعون مئة وعشرين مقعداً ، ويتطاحنون بنزعات اميركية ، وانكليزية ، وروسية ، وشرقية دينية ، وغربية ملحدة ، ورجعية توراتية ، وتقدمية ثورية ، حتى راج قول شائع في

اسرائيل : كلما اجتمع يهوديان تألفت منهم ثلاثة احزاب. وتتناسل الاحزاب في هذه البابلية العجيبة تناسل العقارب . فاذا اختلف اثنان في حزب ، خرج أحدهما ليؤلف حزباً . وتقف الدولة الصهيونية فوق هذه القلقلة من الحزبيات الرعناء ، كالارض التي تصورها الخرافة القديمة ، على قرن ثور ، وقد ضعفت حكومة العهد الاول التي يرأسها المغامر بن غوريون ، وهزلت امام مجلس لا اتجاه له ، ولا توجيه فحدثت أزمة وزارية منذ خمس اشهر ماتزال مستمرة باشراف حكومة مكلفة بادارة الاعمال ، حتى منتصف هذا الصيف حيث ستجري انتخابات عامة .

والاحزاب الكبرى الممثلة في (الكنيست) وليدة عصابات صهيونية ذات اهداف ومبادى متناقضة ، تألفت في اوروبا ، وامريكا ، وفي افريقية ، والشرق الاقصى . فحزب (حيروت) — الحرية — وليد عصابة الارغون زفاي ليومي — وحزب المبايام اليساري المتطرف ، وليد عصابة البالماخ — ومن عصابة الهاغانا ، نشأ الحزب الرئيسي حزب بن غوريون : الماباي — ويعتبر ابن غوريون اشتراكياً قحاً ، ما ان بلغ الحكم حتى حالف العناصر الدينية العريقة في التعصب ، ليكسب معركة المجلس ضد (المابام) اليساري . وصار يصوم السبت ، ويقيم فرائض الموسوية العتيقة ، وينحدر باستمرار في قبضة الطبقة الامريكية الحاكمة والممولة في تل أبيب أو في نيويورك .

وقد احدث الحزب اليساري (المابام) ثورة داخلية في البلاد واغلق المصانع شهراً ، مستغلا انحراف بن غوريون نحو العناصر الشرقية الرجعية ، ويرتقب أن ينال كسبا باهرا في انتخابات الصيف ، بحيث تتمزق اسرائيل بين محوري موسكو وواشنطن ، وتسقط القشرة الديموقراطية عن اجسام هؤلاء

«الغانغستر» ، فيعودون الى الشارع عصابات، لاتجمعها في اسرائيل سوى رابطة الحقد والانتقام والمغامرة . وانه لمن المؤسف أن تعتمد الدول الكبرى على أن لها قاعدة سياسية في اسرائيل ، واسرائيل مثل قشرة الجوز ، في خضم هذا الشاطئ العربي . ومن المؤلم ان يرتقب السياسيون في عواصم الدول الكبرى ، مستقبلا سياسيا لهذا الخليط البابلي العجيب ، الذي لايدرك له كنه ولا طعم ولا لون .

وتدور الآن معركة عنيفة بين اقصى اليسار الذي يمثله « المابام » واقصى اليمين الذي يمثله حزب « حيروت » أو عصابة الارغون . ويسمى الحيروتيون بالفاشيست، وهم اشد عصابات اسرائيل تطرفاً وعنفاً في عدائهم العرب . ويطمح برنامجهم السياسي الى اسكان عشرة ملايين يهودي في فلسطين ، والحاق كل الاردن، وفلسطين باسرائيل ، ويقود الحيروتيون معركة معارضة التدويل ويهددون امريكا، وبريطانيا ، وهيئة الامم المتحدة معا، وشعارهم في المعركة : لايقبلون بتدويل القدس ولو بثمن صلح مع العرب » .

ومعلوم ان أعظم اماني اسرائيل بجميع هيآتها واحزابها وعصاباتها عقد صلح قسري مع الدول العربية، لانه المنفذ الرئيسي للحياة ، والرجاء الوحيد بالحياة.

* * *

ومن نقاط الضعف في اسرائيل :ضيق رقعة الارض ـ وانهيار النظام الاقتصادي ـ أوفقدان أي وضع يسمى نظاماً اقتصادياً ـ وازمة الهجرة المستمرة اللامحدودة .

ثلاث نقاط ضعف في اسرائيل هي ثلاث مقاتل ، ليست تصح اهدافاً

لدعاية هجومية على مقياس واسع فحسب ، بل هي اهداف لسياسة عربية اذا صوبت تصويباً مضبوطاً ، تكفي لتطويق الجرثومة في مهدها .

ان المجهود اليهودي في استثمار الارض ، مجهود ضرب الرقم القياسي العالمي ، حتما لان كسب الرزق اكثر من عملية اقتصادية. انه حياة اوموت.

فثلث اسرائيل الجنوبي ، وراء المجدل والفالوجة في النقب ، صحراء قاحلة عبثاً حاول خبراؤهم الوقوع على اي ثروة معدنية تحت ارضها . امـــا احياؤها فيقتضيهم بذل ذرة ذهب ، لانعاش كل ذرة تراب .

والقسم الثاني في منطقة الجليل شرقاً وغرباً ،خصيب وصالح للاستثمار. ولكن صخوره تؤلف ثلاثة ارباع ارضه، وهناك ثلث ثالث في اسرائيل ، هو في المقام الاول من الخصب وقوة الانتاج ، ولكنه محدد الرقعة بالنسبة لضخامة السكان .

فلا عجب ان نراهم يستميتون في سبيل شبر من الارض ، ودفقة من الماء ، لان الارض هي العمود الفقري من هجرتهم . فقد اكتظت ، حيفا ، ويافا والقدس وتل ابيب ، بالوف القادمين من الشرق والغرب ، وبالرغم من حاجة المهاجر الى اقل اسباب العيش ، فالصحراء لاتغريه ، لاسيما اذا كان كدحه فيها يسير الجداء .

ويقول (بلبي) احد كتاب الاميركان الاقصار : ان انتاج اسرائيل، لا يمكن ان يتعدى شجر الزيتون والليمون. وستبقى الارض ممتنعة على الانتاج الزراعي الوفير ، وستبقى اسرائيل دون بلوغ حاجتها الغذائية اعواماً طويلة اخرى . .

اما ازمة الهجرة ، فهي الداء القتال ، بينما هي في سياسة اسرائيل ،

رأس الواجب البنائي . لان اسرائيل ، خرافة بـــلا فلاحين ، أو جنود .. فالحوب والحوث ، جماع هذا الكيان المهلهل والهجرة على مقياس واسع وحدها غذاء الحرب والحوث .

ولكن بينما يتدفق اليهود بمعدل ثلاثين الف يهودي كل شهر منذ الغاء قيود الهجرة فتقذفهم الدول الى مصنع الحرب والحرث ، تأخذ زحمة الزاحفين بالتكاثف ، فتضيق بهم معسكرات الانتظار ، وتقصر عن ايوائهم واطعامهم وايجاد عمل سريع لهم موازنة الحكومة . ففي عشرين شهراً تنتهي بأول عام ١٩٥٠ ـ اي خلال الفترة التي ابيحت بها الهجرة ، ولم يبق مايحول دونها ، قفز سكان اسرائيل من ٦٥٠ الفاً الى مليون وبعض الالوف . وتتوقع ان تجتذب بالاغراء ، والاكراه ، بعض ستمائة الف يهودي في السنوات الثلاث القادمة ، كما يرجو مندوب اسرائيل في هيئة الامم المتحدة (ابا ايبان) .

ولم يستطع انصار اسرائيل الذين يدعون لها بما يكتبون وينشرون ويذيعون ان ينكروا ، عدم قابلية اسرائيل لامتصاص هذه الالوف المؤلفة من المهاجرين من وجهة اقتصادية وعدم امكانها التأليف من وجهة قومية ، بين مختلف الثقافات واللغات ، والاوساط والعادات والتقاليد لأن الامة بمفهومها المعنوي ليست وحدة عنصرية او دينية فحسب ، بل فوق ذلك وحدة في الثقافة والتربية والروح واللغة .

اما اللغة العبرية نفسها فيتكلمها اهلها بلهجات متباينة ، لا يتفاهمون بها فيما بينهم ، دعكم عن خليط اللغات الاجنبية ، التي تحاول الدول ان تصهرها بعبرية مكتوبة جديدة ، ممتنعة على الكثيرين ، حتى في مستقبل بعيد .

اما اليهود الشرقيون النازحون من بلاد العرب وآسيا عامة فيؤلفون في

جنب اسرائيل عامة اجتماعية معضلة ، انهم بين اليهود الاوروبيين من بلغــار ويوغسلاف ورومان وبين يهود بريطانيا وامريكا الشمالية واللاتينية ، غرباء لا رابطة تجمعهم الى اقرانهم سوى وجودهم جنباً الى جنب . ويؤلف هؤلاء الغرباء ثلث سكان اسرائيل او اكثر .

يقول (بلبي) هــــذا الذي كتب بالانكليزية كتاب (نجم جديد في الشرق الادنى) ان اسرائيل بالهجرة الواسعة ، قد تحولت الى معسكرات خيام ومسقفات خشبية تذكرنا بمعسكرات الاعتقال والانتقال في اوربا ، والفرق ان المهاجرين في معسكرات الانتقال يحلمون بصهيون الجديدة . فاذا ماعدوا فيها ، عاشوا بلا احلام ، بعد طول عذاب ، واستمرار عذاب .

ولقد افلت مرة اربعون يهودياً يمانياً من مسقفات الخشب والقصدير في جوار العاصمة ، فمشوا اليها ، هاتفين : اعطونا عملا وخبزاً ، فما لبث ان انضم اليهم حشد من العاطلين والموتورين ، فاصبحوا اربعمائة ثم ثمانمائة ببضع دقائق فهاجموا (الكنســت) اثنــــاء انعقاده ، واحتلوا ساحته ، واصطدموا برجال الأمن فوقع قتلى وجرحى . قيل ان الشيوعيون قد دبروا هذا الهياج ، والامر الواقع أن اسباب التمرد اعمق . فهؤلاء الذين حلموا سنوات ، بل قروناً ، بارض الميعاد لم يجدوا فيها عندما بلغوها سوى القعود ، والانتظار ، ومعسكرات الحشد ، ومستقبلا فقيراً .. ! وانه لمن الطبيعي ان يتذمروا ويشذوا .

ويلاحظ بعض الاميركيين ان هجرة يهود اميركا الى أرض الميعاد ، قد فترت ، ثم تضاءلت وكادت ان تقف ، فبلغت في العامين الاخيرين ، بنسبة ٢٠ اميركياً كل شهر .. بينــــما تؤلف هجرة يهود الشرق وحدهم سبعين في المئة . وكتب آخرون يقولون ان الاميركيين الذين جاؤوا فلسطين ، فحاربوا

في صفوف اليهود، طيارين ومشاة ، ما لبثوا ان نكصوا الى بلادهم فور اعلان الهدنة هاربين من جحيم لا يطاق، ويأسف المراقبون اليهود اذ تتقلص عن اسرائيل عناصرها المهاجرة النيرة ، وتتدفق عليها كالظلام عناصر الوحشة، والفقر، ولكن سياسة اسرائيل ، على اختلاف اراء مصلحيهـــا ومفكريها لا تزال عطشى الى مزيد من الهجرة الدافقة مهما كان نوعها لانها تريد من ترميمهم الى التراب الجاف، ووراء المدفع والرشاش .

ولقد اسفر هذا الجشع عن ردة فعل عنيفة في بعض اوساط المهاجرين الجدد فسجلت فروع قنصليات اميركا عام ١٩٤٩ خمسة عشر الف طلب عودة الى الولايات المتحدة . وسجل مئات من يهود مراكش اسماءهم للعودة الى فرنسا أو مراكش . ولكن الحكومة تقمع روح الهزيمة بلا شفقة ، وتتعاون مع القنصليات الاجنبية في إقامة العقبات ضد تيار العودة . وكانت اكثر مطالعات هؤلاء في سجلات القناصل - انهم لا يطيقون البقاء - على تفاهة حياتهم الاولى ، فقد خدعهم عملاء المؤسسات الصهيونية التي تنظم تدفق الهجرة .

أما الوضع الاقتصادي العام فيكفي ان اذكر لكم كلمة أحد المراسلين الذي لاحظ ان موازنة اسرائيل هي هبات الصهيونيين وتبرعاتهم . فاذا انقطعت عاماً واحداً هلكت الدولة .

وغير خفي أن اسرائيل ليس لديها ما تصدره سوى البرتقال والبوتاس ، والاسنان المستعارة . باصطلاح أحد الكتاب . لذلك فقد بلغت مصدراتها عام ١٩٥٠ - نحواً من ستة عشر مليون ليرة يهودية . بينما بلغت مستورداتها ثمانية وثمانين مليون ليرة فهبوط الكفة على الكفة واضح فاضح . وليس ما يعدل بعض الاختلال سوى أموال الصناديق اليهودية في العالم - وعلى الاخص في

امريكا. على أن استمرار الهجرة يجعل حتى هذه الاموال قاصرة عاجزة - لأن المهاجر الواحد يكلف الحكومة منــذ استقدامه ، وابلاغه اسرائيل، وحجزه زمناً ، الى ان يجد عملا ، ألفين وخمسمائة دولار . فاذا استطاعت اسرائيل تنفيذ سياسة الهجرة باستقدام مليون يهودي آخر الى أرض الميعاد ، كلفها ذلك مليارين وخمسمائة مليون دولار ، وهو مبلغ لاتستطيع مجموعة صناديق النداء اليهودية في العالم ان تجمع نصفه .

وهكذا فاذا وقفت الهجرة جفت اسرائيل ، وضمرت ، واذا استمرت الهجرة هددت كيان هذه المجموعة البابلية بالانهيار ، بالاضافة الى ما ذكرت من شتى أسباب الضعف والهزال المادي والمعنوي .

أيها الاخوان

لن يتسع صدركم أو وقتكم لأكثر من هذا ، كما ارجح ، وليس علي ان أنبسط في هذا المقام ، أكثر مما فعلت . إنني لأرجو أن تنهض لمثل هـــذه البحوث والدراسات المتواصلة ، حكومات ودول ، آن لها أن تعرف مواقع العدو لتهاجمه ، وتكشف مقاتله لتوسل في صميمها السهام . بل آن لها انتعرف نفسها بالبدء ، لتدرك اي سير أعوج تسير في ركاب القافلة واي إيمان ضعيف، تقعد به نفسها للمعركة الضارية .

وقد يخطر لبعضكم ان يتساءل اذا كان حال اسرائيل ماقد وصفت ، من ضعف ، واشراف على الانهيار ، فلا حاجة بنا الى بذل الجهد ، وارهاق النفس ، فان زمناً قريباً لابد ان يأتي ، فنرى اسرائيل خراباً وركاماً .

من الواجب ان نطرح على انفسنا مثل هذه الاسئلة الغامضة، ونتحرى اجوبتها من صميم الواقع.

والواقع يؤكد لنا انها السادة ان اسرائيل تقد من مواطن ضعفها قوة وعزماً. وليست كالضعفاء الذين ينامون على الضعف، والمرضى الذين يهيلون على رؤوسهم التراب وينامون.

قد تكتم اسرائيل عن العالم، مواطن الداء في كيانها او بعضها — بما ما قد يؤول امره الى استنزاف الهبات، والعطاءات، والمساعدات — ولكنها لاتكتم عن نفسها، داءها، ولا تلتحف بغرورها، او تغفي في دروعها.

فالأرض الضيقة التي تضم آمالها وآلامها، احدثت فيها اسرائيل معجزات في الارواء، والتجفيف. فالجبل احالته خضرة كاسية، والمستنقع ظلالاً وارفة، والصحراء مجموعة من الواحات المثمرة المنتجة.

فلنذكر ان الصهيونية منذ بدأت تزحف نحو فلسطين جدياً، اي عام ١٨٨٠ حتى عـام ١٩٤٧ خلال ستين عاماً، بنت مائتين وسبعين مستعمرة — ولكنها خلال عاميها الاخيرين فقط بنت مائتين وخمسين، بسرعة العمالقة التي تبني قصور ملوك الخرافات.

... وبدأت بتل ابيب مجموعة من الخيام والسقفات الخشبية عام ١٩٠٨ تضم اربعمائة وخمسين ساكناً، فغدت اليوم بعد نحو من اربعين عاماً ثلاثمائة الف ساكن.

صحيح ان اسرائيل خليط بابـلي عجيب من الجنسيات والمعتقدات والنزعات، والاهواء والتيارات السياسية العالمية، ولكنها استطاعت ان تشد

هؤلاء المغامرين برباط الشوق الى الارض ، وبعصبية الانتقـــام ، والغزو والاستعداد للحرب .

ان زعماءهـا يصيحون في كل واد وناد : شعارنا العودة الى الارض .. — نريد : فلاحين وجنوداً !.. — وليست سياستهم وراء الهجرة غـير المحدودة سوى انشاء صف واحد من البشر الكادح : يد على المحراث ويد على الرشاش — كما يقولون — يعلمونهم حب الارض ويعلمونهم كيف يدافعون عنها .

ليس الفلاح في اسرائيل ، ذاك البشري المهمل المنفي ، الناقص الوطنية الضعيف الثقة بنفسه وبنجاحـــه ، المعتكف على ارض بخيلة ، وبقرة عجفاء ، وعنزة ضامرة ، وبضع بيضـات ، كسولاً ، خاملاً لاتربطه بالمجتمع رابطة العطف ، ولا بالارض رابطة الشغف ، والطموح ، والانتاج والابداع . ان فلاح اسرائيل هو وحدتها الاقتصادية الاساسية وانسانها المكرم ، وجنديهـا الكادح ، وعاملها المجد الطموح ، انـه روح الدولة الصهيونية ، ورجاؤها ، ورخاؤها ، وان شعباً ينجح في اسكان مليونين من هؤلاء الفلاحين المحاربين ، رجالاً ونساء ، ارض فلسطين خلال السنوات الاربع القادمة ، سيتمكن من اسكان مليونين آخرين ، في السنوات الاربع التي تلي : لأن التجربة اذا نجحت بأساسها ، بلغت بنجاحها الاوج .

واذا ضاقت الـحدود دون الموجة الصهيونية العارمـة كان من البديهي الطبيعي ان تنفلت هذه الموجة ، الى ماوراء حدودها ، فتتعدى الحـدود الى السهول الممرعة الطيبة المتروكة بيد اصحابها بوراً ، ومرافد للخاملين .تلك هي سيرة التاريخ ، والغزوات ، والهجرات الكبيرة . والعاقل من اعتبر .

ان الفلاح الصهيوني ، في موطن الضعف ينقلب الى محارب شرس أشر ..

وليس من نقطة ضعف في اسرائيل لاتنقلب عندالضرورة الماسة تيارات وفيضانات

نعم إ نحن بحاجة الى معرفة العدو ، والاحاطة بأسواره وأسراره ، لنقول للعالم ، اذا كان لنا لسان ان ضعفه كذب جائع ، هو قوته كذب مفترس ، كذلك لن نطمع في حلمه اذا شبع ، لأن أذرعـه الاخطبوطية الممتدة في الارض لاتلبث ان تمتد ، رويداً رويداً لتطبق على أراض أبعد مدى وخيرات اوفر غنى .

ففي مواطن الضعف التي ذكرتها وفي مدى سياسة عاجلة تعمل اسرائيل ومنظماتها الدولية في العالم للخروج من عزلتها ، المضروبة عليها في نطاق الحصار العربي ، والانسياح حرة في عالم واسع تأخـذ منه وتعطي وتلقى فيه باب النجاة الوحيد .

يقول (ايبان) مندوب اليهود في هيئة الامم ، ان المعضلة اليهودية هي هل يمكن تتويج نصر اسرائيل العسكري والسياسي بنصر اقتصادي؟

«.. ان سبيل النجاح واحدة ليس الا ، هي ادماج اسرائيل في حياة الشرق الاوسط عامة ، والعمل بأقصى السرعة ، لعقد صلح مع الدول العربية.

ويقول ايضاً ان كل مساعدة مالية او اقتصادية تقدم لدول العرب يجب ان تكون مشروطة ، بتقريب الشقة بين العرب واسرائيل . ويقول كتاب آخرون ان سياسة الدول الكبرى مع العرب في باب المساعدات ان يعطوا تقتيراً ... ولآجال طويلة ، فلا يستفيدوا منها في الوثوب العاجل ، او أن يستغلوها اشد أزرهم ضد اسرائيل .

وغني عن البيان ان قوى العالم التي حاربتنا الى جانب اسرائيل ، تعمل اليوم بشتى أساليب المكر والدهاء ، بل أساليب الافساد ، والاغراء والتخريب لبلوغ هدف اسرائيل في عقد صلح مع العرب ، والتهافت على مخرج الخلاص ،

وإذا كان من الطبيعي ان نرفض بلا تردد : دفن قضية اللاجئين كي لا تخسر ورقة نومها في ميدان العالم الاكبر – اولا – وعقد صلح مع اسرائيل ثانياً – . فعلينا ان نتوقع ثالث الاحتمالات المحتومة وهي ان اسرائيل ستحارب حتماً ، وان لم تجد لها السياسة الدولية مخرج الخلاص بالسلام ، شقت سبيلها اليه بالحرب وقوة السلاح .

ان اسرائيل ستحاربنا ... وستبدأ بنا نحن ، لا لأن رقعة ارضها ضيقة وميزانها الاقتصادي منحرف ابداً الى الاختلال ، وهجرتها تزيد عليها انتشاراً وفتكا .. فحسب .. بل لأن الرباط القومي والديني ، الذي يربط اليهودية العالمية ، وهو في شرع الانصار انفسهم رباط واه ، ركيك .. لابد من شده بنفخ الخطر ، في نفوس اولئك المغامرين ، وتأليف مايزعم انه وحدة وطنية ، بآصرة الضرورة القاسية او الحاجة القارعة ... وسيأتي يوم ، تساق فيه اسرائيل سوقاً ، الى رمي فلاحيها وجنودها ماوراء الحدود .

ان هذا اليوم ، ليس ببعيد حتماً ، لأن الصهيونية وأعوانها ، يدأبون الساعة على فتح ثغرة في الصف العربي ، لاجراء تجربة في صلح جزئي او منفرد – كما يقـــال – فاذا نجحوا ، فتحوا الثغرة في الموكب العربي ، والغرق محتوم . واذا لم ينجحوا ، اطلقوا آخر سهامهم في الجعبة . وليس في هذه الجعبة سوى الغزو .

ان اسرائيل ايها السادة ، بحاجة الى ارض ، او الى حرب . فأما الواحدة ، وأما الاخرى . وإذا كنا نرفض الاعتراف باسرائيل ، كدولة ، تمسكاً بمبادئنا ، واعتزازاً بكبريائنا ، وصوناً لمصلحتنا القومية الواحدة ، فأولى بنا على الاقل أن نعترف باسرائيل كخطر ، وندرك بلا ادنى تشكك .. أن الخطر متفجر ، غداً أو بعد غد .

ليس لاسرائيل ، في مدى اعوام تلي سوى سياسة واحدة ، لجمع شتات سكانها ، وجعل بابليتهم دولة ، وتصدعهم وحدة ، سوى الانذار الدائم بالخطر العربي ، واستعمال سلاحها الذي تسميه دفاعاً ، للهجوم والخضوع لعصبية عصاباتها التي تتغذى بروح الشر والانتقام ، وليس يدعم كيانها أي سبب آخر .

ومنذ ان تضاعف خطر حرب عالمية ، راحت اسرائيل تضرب على وتر السلام في الشرق الادنى ، بمعنى أن ادماج اسرائيل في حياة الشرق ، متعاونة مع دوله ، شرط وضمانة للسلام وهي بهذا تنشىء لها سياسة دولية مرموقة .

ان اسرائيل ، لاتزال تكسب معركة اثر معركة في ميدان السياسة بفضل قوتها الدولية ، وتأثير دعايتها في الرأي العام العالمي . ففي جو نفخت رياحه في الاتجاه الذي تريد ، منذ نشوء هيئة الامم المتحدة ، كسبت معركة التقسيم ، ومعركة الاعتراف بالدولة ، ومعركة وقف تدويل القدس . وكان للهدنة معركة ربحتها ايضاً ... وهي لاتني توجه نشاطها لكسب المعركتين الثانيتين بتصفية معضلة اللاجئين خارج حدودها ، وعقد الصلح مع العرب .

وان تزعم اسرائيل انها ربحت المعركة العسكرية بله السياسية ، فان زعمها باطل ، ولغو ، وليست لانتصار انها أي مسحة عسكرية . لأن رحى الحرب اوقفتها الايدي التي تصنع السياسة لا السلاح . ولأن الجيوش العربية ، مهما قيل في ضعف تنظيمها ، واعدادها ، وتجهيزها ، لم يتح لبعضها أن يستمر في الحرب ، ووقف بعضها الآخر - وبالأسف - جمداً في الميدان ، كالحجارة في رقعة الشطرنج .

ان جيوشنا لم تقهر ، وجيشنا السوري كان على قلب العدو ، عندما ترك المعركة وألقى السلاح .

والجيوش العربية لم تخرجها الهزيمة من فلسطين ، بل اخرجتها السياسة . ! وليس ضعفنا في اعداد قواتنا العسكرية الى الحد الذي يتوهمه الكثيرون ، بل ضعفنا في اعداد قواتنا العقلية والخلقية . فلا تسلوا الجيوش لماذا وقفت ... ثم انسحبت ، بل سلوا العقول لماذا ضل حكمها ، والقلوب لماذا وهن ايمانها .

وليس المحاربون الذين وفروا ارواحهم في النار المقدسة ، بـــل السياسيون والارباب ، الذين وفروا هاماتهم الفارغة ، وقلوبهم المريضة .

فلا الأموال تنقصنا ، ولا السواعد المفتولة . ان الأموال في إبان الشدة ، توهب تبرعــاً ، أو تؤخذ كرها ... وهي موفورة في كلا الحالين . والسواعد القوية ، تجند اجبارياً ، او تحشد باختيار ذاتها . . . ولكن أين من يضع في عقول الرجال نوراً وحكمة وفي قلوبهم هدى وإيماناً !! . .

* * *

قرأت لمراقبين عسكريين أجانب ، إثر معركة فلسطين ، مطالعات في امكانيات جيوشنا العربية ، عززها لي وأكدها بامثلة ، اخوان عرفتهم. وجماع القول في المحاربين العرب ان أفرادهم لاتعوزهم الرجولة ، والطموح ،وصفوفهم لاينقصها النظام ، ولا قيادتهم الجرأة . على أن المراقبين أجمعوا على القول بأن نقطة الضعف في هذه المنظمات العسكرية هي الاستخبارات .

فلم تكن هذه الفرقة المهاجمة ، بحاجة الى عتاد ، وفتوة ، وبطولة ، وروح فداء ، في قحمها موقعاً صغيراً للعدو ... بذلت في الاتيان عليه كثيراً من الارواح والسلاح . بل ان ما كانت تفتقر اليه معرفتها على الضبط ، حقيقة هذا الموقع لتعرف متى تضرب ، وكيف ؟!

ولست اتردد في القول ان هذا النقص عرض عام من اعراض داء مستشر يدل في اقل مايدل عليه على تقصيرنا في كل ماهو عمل عقلي ، وتنظيم فكري . فالاستخبارات في الجيوش ، كالوعي وادراك الواقع في السياسة ، هي من عمل الذكاء ، والابداع في اية منظمة او جماعة .

لا ادري الى اي حد نعرف عدونا او نجهله عسكرياً !? ولكنني على يقين من اننا نجهله سياسياً ، ولا نقدر خطره حق قدره . فقد عرض لي منذ اعوام ، أن اقترحت على مجلس من المسؤولين ، إنشاء برنامج اذاعي — بالعربية والعبرية لمخاطبة سكان اسرائيل ، مخاطبة قائمة على التحقيق ، والدرس ، والاطلاع الدقيق . وبنيت فكرتي على اعتبار أساسي هو أن اسرائيل دولة منحلة العناصر قلقة الخواطر ، مهتاجة ، في ظرف عصيب ، مستعدة لتقبل الكلمات المجنحة الذكية ، اذا عرفت كيف تصف داءها ، وغرورها ، ومغامرتها ، وبؤسها ، وعلى الأخص اذا قلنا لمن نخاطبهم أن العرب لم يعادوا اليهود ، بل الصهيونية ، ولم يحاربوا ديناً ، بل كفراً . ولم يناهضوا مبادىء العدالة ، بل مكائد الاستعمار . . فاجمع من سمع اقتراحي من المسؤولين على أن الفكرة خيالية ، وان العرب لأرفع من أن يخاطبوا اليهود هكذا . . وبلغتهم العبرية ! . .

ولقد ثبت لي يوماً بعد يوم ، وحدثاً اثر حدث ، اننا محجوبون عن الوقائع والحقائق ، بعصابات كثيفة من الغرور والجهل ، واستبعاد الخطر وان سياستنا بالحق لادماغ لها .

اننا لانريد ان نعمل ، ونفكر ، وننظم ونحشد . . الا اذا وقعت قنابل الطيارين الصهيونيين في قلب العاصمة . . ولكن عندما تقع هذه القنابل يبطل تفكيرنا ، ويختل نظامنا .

ومثلما اهملنا معرفة العدو ، ومخاطبته في عقر داره ، ومهاجمته وراء حصونه ، كذلك اعرضنا عن العالم الخارجي الكبير ، الذي لم يسمع من دفاعنا عن انفسنا سوى صيحات الكبرياء ، والغرور . وقد رأينا في معرض التحدث عن اساليب العدو في الدفاع عن حقوقه ، انه لايتحدث كثيراً عن هذه الحقوق وعن نفسه بقدر مايغوص في مثالبنا ، ومعائبنا كاعداء ، لاحق لنا ، ولا قدرة لنا على استحقاق الحق ، وظل هكذا حتى اغرقنـــا في تهاويل اشباحنا المفزعة .

لذلك عندما يقول العالم انه لم يسمعنا . ولم يتعرف الى وجهنا ، وعندما يقول انصارنا انهم لم يقرأوا لنا ، أو عنا ، حديثاً معقولا ، فانهم على صواب !. اننا في معاركنا السياسية ، مع العدو ـ ولم تكن تلك المعارك الا سياسية ـ لم يكن لدينا مانذيعه على الكون ، سوى ذلك الرشاش من الزبد الطاهر .. الذي يرغي على افواه مفوهينا ، ثم يقع على مرامي اكتافنا وذقوننا !! ..

* * *

أيها السيدات والسادة :

في ذكرى دخول الجيوش العربية فلسطين ، لم احدثكم عن الجيوش وميادينها ، والحروب وعوامل الانتصار والانكسار فيها . بل كدت لا اذكر الجيوش في ذكرى دخولها ، لأنني على يقين من ان سر هزيمة العرب ، لم يكن قط في ميادين الحروب ، بل في ميادين السياسة . ولو كان وراء جنودنا ، سياسة فيها دماغ نير ، وقلب مضطرم مؤمن لبدل الله حالنا تبديلا ، وجعل من عسرنا يسراً واوطأ لنا مكائد الرجال وشدائد الزمان .

ولكنها السياسة ... التي جرعت جنودنا الهوان ، واوقعتهم في فخاخ الهدنة ، وذرت عليهم رماد الخمود وجعلت من دولنا السبع في نظر اليهود ، سبعة اصفار.. هي السياسة التي لطخت بالخزي جباه الملايين من شباب العرب ، فاقعدتهم في مرابض العجز يستمعون الى صرخات اسرائيل الفاجرة : ان اسرائيل وحدها قادرة على مقابلة الدول العربية مجتمعة .. !!

ايها السيدات والسادة ..

في ذكرى دخول الجيوش العربية ، حسبكم ان تذكروا سيرة جيشكم الفتي ، الذي دخل معاقل العدو ، وركز فوق هضابها علمه ، وغرس هيبته . وقد تراخت يده عن اللواء المرفوع ، دون تخاذل ولاخور . فلم يلحق بنفسه هزيمة ، ولا بشرف امته عاراً ...

وستبقى آثار أقدامه في رقاب العدو ... حتى يأذن الله له بالعودة .

١ ــ الهدايات

ترجو ادارة المعرفة من اصدقائها الاساتذة الذين ترسل اليهم المجلة هدية في سورية أو في الوطن العربي او المهاجر أو البلاد الأجنبية، ان يتكرموا باعلامنا كتابياً، عن وصول المعرفة اليهم بانتظام، وإلا فستكون الادارة مضطرة الى التوقف عن ارسال المجلة، بسبب الشك في صحة العنوان المرسل اليه.

٢ ــ المقالات

لاترد المقالات الى اصحابها ومرسليهـــا، نشرت أم لم تنشر ونرجو مراسلينا قبول عذرنا.

الى المؤلفين وأصحاب دور النشر

ان تحرير (المعرفة) لن يقصر في أداء واجبه نحو المطبوعات العربية التي تصدر في أي بلد عربي، ويسعده في كل حين أن يقوم بهذا الواجب الثقافي القومي خير قيام. على أنه من الواجب أيضاً أن ندعو الأساتذة المؤلفين وأصحاب دور النشر الى مساعدتنا وتذكيرنا بمؤلفاتهم ومطبوعاتهم، واهدائها لمجلة المعرفة ــ اذا أمكن ــ ليتيسر لنا الاطلاع الكامل على النتاج العربي والمشاركة في تقييمه وتقديمه لقرائنا.

ــ مجلة المعرفة ــ دمشق

حول تبرئة اليهود

— ٢ —

- في التبرئة
  تقديم تحرير المعرفة
- بدعة تبرئة اليهود من دم المسيح
  بقلم المطران ابيفانيوس زائد
- قتلة المبادىء
  بقلم عبد اللطيف شرارة
- شهادة الانجيل في مسألة تبرئة اليهود من دم المسيح
  للدكتور عبد الكريم الاشتر
- من قتل المسيح ؟!
  ترجمة ملخصة عن مجلة (بورغيزه) الايطالية

في التبرئة

تقديم تحرير المعوفة

يرى تحرير المعوفة أن يلفت الانتباه الى أن معركة التبرئة في العالم، أثارت من جديد السؤال الكبير : هل اليهودية هي الصهيونية ؟! وكان جواب شطر كبير من العالم المسيحي الغربي، وكل العالم المسيحي الشرقي ان اليهودي المعاصر، غدا رجلاً سياسياً صاحب قضية، فهو صهيوني حقا، طالما أنه غير مكتف بجنسيته التي ينتسب اليها، وغير قانع بالولاء للدولة التي يعيش في ظلها . فاذا كان صاحب ولاء لوطنه، ولم يكن في الوقت نفسه متأثراً بتقاليده الدينية، استطاع أن يكون مواطناً شأنه شأن أي مواطن . وهذا النوع من اليهود قليل .

على أن النظرة الدينية المسيحية ضد تبرئة اليهود من قتل السيد المسيح، ترى أن (التبرئة) سواء أصدرت عن اليهودية قبل الصهيونية، أم هي من صنع الصهاينة الجدد، فهي موجهة إلى ركن أساسي من أركان العقيدة المسيحية والتاريخ المسيحي : وبعنى أوضح أن (التبرئة) هي حكم قاس بكذب الأناجيل الرسليّة التي قام عليها الدين المسيحي .

حتى لو ادعى أنصار (التبرئة) أنهم إنما يبرئون (الأحفاد) دون

الأجداد ، على أساس (لاتزر وازرة وزر أخرى) فالجواب أن اليهود القدامى الذين قتلوا السيد المسيح ، كانوا يصرخون بملء أفواههم : (دمه علينا وعلى أبنائنا) كما جاء في الأناجيل . ومعنى هذا أن اليهود أدانوا أنفسهم إلى الأبد . لاسيما وأنهم لايعـــترفون اليوم بظهور (المسيح) والمسيح هو الذي ينتظرونه لأنفسهم . ولو اعترفوا به ، لبطل الدين اليهودي . ولن يعترفوا . حتى لو ظهر لهم من جديد لقتلوه ثانية .

كل هذا ، بصرف النظر عن الوقائع الخاصة في التعامل المدني بين يهودي ومسيحي يتعايشان في ظل دولة واحدة وينسى الواحد والآخر انجيله ، وتلموده ، في ممارسة الحياة اليومية البعيدة عن مؤثرات التاريخ . كما هو طابع بعض المجتمعات الحديثة ، والانسان المعاصر .

يبقى القول أن هناك اتفاقاً عاماً ، دون خلاف ، على أن الحافز الأول والأساسي في التبرئة هو حافز سياسي وراءه الصهيونية العالمية . وأن اسرائيل وهي تحارب الأمة العربية عدوها الأول ، تريد أن تعزل العرب عن أنصارهم في أوساط المسيحية العـــالمية ، أو حيثما تشعر أن الدين حاجز ضد الصهيونية واسرائيل .

وقد رأينا في بعض بحوث القسم الأول من هذا العدد الخاص أن الصهيونية واسرائيل يطاردان العرب ، ليس في الاوساط المسيحية فحسب ، بل في الأوساط الاسلامية الافريقية والآسيوية أيضاً ، أملاً في اخلاء الرأي العام العالمي ، من حول الحق العربي ، والقضية العربية الكبرى .

والعربي القومي الحديث ، المؤمن بحقه وبعدالة قضيته ، وبوحدة أمته — وفلسطين فقرة أساسية في صلب الوحدة — ان هذا العربي لايريد

استغلال الدين، أي دين، في سبيل اثارة الأحقاد الدينية ضد اليهود، كيهود، بل هو يطمح طموحاً مشروعاً الى كسب رأي عام عالمي بجانبه، ضد الصهيونية كقوة سياسية عدوانية مجرمة. وضد اسرائيل، ككيان سياسي غير شرعي، قام على الاغتصاب والدم والحقد.

وهذا الكيان غير الشرعي، العدواني المستمر في عدوانيته يوماً بعد يوم، تحت أنف (الشرعية) العالمية، لايريد قط أن يبرىء نفسه من قتل المسيح — حقاً — بل تبرئة دولته من جريمة اغتصاب وطن، وتشريد شعب، وهدر حق. وطن العرب وشعبهم وحقهم.

والا فماذا يضير العربي الحديث أن يسود السلام بين المسيحيين واليهود في روما، أو باريس، أو نيويورك، طالما أن هذا (السلام) ليس قلعة استراتيجية للانطلاق، ضد السلام كل السلام، وضد العدل كل العدل، وضد العرب كل العرب.

نقدّم، بهذه الكلمة، لمشادة التبرئة التي ننشر حولها بعض الآراء، والبحوث، ووجهات النظر الدينية، أملاً بأن تتزوّد (ثقافة المعركة) بجميع وجهات النظر في هذا الموضوع المعقد الخطير.



بدعة تبرئة اليهود

من جريمة قتل السيد المسيح

للمطران ابيفانيوس زائد (*)

لم يتوقع احد من المسيحيين وغيرهم ان يقر، المجمع الفاتيكاني المنعقد في رومة سنة ١٩٦٤ بأغلبية كبيرة، تصريحاً يبرىء به اليهود من جريمة صلب المسيح. فقد مر على صلبه نحو الفي سنة لم يحاول خلالها اليهود بذل اقل مسعى للحصول على تبرئتهم من دم السيد المسيح الذي صلبه اجدادهم ظلماً وافتراءً ولم يصدر عنهم حتى الآن اي تحول اوعمل يدل على ندامتهم، بل بالعكس لايزالون غيرمؤمنين ينتظرون مسيحاً آخر ليثبتوا التهم التي الصقوها بالسيد المسيح واهمها انه بعلزبول رئيس الشياطين يخرج الشياطين.

(*) مطران عكار وتوابعها، للطائفة الارثوذكسية.

ان اليهود كانوا دائماً يستدرون الشفقة من المسيحيين وغيرهم متظاهرين بانهم مشردون مضطهدون ولكنهم كانوا يستأسدون حين سنوح الفرص لهم فلا يتورعون عن ذبح غيرهم كما جرى في اماكن كثيرة وكما عملوا ويعملون منذ صلب السيد المسيح حتى اليوم في السر والعلانية القضاء على المسيحية وتكذيب الانجيـــل لان يسوع المسيح سفه تعاليم رؤسائهم الكهنة والفريسيين ووبخهم وطردهم من الهيكل لانهم جعلوا بيت ابيه مغارة لصوص لابيتا للصلاة (مرقس ١١ : ١٧) .

وهكذا يتدخل اليهود في السنة الماضية في المجمع الفاتيكاني المنعقد للعمل على وحدة الكنائس المسيحية منتهزين الفرصة لحمل هذا المجمع على البحث في قضيتهم وتبرئتهم من جريمة صلب المسيح ليهدموا المسيحية ويكذبوا النصوص الانجيلية والاعلان الالهي والتسليم الشريف ويوطئوا الى سيطرتهم على فلسطين والاراضي المقدسة وهم مازالوا يجدفون على الروح القدس باصرارهم على خطاياهم وصلبهم المسيح دائماً بعد ايمانهم به وتنكرهم لمبادئه وتعاليمه في كل زمان ومكان وسعيهم دائماً للفتك بالمسيحيين وغيرهم من المؤمنين .

تغلغل اليهود في النواحي المسيحية

ان اليهود يتغلغلون دائماً في النواحي المسيحية وخاصة في السنوات الاخيرة للتشكيك والتخريب وهدم الاجساد والارواح كما جاء في تقرير الجمعية اليهودية الاميركية في الولايات المتحدة سنة ١٩٥٢ وكما جاء في النبأ الذي نشره في صحيفة الكوبون سنس الاميركية الصادرة في ايلول سنة ١٩٦٢ قاضي القضاة الاميركي متوجهاً به الى اليهود الذين لايزيد عددهم عن ثلاثة في المئة من الشعب الاميركي معلنا به لهم ان المحكمة الاميركية العليا ألغت الصلوات في المدارس العامة . وقد نشرت الصحف البريطانية في ٢١ اذار سنة ١٩٦٤ ووكالة الانباء العالمية رسالة خطيرة للدكتور مايكل رمزي رئيس اساقفة كانتربري في بريطانيا جاء فيها : « انه من الخطأ الانحاء باللائمة على اليهود في صلب السيد المسيح ومن الخطأ ايضاً ان يحاول الناس تحميل اليهود صلب يسوع المسيح ، فقد كان الحاكم الروماني حينئذ لايقل عنهم مسؤولية في ماحدث والواقع المهم ان صلب المسيح كان بسبب التضارب بين محبة الله وبين الخطيئة والانانية لجميع البشر .... » وكأن توجيه هذه الرسالة كان استجابة لطلب المجلس الرعوي للتفاهم المسيحي اليهودي في العاصمة البريطانية . وهكذا فان تساهل المسيحيين دائماً وحسن ظنهم وابتعادهم عن الضرر يوقعهم في دهقنة الصهيونيين الذين يعملون ليلاً ونهاراً لهدم المسيحية التي هي الخطر الاول والحاجز المنيع دون القيام بمشروعهم الشيطاني الا وهو هدم العالم والتسلط عليه .

استنكار المسيحيين دسائس اليهود

لقد استنكر رؤساء الدين المسيحي هذه الآراء المذكورة، حاسبين اياها محاولة رخيصة للدعاية الصهيونية. واكتشفوا ان كتب الصلوات والعبادة التي تدرس الطلبة في اسرائيل قد حرفت وزيفت تزييفاً خطيراً . فأشار اليها الاجتماع الذي عقده البطريرك مكسيمس الصائغ بطريرك الكاثوليك واساقفته سنة ١٩٦٢ في عين طراز ، اذ أذاعوا بياناً يثيرون فيه المسيحيين الى ترويج الافكار والمذاهب المستحدثة في تفسير الكتاب المقدس تفسيراً مخالفاً لما سار عليه آباء الكنيسة والتقليد المسيحي العريق منذ الاجيال الاولى الى الآن، ويشيرون الى الخطر الجسيم الذي يهدد عقول الابناء واخلاقهم بما يذيعه بينهم اولئك الذين يسمون انفسهم (شهود يهوه) ويعملون لحساب احدى الهيئات السياسية التي تسعى للتخريب وبلبلة الناس للوصول الى الهيمنة على العالم، ويحذرونهم كذلك مما ينشرونه ضد الكتاب المقدس ليحققوا رجوعهم الى فلسطين فان هذا قد تم في القرن السادس قبل المسيح في ايام كورش الفارسي ! ويحذرونهم ايضا مما يثيرونه من التشكك في صحة الاناجيل المقدسة عن مسؤولية الحكم على السيد المسيح بالصلب ليلقوا تبعة المحاكمة والصلب على الرومان دون اليهود مع العلم ان اليهود هم الذين قرروا صلب السيد المسيح وصلبوه وان حكام الرومان هم الذين اذنوا به وهنئوه .

الصهيونيون يحرفون الانجيل

وفي العدد ١ – ٣ مارس سنة ١٩٦١ من مجلة نور الحياة التي تصدر في القاهرة ، نشر مقال لمنشئها الاستاذ جرمانوس لطفي ، عنوانه (الصهيونية تحرف الانجيل) يبين فيه محاولات الصهيونيين في السنين الاخيرة لتحريف الكتاب المقدس وهدم المسيحية وسائر الاديان الاخرى وايقاع العالم في الفوضى والالحاد والتفكك الخلقي وحذف الآيات والفصول الواردة في الانجيل بنوع اخص التي تصف اعتداء اليهود على السيد المسيح وصلبه لكي لاتطلع الناشئة في الاجيال القادمة على قصة العدوان اليهودي على المسيح والمسيحية .

وهذا ماقرره المؤتمر الذي عقده في سيلزبرغ في سويسرا رجال البدع المسيحية الجديدة المتطرفة الذين يعملون لصالح اليهود والذين اشتركوا بتعديل الكتاب المقدس وحذفوا منه الآيات التي تعلن غضب الله على شعب اليهود وسقوط عهده فيهم ورفضهم نهائيا وعدم اعطائهم فلسطين وأن يصابوا بالذل والمسكنة والتشريد .. وازاء هذا العمل من جانب قسوس متخفين وراء اسماء مسيحية وهي في الواقع من صنع الصهيونيين ، تنازل اخوانهم الصهاينة والحاخامون المشتركون معهم ان يزيلوا

كذلك من كتب اليهود والعبارات والفقرات التي تحرض اليهود على التآمر والاعتداء على المسيحيين وتحط من كرامة السيد المسيح الذي حمل رسالة الهدى والحق والسلام والحرية .

فالكنائس المسيحية القديمة والحديثة لاتقبل بأي تعديل أو حذف او اضافة في الكتاب المقدس لأنها تؤمن ايماناً جازماً بأن الكتاب المقدس كله موحى به من الله كما قال الرسول بولس:

كل الكتاب هو موحى به من الله ونافع للتعليم والتوبيخ للتقويم والتأديب الذي في البر لكي يكون انسان الله كاملا متأهبا لكل عمل صالح (الرسالة الثانية الى تيموثيوس ٣ : ١٦ - ١٧) لأنه لم تأت نبوءة قط بمشيئة انسان بل تكلم اناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس (رسالة بطرس الثانية ١ : ٢١)

وليس من شك في أن أي تعديل في نص الكتاب المقدس أو أي حذف يطرأ عليه يدل دلالة واضحة على ان القائمين به لايؤمنون بالوحي او على الاقل لايؤمنون بوحي الكتاب كله . فان كانوا من ناكري الوحي كانوا غير مسيحيين وان كانوا من اتباع الفريق الثاني فهم يقسمون الكتاب المقدس الى عنصرين هما العنصر الوحي به من الله والعنصر البشري غير الضروري الذي لايلتزمون به ولكنهم في هذه الحالة لايستطيعون الرجوع الى حكم موضوعي او فيصل رسمي يمكنه التمييز بين ماهو الهي وماهو بشري في الكتاب المقدس وليس امامهم اذن غير ماتتفتق عنه اذهانهم ونزعاتهم الفردية فيتيهون في الضلال وينزعون من الكتاب المقدس ما ارادته اهواؤهم وحاجاتهم او يبدلون فيه مايحلو لهم . وهو ماانتهى اليه المؤتمر المشار اليه في سويسرا بقراره الذي جاء وليد الاغراض الصهيونية .

وقد حاول اليهود في القديم تعديل الكتاب او تحريفه حتى انتهوا الى وضع اناجيل جديدة نسبوها لبعض الرسل فندت الكنيسة القديمة هذه الاناجيل وجمعت الكتب المقدسة الصحيحة وأعلنتها للمؤمنين رافضة جميع الكتب الاخرى الكاذبة المحشوة بالاضاليل والمعروفة بالاناجيل المنحولة غير الصحيحة .

خطط اليهود لهدم العالم

اعتاد اليهود منذ القديم حسب خططهم الشيطانية ان يدعوا الى الحرية والوحدة موطئين بهذا الى زعم المساواة والاشتراكية فالاباحية فالعنف فالعبودية وبهذا يقضون على الوحدة والاخلاق والقيم الروحية ويهدمون الاوطان والسكان كما خطت مقررات مشايخ اسرائيل التي احدث نشرها ضجة كبرى في الاوساط الدينية والسياسية العالمية وخاصة في أيام الحرب الكبرى

وقد طبعت غير مرة وعمل اليهود على شراء هذه الكتب وحرقها حتى لاتفضح خططهم الاثيمة المرسومة في هذه المقررات التي سنأتي على ذكرها فيما بعد .

وقد طبعت دار الملايين سنة ١٩٤٧ كتاباً للدكتور في الحقوق أميـل الخوري محرر جريدة النهار الفرنسية بعنوان « مؤامرة اليهود على المسيحية » يبحث فيه اهداف الحركة الصهيونية ومايغلي فيها من شهوة الانتقام من النصرانية والرغبة في القضاء عليها وعلى سائر الشعوب . وقد جاء في مقدمة هذا الكتاب « ان لنا من هيئة الامم ومن الصحافة الحرة ومن دور النشر والاذاعة منبرا جديرا بان ينقل صوتنا الى أقصى اطراف المعمور ، فلنقرأ على مسامع العالم الفصل الذي طوتيناه عن حكمة نأتت فوائدها ولنثبت له أن الصهيونية هي بمثابة خطيئة البشر الاصلية وبدء اللعنة على الارض التي لايرجى لبشر منها شفاء الا بقطعها » .

وقال أيضاً في الفصل الاول من هذا الكتاب : لقد نجحت اليهودية بما لها من سيطرة ونفوذ عالميين في ان تفسب الى التنقيب عن ماضيها وحاضرها واهدافها صفة الرذيلة المنقوتة باسم التعصب الديني والعنصري . فعلت ذلك كي يتسنى لها المضي بدون حاجز في تنفيذ مؤامراتها على جميع امم الارض بوحي هذا التعصب نفسه . فلتفضح الامور في مواضعها ولترد الحقيقة الى نصابها مهما كان وقع مبادرتنا على فريسي القرن العشرين لمل في بيان الحقيقة امام من لم تتحجر قلوبهم ومن لم يطبق العمى جفونهم املاً بنجاة العرب ونجاة العالم . لتصرخ في وجه العالم صرخة مدوية وتثبت في كل مكان بالادلة والبراهين ـ وما أكثرها ـ ان اليهودية او الصهيونية هي عدوة الجنس البشري منذ بدئها ولذلك ماادخرت ولن تدخر وسيلة من وسائل التقتيل والتدمير والتخريب من اجل ان تؤمن لبني اسرائيل السيطرة على العالم .

اهداف اليهود

ان اليهودية الصهيونية قد حاربت الشرائع الإلهية والبشرية حاربت الاديان والمعتقدات حاربت الانظمة والسلطات حاربت الانواع والاجناس ولا تزال تحاربها باشد الاسلحة فتكاً وهولاً ورعباً توصلاً لغاياتها المستحيلة . فلتعلم تلك الامم الجاهلة انها ان لم تتكاتف لصدها وهي قريبة من تدمير كل شيء فبلي هذه الامم وعلى الدنيا السلام .

وقد صرح سوكولوف في تقرير محرر التيمس القضائي في ١٠ حزيران سنة ١٩٣٠ (ان الجوهر الذي يهدف اليه موسى هو مستقبل الامة اليهودية والاستيلاء على ارض الميعاد الى الابد ولا سبيل لأي مغالطة ان تنقض هذا الامر وعبثاً يصرح اليوم بعض اليهود : « ليست اليهودية امة بل هي دين » فلعمري ماذا عساه ان يكون الدين اليهودي اذا كانت التوراة لاتعتبر

عند اليهود وحياً وكلاماً منزلاً من عنـــد الله ؟ انه لمن المضحك المحزن والغريب ان ترى يهوداً معترفين بوحدانية الله يدعون انهم الـأنيون او مجريون الخ متمذهبين بمذهب موسى فان لم يكن ذلك تجديفاً فانه لاشك سخرية .

ان موسى الحقيقي موسى التوراة يعتبر تشتت الشعب لعنة وتستند سائر مداركه الدينية وشرائعه وطقوسه واعياده ورموزه الى اساس الالتحـــام بالآباء (البطاركة) الذي يعتبره اليهود التحاماً ثابتاً لايتزعزع . وسواء اعتبرت اليهودية ديناً او امـــة فانه لايمكن فصل الدين اليهودي عن الطائفة اليهودية مالم تبرز الى عالم الوجود توراة جديدة قـد تشرب نسيجها بكل الالوان .

وقد فسر اليهود بعض آيات العهد القديم المتعلقة بالمسيح تفسيراً كاذباً ينطبق على هوسهم وتصميم وخلاصته :

١ — ان الارض كلها وما فيها، ميراث لبني اسرائيل تلزمهم مشيئة الرب ان يستولوا عليها.

٢ — ان كل شريعة غير شريعة بني اسرائيل هي فاسدة وان كل سلطة غير سلطتهم هي مغتصبة .

٣ — ان الرب حرم عليهم الشفقة والرحمة تجاه غيرهم . وهذه الروح نلمسها عند مفكريهم كتنائي وسبينوزا . فالفكر اليهودي القديم والمعاصر هو معاول تهدم كما يقول موره . ويقول أيضاً أن مهمة الاسرائيليين المعاصرين تتلخص في استئصال المسيحية من العالم ، ففي صراع اليهودية الضاري ضد المسيحية استعملت اليهودية كل وسيلة ولدتها قرائح ابنائها المضطرمة بغضاً وانتقاماً ، فحاولت بادىء ذي بدء القضاء على المسيحية بحد السيف ولما لم ينفع هذا السلاح وجهت عنايتها الى القدح والذم وتلطيخ المسيحية بأقبح الصور . ثم أخذت تحارب المسيحية باسم المذاهب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغير ذلك مما لايتسع له المجال الآن ويعرفه الكثيرون ولكن موقف الدول المسيحية إزاء اليهود المتآمرين عليهم بل على العالم كله لاتبرره المحبة ولا يقره التسامح . لان الروح المسيحية ان دعت الى التساهل فهي لاتدعو الى الانتحار ، وان رحبت بالاضطهاد فهي لاترحب بتضحية الانجيل والايمان ، أي تمزيق الانجيل وقتل روح الايمان .

وقد حرص اليهود على كتمان اسرار سياستهم الدهياء اي محاربة المسيحية باسم المبادىء والمذاهب خوفاً من ان تظهر خططهم وتفشل مؤامرتهم . ولكن سياستهم بدأت تظهر للعيان في اواخر القرن الثامن عشر مع انتشار الروح الثورية في فرنسا وبعد ان انتقلت الجمعيات السرية الخاضعة لنفوذهم وراء الستار الى العمل في وضح النهار . فقد تفتحت العيون منذ ذلك الحين على

دسائسهم وكتبت في مؤامرتهم ودسائسهم وكتبت عنها المجلدات الا ان انتصار المبادىء الانقلابية وشيوع الفوضى التي تسبق الانقلابات وتلازمها وتمتد الى مابعدها كل ذلك حرف انظار العموم عنهم فتوطدت اقدامهم في مراكز الحكم والنشر وحازوا لايخشون الثقة والتحذير.

وهكذا فان حكماء صهيون يعملون منذ القرن الخامس عشر في سبيل الفتح اليهودي كما ذكرت مجلة فرنسا القديمة . ويقول الكاتب الروسي الشهير دوستويفسكي:ان اليهودي ومصرفه هما الآن سيدا الجميع وهما اللذان يديران اوروبا والتعليم والتمدن وبالاخص الاشتراكية .لذلك يعتقد اليهودي انه بالاشتراكية يقتلع اصول المسيحية ويلاشي تمدنها ، ومتى عمت الفوضى يصبح اليهودي زعيم البشر ويعتقد اليهود ان اتحادهم فيما بينهم ثابت قائم ماداموا يبثون الروح الاشتراكية ومتى تضعضعت ثروة اوروبا فان مصرف اليهود يبقى راسخاً لايتزعزع . ولو جئنا على وصف الفظائع التي قام بها اليهود ضد المسيحيين منذ القديم حتى الآن لضاق بنا المجال . ولكننا نذكر استنزافهم عند ستوح الفرص دم المسيحيين ليشربوا الكتان به ويجففوه ثم يحرقوه ويرشوا رماده في خبز الفطير وغيره .. ويشربونه في شعائرهم الدينية ضحية لله وقرباناً كما سبق واعلن المسيح ذلك لتلاميذه اذ قال لهم : انه ستأتي ساعة يظن فيها كل من يقتلكم انه يقرب قرباناً لله (يوحنا ١٨ : ٢) .

التلمود والكابالا

التلمود هو مجموعة الشتائم والحماقات وسوء التحريف والاوامر التي لم يسمع بمثلها ،كلعن النصارى كل يوم ثلاث مرات والطلب الى الله بابادتهم وافناء ملوكهم وحكامهم وسلب مااستطاعوا من مقتنياتهم بأي طريقة كانت (٨:٦٠ بند ٩) ولذلك اصدر البابا اينوسنت سنة ١٢٤٤ امراً حرم فيه على المسيحيين الاستخدام عند اليهود وأوعز الى ملك فرنسا باحراق التلمود. وفي سنة ١٢٤٤ امر ملك فرنسا باحراق نسخ التلمود ومثله امر فيليب لويل ملك فرنسا سنة ١٣٠٩ باحراق كل التلمود الذي اعيد طبعه وطرد اليهود من جميع اراضي فرنسا وفي سنة ١٣٢٢ احرقت نسخ التلمود في روما بأمر من البابا يوحنا الثاني والعشرين.وفي سنة ١٣٥٣ امر البابا يوليوس الثالث باحراق نسخ التلمود فأحرقها الناس في برشلونة والبندقية وروما وجنوة واربينو وميلانو وفي سنة ١٥٥٧ جمع شعب بولونيا بأمر من الحكومة جميع نسخ التلمود وأحرقها ، وهكذا أعيد احراقها في ايطاليا سنة ١٨٥٨ كما احرقت ايضاً في رومانيا بأمر الكاردينال جيسربلي .

فالتلمود هو التوراة الشفوية المحتوية على مجموعة القواعد والشرائع اليهودية الدينية والمدنية المضاف اليها التفاسير والروايات المتناقلة والمتدارسة شفوياً تنفيذاً لمصالح اليهود الطارئة.

وهو نسختان : اورشليمي وبابلي وفي كلتا النسختين يعتقد اليهود ان كل من لا يعتنق الدين اليهودي حيوان وخادم لهم وان اساءة معاملتهم للشعوب واستنزاف دماء المسيحيين واجب وذلك تقرب من الله وزلفى .

وهناك كتاب آخر هو كتاب (كابالا) اليهودي المشهور ، كتاب الرعب والارهاب المحتوي على الافكار الرجيمة المخجلة التي ترفضها جميع الاديان رفضاً باتاً ، وتقاومها الحكومات والقوانين مقاومة شديدة .وهو كتاب مليء بالسحر يبحث في عالم الشيطان والارواح الشريرة وعالم الاموات . قال مؤرخ مسيحي في كتابه « اليهود في كفة التاريخ »عن كابالا مايلي : « اني اظن ان الشيطان عند حضوره لكوكب الارضي انما يحشر متقمصاً الشكل اليهودي، وان كابالا هو اقصر جسر بين الانسان الضال والشيطان ». وهكذا فان فيهودتوعينس التدين والتوجيه والثقافة احدهما للظهور به امام العالم وهو التوراة . والثاني لمجتمعهم الداخلي وهوسري يتلقى تعاليمه وتوجيهاته من التلمود والكابالا وطقوسهما التي تحتاج الى الدم .

ضحايا التلمود

اما ضحايا التلمود المسيحية في الشرق فكثيرة ، ولكن فقدان الصحف قبل قرنين اوثلاثة طمس الكثير من هذه الجرائم التي كان ضحاياها من الاطفال المسيحيين ، ولكن نشأة الصحف بعد ذلك سجلت الكثير من هذه الوقائع والاحداث ، وقد جمع ذلك حبيب فارس اللبناني في كتابه « صراخ البريء في جو من الحرية والذبائح التلمودية » المطبوع بالمطبعة الجامعة في مصر سنة ١٨٩١ وقد انتقد الكاتب في هذا الكتاب سوء تصرف الولاة والحكام وتأثرهم بالفضة والذهب اليهوديين اذ بذل الكثير من المال لاخفاء الجريمة باستنزاف دماء عتري عبد النور في دمشق ، وهذه الذبائح كثيرة يذكرها بالتفصيل الكتاب المطبوع حديثاً في دار الاتحاد في بيروت لايليا ابو الروس وعنوانه (اليهودية العالميـــة وحربها المستمرة على المسيحية) وفي هذا الكتاب توجد كل الوثائق المبينة :

١ — محاولة اليهود تزييف الدين المسيحي وتطاولهم على مقام السدة البابوية .

٢ — اعتداء اليهود على رجال الكهنوت وعلى المقدسات المسيحية في اسرائيل .

٣ — سر الدم المكتوب لدى اليهود .

٤ — الذبائح التلمودية في الشرق ومنها ذبيحة الراهب الكبوشي البادري الاب توما في دمشق وذبح خادم ابرهيم أمارة .

٥ — الذبائح التلمودية في الغرب وفي روسيا .

٦ ـ تحذير الرئيس الاميركي فرانكلن لابناء وطنه من خطر اليهود على اميركا والاشارة الى اندماج اليهودية بالصهيونية . وأن انشتين يهودي صهيوني .

٧ ـ البدع الدينية لمحاربة المسيحية وتأييد الصهيونية وعلاقة شهود يهوه بالصهيونية التي يركزون عليها تعليمهم وتحمسهم لاسرائيل باسم الدين .

٨ ـ تعصب اليهود المنقطع النظير الذي وصفه المطران حكيم في تقريره المقدم الى قداسة البابا .

٩ ـ مقررات حكماء صهيون الاربع والعشرون التي يسردها الكتاب المذكور وفيها تظهر المؤامرات اليهودية على الشعوب ، اي الروح التلمودية اليهودية كما تقول جريدة التيمس .

ماذا وراء السعي الى تبرئة اليهود من جريمة صلب المسيح

لقد نشر الكاتب الالمعي المعروف يوسف ابراهيم يزبك في العدد الممتاز لجريدة النهار البيروتية الذي صدر في ٤ كانون الثاني سنة ١٩٦٤ مقالا ممتعا تحت عنوان « الفاتيكان واسرائيل وجها لوجه » يصف فيه زيارة صاحب القداسة البابا بولس السادس رئيس الكنيسة الكاثوليكية للاراضي المقدسة في فلسطين ، منوها بانها وحيدة النسج في التاريخ منذ تأسيس الكنيسة الاولى في روما ولاسيا انها أتت في اعقاب الدورة المنصرمة لأعمال المجمع الفاتيكاني الثاني ، بل جاءت فوراً بعد ختام الدورة الثانية المجمع المذكور وبعد أن ارجأ النظر في الفصل الرابع من مشروع المسكونية ، وفيها تحديد العلائق الروحية بين المسيحيين واليهود . وهنا يظهر الكاتب خوفه من احتكاك الحبر الاعظم المذكور بدولة اسرائيل المغتصبة بعض الاراضي المقدسة ، ويتألم من مساعي اليهود بمختلف الاساليب والطرق لحمل الكرسي الرسولي على الاعتراف بدولة تعيش على الاغتصاب والاعتداء الشرين اللذين تحاربهما كنيسة المسيح .

فالنشاط الصهيوني الذي يسرح ويمرح في امريكا واوروبا وافريقيا وبعض آسيا دون أن يلقى معترضاً عربيا قد استغل حج صاحب القداسة الى فلسطين ابشع استغلال فأخذت الصهيونية تؤول وتفسر ان هذه الزيارة هي اعتراف واقعي باسرائيل لانها ذكرت في الانباء العالمية ان البابا سيزور الاراضي المقدسة في اسرائيل والاردن وهكذا اذاع التلفزيون في ايطاليا وربما في اوروبا واميركا كلها . فكان هذا التزوير او الاستغلال الشائن تخفيفا للصفعة الاليمة التي وقعت على قذال الصهيونية قبل ختام المجمع الفاتيكاني ولكن المؤسف ان الذين كتبوا مسودة المشروع المشار اليه اعتبروا اليهود « بشرا يعبدون الله ويطبقون الشريعة الادبية الطبيعية » فمن المستحسن

ان يعاد النظر في بعض الاقوال المسيحية التي تسيء اليهم وتتهمهم جميعا – ومنهم الاحياء – انهم مسئولون عن صلب السيد المسيح، وبتعبير آخر ان الفقرة المشار اليها تطلب من المجمع المسكوني تبرئة اليهود الحاليين من تبعة الصلب. فما علاقة اليهود بالمجمع الفاتيكاني وكيف تغزوا الى لجانه السرية وعلام يعرض أمرهم الخطير هذا الذي من شأنه تحريف الاناجيل المقدسة بل قل تكذيبها ؟ علام يعرض على المجمع موضوع بعيد عن المجمع ويعرض قبل النظر في الموضوع الرئيسي القريب وأعني به وحدة الكنائس المسيحية التي كانت الهدف الاول من دعوة البابا يوحنا الثالث والعشرين آباء الكنيسة الكاثوليكية الى المجمع الحالي ؟

ويقول الكاتب انه سأل اكثر من واحد في روما من المتتبعين اعمال المجمع كما سأل بعض السادة الاجلاء من شرقيين وغربيين عن السبب الحقيقي الذي حمل خمسة اساقفة وكرادلة على التحمس في عطفهم العجيب الغريب على اليهودية في هذا الوقت نفسه فاستطاعوا ان يدسوا في مسودة مشروع المسكونية : نظريتهم الداعية الى تبرئة اليهود من جريمة قتل المسيح ، وانه سمع اجوبة متنوعة لم يقتنع بصحة اي جواب منها الا جواب كاهن ماروني شاب من بلاد جبيل ، فقد سمع منه ان العالم يحارب اليهود كما حاربهم هتلر بالتأثر ، بالكتب المضادة للساميين ولذلك عمل اليهود بسبب هذه الاضطهادات التي قامت ضدهم الى اكتساب عطف الاحرار واصحاب الضمائر ، وهــذا هو الدافع الحقيقي لموضوع تبرئة اليهود الاحياء من تبعة صلب السيد المسيح واثارته في اعمال المجمع الفاتيكاني والتوطئة الى الاعتراف باسرائيل.

هذه الحقيقة عرفها ذلك الكاهن الماروني الشاب وجهلها الكبار في روما او تجاهلوها ، هذه الحقيقة يسعى الصهيونيون اليها منذ سنوات ويعملون لها في وضح النهار وظلام الدهاليز على السواء . وان جاز لاحبار الكثلكة في العالم الغربي ان يجهلوها على جهلهم الشرق ومعضلاته واوجاعه ، فهل يسمح لزعماء العرب ومفكريهم ولحكوماتهم ولجامعة دولهم ان يجهلوها ؟ فجول اسحق المؤرخ اليهودي والعلامــة المشهور هو الذي بدأ في الكتابة والسعي لصد العداء عن اليهود الذي تأتى من تحميلهــم صلب السيد المسيح . فأخذ هــذا العــالم اليهودي يلبس رأيه الجديد ثوبا علميا ثم خرج من تحقيقه باتهام سخيف كاذب بسطه وشرحه في كتابين : احدهما عنوانه (يسوع واسرائيل) والاخر عنوانه (تعليم الاحتقار) . وهو يعني ان التعليم المسيحي يبث الاحتقار والكراهية للشعب اليهودي فنشأ من ذلك مبدأ (الانتيساميتسم) ضد الساميين .

ثم الف جول اسحق جمعية الصداقة اليهودية المسيحية فانضم اليها الكثيرون من المسيحيين حسني النية وغيرهم من الزنادقة والملحدين والمتقلين . أما كتــابه الأول فهو زعبرة فكرية بالبراهين الجدلية السطحية لاجل التشكيك في صدق الأناجيل بل في صحة وجود بعضها وغير

ذلك من السخافات كشكه في قبول اليهود عند الوالي الروماني بيلاطس النبطي أن يكون دم يسوع المسيح عليهم وعلى ذريتهم مع أنه يعترف بصدق الرواية ويقول يسوع وهو على الصليب : «يا أبتاه اغفر لهم فانهم يجهلون مايعملون». فجول اسحق كثيرة حركة يد خفيـة لتعميم رأيه «اغفر» في المسيحية .

مدرسة جول اسحق

هل سمعت حكومات العرب بمدرسة جول اسحق ؟ هل عرفت بنشاطها ومساعيها لدى المسيحية الاوروبية والاميريكية وماذا عملت لوقف خطرها الخبيث ؟ فالمقصود هنا إيقاف خطر هذه المدرسة وإظهار الحقيقة التي تحاول المدرسة تشويهها . بل اظهار كذبها في تشكيكهـا بصدق ماقاله الانجيليون وفضحها بانها زارعة الشكوك في نفوس المؤمنين . فليس من عربي بل ليس من مؤمن صادق الايمان ينكر أن هنـالك قربى روحية بين المسيحية واليهودية كما أن هنالك قربى روحية بين الاسلام من جهة والدينين الأولين من جهة أخرى . الا أن تلك القربى الروحية لاتسمح بأن يكذب المسلم ماجاء في الانجيل والتوراة ولا تسمح لمسيحي بأن ينفي ماتنفله كتب الدينين الآخرين ولا تجيز ليهودي أن يدس على أقوال الانجيل والقرآن .

فلو أن جول اسحق صادق الأيمان في دينه لقبل بأن تقع تهمة صلب المسيح على المجرمين بني قومه . فهو يعلم أن المسيح ماجاء الى الأرض الا حرباً على القيادة اليهودية ، على الزعمـاء والكتبة والفريسيين والاغنياء وموالي الاحتلال الروماني . وقد تقلى المستبديين أن يتصدوا له بالسوء وأن يقولوا بالقضاء عليه ليحولوا دون تعاليمه الخطرة على سلطانهم والتي اقضت مضاجعهم .

باطل الأباطيل

صحيح أن تحميل الشعب اليهودي بأمره تبعة جريمة الصلب قول غير جائز : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » ولكن هنالك حادثاً يهودياً تاريخياً معيناً وهو أن يهوداً غضبوا على المسيح وحرضوا شعبهم على قتله بعد أن نشبت بينه وبينهم محاولات تتعلق بدينهم مما أدى الى مأساة الجلجلة التي جرت الحاكم الروماني في فلسطين الى الاشتراك في تمثيل خاتمتها بموجب احتلاله البلاد .

فكل يهودي اليوم ينكر هذه الحقيقة التاريخية المثبتة أو يحاول التشكيك في صحتها بعد أن أكدت الأناجيل روايتها عد مشتركا اشتراكا معنويا على الاقل في جريمة الصلب ونال هو عقاب الجرم ، واذا قال هذا المفكر المشكك أنه مؤمن بما نقله الأناجيل ثم نفى تعليمها وزرع الريب بصدقها كان كاذباً زنديقاً .

ثم صحيح ان تحميل الشعب اليهودي كله تبعة جريمة صلب الفادي قول غير جائز ولكن كل مسعى بشري لتغيير ماجاء في الأناجيل باطل الأباطيل . فلا اعرف أي ملاك أو أي شيطان وسوس في صدور بضعة أساقفة وكرادلة ودفعهم الى مباغتة المجمع الفاتيكاني، أي مباغتة الكنيسة الكاثوليكية الجامعة، أي مباغتة ملايين الكاثوليك المنتشرين تحت كل كوكب في طول الأرض وعرضها بطلب تبرئة اليهود الاحياء من تبعة جريمة صلب السيد المسيح .

جول اسحق والبابا يوحنا

ويظهر أن جول اسحق قبل وفاته استطاع أن يقابل البابا يوحنا الثالث والعشرين ويبسط له نظريته المعروضة عرضاً ذكياً جداً لاقناعه بصداقة اليهودية المسيحية ، وبديهي أن يصغي سيد الفاتيكان الى ضيفه ويوافقه على أسانيد صحيحة في اسس نظريته لافي مراميها وشكوكها وخبأتها ، فالقربى الروحية بين الديانتين لا ينكرها منصف كما قلنا . وقد صرح البابا بيوس الحادي عشر سنة ١٩٣٨ في هذا الصدد بقوله اننا لانقر معاداة السامية لأننا ساميون روحياً ونحن بالمسيح وفيه نتحدر روحياً من ابراهيم كما يقول رسول الامم : جميع المسيحيين هم ابناء بالروح والكنيسة ترى تلك القربى من خلال العهد القديم . فأنبياء اليهود هم الذين تنبأوا بمجيء السيد المسيح واليهود كانوا الشعب المختار الذي وحده حافظ على عبادة الله تعالى بين الشعوب الاخرى التي ضلت في ضلالتها وسجدت للاصنام . كذلك تؤمن الكنيسة بان الله وعد ابراهيم بان يخرج من ذريته مخلص البشر ومن هذه الذرية اختار الله الانبياء ومن الشعب اليهودي كان الرسل المسيحيون الاولون الذين انطلقوا من فلسطين يبشرون . وكذلك تقول الكنيسة بان المسيح نقل اليهود والوثنيين بمحبة واحدة وجعل من الاثنين واحداً — المسيحية .

وهكذا استغلت الصهيونية زيارة جول اسحق للبابا الراحل فاذاعت النبأ في جميع صحف العالم وكتبت فيه مقالات وانبؤات كاذبة . ثم انقطع الموضوع بعد ان انتقل الرجلان بعد هذه الزيارة الى العالم الآخر . وبقيت الصهيونية تستغلها وتعقب عليها بان المجمع الفاتيكاني سيعيد النظر في النصوص المسيحية التي تسيء الى الشعب اليهودي بأسره . وراحت صحف اخرى تزعم بايحاء صهيوني أن الفاتيكان عازم على الاعتراف بقيام دولة اسرائيل وما طلب حذف هذه النصوص الا مقدمة التقارب ، وعلى هذا الصعيد تدفق سيل من المقالات ذات الاساليب المختلفة والرامية الى نتيجة واحدة وهي اقناع القراء بان الصداقة اليهودية المسيحية ستؤتي اكلها وان اعتراف الكرسي الرسولي بدولة اسرائيل وشيك . والناظر لما اوجدته تلك الشـالعات من

القلق اذاع مكتب الصحافة في المجمع الفاتيكاني بياناً من امانة سر لجنة الوحدة يفهم ان آباء المجمع الفاتيكاني قد تلقوا فعلاً نصوصاً رسمية تحدد العلائق بين المسيحيين واليهود على الصعيد الديني البحت ويفهم ايضاً ان الهيئة التي قامت بالمسعى هي لجنة الوحدة المسيحية التي يرأسها الكردينال اوغسطينوس بيا Ben الالماني الجنسية اليسوعي الرهبانية .

الكاهن اللبناني ادمون فرحات من عين كفاع

وهو أول من انتبه الى خطر تلك النصوص كما ذكرنا آنفاً فهب يراجع من استطاع مراجعتهم من السادة الاجلاء في ايطاليا وفرنسا وبلجيكا لافتاً أنظارهم الى ان هذا المشروع الذي يرتدي طابع التآخي البشري والتسامح قد يكون في الوقت عينه رماداً فوق نيران شرور ومصائب .

وكان الأب ادمون فرحات المثقف المقدام يجادل الأحبار بعادلة الحكمة والمنطق والحقيقة خاتماً حديثه دائماً بهذا الاقتراح : اذا كان التعاطف المسيحي اليهودي ضروريا لخير العالم فهناك تعاطف آخر يجب خلقه بين المسيحيين والمسلمين أيضاً ، فالاسلام دين سماوي يعلم عبادة الله تعالى وحده ويحفظ الشريعة الأدبية الطبيعية وهو منتشر انتشاراً واسعاً في معظم نواحي العالم ويسيطر على شعوب الشرقين ويمتد الى الشرق الأقصى والى بلدان كثيرة تسكنها اقليات مسيحية ، فمن الحق ان نقيم معه علائق الاخاء لأجل مصلحتنا ومصلحته ومصلحة العالم .

ولما أمر بيوس الثاني عشر ويوحنا الثالث والعشرون وبولس السادس على عدم الاعتراف باسرائيل لكونها دولة مغتصبة معتدية . لجأت دولة اسرائيل الى سلاح جديد في مسعاها فأنشأت في الجامعة العبرية جناحاً خاصاً بالدروس الدينية عامة والمسيحية خاصة .

ثم انتقلت الانتلجانسية الصهيونية الى صعيد روحي آخر نافثة قوة جديدة في الفكرة القديمة بان المسيحية هي وليدة الموسوية وما العهد الجديد الا تكملة العهد القديم ، فالتقى مسعاها على هذا الصعيد بمسعى جول اسحق وكتبت كتباً كثيرة للهدم والتشكيك .. اما حكومات العرب فلم تعمل شيئاً لاتقاء شر الصهيونية واضرارها .

دهقنة جول اسحق

ثم ان ما كتبه جول اسحق وما يكتبه تلاميذ مدرسته من يهود ومسيحيين لا يؤثر في الخاصة لانه فقاقيع صابون امام المنطق والمعرفة ، ولكن شدة الخطر فيه انه سبق الى جماهير العامة يدغدغ السطحية فيها باسلوب مقنع ظاهره علمي . ومعلوم ان السواد في كل شعب لا

يفهم من دينه سوى القشور ، فباستطاعة جول اسحق وتلاميذه في هذه الحالة ان يؤثروا في الجماهير ويوهموها ان مزاعمهم صحيحة ، ويستطيع جول اسحق على الاخص التأثير في الذين خبروا بانفسهم وشاهدوا باعينهم الابرياء ويعذبهم جيرانهم وينتقمون منهم لا لذنب اقترفوه ولكن لكونهم كانوا يهوداً . فهذا الواقع لا ينكره منصف ، ولكن جول اسحق المؤرخ العلامة يفقد انصافه ساعة يتناسى ان ظلم الابرياء لم يقع باليهود وحدهم ، فهنالك جماعات من المسيحيين اضطهدهم تعصب ديني آخر وهم ابرياء ، وهناك جماعات من المسلمين اضطهدهم تعصب ديني آخر وهم ابرياء ، بل ان التاريخ مليء بمظالم الاضطهادات المذهبية لا الدينية فحسب ، يحدثنا عن جماعات مسيحية مثلا ذات دين واحد ظلم بعضها بعضاً لخلاف على رأي تافه ، وكذلك جرى في المسلمين لخلاف على رواية لا علاقة لها بجوهر الدين الحقيقي .

فالذين ايـــدوا مشروع التبرئة كانوا ثمة اساقفة وكرادلة من الولايات المتحدة الامريكية والمانيا الغربية ، ولكن الكاردينال ـ اوغستين بيا رئيس لجنة الوحدة واضعة الفصل ، اعلن والجلسة تلفظ انفاسها : ان الفصل الرابع من مسودة مشروع المسكونية قد أرجىء النظر فيه الى الدورة الثالثة لان السيد جوزيف حرفوش سفير لبنان لدى الكرسي الرسولي حمل في تشرين الثاني ١٩٦٣ رسالة من لبنان الى قداسة الاب الاقدس وقد كلف ان يقدمها باسم الرئيس شهاب شخصياً ، فاجيب على ذلك بان قداسته موافق على رغبة لبنان ـ المشروع الطوي ـ التفصيل في البريد . انتهى مقال الاستاذ يوسف بزبك .

المرحلة الجديدة

أما المجمع المسكوني الفاتيكاني في دورته الأخرى سنة ١٩٦٤ فقد خرج عن الموضوع الذي اجتمع من أجله وهو الوحدة المسيحية وأخـــذ يبحث موقف الكنيسة من الديانات غير المسيحية ليصل الى اليهود وغيرهم كما جاء في وثيقة هذا المجمع ـ التي نشرتها النهار في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦٤ ـ التي اقترع الى جانبها كما هو معروف ١٦٥٧ وعارضها ٩٩ وتحفظ ٢٤٢ وهكذا برىء اليهود الأحياء من جريمة صلب السيد المسيح .

ان الديانة المسيحية هي ديانة الرحمة والمحبة والمصالحة والسلام بين البشر فهي تحترم جميع الديانات وتصلي دائماً من أجل سلام كل العالم واتحاد الجميع كما هو واضح من تعاليمها وصلواتها المرتكزة الى تعليم السيد المسيح وكنيسته المقدسة . لم يكن من داع لوثيقة المجمع الفاتيكاني حول الهندوكية والبوذية والمسلمين واليهود وغيرهم . ولا نفهم ما تقصده من قولها : فليكف عن تصوير الشعب اليهودي كجنس مرفوض أو ملعون أو واقع عليه جرم قتل الله ، أن ما جرى في آلام المسيح لا يمكن اطلاقاً الصاقه بكل الشعب الذي كان موجوداً آنذاك ، والأحرى الا يلصق بالشعب

الموجود حالياً ، وفوق ذلك فان الكنيسة كانت وما زالت تقول بان المسيح قبل مختاراً العذاب والموت بسبب خطايا البشر جميعاً وبفعل محبته العظيمة وعلى الكنيسة ان تعلن – في تبشيرها وعظاتها – اذن صلب المسيح رمزاً للمحبة الكونية لله وينبوعاً لكل نعمة » .

فهذا صحيح ، فان الكنيسة المقدسة لاتقاوم الشر بل تسامح المسيئين اليها وتطلب لهم من الله الغفران ، ولكنها لاتقدر ان تسكت عن الدسائس المضرة والوسائل الاثيمة الكثيرة التي يقوم بها اليهود لتزييف الانجيل وهدم تعاليمه ناهيك ايضاً باصرارهم على خطيئتهم وما فعله اجدادهم وصلبهم اياه في كل مناسبة واضطهادهم اتباعه واضرارهم بهم بمختلف الاساليب الشيطانية ، وهذا ماعرفته الكنيسة الكاثوليكية ونبهت اليه ابناءها وحذرتهم منه ، فما لها الآن تتناسى هذا الخطر اليهودي الذي يعمل من ورائه معاند المسيح الذي هو الشيطان...

وهكذا تقول بطريكية الروم الكاثوليك في بيان لها نشرته في ٢ كانون الاول سنة ١٩٦٤ ، مستنكرة الضجة الصاخبة التي قامت حول ماترددمن ان المجمع الفاتيكاني الثاني المنعقد في رومية قد اعطى شهادة ببراءة اليهود من دم المسيح ، فتصريح المجمع الفاتيكاني المسكوني تصريح ديني محض يتناول موقف الكنيسة الكاثوليكية من الاديان غير المسيحية ، ويقول ان البلاد العربية في موقفها – منذ ان أقامت الصهيونية دولة في فلسطين – عرفت كيف تميز في نضالها العادل بين اليهودية بصفتها ديناً وبين اليهودية الصهيونية بصفتها حركة سياسية ، فاحترمت الاولى وحاربت الاخرى .

وخلاصة هذا البيان كخلاصة وثيقة المجمع التي اشرنا اليها : « ان الخطأ في جريمة صلب المسيح يقع على الافراد الذين اقترفوه ، لا على الذين لم يقترفوه وهم أكثرية الامة . وهذا لايعني ميل الكرسي الروماني للاعتراف بدولة اسرائيل التي لم يعترف بها حتى الآن ولن يعترف » . وهذا منطق غريب بحد ذاته ويخالف النصوص الانجيلية والحقائق التاريخية لأن اليهودية هي الصهيونية نفسها (كما تعرف ذلك جيداً الكنيسة الكاثوليكية) ولأن اليهود المعاصرين مصرون على جريمة آبائهم ومواظبون على الحادهم وكفرهم بالمسيح – الذين لايؤمنون به – وصلبهم اياه واضطهادهم اتباعه في كل زمان ومكان .

وينشر غبطة البطريرك الماروني اللبناني مثل هذا البيان ، فلا حاجة الى تكرار الكلام .

ملكوت الله نزع من اليهود واعطي لمن يعطون ثماره

لا شك في ان اليهود صلبوا يسوع حسداً ولؤماً وانتقاماً ، لانهم ارادوا منه ملكاً ارضياً يملكهم العالم ويبسط سيادتهم على الشعوب كلها ، ولقد ابان حالتهم السيد المسيح وصورها اجل تصوير بمثله عن الكرامين (متى ٢١ : ٣٣ - ٤٥) اذ قال : رجل رب بيت غرس كرماً وحوطه بسياج وحفر فيه معصرة وبنى برجاً وفوض ذلك لفلاحين وسافر . ولما قرب أوان

الثمار ارسل عبيده الى الفلاحين ليتناولوا ثماره فاخذ الفلاحون عبيده فضربوا بعضاً وقتلوا بعضاً ورجموا بعضاً فارسل ايضاً عبيداً غيرهم اكثر من الاولين ففعلوا بهم كذلك ، وفي الاخير ارسل اليهم ابنه وقال سيحترمون ابني ، ولكن لما رأى الفلاحون الابن قالوا فيما بينهم هذا الوارث هلموا نقتله ونملك ميراثه فامسكوه واخذوه خارج الكرم وقتلوه فاذا جاء رب الكرم فماذا يفعل باولاء الفلاحين ؟ قالوا له : انه يهلك هؤلاء الاشرار شر هلاك ويسلم الى فلاحين اخرين يؤدون اليه الثمار في اوقاتها، فقال لهم يسوع اما قرأتم قط في الكتب ان الحجر الذي رذله البناؤون ذلك صار رأس الزاوية هذا كان من قبل الرب وهو في اعيننا عجيب. من اجل ذلك اقول لكم ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطي لأمة تثمر ثمره ومن يسقط على هذا الحجر يتكسر ، ومن يسقط عليه هو يطحنه . فلما سمع رؤساء الكهنة والفريسيون أمثاله علموا انه يتكلم عليهم فحاولوا ان يمسكوه وخافوا من الجموع لانهم كانوا يتخذونه مثل نبي .

فمن هذا يتضح ان ملكوت الله نزع من اليهود واعطي للآخرين المؤمنين بيسوع، لكنهم مازالوا مع انسالهم مصرين على اعمالهم وهوسهم ، فلم يدخلوا في راحة الله لكفرهم وعنادهم، ولذلك لاقوا مالاقوه من غضب الله قبل المسيح وبعده لعدم ايمانهم وقد امعنوا في ضلالهم وهوسهم فأخذوا يعملون كل الوسائل الشيطانية لهدم المسيحية والعالم كله ليبسطوا سيادتهم عليه بمسيحهم المنتظر وبحكومة يهوه حكومتهم، لأن كل حكومة من الشيطان ماعدا حكومة يهوه كما جاء في كتاب الحكومة لشهود يهوه.

فهم وانسالهم اذن يصرون على خطيئتهم فلا تغفر لهم لأن كل خطيئة وتجديف يغفر للناس أما التجديف على الروح القدس (أي الاصرار على الخطيئة) فلن يغفر للناس (متى ٢١ : ٤٢) فتبرئة اليهود من جريمتهم تتعلق بالله نفسه لانها تتعلق بعزته تعالى كما تعلقت به خطيئة آدم وحوا وتسلسلت الينا مع نتائجها . فنحن نسامح اليهود وغيرهم ونطلب لهم الغفران من الله . ولو رجعت الكنائس الكاثوليكية الى تاريخهم واستعرضت اعمالهم منذ القديم حتى الآن لما دخلت معهم في هذه التبرئة التي يسعون اليها بشتى الطرق التي يرمون منها الى تكذيب الانجيل والتاريخ وهدم العالم كله ليؤسسوا على انقاضه دولة اسرائيل الموهومة .

ولا حاجة الى التطويل والتبسط في هذا الموضوع وبحثه بعد أن بت السيد المسيح فيه بقوله : أن من ليس معي فهو علي ، ومن لم يجمع معي فهو يفرق . والصهيونية ليست مع المسيح بل ضده ، وهي لاتجمع بل تفرق ، وحسبنا أن نراجع مقررات مشايخ اسرائيل التي اشرنا اليها ، فيجب ان يطالعها كل انسان غير يهودي ليتنبه الى هذه الخطط الشيطانية الهائلة التي يتذرع بها اليهود لهدم العالم اخلاقياً واجتماعياً. واليك خلاصة موضوعات هذه التقارير :

التقرير الاول في ستر قوة اليهود

التقرير الثاني في خدام اليهود الحكام والصحافة

التقرير الثالث في تسخير الطبقة العامة بالتمويه

التقرير الرابع في تقويض أركان كل ايمان

التقرير الخامس لاخوف بفضل المال من اغتصاب الخوارج ضد اليهود بوجود المدافع الاميركية والصينية واليابانية

التقرير ١١ الذئاب والغنم ويعني بالذئاب اليهود وبالغنم غيرهم .

التقرير ١٢ عمل الصحافة والكتب

التقرير ١٤ السيادة العالمية بلاشاة الاديان .

التقرير ١٥ البابا هو العدو الاكبر

التقرير ١٧ محق الفاتيكان

التقرير ٢٠ خضوع الحكومات للرأسماليين

التقرير ٢٢ المقاصد السرية

التقرير ٢٣ في سبيل عرش اسرائيل ، الخطر اليهودي ، في خيانة الحكام وجهل الشعوب اذا ملك اسرائيل ، اليهود هم الذين ديروا الشيوعية وقادوها . السرطان هو اسرائيل . النصرانية غارقة في عبودية منزلة . مهمة الحكومة اليهودية في فلسطين السيطرة على العالم . ابادة رجال الدين . الرعب اليهودي في روسيا . الحكم اليهودي في المجر .

شهود يهوه

ومن الضروري الانتباه جيداً الى البدع والحركات الهدامة ومن هذه الحركات حركة شهود يهوه التي نشأت قبل الصهيونية المنظمة بضعة عشر عاماً التي تنشر كتبها المسمومة الموحدة الاهداف المختلفة العناوين وهي اخطر حركة لليهود تعمل لهدم الحكومات والاديان وتوطيد لحكومة اسرائيل . وابلغ ما كتب عن هذه البدعة هو بحث الاستاذ جرمــانوس لطفي في جريدة المسرة العدد ٤٥٧ الصادر في تموز سنة ١٩٦٠ يتكلم فيه عن علاقة شهود يهوه بالصهيونية والثاني بحث الاب جورج فاخوري الذي اذاعه ونشره في مجلة المسرة في العدد ٤٦٠ في كانون الاول سنة ١٩٦١ كما اذاع في مؤتمر صحفي دعـا اليه في ٢٥ تشرين الثاني سنة ١٩٦١ في بيروت مقالا سجلته مجلة المسرة . تكلم فيه عن حقيقة شهود يهوه وعلاقتهم بالصهيونيين وخطرهم على الدين والوطن والآداب ، مؤكداً هذا من كتبهم واقوالهم .

جمعت هذه المعلومات من الكتب الكثيرة التي نشرت عن مؤامرة اليهود على العالم واحتكرها اليهود بعد طبعها . هذه الكتب التي تناستها الدول العالمية المسيحية وغيرها بعد ان تأكدت من خطرها وضررها . فالمعركة فاصلة لا تدور في ساحات فلسطين ولا في دوائر الحكومات الاجنبية الواقعة تحت نفوذ اليهود ، ولا في هيئة الامم فحسب بل تدور رحاها ايضاً في ساحة الوجدان والرأي العالمي والفاتيكان ايضاً ، فيجب ان نعد القوى لنتغلب على عدو العالم ونهزمه ، والا فالشر مسيطر ونحن صائرون الى الدمار .

اهم المراجع لمن يريد الاطلاع على الخطط الصهيونية

١ – التوراة والتلمود

٢ – الكتاب المقدس

٣ – صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية لحبيب فارس

٤ – الاصول العربية لتاريخ سورية في عهد محمد علي باشا المجلد الخامس ، الدكتور اسد رستم ...

٥ – المحفوظات الملكية المصرية بيان وثائق الشام ، المجلد الرابع الدكتور اسد رستم .

٦ – مذكرات تاريخية للخوري قسطنطين باشا المخلصي .

٧ – مقررات حكماء صهيون للخوري انطون يمين

٩ – مؤامرة اليهود على المسيحية لاميل الخوري حرب ، المطبوع في بيروت سنة ١٩٤٧ .

١٠ – منشورات شهود يهوه : النور ، الديانة ، الحياة ، الخلاص ، الحكومة ، الحق يحرركم .

١١ – اليهودية العالمية وحربها المستمرة على المسيحية لايليا ابو الروس ، طبع في دار الاتحاد في بيروت سنة ١٩٦٤ ...



قتلة المبادئ

.. ولا فرق بين اقتراف الجريمة ومحاولة اقترافها... إنها جريمة..

بقلم عبد اللطيف شرارة

اتجهت نية عدد من الأساقفة والكرادلة والعاملين في حقول الدين المسيحي، نحو «تبرئة» اليهود من جرمهم في حق السيد المسيح، تلك هي القضية التي أثيرت في المجمع المسكوني الذي انعقد، منذ مدة وجيزة، في حاضرة الفاتيكان، وما تزال مثارة.

كان من نتائج ذلك الاتجاه، ان تحركت بعض الأوساط والهيئات والشخصيات الدينية من مسيحية واسلامية، للاقاة على هذه المحاولة، واحباطها قبل ان تحقق ماترمي اليه.

بيد أن لهذه المسألة عدة وجوه: أولها تاريخي، والثاني ديني، والثالث اجتماعي سياسي. الأمر الذي لا شك فيه ان الذين أثاروا هذا

(١) مؤلف كتاب (الصهيونية جريمة العالم الكبرى).

الموضوع » ووجهوه عند إثارته في هذه الوجهة ، أي نحو « تبرئة اليهود » ، لم ينظروا إلا الى وجهـــه الثالث أي « الاجتماعي السياسي » ، إذ يخلص اليهود أخيراً ، بعد عشرين قرناً ، فيما حسبوا ، من تلك الوصمة ، ويتاح لهم ان يحيوا ، بأمان وسلام ، مع العالم المسيحي . ومن خلال ذلك الأمان ، ينتقلون بالعالم المسيحي ، الى حمله على تأييد الصهيونية ، وجعله قابلاً للأخذ بنظريتهم في حقهم التاريخي بفلسطين .

تلك هي الغاية الحقيقية من طرح هذه المسألة مجدداً على البشر . والذين أثاروها في المجمع المسكوني من قسيسي أوروبا الشمالية ، واميركا الشمالية ، أي من « البروتستانت » . والتاريخ واضح ان اليهود كانوا يناصرون البروتستانتية عند نشأتها ، ويشدون أزرها في الانشقاق عن البابوية . وكان موزس هيس ، فيلسوف الصهيونية الاول ، قد تنبأ بنجاح فكرته ، ووثق بعودة اليهود الى أورشليم ، استناداً الى ان السلطتين : البابوية والعثمانية تعانيـان – كان ذلك قبل قرن كامل – حالة انحلال وانحطاط . وقد صدر كتاب هـذا الفيلسوف عام ١٨٦٤ .

لا ريب إذن ان وراء محاولة تبرئة اليهود من جريمتهم بحق السيد المسيح ، إصبعاً صهيونية . هـــذه الاصبع تختفي وراء البروتستانت الذين قاوموا الكثلكة على نحو ما قاوم اليهود النصرانية الاولى في الديار العربية في فلسطين ، في اليمن ، في الحجاز ...

هذا ما يجب ان يفهمه كل نصراني على أديم هـذا الكوكب . وإذا استمرت النصرانية في غفلتها ، فلن يكون بعيداً ذلك اليوم الذي يجتمع فيه حاخامو اليهود ، ويقررون اعادة محاكمة السيد المسيح من جديد ،

واعتباره مسؤولا عن كل ما حل بهم من اضطهادات في روسيا وبولونيا والمانيا وايطاليا واسبانيا ، منذ أقدم العصور الى اليوم !

نعود بعد ايضاح غاية اليهود من إثارة هذا الموضوع ، الى الوجه التاريخي ، وهذا مايصح ان يتناوله مؤرخ عبقري مثل أرنولد توينبي ، من المعاصرين ، أو المسعودي او ابن خلدون من الاقدمين . غير ان الثابت لدى المؤرخين المسلمين قاطبة ، وهم أقرب منا اليوم الى تلك الأزمان ، ان المحاولة ، محاولة قتل السيد المسيح ، وإغراء السلطات الرومانية آنذاك بالقضاء على حياته ، قد وقعت فعلا ، ونفذت فعلا ، ولكن الفعل لم يقع على شخص السيد المسيح ، وإنما « شبه » لهم ، لأن الله رفعه اليه قبل ان تطال شخصه دسائس اليهود ومكائدهم .

تلك هي وجهة النظر الاسلامية في حادث اغتيال عيسى بن مريم ، وهي تثبت ان « النية » الاجرامية قامت لدى اليهود ، ودفعت اصحابها الى العمل الآثم . ولا فرق بين القتل ومحاولة القتل ، من حيث المحرك الاخلاقي . والاعمال ، في مفهوم الاسلام ، بالنيات ، ولكل امرىء ما نوى !

اما التاريخ الذي حفظته الكنيسة عن « الجريمة » ، فقد ذكرته الاناجيل ، ومن الواضح ان الذين قاوموا السيد المسيح ، وساقوه الى الصلب ، لم يكونوا من « تلامذته » ، ولا من اتباعه . الأكيد انها ليست مريم المجدلية ، ولا بولس الرسول ، ولا بطرس ، وانما هم الذين جعلوا بيت الرب « مغارة للصوص .. » ، والذين ابوا الاعتراف به من السماسرين والعشارين والفريسيين . وهؤلاء لم يكونوا مسلمين ولا ارثوذكس ولا مسيحيين ملكيين . هؤلاء كانوا بصريح العبارة « يهوداً » ، اذ لم يكن ثمة ملكيون ولا ارثوذكس ولا مسلمون !

غير ان اليهود لم يحاولوا قتل المسيح وهو على هذه الأرض « يمشي في أزقة الناصرة » وحسب، وانما تقوم الى جانب جريمتهم هذه، اوتنحدر عنها بتعبير ادق واوضح ، سلسلة الجرائم التي ارادوا منها اغتيال المبادىء التي جاء بها عيسى بن مريم ، من المساواة بين الناس ، الى الرفق في معاملة الضعاف والجهلة والبسطاء ، الى التسامح في العقيدة ، الى اعطاء كل ذي حق حقه ، الى اعطاء « قيصر ما لقيصر ، وما لله لله » .

هذه جرائم لا يستطيع المجمع المسكوني ، ولا قداسة الحبر الاعظم ، ان يبرىء اليهود منها ، لانهم لا يملكون هم انفسهم ان « يزعموا » انهم يأخذون بهذه المبادىء ، وانهم يقرون السيد المسيح على الدعوة اليها ، وبثها في كل قلب بشري ، وكل عقل انساني . واذا هم زعموا شيئاً من ذلك فان مواقفهم في فلسطين منذ حط نابليون في عكا الى هذا اليوم ، تشهد على انهم كاذبون .

الحقيقة هي أن اليهود يحاولون كل ساعة ، وكل يوم ، في كل عمل قاموا ويقومون به ان « يقتلوا » رسالة السيد المسيح . وهذه المحاولة التي لم يغفلوا عنها طرفة عين ، هي الجريمة الحقيقية . والسيد المسيح لم يكترث لحياته ، بقدار ما اهتم برسالته . بل ان هذه كانت عنده ـ ولا تزال ـ أعز عليه من كل حياة .

هكذا .. نلمس لمس اليد ان تبرئة اليهود بعد عشرين قرناً لا تفيدهم شيئاً ، والخاسر الوحيد في هذه المحاولة انما هي « الحقيقة » .

وعندما تخسر الحقيقة مقدار ذرة من كيانها في حيوات الناس ، يضطرب أمرهم ، ويتعرض السلام لأشد الأخطار ..

هذا تحذير للنصارى والمسلمين على السواء ، فليستيقظ الغافلون !

لائحة في ثقافة الموضوع

يقدمها عبد اللطيف شرارة

لائحة بالكتب التي يمكن الافادة منها في « تتبع » السياسة الخفية للصهيونية وأعوانها ، هنا في لبنان وسورية ، والجمهورية العربية المتحدة ، وفي العراق ، على الأخص .

مع مراعاة الايجاز في انتقاء الكتب ، واختيار ماهو أكثر تعبيراً ، واوضح دلالة من غيره .

يمكن تبويب هذه الكتب - وهي في ثلاث لغات : العربية ، والفرنسية والانكليزية - كما يلي :

أ — تاريخ اليهود في علاقاتهم القديمة مع العرب .

ب — تاريخ اليهود في علاقاتهم الحديثة مع العرب .

ج — الفكرة الصهيونية .

د — الدبلوماسية الصهيونية .

هـ — علاقة الاستخبارات الأجنبية (الانتلجانس سرفيس خاصة) بالتحركات الصهيونية هنا ، في لبنان ، وفي كل مكان .

١ — الفصل في الملل والأهواء والنحل ، لابن حزم الاندلسي .

٢ — مقدمة ابن خلدون وتاريخه

٣ — تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الاسلام ، تأليف الدكتور اسرائيل ولفنسون (مقدمة : بقلم طه حسين) .

(٤) - The relations between Arabs and Israelites prior to the Rise of Islam, by D. S. Margoliouth (London, 1924)
(٥) - The Ricovery of the Holy Land, by Pierre Dubais (New-York 1956)
(٦) - Palestine : the reality, by I. M. N. jeffries
(٧) - The Land of brilead, by Lawrence Dliphant (London, - 1880)
(٨) - Our jerusalem, by Bertha Spafford Vester
(٩) - Syria and Lebanon under French Mandate, by Stephen Hemsley Lonyrigg (Oxford, 1958)
(١٠) - Le bilan juif (Confluences, par plusieurs auteurs juifs) Paris, 1947
(١١) - Le drame d'Einstein, Antonina Volleutin (Paris, 1954)
(١٢) - Three Years in the Levant, by Richard Peasse (London, 1949)
(١٣) - Prelude to Israel, An Analysis of Zionist diplomacy, by Alan R. Taylor
(١٤) - Between Arab and Israeli, by Lieutenant General E. L. M. Burns
(١٥) مؤلفات (غلوب) جندي بين العرب (الجيش العربي الأردني) .

حاشية :

يمكن دراسة الطرق التي تتبعها دوائر الاتلجانس سرفيس في التخريب ، في الاساءة إلى سمعة الاشخاص ، في تلقي المعلومات ، بقراءة رواية Kim تأليف الشاعر البريطاني المشهور Rudyord Kipling ، فهي قصة هندي استخدمه الانكليز في مخابراتهم .

وعلى ضوء هذه الدراسة يمكن تتبع الدبلوماسية الصهيونية والمقارنة بين ما كان يحدث في الماضي والحاضر .

شهادة الانجيل

في مسألة تبرئة اليهود من دم السيد المسيح

للدكتور عبد الكريم الأشتر

ينبغي ان نعرف ـ من وجهة النظر التاريخية الثابتة وحدها ـ أن هذه المحاولات المشبوهة لتبرئة اليهود من دم السيد المسيح ، تصطدم ـ قبل كل شيء ـ بصخرة الانجيل ونصوصه ، فأين يهوب مبرئو اليهود من الانجيل ؟ وبم تخاطب كنيسة روما رعاياها اذا لم تخاطبهم بنصوص الانجيل وحقائقه ؟ وكيف يصح أن يذهب الناس في فهم الانجيل ـ منذ كتب الانجيل ـ مذهباً ، وتذهب كنيسة رومامذهباً آخر ؟ وهل يجوز على العقل أن يكون للكلمة

معنيان لا يلتقيان ؟ وهل يقدر أحد على أن يغسل أيدي اليهود من دم نبي المحبة والغفران، بعد أن شهد الانجيل على جنايتها بشهادة التاريخ والمنطق والعقيدة؟

يقول الانجيل :

١ ـ إن رؤساء الكهنة اليهود وشيوخ الشعب اليهودي اجتمعوا قبل عيد الفصح في دار قيافا (Caiphà) رئيس الكهنة (فتشاوروا أن يمسكوا يسوع بمكر ويقتلوه . ولكنهم قالوا : لا في العيد ، لئلا يقع بلبال في الشعب) .

فالمؤامرة على السيد المسيح إذن دبرت ـ بشهادة الانجيل ـ في دار رئيس كهنة اليهود.

٢ ـ ثم بدأ المتآمرون يتحسسون السور الذي بناه السيد المسيح من حول الدعوة ، وهم حواريوه الاثنا عشر ، ليقعوا على الثغرة التي ينفذون منها، على نحو ما يقع الأمر في كل مؤامرة ، في كل أمة ، وفي كل عصر . فوقفوا عند اليهودي الخائن يهوذا الاسخريوطي Juda Iscariot ، حينئذ مضى أحد الاثني عشر الذي يقال له يهوذا الاسخريوطي الى رؤساء الكهنة ، وقال لهم : ماذا تريدون أن تعطوني فأسلمه اليكم ؟ فجعلوا له ثلاثين من الفضة . ومن ذلك الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه » .

فاليهودي يهوذا الاسخريوطي إذن باع ـ بشهادة الانجيل ـ دم معلمه بثلاثين قطعة فضة . وكهنة اليهود إذن هم الذين اشتروا هذا الدم الزكي ، فدفعوا ثمنه الى اليهودي يهوذا الاسخريوطي . فهم اذن ـ وهم عباد المال ـ باعوا واشتروا ، بعد أن ائتمروا في بيت رئيس كهنتهم قيافا . وقد عاد الانجيل فثبت هذه الشهادة مرة اخرى حين وصف ندم يهوذا الاسخريوطي بعد أن أبرم الحكم على السيد المسيح ، انه « رد الثلاثين من الفضة الى رؤساء الكهنة والشيوخ

قائلا : إنني قد خطئت إذ أسلمت دماً زكياً . فقالوا له : ماذا علينا ، أنت أبصر ! فطرح الفضة في الهيكل ومضى فخنق نفسه » .

يثبت إذن – بشهادة الانجيل – أن كهنة اليهود دفعوا ثمن الدم الزكي . فقد عاد يهوذا بعد خيانته فطرح الدراهم في هيكلهم . ثم إن هذه الدراهم لم تذهب هباء – فيما يقول الانجيل – فقد خجل كهنة اليهود أن يبقوها في الهيكل « في بيت التقدمة » ، « لأنها ثمن دم » ، فتشاوروا وابتاعوا بها حقل الفخار مقبرة للغرباء ولذلك دعي ذلك الحقل حقل الدم الى اليوم . حينئذ تم ماقيل بإرميا النبي القائل : وأخذوا الثلاثين من الفضة ثمن المثمّن الذي ثمّنه بنو اسرائيل » .

٣ – ثم يقترب موعد التنفيذ والسيد المسيح مع حوارييه يأكل الفصح في المساء ، فيقول : « الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني ... فأجاب يهوذا مسلمه قائلاً : لعلي أنا هو يا معلم ؟ فقال له : أنت قلت ! » .

فاليهودي يهوذا الإسخريوطي إذن هو الذي كُتب عليه أن يتولى تنفيذ المؤامرة ، فيسلم السيد المسيح إلى قاتليه ، بشهادة السيد المسيح نفسه في الإنجيل .

ثم يدخل السيد المسيح مع حوارييه ضيعة جتسماني Gethsemané ونفسه « حزينة حتى الموت » ، فينكفىء يصلي والحواريون نائمون ، فيقول لهم : « قوموا لننطلق فهوذا قد قرب الذي يسلمني . وفيما هو يتكلم إذ جاء يهوذا أحد الاثني عشر ومعه جمع كثير بسيوف وعصي ، من قبل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذي أسلمه أعطاهم علامة قائلاً : الذي أقبّله هو هو فامسكوه . وللوقت دنا إلى يسوع وقال له : السلام يا معلّم وقبّله . فقال له يسوع : ياصاحب ! لأي شيء جئت ؟ حينئذ جاؤوا وألقوا أيديهم على يسوع وأمسكوه »

فقد تولى اليهودي يهوذا الإسخريوطي إذن – بشهادة السيد المسيح نفسه – تسليمه إلى الجمع الذي أرسله رؤساء كهنة اليهود أنفسهم وشيوخ الشعب اليهودي ، وقد أحس السيد المسيح وخز الخيانة فسأل مسلمه اليهودي في ألم الصديق المؤنب : « يا صاحب ! لأي شيء جئت ؟ » .

٥ – ثم اجتمعت حلقة المؤامرة « الكهنة والشيوخ » عند رئيس كهنة اليهود قيافا . « وكان رؤساء الكهنة وكل المحفل يطلبون على يسوع شهـــادة زور ليقتلوه ، فلم يجدوا . وقد تقدم شهود زور كثيرون » .

فالشهود إذن كثيرون مدبَّرون بشهادة الإنجيل . فمن جمعهم عند رئيس كهنة اليهود إن لم يكونوا من أتباعه حتى يرضوا لأنفسهم شهادة الزور ؟.

وقــــدَّم أخيراً « شاهدا زور » فشهدا شهادتهما ، فبنى عليها رئيس الكهنة سؤاله للسيد المسيح : « أقسم عليك بالله الحي أن تقول لنا : هل أنت المسيح ابن الله ؟ » ، فلما أجاب السيد المسيح جوابه التاريخي المؤمن : « إنكم من الآن ترون ابن البشر جالساً عن يمين القدرة وآتياً على سحاب السماء » ، «حينئذ شق رئيس الكهنة ثيابـــه وقال : لقد جدَّف فما حاجتنا الى شهود ، ها إنكم قد سمعتم تجديفه ، فماذا ترون ؟».

لقد أبرم الحكم إذن ، أبرمـه رئيس كهنة اليهود في صورة مسرحية مؤثرة ، ودعا رجاله الى التصديق عليه . وردَّ رجاله كهنة اليهود في غير تردد: « إنه مستوجب الموت » ! ثم تعدى الأمر إبرام الحكم وتصديقه الى الخروج عن الحس الإنساني ، « فبصقوا في وجهـــه ولكموه » ! وهؤلاء هم كهنة اليهود بشهادة الانجيل ، لأنه ميز بين مافعلوا هم بالمسيح في ساعة محنته الرهيبة وبين مافعل شعب يهود ، فقال : « وآخرون لطموه » !

٦ - واجتمع « كل رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب » على الخلاص من يسوع ، « فأوثقوه ومضوا به ودفعوه الى بيلاطس البنطي الوالي Ponce Pilate » .

لقد نهض رؤساء كهنة اليهود إذن وشيوخ الشعب اليهودي بما يوكل عادة الى رجال التنفيذ في مثل هذه الحال ، فأوثقوا السيد المسيح ومضوا به الى مسلّم التنفيذ ، كأن الأمر يؤرقهم : فهذا ثائر يريد أن يقضي على سلطتهم ويزيح عن رقاب الناس نيرهم ، فهم « إنما أسلموه حسداً » على مايقول الانجيل .

٧ — ثم تبدأ مهزلة التاريخ ، فيقف السيد المسيح في قفص الاتهام أمام بيلاطس الوالي ، فيعرض الوالي على الجموع المحتشدة أن يطلق لهم يسوع أحد الموقوفين عنده ، بمناسبة عيد الفصح ، على نحو ماجرت به عادته . « ولكن رؤساء الكهنة والشيوخ أقنعوا الشيوخ بطلب برأباس Barabbas وإهلاك يسوع » فسألهم : فماذا أصنع بيسوع الذي يقال له المسيح ؟ فقالوا كلهم : ليصلب . فقال لهم الوالي : فأي شر صنع ؟ فازدادوا صياحاً وقالوا : ليصلب » !

أي إصرار على الخلاص من السيد المسيح أبداه كهنة اليهود وشعبهم ! هم ائتمروا وهم نفذوا ، وهم أفتوا قائلين : « دمه علينا وعلى بنينا » . ثم لما انقضى أمره وقفوا يهزؤون به قائلين : خلص آخرين ونفسه لم يقدر أن يخلصها . إن كان هو ملك إسرائيل فلينزل الآن عن الصليب فنؤمن به . إنه متكل على الله ، فلينقذه الآن إن كان راضياً عنه ، لأنه قال : أنا ابن الله » .

★ ★ ★

هذه شهادة الإنجيل ستظل تتلى على رؤوس الناس حتى آخر الزمان ،

فكيف يغسل المجرمون أكفهم من الدم الذي كدوا ليسفحوه هذا الكد الذي وصفه الكتاب المقدس وثيقة الإدانة التي لا ترد ولا تنقض ولا تبلى .

فاذا جهدت السياسات أن تطمس هذه الحقائق المقدسة ، فكيف يصحب المؤمنون عقولهم بعد ؟ وكيف يتلون الآيات المقدسة ؟ وماذا يقولون لأنفسهم بعد ؟ وكيف يصح في شرع العقل أن يقع هذا على أيدي حراس الكتاب المقدس الذين يهذّون بآياته كأنهم النحل ، في مشرق كل شمس ؟



مَنْ قتل يسوع المسيح ؟؟

ملخص عن مجلة (بورغيزه) الايطالية

تحت هذا العنوان نشرت مجلة (بورغيزه) الكاثوليكية الايطالية المشهورة ، في الشهر الثاني عشر من عام ١٩٦٤ سلسلة مقالات ثلاث، كان لها في ايطاليا صدى بعيد برغم التحفظ التي صيغت به هذه المقالات ، وبرغم حرص المجلة على عدم الظهور بمظهر المعادي للمجمع المسكوني والاتجاه البابوي في قضية تبرئة اليهود. والذي يهم في هذه المقالات هو التركيز على هدف المجلة لاظهار (تاريخية) المؤامرة اليهودية ضد الدين المسيحي ، لأسباب سياسية تستفيد منها الصهيونية واسرائيل ضد المسلمين والعرب .

---

* لم تقتصر معارضة (التبرئة) على كنيسة دون اخرى في الشرق . وكانت اهم البيانات على مستوى ديني وقومي ، تلك التي صدرت في حينه عن الكنيسة الكاثوليكية الشرقية في دمشق ، وعن الكنيسة الارثوذكسية في دمشق ، وعن الكنيسة الشرقية للسريان الارثوذكس ايضاً . ونشرت هذه البيانات على نطاقات واسعة .

ففي المقال الأول ، اشارت المجلة الى وقع محاولات التبرئة في العالم الشرقي ، والكنائس الشرقية المعادية للتبرئـــة ، كالكنيسة الكاثوليكية ، والارثوذكسية ، والسريانية والقبطية ، التي اجمعت على القول انه مامن مجمع كنسي ، تابع لأية طائفة مسيحية بوسعه أن يقوم منفرداً بمثل هذا التفسير الأساسي لما جاء في الكتاب المقدس . وبالتالي فإن اثارة الموضوع باطلة ، بصرف النظر عن وجود أكثرية وأقلية مع التبرئـــة وضدها . لأن الأحكام المقدسة في الأديان ، لايمكن ان تخضع للتصويت ..!

ثم راحت مجلة (بورغيزه) تلقي ضوءاً على المحاولات التاريخية القديمة في تبديل نصوص الدين المسيحي فقالت :

خطأ قانوني :

في الواقع ان الصدام سياسي وليس دينياً ، كما ذكرنا سابقاً ، وان تهمة قتل الرب التي يحملها اليهود قد وصلت الى حد وضعها في (المحفوظات) لا لأن المؤمنين يرون اتخاذ مثل هذا الاجراء لأسباب عقائدية ولكن لمصالح لهم في ذلــك . ولكن السياسة تحول اليوم ما كان منذ ألفي عام عقيدة مقدسة بالنسبة للكاثوليك الى خطأ حقوقي .

وهنا نهدف في تحقيقنا الى اظهار الروحية السياسية للحوادث التي تقع اليوم . وتوضيــح ان هذه الحوادث واجهت الشعب الايطالي وهو غــير مهيأ لها ، ذلك ان التقاليد قد حالت دون بحث هذه المواضيــع ، كما نود ان نذكر قراءنا اخيراً بالأحداث المتعاقبة بعد جريمة القتل القديمة هذه ، التي كان هدفها يسوع الناصري (ابن الرب) الذي تمثل انساناً .

طلبات اعادة النظر :

نلاحظ ان العنصر الاول في هذه المشكلة السياسية الدينية هو مطالبة اليهود باعادة النظر في الحكم الصادر عليهم . وتبدأ المحاولة في الفترة الواقعة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، الذي يرتبط ببدء المحاولة الصهيونية التي كانت تعمل على ازالة عوامل الضعف في النفسية اليهودية التي خلفها فيهم تشردهم في العالم واعادة تكوين دولة أمرائيل . ونظراً لأن هذه الدولة ستنشأ في قلب العالم العربي ، كان ضرورياً طرح مشكلة الصراع ضد الاصول القديمة المعادية لليهود والمزروعة في قلوب تلك الشعوب ، ومحاولة نزع التهمة الاجرامية بقتل السيد المسيح عن الشعب اليهودي واحالتها للحفظ .

ان اول محاولة في سبيل هذا الهدف كانت تحمل الطابع العلمي الالماني ،وكانت تهدف الى نقد الاصول الدينية المسيحية ذاتها ،ولم يكتف في هذه المحاولة بتعديل هذه الاصول بل بتخريبها تخريباً تاماً . وطبع الكاهن اليهودي لونفينح فيلبون عام ١٨٨٦ دراسة بعنوان « هل صلب اليهود حقيقة يسوع ؟» وحمل فيها الرومان فقط مسؤولية كل ماوقع في القدس يوم عيد الفصح من سنة ٣٣ ميلادية.

ولم تكن هذه أول دراسة او كتاب نشره اليهود المصممين على ازالة تهمة قتل الرب عن كاهلهم ، ولكنه من المؤكد أنه اعتباراً من نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين اتخذت هذه الدراسات والمطبوعات لنفسها هدفاً موحداً سياسياً بحتاً وعندما ابتدأ هذا الهدف يصبح واضحاً للعيان ازداد عدد هذه المطبوعات وازدادت لهجتها شدة .

وهكذا فقد تشكلت بتاريخ ٢٥ تموز ١٩٣١ محكمة من مفكري اليهود يرأسها الدكتور « فلاسل » لدراسة كافة بنود الاتهام ضد يسوع ، واختتمت المحكمة جلساتها بالاعتراف ، بنسبة أربعة أصوات ضد صوت واحد، بأن الحكم الصادر على رجل الناصرة كان خطأ ، ولكن الخطأ كان قد وقع بحسن نية. ولم يستطع أحد أن يعرف اسم العضو اليهودي الذي صوت ضد هذا القرار في المحكمة نظراً لعدم اهتمام الصحافة بالموضوع ولحذر اليهود انفسهم ، ولكن هذا (الرجل) لم يتردد بعد مضي قرابة ألفي عام في أن يعطي حكماً مماثلاً الحكم الذي كانت قد نطقت به المحكمة اليهودية العليا في القدس عام ٣٣ ميلادية بتجريم يسوع - المسيح واعدامه ... !!

ومما لاشك فيه أن العمل المتواصل في اعادة دراسة العهد القديم من الكتاب المقدس والأناجيل والكتب المقدسة ، الذي قام على أساس « علمي » قد ساعد على نشر التفكير المادي في العالم، بما أدى الى اعتبار كثير من النصوص التي كانت تعتبر حتى بدء هذا القرن مقدسة ولا يمكن مسها مكشوفة - عند بعض القسس الذين أحبوا أن يظهروا بمظهر التجديد - للمناقشة والبحث، سواء من خلال الكتابات المختلفة أو من خلال الندوات والمناقشات العامة .

وقد نشطت في فترة مابين الحربين العالميتين فكرة اعادة النظر ودراسة الدين المسيحي مما أدى في يومنا هذا الى اعادة تفسير المفهوم الديني ، واعادة النظر في محاكمة يسوع المسيح ، كما فعل مثلا المخرج السينمائي الايطالي بييربا لوبازوليني ، الذي يحاول أن يرينا ان الحكم لم يكن عادلاً وان هذا الحكم كان قد صدر على شخص ، يحاول بازوليني أن يرسمه بداعية للثورة في صفوف الشعب فقط . وعلى العموم فان أفكار بازوليني ليست بالشيء الجديد

بل هي مستعارة من كل ما كتب وقيل سواء قبل أو بعد الحرب العالمية في الصحافة اليهودية في محاولتها ابعاد مسؤولية قتل المسيح عن الشعب اليهودي *

ويشير ج. بوزوفن في كتابه (اليهود والمسيح) المنشور قائلاً : « ان ادانة يسوع كقضية دريفوس، ويجب علينا أن نعيد النظر في ادانتنا لأخينا الناصري البريء .!! »

الملاحقات النازية

وبوصول هتلر وحزبه الى الحكم تحولت المشكلة النظرية التي يحاول بعض الدارسين والسياسيين معالجتها الى أحداث دراماتيكية . ذلك انه تحت ضغط النازيين ، انتشر اليهود في جميع انحاء العالم يطلبون الدعم زاعمين ان تهمة قتل المسيح التي حركها عليهم الكاثوليك هي التي ادت الى ملاحقتهم وتعذيبهم .

في الواقع ، ليس لهذه الفرضية أي اساس تاريخي أو سياسي ، اذ النازية كانت لادينية أكثر من أي متحرر ديني بين اليهود انفسهم . وبالرغم من هذا فان هذه الفرضية ذاعت وانتشرت سواء لانها كانت في مصلحة المذاهب الكاثوليكية أم لانها كانت سلاحاً ممتازاً للدعاية السياسية . ولهذه الاسباب نفسها وضعت الدول الديمقراطية ايضاً بين اهدافها الوجدانية العامة - عند انتهاء الحرب - اعادة النظر في التقاليد الكاثوليكية . وقد بدأت هذه الحملة فعلا في اليوم الذي انتقل فيه « بيوس الثاني عشر » الى جوار ربه .

(*) المخرج المشار اليه، حاول تفسير السر الماورائي، بالحقيقة الاجتماعية السياسية ، وفاقاً للنظرية الماركسية المادية . وليس يحاول - كما ترى - استبعاد مسؤولية قتل المسيح عن اليهود. ومعلوم ان الشيوعية حاولت اخراج اليهود من (الغيتو) الى حقل العمل العام ، ففشلت كما فشلت شتى المحاولات الاخرى ، من دينية الى سياسية ديموقراطية . — المترجم —

ولكن المنظمات الرئيسية للرأي العام اليهودي الدولي كانت تتحرك على أساس اقوى من هذا كله . ففي ١ نيسان ١٩٤٧ نشرت الجريدة الرسمية للحركة الصهيونية والمسماة « الأرض الموعودة » مقالا بعنوان « تقاليد قتل الرب » قالت فيه : « مما لاشك فيه أن التقاليد المسيحية القاتلة ، قد شكلت القاعدة الاولى لما حصل في (اوشويتز) . ان فكرة قتل اليهود للمسيح هي التي مكنت لهذا الحقد وهذا الطغيان . **ولن تندحر فكرة اللاسامية ، وستبقى حية ، الى أن يتوقف المسيحيون عن استغلال جرثومة الحقد هذه في دينهم الذي يدعون انه دين محبة، والى ان تتوقف مدارسهم وصلواتهم عن ترديد هذه الكذبة الاساسية** » .

يكفي أن نذكر في الواقع ، انه في العام نفسه ١٩٤٧ في أوائل شهر ايار، وقف المندوب العربي في منتصف هيئة الامم المتحدة ليقاطع المندوب اليهودي ، الذي كان يحتج على التظاهرات المعادية لليهود في الشرق الاوسط بهذه الكلمات : « هل من الممكن ان يستغل ممثل الشعب الذي صلب مؤسس المسيحية مثل هذه النغمة في حديثه ؟ » .

ولكن بدا فيما بعد ، عندما استقرت دولة اسرائيل ، ان الامور قد هدأت وبدأت تظهر في العالم اليهودي نفسه تيارات اكثر اعتدالا . ففي عام ١٩٥٥ قالت المجلة اليهودية « جواديكا » : **ان اليهود يعترفون بالمسيح كأحد أبنائهم ،وعلى المسيحيين ألا يستمروا في تأنيب أبناء اسرائيل على خطأحقوقي تقع مسؤوليته على جهل احد رؤسائهم في ذلك الحين** . وعلى هذا كان من الممكن تحقيق التفاهم بين اسرائيل والفاتيكان . وقد ذكر السيد « بينهاس لابير » قنصل اسرائيل في ميلانو في مقابلة صحفية مع ممثل صحيفة « لوموند » الفرنسية بتاريخ ١٣ كانون الاول ١٩٦٣ انه في تلك الفترة كانت هناك فكرة

موضوع بحث جدي في اسرائيل عن « غرس غابة تحمل اسم البابا بيوس الثاني عشر » لتكريم البابا العظيم .

وهنالك اشخاص ، سواء في اسرائيل أم في نيويورك ، لاينسون أنه في شهر حزيران من عام ١٩٤٤ عندما دخل الحلفاء روما نشرت النشرة الرسمية للفرقة اليهودية مقالا خاصاً قالت فيه « على شرف روما الخالدة والكنيسة الكاثوليكية الرومانية فقد أصبح مستقبل اليهود أقل إيلاماً وبشاعة ، شكراً للعطف المسيحي فعلا بتقديم المساعدات والملجأ . وحتى اليوم ، فان كثيراً من بيوت الرب (الكنائس) فتحت أبوابها لليهود لحمايتهم من الملاحقة التي تعني بالنسبة لهم الموت المحقق . لأسباب واضحة ، لم يحن بعد الوقت لذكر قصة الخدمات التي أدتها الكنيسة لشعبنا » .

ولكن ما الذي حصل خلال هذه السنوات الاخيرة حتى انتقلنا من تلك اللهجة الطيبة الى موضوع (« الوكيل » ويقصد به البابا بيوس الثاني عشر الذي غدا اليهود يتهمونه باستغلال صلاحياته كممثل للرب على الارض لأغراض سياسية) وما الذي حدا اليوم بشخصيات محترمة من العالم اليهودي الى أن ينسوا المديح الذي كاله أبناء دينهم للبابا بيوس الثاني عشر وأن ينحدروا الى الحملة ضده ؟! ان الجواب للأسف ، سهل جداً : ان الكنيسة برفضها (أو تنكرها) لتعاليم البابا بيوس الثاني عشر بعد موته ، وبدعوتها للمجمع الكنسي قد مهدت طريق النصر لتلك التيارات التي كان ينظر اليها بعين الريبة حتى بين اليهود أنفسهم ! ! وهكذا فقد توصل الكاثوليك واليهود عن طريق السكرتارية التي يرأسها الكاردينال « بيا » الألماني الى اتفاق سياسي حول رفع تهمة قتل الرب عن كاهل اليهود . ولكن هذا القرار رمى أيضاً الى التشكيك في كافة النصوص الدينية التي يبنى عليها ، سواء الكاثوليك أم اليهود ، دياناتهم .

في المقال الثاني تستمر المجلة في الاشارة الى غليان العالم العربي والكنائس الشرقية ضد محاولة التبرئة . وقد انضم الى حملة الاستنكار ، جماهير اللاجئين العرب الذي حذّروا من استغلال الدين لأغراض سياسيـة . وصرّح ممثل الكنيسة الكاثوليكية في القدس بالاتفاق مع مطران اللاتين بأن اليهود لم يطالبوا بتبرئتهم لأسباب دينية بل لأسباب سياسية بحتة .

ثم تقول المجلة :

عمل « بناي بريث » :

وقد تجاهلت الصحافة الايطالية أيضاً كل هـذه الاحداث سواء منها الصحافة الكاثوليكية أم اللادينية ، لاننا اعتدنا في ايطاليا على اعتبار كافة القرارات التي يتخذها الفاتيكان جميلة وعادلة ومقدسة .

ولكن هذا لا يغير شيئاً من الحقيقة ولا يسترها . وفي الواقع فقد نشرت الصحيفة الفرنسية التي لا يمكن لأحد أن يظن أنها معادية لليهود «لوموند» بتاريخ ١٩ تشرين الثاني ١٩٦٣ مقالاً تقول فيه : « **لقـد أكدت المنظمة اليهودية العالمية (بناي بريث) رغبتها باقامة علاقات أحسن مع الكنيسة الكاثوليكية ، ولهذا فقد وضعت هذه المنظمة بين يدي المجمع الكنسي تصريحاً تؤكد فيه أن مسؤولية موت المسيح تقع على الانسانية جمعاء** » .

إن منظمة « بناي بريث » منظمة ماسونية لها محافل في ٢٤ بلداً من بلاد العالم ، واسمها باللغة العبرية يعني (أبناء التحالف) . وقد أدخل روزفلت اثناء وجوده كرئيس للولايات المتحدة عدداً من الإخوان ، من منظمة « بناي بريث » في البيت الأبيض ، وكان من بينهم الجاسوس المشهور « آلجرهس » . وقد أكدت النشرة الرسمية المسماة « الوثائق الهولندية للمجمع » (من المعروف ان الهولنديين

هم أكثر الأعضاء تحمساً للتجديد في الفاتيكان الثاني) ما جاء في صحيفة «لوموند» إذ نشرت في عددها رقم ١٥٨ مقالاً مطولاً تحت عنوان : تهمة قتل الرب والشعور المعادي لليهود عند الكاثوليك ـ ملاحظات أولية عن برنامج للابحاث عن كراهية اليهود في اميركا نظمه الـ ANTI - DEFAMATION LEAGUE B.NAI BRITH.

وقد جاء في هذا المقال الهولندي أن مركز الأبحاث التجريبية في جامعة كاليفورنيا، كان يعمل في هذه المشكلة منذ سنتين قبل عرضها على المجمع الكنسي بتكليف من منظمة « بناي بريث » وقد كانت نتائج الاحصاءات التي أجريت في الرأي العام مدهشة ، وذلك أن تلك الاحصاءات اثبتت في الواقع تمسك أكثر الكاثوليكيين بالقضايا الدينية ، وكان جميعهم يؤمنون بمسؤولية اليهود في قتل المسيح. وندرج هنا نتائج بعض الابحاث التي قام بها البعثة الاميركيون والتي وردت في النشرة الهولندية الرسمية الصادرة عن المجمع الكنسي اذ تقول:

« ان لمنظمة (بناي بريث) الحق في تخوفها من سيطرة الشعور المعادي لليهود الناتج عن التعليم الكنسي ، اذ أن هذه التعاليم تجعل الكثيرين من الكاثوليك يحملون شعوراً معادياً لليهود ، واذا ذهبنا الى أبعد من هذا البحث مع الآباء المتعصبين في مذهبهم المعادي لليهود والمبني على اساس التعصب الديني ، نجد ان الكاثوليك المواظبين على الكنيسة اكثر عداء لليهود من الذين لايداومون على الصلاة؛ وان الموالين للشعائر الدينية الاصلية اكثر كراهية لليهود عملياً من الذين يتبعون المظاهر الدينية فقط ، ويظهر ان السبب في ذلك يعود الى مفهوم المذهب الكاثوليكي في أنه الدين الوحيد الصحيح ، وان الكاثوليك هم شعب الله المختار حالياً ، ويظهر ان الكاثوليك المتعصبين اكثر تحمساً من اخوانهم

الاقل تعصباً . وان الكاثوليك الذين يرون في مذهبهم الدين الوحيد الصحيح لديهم استعداد اكثر لمعاداة اليهود *» .

الفلسفة والحقيقة :

يمكن ان يكون العكس هو الصحيح ، فالكاثوليك ومعهم كافة المتمدنين لم يحاولوا أبداً ان يأخذوا على اليهود انهم أرادوا قتل الرب .

واذا حاولنا تحليل الكلمة نفسها نجد انه من المستحيل ان يقتل (الرب) الذي هو حي لا يموت. ان التهمة الحقيقية الموجهة الى اليهود هي انهم المسؤولون المباشرون عن موت المسيح . وعلى العموم فان فكرة (المسيح ابن الله) لم تكن لتستطيع ان تدخل في عقول اليهود ، لأن مبدأهم ينعكس على تفكيرهم ويمنعهم من تقبل فكرة حلول الالوهية في شخص ما .

من هنا تأتي الفكرة القائلة بعدم مسؤولية اليهود وحدهم في قتل المسيح بل مسؤولية الانسانية جمعاء (« ان الحق يقع على الخطيئة الاولى » كما قال الكاردينال ليركارو) . ولكننا نلاحظ هنا خلطا بين القضية الرئيسية التي ضحى يسوع من اجلها وهي خلاص الانسانية ، والقضية الفورية التي صلب من اجلها . فاذا سقط ايطالي من افراد المقاومة السرية صريعا برصاص النازيين في الدفاع عن ايطاليا ، هل نقول ان المسؤول عن قتله هو ايطاليا بأسرها ؟

ليس هناك شك في انه قتل من اجل ايطاليا ، ولكن اليس المسؤولون عن قتله هم الذين حاكموه واطلقوا الرصاص عليه ؟ اذا أردنا ان ندخل تاريخ المقاومة

(*) ان النشرة الهولندية التي تنقل عنها مجلة (بورغيزه) نشرة تنطق باسم البروتستانتية الهولاندية ومعلوم ان الكنيسة البروتستانتية اكثر تسامحاً مع اليهود من الكنيسة الكاثوليكية في روما .

من الباب الذي دخله الفاتيكان الثاني لحل مشكلة اليهود ، لكان علينا أن نخلي سبيل (كايافا) ونعتقل (فيروتشوباري) .

هذه هي النقطة المهمة اذن : من الذي حكم على يسوع بالموت وسلمه لايدي الرومان مطالباً بصلبه ؟ حسب رأي الفلسفة الدينية الجديدة التي تدفعها منظمة « بناي بريث » ، لم يكن اليهود الذين قاموا بهذا . ان هذا الموقف جدير بالانتباه ، ولكنه يوصل الى بعض التعقيدات من بينها اعادة النظر في الاناجيل وفي وصايا الحواريين واعمالهم ، ولهذا فقد اشار الدارسون الاميركيون في احصاءاتهم التي ذكرناها الى ان اكثر الكاثوليك عداء لبعض التصرفات هم الكاثوليك المتمسكون بالدين ، الذين يعتقدون فعلا انهم جزء من « الايمان الوحيد الصحيح » ، والاشخاص الدينيون فقط هم الذين يخلطون بين هذا الموقف وبين العنصرية المعادية لليهود ، لان قبول الحقيقة التاريخية الدينية للأناجيل واعمال الرسل شيء ، وكون الشخص عنصرياً ، شيء آخر . وان الفارق كبير الى حد انه يمكن تحليل تجاهله بسبب واحد فقط : هو ان الذين وضعوا مشروع القرار بتبرئة اليهود لم يريدوا مساعدة اليهود بل الاساءة الى الكنيسة الكاثوليكية .

وهنا تورد المجلة مراجع الأناجيل المقدسة في فصولها حيث وردت تفاصيل محاكمة السيد المسيح وقتله ثم تقول :

عدم المعاملة بالمثل :

ان نظرية معارضي قرار المجمع الكنسي ومن يعتبره مستوحى من بعض المنظمات اليهودية يؤكدها مبدأ آخر اكثر خطورة بالنسبة للكاثوليك وهو عدم المعاملة بالمثل . لقد قال الكاردينال روميني في كلمته التي ألقاها في

المجمع بتاريخ ٢٨ ايلول حرفياً : « افضل من هذا القرار أن نوجه دعوة الى اليهود لكي لا يكرهوا المسيحيين وبصورة خاصة الكاثوليك » .

وقالت مجلة الحضارة الكاثوليكية (العام ١١٥ المجلد ٤ الصفحة ٣٧٩ بتاريخ ١٩٦٤/١١/٢١) مضيفة الى هذا قولها : « ان الكاردينال روميني يشير في هذه النقطة الى التلمود الذي يحض فيه على احتقار المسيحيين كالحيوانات » .

الواقع ان في التلمود ماهو أسوأ من هذا بحق المسيح . نجد فيه مثلاً : « ان يسوع الناصرة من الجليل كان يقوم بمعجزات مصطنعة مستعيناً بالسحر وكان له خمسة حواريين . كان يقول انه لم يأت ليعدل تعاليم الرب بل ليطبقها . قُتِل لخروجه على الدين صباح يوم السبت » (ميشنا ، سدورنيزيكين ، ماسيكتا ٤ – سانحدرين – ٤٢ – ٤٣ آ) . ومن ناحية اخرى فان التلمود يؤكد أن يسوع هو ابن احد افراد الفرقة الاجنبية في الجيش الروماني . وقد كتب موريس غوغيل بهذا الموضوع في كتابه : يسوع (بايو ، ١٩٥٠) يقول : « معروف ان التلمود يرجع الى ايام ر. اليازار بن هيركانوس أي الى نهاية القرن الاول الميلادي او اوائل القرن الثاني ، وفيه ذكر لضريح رامي السهام الصيداوي تيبريو جوليو ابدس بانتيرا ، الذي كان تابعاً لفرقة انتقلت الى منطقة نهر الرين في العام الميلادي التاسع بعدان كانت متمركزة في فلسطين . من هنا يمكن ان يظن ان المسيح ابن جندي روماني » .

وان غوغيل الذي كان عميد كلية العلوم الدينية البروتستانتية في باريس ، لم يتردد في رفض ماجاء في التلمود حول ولادة يسوع ، في حين ان آباء المجمع الكنسي قد وافقوا على القرار الشهير المتعلق باليهود دون ان

يطلبوا من الجهة الاخرى تطهير معتقداتها بالمثل . وقد علّق احد كبار شخصيات الفاتيكان على القرار قائلاً : ان التصرف كان من جهة واحدة وان الاناجيل قد مُسخت .

ومع هذا كله فان المعنى السياسي للتصويت أعمق بكثير من هذه المعاني الدينية كافة ، وسنراه في القسم الأخير من المقال .

– ٣ –

واختتمت مجلة (بورغيزه) أبحاثها في الحلقة الثالثة بما يلي :

نشرت صحيفة الجورنال دي جنيف بتاريخ ٣ كانون الاول خبراً من الشرق الأوسط لمراسلها ادوار صعب ، الذي هو في الوقت نفسه مراسل صحيفة لوموند الفرنسية ، وقدمت الخبر بمقدمة خاصة لترفع عن نفسها تهمة معاداة اليهود عنصرياً فقالت : وان الفكرة العربية تفرق بين الشعب اليهودي الذي يستحق التسامح الاسلامي المشهور تاريخياً وبين (الصهيونية الاستعمارية). ان قراءنا يعرفون حياد مراسلنا في الشرق الأوسط الذي هو مراسل صحيفة لوموند ايضاً ويمكنهم ان يثقوا به . وهو لم يبالغ في وصف مايحدث حالياً هناك . ونرجو أن يكون لدى قرائنا الحكمة التي تمكنهم من عدم اعتبار مراسلنا المسؤول عما يحدث هناك ، إذ ان عمله يتلخص في نقل الوقائع . ونحن نعلم ان السفاحين فقط في التاريخ هم الذين كانوا يقتلون حاملي الأخبار التي لاتسرهم ، ان الشعوب العريقة تفضل أن تكون على علم بالأشياء وان تعرفها وتفهمها بحرية ،

اننا نجد السبب ، الذي دعا الصحيفة الى كل هذه المقدمة ، في الخبر نفسه الذي كان ينقل دون أية تغطية الحالة النفسية في الشرق الاوسط الناتجة عن قرار المجمع الفاتيكاني الثاني بالنسبة لليهود . قال احد برابي فنادق دمشق لمراسل الجورنال دي جنيف :

« نحن لسنا حمقى ، اننا نعرف التفريق بين ماهو دنيوي وماهو

روحي ولا يمكن إلا لجاهل ان يعطي لقرار الفاتيكان صفة دينية ، ان اليهود لايهتمون بقرار يتخذه مجلس كاثوليكي . ولكن النتيجة التي يرمون اليها هي استعطاف العالم الغربي أكثر وأكثر بالنسبة لمصيرهم . إذ أن اليهود سيقولون المسيحيين من الآن فصاعداً أنتم أنفسكم تعترفون اننا قاسينا بدون عدل ولا رحمة مسؤولية دم المسيح لمدة ألفي عام واننا عوملنا بقسوة من أجل هذا » . كما قال طالب لبناني للمراسل : « ان مايؤسف له في هذه القضية هو وضع الآباء المجتمعين في الفاتيكان الثاني ، إذ أنهم يحاولون ايجاد السبب القانوني لتصرفهم وكأنهم يريدون ارضاء ضمائرهم » .

وقد كان من نتيجة هذه الحالة النفسية ان عدة هيئات اسلامية أشارت في بياناتها الى (الضغط الذي تمارسه الصهيونية العالمية على رؤساء الكنيسة الكاثوليكية) . وهذا يثبت ان الكنيسة مستعدة في خط سيرها الجديد لمحاباة الصهيونية أي لمعاداة الاسلام والعرب . يجب على الكنيسة الكاثوليكية ان تعرف ان هذا الموقف سيفتح هوة عميقة بين العالم الاسلامي والعالم الكاثوليكي ، وعلى دولة الفاتيكان التي لها مؤسسات ومصالح في الاراضي الاسلامية محمية منذ قرون بالضمانات الكريمة وبروح الضيافة سواء الاسلامية او العربية ، أن تعرف ان هذه المصالح يمكن أن تصبح مهددة بشكل خطر .



من وقائع التبرئة

المجمع المسكوني وتبعات الكنيسة

عرض الوقائع بقلم: مطري حمارنة

لقد اثبتت التجارب الماضية بان الصهيونية ما توانت لحظة عبر بروزها كمنظمة سياسية عن استخدام نفوذها الاقتصادي والسياسي، وبواسطة عملائها الكثر داخل الولايات المتحدة وخارجها لاحراز الكسب السياسي والأدبي والتأثير على مخططي السياسة الغربية لاظهار الكيان الاسرائيلي السياسي الى حيز الوجود مستخدمة في سبيل ذلك مختلف الوسائل وشتى الدعايات والتعاليم. فمنذ تقسيم فلسطين وتأسيس الدولة الدخيلة، والسياسة الاميركية ووسائل دعايتها واعلامها وصحفها، مسخرة لخدمة

الصهيونية العالمية تؤمن لها الحياة والديمومة وتمد لها اسباب البقاء بما تغدقه عليها وعلى حليفاتها من معونات اقتصادية ضخمة أمنت لها الحياة ، بالرغم من وجودها في منطقة تشعر انها غريبة عنها وتعتبرها دخيلة وعميلة استعمارية ، خلقها الاستعمار الامريكي الجديد بالتواطىء مع الاستعمار الغربي القديم الذي مثلته بريطانيا اقذر تمثيل بما اقترفته في حق شعوب المنطقة من جرائم بشعة كانت سبة في جبين المدنية الغربية وعاراً في تاريخها وخرقاً صارخاً لمبادىء العدالة والاخلاق العامة وانتها كاً صريحاً لميثاق الامم المتحدة وتحدياً سافراً لشعور الملايين من ابناء المنطقـــة ضحية المؤامرات الاستعمارية التي حاكت خيوطها كل من بريطانيا والولايات المتحدة في الأمم المتحدة حين اقتطعت فلسطين المشردين والنبوذين من الصهاينة ، متحدية بذلك ارادة العرب والشعوب المؤمنة بالعدالة الانسانية والمثل الاخلاقية الرفيعة ومبادىء الحرية .

ففي جميع المؤتمرات الدوليـــة الهامة التي عقدتهـا الدول غير المنحازة ومنظمة الدول الافريقية ، ارتفعت أصوات الاحرار منددة بالعمل اللاأخلاقي المنافي للعدالة الاجتماعية والمدنيـــة الذي اقترفته بريطانيا ونفذته الولايات المتحدة بمالها من نفوذ سياسي واقتصـــادي على العديد من الدول التي اشترت اصواتها في الماضي ومازال تشتريها وتسوقها سوقاً لتنفيذ مآربها ، تارة بالضغط السياسي والاقتصادي واخرى باثارة عطف هذه الدول على الشعب الذي قيل انه تعرض عبر حقب التاريخ القديم والحديث لظلم مزعوم واضطهـاد موهوم وما ذكر من اخبار ملفقة عما قيل انه اقترف في حقه من مذابح ومجازر على أيدي النازية ابان الحكم الهتاري ومارافق ذلك من مبالغات وملابسات بحاجة الى دراسة وبحث مفصلين .

طبيعة اليهود وبروتوكالات صهيون

وتناست الدول الاستعمارية التي خلقت اسرائيل وأمدتها بمادة البقاء او تعامت عن الطبيعة اليهودية المتآمرة على كل نظام دولي واستقرار وسلم عالمي ، فكان دأبها عبر التاريخ على خلق الفوضى ونشر الدمار والخراب والسيطرة على الشريان الحيوي السياسي للدول بما تملكه من مصادر اقتصادية هائلة وما تمارسه من سيطرة على جميع وسائل الاعلام والدعاية في الدول الغربية . فقد نصت بروتوكولات حكماء صهيون على وجوب اللجوء الى العنف تارة والخداع والرياء اخرى والرشوة والغش والخيانة وحجز ممتلكات الغير من اجل كسر مقاومة الدول غير المستعدة لان ترضخ للقوة اليهودية . وتنص كذلك على وجوب تدمير جميع الدول غير اليهودية عن طريق استغلال التناقضات المختلفة وتحقيق الحقوق اليهودية على حساب حقوق ابناء البلاد وتوجيه الصحافة حتى تصبح الثروة اليهودية عاملاً أساسياً في كسب الحروب الاستعمارية .

تأثير اليهود على الكنيسة البروتستنتية

لقد مارس اليهود وما يزالون يمارسون بعض السلطة على جزء غير قليل من الكنيسة البروتستنتية . والسبب ان ليس ثمة روابط تربط الكنائس البروتستنتية — خصوصاً في الولايات المتحدة — بسلطة عليا فليس للكنائس البروتستنتية المختلفة الاتجاهات والمتعددة الاهداف أية روابط تربطها بمرجع عام اعلى — كما هي الحال في الكنيسة الكاثوليكية — تستمد منه مختلف الكنائس سلطتها أي من السلطة العليا التي يمثلها البابا والمجمع المسكوني في روما .

أضف الى ذلك ان اعتقاد الملايين من البروتستنت في جميع انحاء العالم « بمجيء المسيح الثاني » الذي جاء ذكره في العهد الجديد ، حدا بهؤلاء البسطاء من المؤمنين التواقين للتعجيل بهذا المجيء لان يؤيدوا رجوع اسرائيل الى فلسطين، لان مجيء المسيح حسب اقوال بعض المبشرين والكنائس البروتستنتية « مشروط بعودة اليهود الى فلسطين » .

ولاشك بان المنظمات المسيحية اسماً واليهودية قلباً وقالباً ـ من مثل شهود يهوه وغيرها من البدع المسيحية التي غذتها الصهيونية المالية وامدتها بالاموال لافساد الضمائر وانتهاك العقائد ـ هي التي تعمل على تسميم الافكار ونشر التعاليم الكاذبة وتفسير العقائد المسيحية بالصورة التي تكفل تهيئة الجو لبذر التعاليم الفاسدة كما هي الحال بالنسبة لقضية مجيء المسيح الثاني . وما توانت هذه المؤسسات ـ المسيحية ظاهراً والصهيونية باطناً ـ عن نشر الدعاية الكاذبة الباطلة ، متذرعة بخداع السذج من المسيحيين وحملهم على العطف على القضية اليهودية . ولم يتورع اتباع هذه المؤسسات (ولا ادعوها كنائس) عن التجسس لحساب اسرائيل على الامة العربية ، كما اثبت التحقيق في قضية القس قرح الذي شنق في ساحة المرجة بدمشق ، جزاءاً وفاقاً لما اقترف في حق امته في سبيل عرض زائل، مستخدماً في تنفيذ غاياته الجاسوسية اقدس رموز المسيحية .

اليهود والصلاة الربانية

وقد تبدى نفوذ الصهيونية في الولايات المتحدة في القضية الهامة التي اقامتها بعض الجهات اليهودية في الولايات المتحدة وأدت الى الغاء نص دستوري كان معمولا به في المدارس الاميركية منذ الاستقلال .

فقد ذكرت صحيفة الهيرالد تريبيون التي تصدر في نيويورك بأن بعض الجهات اليهودية اقامت الدعوى لدى محكمة العدل العليا مطالبة بالغاء العرف المعمول به في جميع المدارس الامريكية العامة والخاصة والقاضي بتلاوة الصلاة الربانية صباحاً في جميع هذه المدارس قبل البدء في الدروس . وكانت النتيجة ان اصدرت حكمها طبقا لرغبة الصهيونية العالمية وابطلت عادة معمولا بها منذ قيام الاتحاد - بل وقبله - في جميع المدارس العامة والخاصة .

ان يصل نفوذ الصهيونية العالمية الى قلب الحياة العامة الامريكية وصلب عقائدها الدينية أمر لم يكن مستغربا ولا مستهجنا . فقضية السيطرة الصهيونية على الحياة الاقتصادية والسياسية والعلمية الامريكية امر معروف لدى جميع دول الارض ، فقد خبرته وعرفته في كثير من الاحداث الامريكية الداخلية ، وليست حملة الانتخابات الامريكية - وما رافقها من تذلل واستدرار العطف وقطع الوعود المريضة - ببعيدة عنا .

النفوذ الصهيوني في الكنيسة الكاثوليكية

أما ان يصل النفوذ الصهيوني الى أقدس مقدسات الكنيسة المسيحية الكاثوليكية وافساح المجال للصهيونية حتى لبذر بذور فسادها وتقويض دعائم العقيدة المسيحية ، فأمر لم يكن ليخطر على بال احد ، ذلك لان الكنيسة الكاثوليكية دون سواها من الكنائس المسيحية خبرت الشيء الكثير من مفاسد الصهيونية العالمية وذاقت الامرين من شرورها في خلال الحربين العالميتين . وكانت الكنيسة الكاثوليكية قد عرفت عبر الاجيال الماضية الشيء الكثير ، من مفاسد اليهودية وجشعها وتكالبها على جمع المادة التي هي عماد مؤامراتها ودسائسها . ولاشك بأن شكسبير عندما يَسِمُ اليهود بأقذع النعوت واقذرها معبراً عن طبيعة اليهودية

العـــالمية الدنسة ، كما عبر عنها في مسرحيته الشهيرة «تاجر البندقية» ، وحين يصف اليهود بهذه الاوصاف على لسان ابطالها انما كان يعبر عن ايمـــان الشعوب المسيحية الاوربية بفساد اليهود الطبيعي وغريزتهم الشريرة وحبهم للسيطرة وحبك الدسائس والمؤامرات بأحط الوسائل واقذرها . فلابدع أن يصاب العالم كلـــه ـ خصوصاً في الشرق ـ بهول الصدمة حين تناقلت الاخبار بداية حبك خيوط المؤامرة الحقيرة على أقدس مقدسات المسيحية ومهاجمة معقلها والسيطرة في معتقدات أحبارها ومفكريها . فكيف يمكن تبرئة اليهود من دم المسيح بعد أن ذكر الانجيل أن دمه عليهم وعلى أولادهم .

المجمع المسكوني وأهدافه

كان الغرض من الدعوة لعقد المجمع المسكوني منذ البداية غرضاً دينيا جملة وتفصيلا . لقد وجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها ، على ضوء التطورات العالمية والاحداث التي غيرت وجه التاريخ ، مجبرة على دعوة الاحبـار والبطاركة من جميـع انحاء العالم لاعطاء رأيهم في هذه التطورات ومدى تأثيرها على علاقـــة الكنيسة بغيرها من الديانات والمؤسسات ومعرفة مايجب عمله بالنسبة للقضايا الهامة التي باتت تشغل المحافل الدولية وتقيمها وتقعدها . لقدشعر البابا يوحنا الثالث بضرورة ايقاظ الكنيسة من رقادها حتى تسهم في حل مايمكن حله من القضايا الدوليـة التي تعرض السلام الذي بشرت به المسيحية للخطر . وكانت النتيجة أن خطا البابا يوحنا الثالث والعشرون خطواته البناءة التي جاء البابا بولس السادس ليتمها ، وكان ان بدأ بداية حسنة حين قام بزيارة الاماكن المقدسة ، تلك الزيارة التي عارضهـا اليهود واعتبرها العالم العربي وغير العربي ثورة على الجمود الذي ران على الكنيسة طوال الحقب الماضية واستقبلها الشعب بمظاهر الغبطة على اعتبار انها خطوة مباركة

في سبيل الاحاطة بالمأساة الفلسطينية والوقوف على أسرارها الخفية التي ظلت خافية على عظماء ورجالات الكنيسة . واستقبل الحبر الاعظم باعظم مظاهر الحفاوة والتكريم ، الامر الذي افزع الصهيونية العالمية وارعبها فحاولت جاهدة أن تستدرج البابا الى الشرك الذي قررت أن تنصبه له بأن دعته لزيارة اسرائيل زيارة رسمية ليكون ذلك في رأيها بمثابة اعتراف ضمني ، ولكن البابا فطن للعبة فاحبطها برفضه الموافقة على ما طلبته اسرائيل.

ولكن الصهيونية ، ومن ورائها الدول الاستعمارية التي لما تفق من هول الصفعة التي وجهت الى وجه الصهيونية الصفيق ، أخذت تعد العدة لكرة ثانية تجرب حظها فيها ، وكان مسرح المؤامرة هذه المرة المجمع المسكوني الثاني الذي دعا اليه البابا بولس السادس للبحث في بعض الامور والتطورات التي تهم الكنيسة المسيحية الكاثوليكية . وقد اختارت لتنفيذ هذه المؤامرة اجبار ا من الولايات المتحدة نفسها ، لما لهذه الدولة من نفوذ على الكنيسة الكاثوليكية التي أصبح لزاما عليها بأن ترد لها الدين ، وذلك حين انتخبت جون كنيدي ليكون رئيسا للولايات المتحدة وهو الكاثوليكي المعروف ، الامر الذي ليس له سابقة في تاريخ الولايات المتحدة .

نذر الخلافات في جو المجمع

وقد تبدت منذ البداية في جو المجمع المسكوني نذر الخلافات الحادة بين التقدميين والمحافظين من الاحبار والاساقفة. وكان المعلوم لدى الذين حضروا دورة المجمع المسكوني ، ان هنالك قائمة ستقدم من اجل اتخاذ مقررات هامة ومتطرفة لاحداث اصلاحات باتت الكنيسة تشعر بضرورة تنفيذها لتساير ركب التقدم والتطور .

وكان من جملة هذه القررات، التي سيتوصل اليها الاحبار في مجمعهم هذا، قضية مشاركة الاحبار في سلطة البابا العليا في الشؤون الكنسية . فقد كان من المقرر اقامة لجنة عليا من احبار الكنيسة تجتمع بصورة منتظمة في روما وتشارك البابا في الاشراف على امور الكنيسة . وحتى تكون هذه اللجنة فعالة ، كان لزاماً عليها ان تكون مؤلفة من عدد صغير وان تكون فوق اللجان الاخرى من حيث سلطتها . وقد اقر المجمع كذلك باكثرية ساحقة مسألة الحرية الدينية التي تقضي بان يتبع الانسان اوامر ضميره في الامور الدينية . ولقد عارض هذا المشروع كل من الكاردينال رفيني والكاردينال اوتافياني ، يؤيدهما عدد لا بأس به من الاساقفة الايطاليين والاسبانيين ، وكان في صف المارضة كذلك الكاردينال جيكونياني أمين سر البابا ، ولكن لم يكتب النجاح لمارضي المشروع بالرغم من اتسام معارضتهم بالقوة والشدة . وكان مشروع الحرية الدينية هذا يهدف الى المضي في الحوار مع الكنائس المسيحية الاخرى والخاص بامكانية توحيد هذه الكنائس. ولكن أشد الخلافات وأعظمها احتداماً تلك التي دارت حول المقترحات الخاصة باليهود .

في المشروع الاول الذي قدم المجمع المسكوني سنة ١٩٦٤ ، كان اليهود يائسين من اقرار قضية تبرئتهم من قتل المسيح . وقد عدلت الفقرة الخاصة بهذا الموضوع بسبب رد الفعل العربي ، كما تقول مجلة الايكونومست الانكليزية . وقد عارض هذا المشروع الاساقفة الشرقيون بشدة وبقوة .

وعندما قدم المشروع للمجمع الحالي ، ظهر ان الفقرة الخاصة بتبرئة اليهود قد حذفت منه فثارت ثائرة اصحاب الفكرة ومؤيديها واعيد المشروع الى الكاردينال (بيا) الالماني وأدى ذلك الى اقراره من قبل الاكثرية الساحقة على

النحو المعروف الذي احدث اعظم رد فعل بين المسيحيين الشرقيين من جميع الطوائف . وكان من جملة الامور التي ناقشها المجمع في دورته الماضية مسألة تحديد النسل وقضية الحرب النووية . وقد بحث المجمع كذلك قضية الفقر والجوع في معظم انحـــاء العالم ، فقرابة ثلث اعضاء المجمع المسكوني هم من الدول المتخلفة اقتصادياً .

هذه هي صورة عامة لما جرى بحثه في دورة المجمع الماضية واحدث اعظم ضجة وبلبلة في العالمين الاسلامي والعربي ، ذلك لان لقضية تبرئة اليهود من دم المسيح معنى سياسياً بعيد الاثر في علاقات الفاتيكان بالعـالم العربي وبالكنيسة المسيحية الشرقية باسرائيل .

كيف تمت الموافقة على الفقرة الخاصة بتبرئة اليهود

قبل انتهاء الدورة الماضية بيومين وقف الكاردينال تسيران رئيس مجلس الاثني عشر وأعلن تأجيـــل البت في قضية الحرية الدينية لتتـــاح للآباء والاحبار فرصة دراسة المشروع واعطاء رأي قاطع حوله، واشار الى ان رئاسة المجلس ترى ان من المناسب تأجيل البحث في هذا الموضوع ، ولهذا لن يجري التصويت عليه . وسرعان ما ثارت ثائرة معظم الموجودين، فاتجهوا الى كنيسة القديس بطرس، بقيادة الكاردينال ماير كاردينال شيكاغو . وكان ماير هذا يعرف بان المعارضين يتألفون فقط من احبار ايطاليا المحافظين والاساقفة الشرقيين ، وادعى بانه كان لدى هؤلاء الوقت الـكافي لدراسة المشروع واقراره . وطلب الاسقف فرانسس ريه ـ رئيس كلية امريكا الشمالية في روما ـ من الحضور المبادرة الى تقديم عريضة الى البابا يطالبونه فيها بان يعارض قرار المحـــافظين . وفي خلال ٩٠ دقيقة تم الحصول على توقيع (٨٠٠) اسقف على هذه العريضة، وكلهم من امريكا الشمالية .

وساندهم بعد ذلك عدد كبير من اساقفة اوروبا الغربية . وهكذا ايد، ما يزيد على ألف وثمانمائة اسقف ، مشروع اعلان تبرئة اليهود من قتل المسيح والاعلان عن انهم لم يكونوا مسؤولين عن قتله لا في الماضي ولا في الحاضر . ولكن الايكونومست تعود فتقول بان البت في هذا الامر بصورة نهائية سيتم في الدورة الرابعة التي لن تكون قبل عام (١٩٦٦) .

ردود الفعل في العالمين الاسلامي والمسيحي

وما كادت انباء هذه المؤامرة والطعنة النجلاء، التي سددت الى اقدس العقائد المسيحية ، تنتشر على الملأ ، حتى بادر المسيحيون والمسلمون على السواء الى اعلان سخطهم الشديد واستنكارهم للخطوة الهدامة التي خطاها اعضاء المجمع المسكوني من الكرادلة والاساقفة الامريكيين. وكان مثار هذا السخط والاستنكار مايعنيه نجاح المؤامرة الصهيونية الدنيئة ، وما يترتب عليه من نتائج على الصعيدين السياسي والديني في العالم العربي .

فعلى الصعيد الديني، تعني هذه التبرئة تغلغل النفوذ الصهيوني في شرايين الحياة المسيحية والسطو على مقدساتها وتقويض اقدس ركن من اركانها ونقض تعاليمها وزعزعة ايمانها بكتبها المقدسة التي لم يتسرب اليها الشك في تاريخ المسيحية الطويل . ويعني كذلك رضوخ الكنيسة المسيحية لارادة الصهيونية التي استخدمت في تحقيق اغراضها نفراً من الاحبار قال عنهم الكثيرون من المسيحيين العرب في برقياتهم الكثيرة التي طيروها للحبر الاعظم ، بانهم باعوا ضمائرهم ونفوسهم رخيصة في سبيل تحقيق غايات الصهيونية الحقيرة وضحوا بمقدسات المسيحية وعقائدها على مذبح المؤامرات اليهودية .

اما على الصعيد السياسي العربي فالامر ادهى وامر . فالقضية تعني انهيار

حصن من حصون المسيحية كان قائماً الى امد قريب طوداً شامخاً في وجه الدسائس الصهيونية والمؤامرات الاستعمارية التي استهانت الكرامة الانسانية ونحرت مبادىء العدل والانسانية على مذبح مطامعها وشهواتها وشردت شعباً بأسره تحقيقاً لمصالحها .

وتبرئة اليهود من قتل المسيح يعني على الصعيد السياسي الدولي اعتراف الفاتيكان باسرائيل الباغية ويعنى كذلك رضوخ الكنيسة الكاثوليكية لشرذمة من البشر ، دينها نشر المفاسد والشرور ، وديدنها العدوان والعمالة ، وهمها بث الخوف وعدم الاستقرار وتقويض دعائم السلام في المنطقة .

لقد كان العرب — من مسيحيين ومسلمين — يؤمنون كل الايمان بأن حصن الفاتيكان سيظل صامداً راسخاً منيعاً مها ثار عليه من زعازع وهب عليه من اعاصير سياسية ، ومها اشتد عليه ضغط الدول الاستعمارية التي تخطط لاغتيال هذا الشرق المستيقظ ، تحدياً لكل دن وخلق ، طالما أن ذلك يخدم استراتيجيتها العسكرية الاستعمارية عن طريق وجود اسرائيل .



دراسات وترجمات

-٣-

من كتب القضية و مراجعها

- الطريق الى بئر السبع
  ونبوءة تحرير فلسطين
  بقلم حسام الخطيب
- الأرض والغزو وبن غوريون
  بقلم محي الدين صبحي
- ندينهم بأقوالهم « قصة الارغون »
  كما يرويها الارهابي (مناحيم بيغن)
  للدكتور عادل عبد الله
- الستار الحديدي
  حول امريكا
  عرض وتحليل الدكتور غسان المالح
- ندوة فلسطين العالمية
  عرض وتحليل اسكندر لوقا

في «الطريق الى بئر السبع»

ونبوءة تحرير فلسطين

(حديث حول رواية اثيل مانين)

بقلم حسام الخطيب

حين يوازن المرء بين العمق المأساوي للنكبة الفلسطينية وبين صورة هذا العمق في الأدب العربي المعاصر، سرعان مايصاب بدهشة مرة وخيبة أشد مرارة . . . . هل مات شيء ما في الوجدان الأدبي للانسان العربي ؟ هل هو "عمي" الخوف امام الواقع الرهيب الماثل ؟ هل هي الهزيمة تمد عروق الشلل في نبضة القلب وخطورة الذهن ورقة الشعور ؟ . . هل هي النكبة تقطع ، باستمرارها وصيرورتها ، الطريق على الرؤية الكاملة المرتوبة التي ينبثق منها العمل الأدبي ذو الشخصية ؟

على أن المفاجأة الكبرى التي تواجه الباحث في أدب النكبة أن يجد تجربة النكبة ، بكثير من أبعادها ، مطمئنة الى مستقر لها في عمل أدبي أجنبي ، بحروف انكليزية وبقلم مؤلفة لم تعرف أيام النكبة المحفوفة بالاهوال وانما أشجتها أصداؤها على بعد آلاف الأميال ، وأثارت في نفسها تلك الجذوة من الحس الانساني التي تلهب الحرف بأبلغ المعاني .

والعمل الأدبي الذي نتحدث عنه هو « الطريق الى بئر السبع » للكاتبة الانكليزية اثيل مانين الذي نشر للمرة الاولى سنة ١٩٦٣ ، وأعيد طبعه سنة ١٩٦٤ .

The Road to Beersheba

by

Ethel Mannin

والناشر : Hutchinson of London

ومما يدعو الى الارتياب والتساؤل اختفاء هذا الكتاب ، بطبعته الانكليزية أو ترجمته العربية(١) ، من واجهات دور الكتب العربية ، كأنما وصلت اليه في غفلة من أصحاب الدار ، تلك اليد التي تستل عادة من كل مكتبة في شرق العالم وغربه كل كتاب أتيح لمؤلفه أن يصافح حقائق القضية الفلسطينية أو يتوغل في ثناياها ودقائقها .

٢

المؤلفة

تنحدر اثيل مانين من أصل ايرلندي ، وقد ولدت عام ١٩٠٠ وسهرت على تثقيف نفسها بعد ان تركت المدرسة في الرابعة عشرة من عمرها ، وقد عملت في الصحافة ثم انصرفت الى كتابة الروايات وانجزت روايتها الاولى في الثانية والعشرين من عمرها ، ودأبت على تأليف رواية كل سنة تقريباً ، وكذلك أنتجت كتباً عن رحلاتها في الهند وبورما وروسيا ومراكش واليابان والشرق الأوسط ، كما كتبت سيرتها الذاتية في ثلاثة مجلدات . وأثار كتابها (اعترافات وانطباعات Confessions and Impressions) ضجة كبيرة في العقد الثالث من هذا القرن ، واعتبرت حينذاك شابة غاضبة . وهي تصنف نفسها اليوم في عداد الفوضويين .

---

(١) ترجم الكتاب الى العربية في سلسلة (كتابي) المصرية ، وقد أتت هذه المترجمة مطبوعة بطابع العجلة وباحت لنفسها حذف كثير من مقاطع الوصف والتحليل النفسي ، مع ميل الى التزيد في بعض المواقف .

وقد ترجمت كتبها الى الفرنسية والألمانية والهولندية والاسبانية والايطالية والاسكندنافية . وفيما يلي قائمة ببعض مؤلفاتها :

روايات : (وعددها ٣٨ حتى الآن)

جوع البحر	Hunger of the sea
أطفال الأرض	Children of the Earth
رايات ممزقة	Ragged Banners
كل رجل غريب	Every man a Stranger

في السياسة والأخلاق :

النساء والثورة	Women and the Revolution
المنطق السليم والأخلاق	Commonsense and Morality

أسفار وذكريات :

جنوب سمرقند	South of Samarkand
الموزاييك المراكشي	Moroccan Mosaic
حرية من أجل العرب	Alance for the Arabs

- ٣ -

الرواية

في الرواية ثلاث مراحل كاملة :

الأولى : الخروج Exodus

وهي تروي كيف احتل اليهود مدينة اللد العربية ، والفظائع التي ارتكبوها هناك من ابادة بالجملة واعتداء على حرمات المساجد والمنازل وهتك للاعراض واستهتار بكل القيم المتعارفة ، وكيف أجبروا العرب على مغادرة مدينتهم المحبوبة ، وفي مقدمتهم بطرس منصور أخد وجهاء اللد وزوجته الانكليزية ماريان وابنه انطون ذو الاثني عشر ربيعا وبقية أفراد الأسرة ، وكيف هامت هذه الألاف من النساء والاطفال والعجزة في البراري والقفار ، وما لاقوه من أهوال ومخاطر في الأرض الوعرة الجافة التي ضاعوا في شعابها ووديانهـا

لصحرائها ، تتناولهم غائلة الجوع والعطش ، وتمتص مخاوف المتاهات أرواحهم ، ولفرعهم ضربات الشمس المتأججة ، الى ان وصل من كتبت له النجاة منهم الى مدينة رام الله ، وقطن معظمهم في العراء بعد ان يلقوا مأمنهم ، وكان بطرس منصور اوفرهم حظاً اذ وجد دار صهره الثري جاهزة لاستقباله في رام الله ، وكذلك داره في أريحا .

والثانية : المنفى Exile

والمنفى هو انكلترا . والمنفي هو انطون الصغير الذي اضطر الى مغادرة فلسطين مع والدته ، بعد وفاة والده بطرس الذي لم يستطع احتمال تباريح النكبة .

في انكلترا يوضع انطون في مدرسة محترمة ويتشرب اساليب الحياة الانكليزية ،ولكنه لاينسى موطنه أبداً ، يساعده على ذلك ان المراسلات لاتنقطع بينه وبين صديقه وليد حسين الذي ظل يلهب حنينه الى العودة .

خلال سنوات المنفى الخمس نشاهد تجارب انطون المختلفة في الوسط الانكليزي : حياته مع جديه ، انفصاله النفسي عن امه ، اصطدامه الدائم مع الوسط الانكليزي المشبع بالدعاوة الصهيونية ، تعلقه — لأول مرة في حياته — بفتاة يتكشف له اخيراً اصلها اليهودي فينفر منها ، شعوره الدائم بالانتماء الى فلسطين ورفضه الضمني الانتماء الى المجتمع الانكليزي بالرغم من ائتلافه الظاهري مع هذا المجتمع .

وفي هذه المرحلة تمهيد كاف للمرحلة القادمة (العودة) ،وتتوالى في آخرها اصطدامات انطون مع الوسط الانكليزي حتى تقتنع والدته بالسماح له بالعودة ولسان حاله يقول :

ان جيلي من الفلسطينيين سوف يشهد تحققها (العودة) لأننا سنعمل من اجلها ، ان فلسطين سوف تتحرر على يد الفلسطينيين ..

والمرحلة الثالثة : العودة Return

واخيراً يصل انطون منصور الى مطار عمان ويجد وليداً في استقباله ، ثم يلتقي بثريا ساويا وتلتمع عيناهما علامة التقاء الروحين ، ويلتحق بعد ذلك بعمله في بيت لحم ، ويواظب على لقاء ثريا في اوقات عطلها ، وكذلك يواظب على لقاء وليد حسين ويستكمل معه ومع طالب حمادة رسم خطة التسلل الى بئر السبع التي لبث يحلم بها طوال اقامته في انكلترا . وكلما اقترب موعد تنفيذ الخطة كان يتضح في نفس انطون صراع متدرج القوة بين عاطفة حبه الثريا ورغبته في ان يكون لها وحدها ، وبين تشوقه لتحقيق حلم التسلل وشعوره بالالتزام العميق تجاه وليد

وطالب . واخيراً يبلغ به الصراع مرحلة التردد فيأخذ باستشارة ثريا ومعارفه من الاجانب والبورجوازيين الذين يجمعون على التبيط همته .

وفي هذه الاثناء يصارح انطون ثريا بحبه ويعرض عليها الزواج ويحددان موعداً للخطبة ويرسل انطون في طلب امه ماريان لتحضير الخطبة ، ثم يأتي اليوم الموعود ويتجه انطون مع طالب الى الخليل ويلتقيان بوليد حسين ويرسمان خطة التسلل ، ويبدو انطون في الجلسة النهائية شارد اللب ثم يعلن ان ايمانه بجدوى التسلل قد تلاشى وينسحب بين حنق وليد وشماتة طالب .

وفي الليلة نفسها يسمع ذوو وليد في الخليل طرقات على الباب ، ويفاجأون بانطون يطلب اليهم خريطة لانه يريد اللحاق بوليد وطالب . ويحاولون صده ولكنه يصر ، ويتجه الى بئر السبع في الليل البهيم ويتخبط في سيره ، ويقترب من احدى المستعمرات ، فتقتله دورية يهودية .

وفي الوقت نفسه تصل امه ماريان الى مطار عمان بهدف الاشتراك في حفلة خطوبته الى ثريا ، ويبلغ وليد وطالب مأمنهما في منزل وليد القديم في بئر السبع .

مراحل الرواية
ومراحل القضية

تبدو الرواية رداً على رواية (الخروج Exodus) الصهيونية التي استغلها الصهيونيون على نطاق دولي ، وهي تمثل المراحل الثلاث التي مر بها الشعب العربي الفلسطيني منذ النكبة عام ١٩٤٨ ، حتى الأيام الاخيرة ايام « العاصفة » والاهتداء الى طريق العودة .

ففي المرحلة الاولى: مرحلة الخروج تهتم الكاتبة بتصوير النقاط الأساسية التالية :

١ - **خروج العرب من ديارهم مكرهين ،** بسبب العنف الصهيوني ، وقد ألحت الكاتبة على هذه الفكرة في الفصل الاخير ايضا ، ورفضت الادعاء القائل أن الفلسطينيين لم يدافعوا عن أرضهم او خرجوا بتشجيع من قادة الجيوش العربية الذين وعدوهم بالعودة السريعة ، وفي هـذا الموقف رد على الدعاوة الصهيونية التي حاولت ان تتملص من مسؤولية اغتصاب مساكن الفلسطينيين وممتلكاتهم بحجة أنهم غادروا بلادهم طواعية .

٢ - عنيت الكاتبة بتصوير **العنف الصهيوني** المتمثل في الابادة الجماعية وهتك الاعراض والاذلال : وتبدأ الرواية اصلا بمشهدين فظيعين : الاول جمع الناس في مسجد الله وابادتهم ، والثاني اغتصاب الجنديين اليهوديين لناديا وخادمتها : ان اليهود - كما يفهم من الفصل الاول من الرواية - **هم النازيون الجدد .**

٣ — كان العنف الصهيوني مصحوباً برغبة كل جندي يهودي في **اذلال العرب**. انه نوع من الثأر لعقدة الاضطهاد التي تضخمت في نفسه عبر الأجيـــال ، ولقد كان كل مجند ومجندة من اليهود (شيلوك) جديداً في ثياب الطاغاناه .ولم يعت العرب أن يدركوا أهداف اليهود من هذا الاذلال ، وبالرغم من أن رفض الذل هو من المبادىء المحركة للعربي على مر العصور فانه أظهر في نكبة فلسطين بعداً جديداً لهذه القيمة ، وفهم ان الاذلال الصهيوني يختلف عن الاذلال الصحراوي لانه وسيلة لاستفزاز العرب ومن ثم أبادتهم وهم في فورة غضبهم، ومن هنا كظمت الجماهير الفلسطينية غيظها في الساعات الرهيبة وآثرت ان تدخر نفسها ليوم الثأر بدلاً من أن تستسلم لغضبها العزلاء فتطحن بالرصاص اليهودي .

ولقد كان بطرس منصور ، الذي صفق في وجه المجندة الصهيونية ، واعيــاً لهذه الحقيقة حين قال :

« في وسعهم أن يفرضوا علينا الذل والهوان ، ولكن ليس في وسعهم أن يُفنونا »

٤ — وفي خلال الرواية كانت الكاتبة مهتمة بابراز **إرادة البقاء** عند الجماهير الفلسطينية وقد صورت هذه الجماهير في صبرها على المكاره والجوع والعطش والتشرد ، وأبرزت قدرتهـا على الاحتمال وتصميمها على البقاء لأن فكرة العودة كانت تغذيها وتشجعها ، وان ما قاساه أهل اللد في رحلتهم الرهيبة هو فوق ما يحتمل البشر ، وقد ساروا متضامنين ولم يفتك بعضهم ببعض وان كانوا تنافسوا على الوحل ليشربوه وعلى جذور النباتات ليسدوا بها بعض رمق .

٥ — ولم تنس الكاتبة أن تلمح الى غفلة الفلسطينيين قبل النكبة واستسلامهم الى حياة وادعة لاتحس بما يبيته اليهود ، وكذلك أشارت الى الخرافات التي كانت تستبد بأذهان الفلسطينيين الذين لم يكونوا على درجة كافية من العلم والوعي السياسي والحضاري حين فاجأهم اليهود بغاراتهم المخططة .

٦ — ثم انها تبرز فكرة تآلف المسلمين مع المسيحيين في فلسطين بطرق كثيرة منهـا المصاهرة بين أسرة بطرس منصور وآل داود ، ومنها الصداقة الصميمية بين وليد حسين وأنطون منصور وغير ذلك كثير . وقد استغلت الكاتبة هذه الفكرة لهدفين :

الأول: نفي فكرة التعصب الديني عن العرب .

والثاني : افهام الرأي العام المسيحي ان اليهود لم يحاربوا المسلمين وحدهم ، بل اضطهدوا المسيحيين العرب ،وكذلك لم يوقروا المسيحيين الانكليز الذين اتفق انهم كانوا يعيشون في وسط عربي .

٧ — وهناك ملاحظات كثيرة متفرقة تدل على فهم الكاتبة لظروف النكبة الفلسطينية ووقائعها ، من مثل إشاراتها المتكررة الى تآمر الانتداب البريطاني على الشعب العربي الفلسطيني ، وموقف الجيوش العربية التي دخلت فلسطين ، وتعليقاتها المرة على قيادة الفيلق العربي وخيانة القيادة ، وعلى خط رودس الذي قسم ٢١١ قرية بطريقــة تعسفية لم يشهد لها التاريخ مثيلاً ، أضف الى ذلك ملاحظاتها النافذة عن الدكتور بانش وجائزة السلام .

وفي المرحلة الثانية :

نرى الوجه الأوربي للقضية الفلسطينية ، وتبرز الكاتبة معاناة الشعب العربي الفلسطيني على يد الاستعمار من خلال مايقاسيه انطون في الوسط الانكليزي وتركز الاهتمام على النقاط التالية :

١ — الجهل الانكليزي المطبق بملابسات القضية الفلسطينية ، إلى حد أن الرأي العام الانكليزي لم يسمع بوجود لاجئين غير اللاجئين اليهود الذين يمنحهم عطفه ومساعدته ، ص ١٢٦ .

٢ — والانكى من ذلك ان الانكليز لايريدون أن يعرفوا الحقيقة بحجة عدم وجود مصلحة لهم، وهم ليسوا على استعداد للالتزام بالحقيقة ولو عرفوها بسبب ارتباطهم أحياناً بالصهيونية بوشائج اقتصادية أو غيرها، ص ١٨٨ .

٣ — استطاع اليهود أن يشوهوا سمعة العرب ويخلقوا شعوراً عدائيـــاً ضدهم مشوباً بشيء من الاستهزاء في كثير من الأحيان (معركة أنطون مع فارو) .

على أن انطون الرمز يصمم في هذه المرحلة على تحرير وطنه ويرفض التعلق بالوسط الانكليزي رغم المغريات ورغم الحاح والدته .

وفي المرحلة الثالثة :

وهي التي أطلقنا عليها اسم النبوءة ، نشهد عودة الروح إلى طليعة الشعب العربي الفلسطيني، إذ يصل أنطون الى فلسطين ويتابع اجتماعاته مع وليد حسين وطالب حمادة اللذين يتجهان ــ في السطور الأخيرة من الرواية ــ الى بئر السبع حاملين لواء العودة والنصر .

إن هذا القسم من الرواية يكشف عن وعي جيد لعناصر حركة التحرير الفلسطينيــة ، وأهمها في رأينا :

١ ـ العمل الفلسطيني القطري :

فالكاتبة تريد أن تقول إن فلسطين لاتعود إلا على يد الفلسطينيين ، وهي تتجه اتجاهاً إقليمياً شديداً وتكاد تحذف دور الشعب العربي في معركة التحرير رغم أنها لم تنس الاشارة الى

الجيوش العربية ودورها في المعركة الخاسرة سنة ١٩٤٨ . ولعل هذه الحقيقة هي التي أوحت إليها بحصر العمل التحريري بالفلسطينيين ، وحجبت عنها القدرة على التفريق بين تخاذل الحكام وبين الطاقات الشعبية العربية الكفيلة ، عند تفجرها ، بسحق كل أثر للاستعمار والصهيونية في فلسطين وسائر أقطار الوطن العربي .

ويفهم من مضمون خطة انطون ووليد وطالب أن التحرير لايتم إلا باجتماع كلمة الفلسطينيين في حركة شعبية طليعية مدربة منظمة تخطط للتسلل إلى فلسطين وإنشاء فرقة مقاومة فدائية تخوض معركة التحرير من الداخل مستقلة عن الحكومات العربية والتنظيمات الرسمية .

غير أن الكاتبة لاتعرض الفكرة مجردة كما عرضناها ، وانما تطرح المناقشة عدداً من قضايا العمل الفلسطيني نختار بعضها على سبيل المثال لا الحصر :

آ – الظروف النفسية للعمل الفلسطيني :

عنيت الكاتبة بابراز العزيمة الفلسطينية الصابرة ، التي تمكنت في نفوس الفلسطينيين نتيجة معاناتهم المرة واستمرار نكبتهم ، واتخذت من وليد حسين رمزاً للفلسطيني الذي لايمكن أن يصرفه شيء عن تعلقه بالعودة ، ويظل تحديه للصعوبات قائماً وفي أكمل درجة من الوعي. لنحاول استيعاب المشهد التالي :

(وليد حسين يراقب الحدود مع نفر من أقاربه بعـــد سنوات قليلة من هجرته من بئر السبع . يقول قريبه سعيد :

— لقد رتب وليد كل شيء . حتى لتحسب انه استكمل خطة التسلل .

ويجيب وليد :

— اني عازم على ذلك ولكن لم يحن الأوان بعد . علينا أن ننتظر سنوات ، وعلي أن أقضي هنا عدداً كبيراً آخر من أيام العطل لأدرس كل صخرة وكل منفذ حتى أستطيع أن أهتدي الى طريقي في ليلة غير مقمرة . وعلي أن آتي هنا وأعيش وأشتغل حتى يكون وجهي أليفاً عند الحرس الوطني والبدو ، وبذلك أستطيع أن أدخل وأخرج دون أن أثير فضولهم . (١)

---

(١) ص ٩٤ .

على أن الكاتبة لاتهمل الوجه الآخر من الصورة ، فقابل عزيزة وليد اللهمة الكاسحة نجد أناساً يناقشون القضية بمنطق الربح والخسارة ، وتقودهم المناقشة الى التشكيك في قدرة الفلسطينيين على مجابهة قوى الصهيونية والاستعمار وهي تطلق عليهم اسم (العقلاء) التي يستعملها انطون للسخرية . وقد أبرزت الكاتبة ولاء الفلسطيني لوطنه وشوقه الى ديارهم ومثلته ثائراً نافعاً مصراً على تأكيد وجوده الحياتي بالرغم من أنه غير متأكد من النصر ، في المرحلة التاريخية لفصول الرواية على الأقل . (١)

ب ـ الظروف الاجتماعية والطبقية للعمل الفلسطيني :

ولم تفت السيدة مابين أن تؤكد أن العمل الفلسطيني لن يقوم الا على أكتاف الطبقة الكادحة من اللاجئين الذين تمثل الثورة في أوضاعهم المتردية **حاجة ملحة** لا ترفاً فكرياً أو استجابة لنزعة شخصية أو تيار ثقافي . والبطلان اللذان نجحا في التسلل ، وهما وليد وطالب ، ينتميان الى الطبقة الكادحة ، أما أنطون الترف « ابن ماريان الانكليزية » فانه نكص عن تنفيذ الخطة في اللحظة الأخيرة ولما عقد العزم بعد فوات الأوان قضى ضحية تردده ، لأن الثورة عنده قناعة فكرية والتزام بصداقة وليد ، ولو أنها كانت ضرورة حياتية لما استطاع حب ثريا أن يصرفه عنها . أما ثريا المترفة الطالبة في جامعة بيروت الأمريكية ، فقد عجزت عن تقدير دوافع أنطون القومية ، وبدت معبرة عن موقف الطبقة الميسورة من الفلسطينيين ، وهو موقف خارجي يعتمد النظرة العقلية المنطقية الباردة ، ومثل ثريا في التفكير معظم معارف أنطون من الفلسطينيين اللاجئين واللبنانيين ومن الانكليز ، وهؤلاء جميعاً كانوا يتباكون على التقسيم ويؤكــدون لأنطون أن التسلل والمقاومة المسلحة ومحاربة اليهود أوهام لاتؤدي الا الى الدمار .

حـ ـ الظروف التاريخية للعمل الفلسطيني :

وتعالج الكاتبة مسألة الزمن بالنسبة للعمل الفلسطيني وتستعرض رأيين :

الأول : رأي الجيل الثائر القائل ان الزمن ليس في صالح العرب لأن العدو يستعد ويتطور والجانب العربي غارق في الخلافات والتقهقر .

والثاني : يفضل أن ينتظر حتى تأتي فرصة مناسبة . ويقدم بين يدي ذلك حججاً تخاذلية . يقول أنطون لثريا حين أعلنت عدم اقتناعها بفكرة التسلل :

---

(١) ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩ .

ـ ما أشبه هذا الكلام بكلام من يسمون أنفسهم ـ أو يسميهم الانكليز ـ بالعقلاء ، أومن يقبلون الأمر الواقع ويستسلمون للهزيمة ! لقد خسرنا الجولة الأولى من الحرب مع اليهود بسبب التقصير والخيانة ، وما لم نفعل شيئاً سنظل خاسرين حتى النهاية .

ـ ليس الى النهاية ، فعامل الزمن في جانبنا .

ـ كثيراً ماقيل لي هذا من قبل . ولكني لاأستطيع الصبر مئة سنة . بل لابد من العمل العاجل ، وان كنت تعتقدين أن ماأقوله تعبير عما يسمونه (عقلية اللاجئين) .

ـ لا أكتمك أن هذا رأيي فعلاً . (١)

٢ ـ الحلول ومنطق الكفاح المسلح :

والسؤال المطروح في القصة هو : ماالعمل ازاء هذه الحالة ؟

هناك حلول كثيرة استعرضت في الرواية :

١ ـ التريث حتى يأتي ظرف مناسب .

٢ ـ التشبث بالتقسيم وبهيئة الأمم .

٣ ـ الزحف السلمي على الأرض المحتلة .

٤ ـ انشاء حركة مقاومة فتالية وبدء معركة التحرير .

والحل الأخير هو الذي انتصر في القصة ، ولكنه انتصر كمشروع للعمل ولم ينتصر كقضية، فالرواية لوحت بانتصار الارادة النضالية في نفس الفلسطيني ولكنها لم تنزلق الى المزلق الذي يمكن أن يقع فيه كاتب غير واع فتحاول التقليل من خطر الصهاينة وقوتهم ، ولعلها أرادت أن تترك الفصل في الأمر للتاريخ وان كانت أوحت بالحل على لسان معلم أنطون الانكليزي جونز :

(... اذنما الذي يمنع أن يعيش شباب من مثالك ومثل رفيقك ليشهدوا زوال اسرائيل وتحرير فلسطين ؟ ان الظلم يدمر نفسه في النهـاية .. وكذلك كل الشرور ، والتاريخ يشهد بذلك .) ص ١٢٦

وفي أكثر من موضع فسرت الكاتبة مفهوم العمل الفلسطيني بأنه « الكفاح المسلح » وأظهرت ان اليهود أخذوا فلسطين بقوة السلاح ولن يخرجوا منها الا بقوة السلاح ، ومن هنا كان رفضها لجميع الحلول السياسية واعتناقها بتفنيد منطق اللاعنف وتسفيه منطق الاستسلام والانتظار، واختارت أمين الأعمى البائس اليتيم ناطقاً باسم المهزومين ولم تفسح له كبير مجال . (ص ٢٢٨ ومواقع أخرى) .

(١) ص ٣٠٣ ـ الترجمة العربية .

كما أنها ناقشت المنطق القائل بالزحف غير المسلح اقتداء بطريقة غاندي ، وردّت عليه رداً حاسماً وتعمدت أن يكون صاحب هذا المنطق انكليزياً وأخلاقياً لتكتمل لهـا عناصر السخرية منه .

يقول أنطون للمستر شابلي :

— وهل من العدوان ان يحاول المرء العودة الى داره ؟

— نعم . اذا كانت الوسيلة منافية للقانون والنظام (١١)

ويشرح شابلي طريقة غاندي في الزحف السلمي ويقترح أن يقوم اللاجئون بزحف عام غير مسلح . فيقول أنطون :

— ولكن مدافع اليهود الرشاشة ستحصدهم من أوكارها فوق قمم التلال ومن الطائرات.

— وهل يعقل أن يحصدوا ألوفاً من العزل في مثل ذلك الموكب الرهيب ؟

فصرخ أنطون :

— انهم لايتورعون عن ذلك . ولن يبدو الأمر في نظرهم أن يكون مذبحة أخرى من سلسلة مذابحهم .

(ص ٣٠٥ من الترجمة العربية)

٣ — شرعية العمل الفلسطيني

ويمكن تلخيص المناقشات التي دارت حول (شرعية العمل الفلسطيني) بما يلي :

١ — ليس في حديث الصهيونيين واصرارهم من الانكليز مايدل على أنهم يناقشون مسألة الاحتلال الصهيوني لفلسطين بغير منطق القوة التي يعدونها مسوّغاً شرعياً كافياً .

٢ — أجمعت الشخصيات الانكليزية المتفهمة لقضية فلسطين على تأكيد حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة الى ديارهم ولكن الخلاف دار حول شرعية الوسيلة ، ومعظمهم أصروا على نقطة (أخلاقية !) وهي الخوف على الأردن من الحملات الانتقامية اليهودية ، وذكر العقلاء ان للسلطات الأردنية حقاً شرعياً في منع الفلسطينيين من التسلل ومحاربة اسرائيل ، كما أن الفلسطينيين يملكون الحق الأخلاقي في العودة ، ولعل فكرة انشاء حركة مقاومة داخل فلسطين المحتلة كانت حلاً للتناقض الظاهري بين المتدفعين ، اذ أن (وليداً) لم يفكر بمهاجمة الحدود بل تسلل الى بئر السبع لينشىء حركة المقاومة .

وقد أشارت الكاتبة مراراً الى أن خطر الحراس الأردنيين على المتسللين الفلسطينيين لايقل عن خطر الحراس الاسرائيليين ، وكشفت الأيام عن صحة هذا التوقع ، ولعل مايلاقيه

فدائيو (العاصفة) على يد حراس الحدود في بعض الأقطار العربية يكاد يماثل مايلاقونه من قوات العدو .

٣ — أما شخوص الرواية من الفلسطينيين فمعظمهم يتفجرون إيماناً بالحق الشرعي للعمل التحريري الفدائي ، وإذا كان من تشكك عند بعض أبناء الطبقة البورجوازية ، فهو ناتج عن عدم تأكدهم من جدوى العمل لا من شرعيته .

(ص ٣٠٣ الترجمة العربية)

وفي الختام لايسعنا إلا أن نشيد بما حفلت به (الطريق الى بئر السبع) من رواية واضحة لقضية فلسطين ومعركة تحريرها ، على أن ننبه إلى أن هذه الرواية تطرق جوانب عديدة من القضية الفلسطينية لم نتعرض لها كلها في هذه الدراسة . إن (أثيل مانين) روت حكاية شعب مشرد لاهث وراء أمــل العودة، بأسلوب سهل ندي بعيد عن الحيل التكنيكية الجديدة في فن القصة ، وتعمدت أن تمسح كل المشاهد بمسحة من الانسانية والبساطة تعكس بســاطة القضية وانسانيتها في نفس المشرد الذي لايعرف من العالم سوى أفق التشرد والتربة الذي يعيش فيه ، وأفق العودة والنصر الذي يعيش له .



الأرض والغزو
... وبن غوريون

بقلم محي الدين صبحي

ان كل عربي في الشرق الأوسط يشعر بانه يعيش ضمن تيارات اكبر منه ، اكبر من امكانات الحركة لديه بل واكبر من دولته ، واذا كان الفرد على مستوى اعلى من الوعي والاطلاع فانه يشعر بان هذه التيارات تهدد بان تقتلعه من وطنه ، من مدينته ، من بيته ومن افراد اسرته ... بل وان تقتلع وطنه ومدينته وبيته . كل عربي أصبح يحس بحركة غامضة مبهمة حوله ، تتحول احياناً الى حقائق صارخة تعمي وتصم . هذه الحركة هي حركة

التاريخ ، حركة التاريخ التي طالما تساءل المفكرون كيف تبدأ؟ وكيف تعمل؟ وكيف تتم انجازاتها ؟

انا اعني باصطلاح « حركة التاريخ » فناء أمم وحلول أمم اخرى محلها . وتعني بحركة التاريخ ، تفتت مجتمع قديم وظهور مجتمع جديد بدلاً عنه . وتعني بحركة التاريخ ظهور فئةمنظمة موحدة ذات أهداف محددة ووسائل حديثة تقاتل مجموعة مجزأة ضائعة ما زالت تعيش على ردود فعل ليست بمستوى العصر ... وفجأة تواجه مصيرها وتستسلم للهلاك اذا لم تنجح في رد التحديات ..

وقد بدأت حركة التاريخ الحديث في الوطن العربي باحتلال نابليون لمصر وسقوط الدولة العثمانية في الشرق الأوسط وخيانة الحلفاء للثورة العربية الكبرى واقامة دول تجزئها حدود مصطنعة وتحميها قوات اجنبية وتأكل خيراتها أدواء غربية ... ثم تجسدت حركة التاريخ حقائق صارخة في صورة مليون مشرد عربي وقيام دولة غريبة تهـدد باكتساح ماحولها . فظهور اسرائيل ونجاحها حتى الآن في انجاز ما انجزته دليل على ان حركة التاريخ في الوطن العربي قد وصلت الى اخطر صورها : صورة الهجرات الكبرى التي غيرت الخارطة السكانية في اكثر بقاع الأرض : الهجرات التي ادت الى فناء الفراعنة والحثيين والبابليين والفينيقيين والبيزنطيين وحلول العرب والاتراك والفرس محلهم . فهل شعر العرب بالخطر الذي يتهدد وجودهم على مسرح التاريخ بفعل هجرة الصهاينة الذين اقاموا دولة اسرائيل ؟

ان التنبؤ بالجواب على هذا السؤال المصيري يحتاج الى دراسة التحركات الصهيونية وردود الفعل العربية ومخططات كل من الطرفين ومدى استعداداتهما وفهمهما للعصر الذي يعيشان فيه . وربما ان أولى ظاهرات الانقراض هو ان تخسر الأمة اراضيها التي تعيش عليها فان الامة العربية قد سارت في هـذا الطريق منذ أن فرطت بأراضيها وخسرت عربستان ولواء الاسكندرون بالاضافة الى الجزر المحتلة في الخليج العربي وجنوبي السودان ، هـذا فضلاً عن الاماكن الناطقة باللغة العربية في افريقيا والتي لم تفلح حتى الآن في ضمها الى الجامعة العربية . ثم جاء الصهاينة فسحبوا الارض من تحت اقدام اهلها ويبرروا عملهم بمفهومات جديدة عن الأرض والامة حري بالشعب العربي ان يعيها ويدركها . فعلى حين وجد اليهودي الالماني واليهودي الروسي واليهودي اليمني واليهودي البولوني لغة مشتركة واتفقوا على تقديم التنـازلات التي يتطلبها انشاء مجتمع ودولة ، عجز الشعب العربي بفئاته في المشرق والمغرب عن ايجاد صيغة مشتركة يجمع عليها . **ان الخطر يتأتى من ان العرب يسلكون وكأن مايفرقهم أكثر مما يؤلف بينهم ، في حين أن الصهـاينة المشردين في كل أنحاء العالم يرون أن ارادة الحيـاة المشتركة تكفي لمحو اوجه الخلاف بينهم ، بل ويعلنون ان عملهم لاقامة دولتهم في الأرض التي يشاؤون كاف**

لان يعطيهم الحق بامتلاكها . وهكذا سوغ الاعداء لانفسهم ان يجمعوا على النهب والسلب فضللوا القوى العالمية واستغلوها حتى سمحت لهم باكبر عملية نهب في التاريخ الحديث وساعدهم على ذلك ردود الفعل العشوائية والمتفرقة للحكومات العربية بحيث لم تكن سلسلة مواقفها على مستوى الشروط السياسية والعسكرية والصناعية والتقنية للقرن العشرين . فمنذ البداية لم يعرف العرب ان يكونوا طرفا في الصراع العالمي الدائر في مطلع هذا القرن ، بينما استطاع اليهود ان يفرضوا انفسهم طرفاً في الحربين العالميتين وما بينهما ، هذا من جهة ومن جهة اخرى فان العرب حين دخلوا في الصراع العالمي في الحرب العالمية الاولى لم يستطيعوا الاستفادة الواعية من مركزهم هذا ، ولم يستعدوا بقوة كافية تساعدهم على الاحتفاظ بمكاسبهم وارغام حلفائهم على الوفاء بوعودهم . ومثلما خسر العرب المعركة السياسية ، خسروا المعركة الحضارية فلم يدخلوا عصر الفحم ولا عصر الكهرباء ولا عصر البترول بله عصر الذرة .

ان كل هذه العوامل وعوامل اخرى كثيرة جعلت من هزيمة الحرب الفلسطينية نتيجة طبيعية لحالة التخلف القائمة ، وهكذا تمكن سبعمائة الف يهودي من هزيمة ملايين العرب ، بل كانت نتيجة الحرب زيادة مساحة الارض التي اغتصبتها الصهيونية واصرار الصهاينة على ان تستوعب « دولة اسرائيل » جميع يهود العالم البالغ عددهم اثنى عشر مليونا وفي سبيل ذلك رفع الصهاينة شعار « ارضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » اي ما زالت الارض مطمعهم الاول وما زال القضاء على العرق العربي هدفهم الذي لا يمكن ان يحققوا مطامعهم عن غير طريقه . اما مدى نجاحهم او فشلهم فيعود في جزء كبير منه الى موقف العرب في مصيرهم ، ومدى تطورهم بحيث يتلافون الاخطاء التي وقعوا فيها سابقاً ويصرون على النصر والكفاح الموحد في سبيله .

* * *

ثمة مجموعة مقالات كتبها دافيد بن غوريون أول رئيس وزراء لاسرائيل ، وقد جمعتها ونشرتها المكتبة الفلسفية في نيويورك تحت عنوان « بعث اسرائيل ومصيرها » وهذه المقالات مكتوبة بين ١٩١٥ و ١٩٥٥ وفيها صورة واضحة للفكر الصهيوني والواقع الصهيونية وتطورات القضية (الفلسطينية ـ الصهيونية) خلال نصف قرن ، وفي هذا الكتاب نجد ضالتنا في نظرية الصهيونية في الأرض والعمل وفي السياسة الصهيونية المحلية والدولية . ومما يزيد من خطر هذا الكتاب في نظر القارىء العربي والغربي على السواء ، أن معظم توقعاته ـ مع الأسف ـ قد تحقق ، وأن معظم مخططاته قد أنجز ، وأن مالم يتحقق منها ينتظر ظروفه ومواعيده .

* * *

في عام ١٩١٥ ، كتب دافيد بن غوريون في نيويورك مقالاً بعنوان « اقامة الواطن» قال فيه :

١ ـ [« كيف يمكن أن نكسب الأرض وماذا يجب أن نعمل لنكسبها ! » لتنظم قوى الأمة وتوحدها ، ولتمد الاحزاب أيديها الى بعضها بعضاً وتتشاور فيما بينها . وحين تنتهي الحرب وحين يجتمع ذوو القول في الأمم الظافرة ليقرروا مصير الأمم والدول ، حينئذ يجب أن يكون في الاجتماع ممثلوا الأمة اليهودية ليطالبوا بالانصاف ـ انصاف أعظم الاحزان القومية في تاريخ الجنس البشري ـ **فليطالبوا بنصيبنا من الأرض كتعويض وجزاء عن دمنا المهدور ـ وكتعويض عن آلامنا الأزلية وكحل للمشكلة اليهودية التي تزعج أمم العالم بدرجة لاتقل عن ازعاجها للشعب اليهودي** . ان مؤتمر السلام سوف يتم بياناتنا ويحقق التماسنا وسوف يكتب القرار ويختم بميثاق معاهدة معترف بها دولياً وبهذا تعود ملكية الأرض الى أصحابها .

« وهكذا يبدو ان دورنا بسيط ، فهو لايتعدى ان نطالب بالارض والباقي لايعتمد علينا بل على ارادة المؤتمر وظروف القضايا المطروحة أمامه بعد الحرب .

« ولنفترض ان الظروف سليمة ، وان الامبراطوريات في مناقشاتها حسبت حساباً لحاجاتنا ومطالبنا ووهبتنا ماالتمسناه ، فهل هذا وحده يؤكد ان الارض اصبحت ارضنا ؟

٢ ـ « ثمة وسائل عديدة يمكن بواسطتها امتلاك قطر ما . اذ يمكن السيطرة عليه بقوة السلاح ، او يمكن امتلاكه بتدابير او معاهدات دبلوماسية او ان يشترى بالمال ولكل هذه الوسائل هدف واحد : السيطرة من اجل الاستعباد والاستغلال . فالانكليز على سبيل المثال اخذوا الهند بأساليب ملتوية وحكموها بالقوة العسكرية ، وهكذا استبدوا بمئات الملايين من سكانها . والانكليز والامبراطوريات الاخرى احتلوا مناطق في آسيا وافريقيا ليوجدوا اسواقاً لبضائعهم . »

٣ ـ « ولا هكذا نحن . فنحن لانطالب (بأرض اسرائيل) من اجل ان نحكم من فيها من عرب ، ولا نبحث عن سوق لنبيع بضائع يهودية من انتاج المنفى (Diaspora) . **إنه الوطن مانبحث عنه ، حيث يمكننا أن نمحو لعنة النفي ، وللصق أنفسنا بالتراب ، ذلك المورد للانتعاش والخلق والصحة ، وحيث يمكننا أن نجدد حياة أمتنا .**

٤ – ان الوطن لايعطى ولا يهدى . انه لايقتنص بامتيازات او اتفاقات سياسية . انه لايشترى بالذهب او يحافظ عليه بالقوة . كلا ، انه يصنع بعرق الجبين . انه الخلق التاريخي والتضامن الجماعي للشعب ، وهو ثمرة عملهم الجسدي والروحي والاخلاقي ، عبر تعاقب الاجيال .

واذا كان لشعب حق في ان يقول : « هذه ارضي ، انها وطن امتي » فهذا فقط لان الشعب قد خلقها . ان التراب هبة الطبيعة ، ولا يستطيع الانسان ان يخلق شيئاً من لاشيء .

فكل مايسر الانسان هو من صنع الطبيعة . وعلى الانسان فقط أن يعمل بيده ودماغه ليكيف وفق منفعته وفائدته المواد التي تقدمها له الطبيعة . إن تكييف الأرض بالعمل ، حسب حاجات الامة : من تسميد التربة واغنائها واكتشاف الكنوز الخفية والموارد الطبيعية وبناء الصناعة — هو مانسميه « اقامة وطن » .

ان الحق الصحيح في قطرما – كما هو في اي شيء آخر – لايأتي من سلطة سياسية او حكومية ، بل من العمل . ان الملكية الصحيحة والفائقة هي ملكية العمال .

لن تصبح ارض اسرائيل لنا حين يوافق الاتراك والانكليز ، او مؤتمر السلم القادم ، ويوقعون على معاهدة بذلك ، انما حين نبنيها نحن اليهود بأنفسنا . ولن نحصل من الآخرين مطلقاً على الحق الذي لايدحض ، وانما نحصله بجهودنا الخاص فقط . والوطن انما يشاد فقط بفضل الرواد ، بفضل الطلائع . ان الهجرات الكثيفة لاتستقر بفضل التاريخ ، لكنها تصب حيث تتوفر لها شروط البقاء والتقدم .

٥ – ان تمهيد الارض وخلق الظروف هو من عمل الطلائع ، طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قوية ووعي تبشيري ، قادرة على ان تدمج مصائرها الفردية في هدف سام، وعارفة كيف تطوع حياتها لتحقيق احلامها .

فليس من هدف قومي أو اجتماعي أنجز دون حمية وتكريس مطلقين في البداية ، من المقاتلين والبنائين . فليس القدر العابث هو الذي يحكم التاريخ ، والحياة أكثر من أن تكون مقامرة تلميها قوى عمياء . إن الهدفية وبعد النظر المترقرقة في الارادة الخلاقة الفعالة المطلعة على التقدم التاريخي ، هي السبب والدافع لهذه التقدمات .

مامن أمة تحررت عفواً ، ودون جهد . بل وأكثر من ذلك : مامن أرض بنيت بناء

عفوياً ، وبقيت لأهلها دون عناء وارادة ، وبلا تعاليم من مؤسسيها الأولين. إن تاريخ استيطان أمريكا يرينا الجهود العملاقة التي بذلها المستعمرون الذين أتوا لينشئوا وطناً جديداً في عالم جديد. **ويرينا ضراوة المعارك التي خاضوها مع الطبيعة الهمجية ومع الهنود الحمر الاكثر همجية** كما يرينا التضحيات التي قدموها قبل أن يفتحوا القارة للتعمير وتدفق الجماهير. ولو لم يكن الأمر كذلك : لو لم يوجد أناس لا توهن المحاولة والحرمان عزائمهم ، ولا يخورون أمام المحن أو الصعاب التي تعترض سبيلهم ، ولولا اخلاصهم وارادتهم ، لما كانت أمريكة اليوم هذا القطر الهائل الغني المكتظ بالسكان ، المتسع لاستيعاب أعزز الهجرات في العالم .

٦ — فليس بالمال ولا بالهبات ، بل بإرادتنا الفعالة سنكسب وطناً . ولن نستلم هذا الوطن من مؤتمر السلام أو من الأمة التي تحكمه ، وإنما من أيدي العمال اليهود الذين يأتون ليضربوا جذورهم فيه ، ويبثوا فيه الحياة ثم يسكنوه . **إن أرض اسرائيل ستكون أرضنا حين يصبح عمالها ومحاربوها بين صفوفنا. إن الغزو الحقيقي للأرض بواسطة العمل هو الواجب [السامي الذي يواجه طلائع الأمـــة من بنائي الأرض وحراسها].**

في هذا المقال حدد بن غوريون قواعد الاستيطان اليهودي ، ورسم خطـــة محو العرق العربي من أراضي فلسطين أولاً ، ثم من كل الأراضي العربية التي تحتاج اليها اسرائيل في استيعاب الملايين من يهود العالم .

غير أنه يبدأ حديثه مستنداً الى بديهيات ليس لها سند من التاريخ ولا من الحاضر : فهو يفترض أن اليهود المنتشرين في انحاء العالم هم أمة لها مقومات البقاء والتجمع ، كالأمة العربية سواء بسواء . في حين أن هذا الافتراض مزور من أساسه ، فاليهودية دين علمي لم يقتصر اعتناقه على بني اسرائيل وحدهم ، بل تغلغل في القوميات الاخرى التي حلوا عليها لاجئين منذ أيام نبوخذ نصر وحوادث السبي الأول والثاني ثم عصر التشرد بعد أن هدمت روما بيت المقدس . لقـــد اعتنق وثنيو الأكراد (الحثيون سابقاً) وبعض الفرس والالمان والروس والتتر والعرب الدين اليهودي قبل أن تبلغ المسيحية والاسلام رسالتيهما . فاذا سلمنا بهذه البديهية تكون اليهودية ديناً بعيداً عن القومية الضيقة التي يريد أن يوجدها بن غوريون رغم الحقيقة والتاريخ . وأي دين يطلب من أتباعه اليوم ، أن يتجمعوا في مهبط دياناتهم ليكونوا عرقاً واحداً ودولة واحدة ؟!.

لقد اجتاحت حمية التعصب الديني أوروبا قبل ألف عام فحاربت العرب بدعوى الاستيلاء على بيت المقدس . لكنها تكشفت عن نزعة عدوانية استغلالية ليست من الدين في شيء . . ومع

كل ذلك الاستنكار الذي تواجه به اوربا تكرة الحرب الصليبية ، فانها ماتزال تدعم اسرائيل التي قامت بنفس البرقع الديني والأهداف العدوانية .

إن اليهودية دين منتشر بين العديد من قوميات الارض ، وبن غوريون نفسه أقر بذلك في مقال كتبه سنة ١٩١٧ ، بعنوان « في جودي والجليل » ص ٣١ ، قال فيه :

« كان سكان المستعمرة — مستعمرة السجره — متنوعين تنوع أقاليمهم ، متعددي اللغات والألوان . فكان بينهم خمسون مزارعاً وعاملاً خشناً ، من يهود الأكراد الطوال عراض الأكتاف الذين يشابهون في أميتهم جيرانهم في كردستان ، وكان بينهم يهود اليمن السمان غلاظ العظام ، المثقفون ثقافة عالية في اللغة العبرية والديانة اليهودية ، وبينهم الشبان الروس حواريو عصر التنوير والثورة ، وبينهم اليهود العرب من أشكنازيين وسفارديين الذين ولدوا في فلسطين وغادروا طبريا وصفد ليحملوا الرفش والمعول ، وبينهم مزارعون روسيون انقلبوا على الثورة وتركوا شواطيء البحر الأسود فانضموا الى اليهودية وجاؤوا للعمل في « بلد » ايمانهم الجديد ، وهم شبان السفارديين الذين تثقفوا في مدارس « الاليانس الاسرائيلية » . في هذا المجتمع المرقش تسمع العبرية والعربية والآرامية — لأن الأكراد اليهود مازالوا يستعملونها — والروسية والفرنسية والاسبانية ولغة اليديش » .

هذا الخليط من شعوب الدنيا ولغاتها ... لماذا سعى بن غوريون والصهاينة الى سلخهم عن أممهم ؟ هل كان دافعهم التعصب الديني ؟ ان القرنين التاسع عشر والعشرين أبعد العصور عن نزعات التعصب الديني ، فلماذا يثير بن غوريون عند اليهود نزعة التعصب بعد أن زالت من نفوس الأقوام الأخرى ؟ لماذا يبحث عن المشاكل حين وحيث لاتكون ؟ ألم تكتشف قارة أمريكا قبل خمسة قرون ، وكان التعصب الديني مايزال مسيطراً على أوروبا وروسيا ، ومع ذلك لم يشعر اليهود آنذاك أنهم أمة ولم يهاجروا الى أرض السلام والطمأنينة ؟ لماذا ؟!!

ان نقطة الارتكاز التي يدور حولها تفكير بن غوريون ، من أن اليهود أمة ، نقطة مزورة تزويراً كاملاً . فاليهود ليسوا أمة ، بل هم أجزاء من أمم شتى كجميع أتباع الديانات الأخرى ، وبالتالي فلا حق لهم في أرض خاصة بهم وعليهم أن يبقوا حيث تسكن أممهم ويندمجوا في مجتمعاتهم التي حوتهم منذ آلاف السنين الى اليوم .

لقد تحدث بن غوريون في مقاله « اقامة وطن » عن قواعد الاستيطان وحق الملكية وعن دور الطلائع الصهيونية في اقامة وطن ، فهل فكر في العرب من سكان البلاد . وكيف مصيرهم ؟

فلقد قارن بين فلسطين العرب وأمريكا الهنود الحمر . ولقد قارن بين تاريخ استيطان أمريكا ، والتاريخ المتوقع لمستقبل استيطان اليهود. ولقد مجد وأطرى ضراوة المعارك التي خاضها مستعمرو أمريكا «مع الطبيعة الهمجية ومع الهنود الحمر الأكثر همجية» كتمهيد لتبرير المعارك الضارية التي سوف يخوضها الصهاينة ضد العرب !.

فهل الذبح وسلخ الجلود وإبادة العرق وحصره في أماكن معينة ، وتقتيل النساء لقطع نسلهن ، واقتفال دراسات أنثروبولوجية تبين الاستعداد الفطري عند « العرق اليهودي » للتقدم والتطور مقابل الاستعداد الفطري عند العرق العربي للتخلف والتفسخ ، هو كل مايتفضل به بن غوريون على العرق العربي ؟

وإذا كان مغامرو الأنكلوساكسون قد أجهزوا على العرق الأحمر في غفلة من الضمير الانساني ، فهل تبرر جريمتهم جريمة الصهاينة في التخطيط لافناء العرق العربي ؟

ومتى كانت الجريمة تبرر الجريمة ؟

ان بن غوريون ينسى في نشوة وحشيته ان الهنود الحمر ، حين قابلوا البنادق بالسهام، كانوا معزولين عن الحضارة العالمية . أما اليوم فان أسرار التطور لم تعد خافية على أحد ! لاسيما وأن العرب من أكثر الأمم في تاريخهم وحاضرهم ، انفتاحاً على الحضارات الأخرى ، وفهماً لروح القرن العشرين ، قرن الكتل البشرية الكثيفة والصناعات الضخمة . وقد بدأوا يأخذون بأسباب هذه الحضارة ، كما أن بن غوريون في تخطيطه لمحو الشعب العربي تغافل عن تنبه الرأي العالمي ووعي الضمير الانساني الى حد أصبح من الصعب على أفاق مثله أن يستمر في وضع الانسانية تجاه الأمر الواقع .

ان بن غوريون ــ وقبل ان يبدأ عدوانه ــ يرفض قيمة الرأي العام الدولي ، فيهزأ **من الصهاينة الذين يظنون أن المقررات الدولية تضمن وتحقق لليهود مطالبهم . ويؤكد أن أرض فلسطين هي الحل الوحيد للمشكلة اليهودية ،**

ويبين أن الاستيطان، وليس الشراء أو الاحتلال، هو الذي يثبت للشعب حق الملكية.

وفي سبيل الدعوة الى الاستيطان يختلق بن غوريون نظرية جديدة في الارض والشعب. هذه النظرية لاتتوجه فقط الى اليهود بغية اغرائهم باستيطان فلسطين، وانما وجهها بن غوريون ايضاً الى الساسة الغربيين الذين كانوا يشجعون الحركة الصهيونية، ويراعون مصالح الشعب الفلسطيني والامة العربية قبل وعد بلفور.

هذه النظرية لاتجعل حق ملكية الشعب لأرضه، ناتجة عن وجوده التاريخي فيها، وإنما تعتبر الملكية حقاً ينتج بالعمل والاستغلال والاستثمار. لذلك فإن بن غوريون لايعتبر لليهود حقاً في فلسطين لا اذا غزوها ولا اذا اشتروها، بل يقرر أن حقهم يصبح مكتسباً حين يغزون الأرض العربية بالعمل اليهودي فتتحول الى أرض يهودية.

وبما يلفت النظر ان هذا السفاح دعي الاشتراكية، يتناقش مع الصهاينة في مقالته هذه حول كيفية اكتساب حق اليهود في فلسطين، بلهجة ليس فيها اية اشارة الى اية حقوق على الاطلاق، وانما هناك نفي للحقوق وتأكيد على وسائل اكتساب الحق: **لاحق لأمة بأرض إلا بالعمل. فالتراب هبة الطبيعة والوطن يصنع بعرق الجبين.**

ان هذا المنطق صحيح لولا انه ناقص. ان فيه حذفاً متعمداً لشرعية الارث، لشرعية حق الاحفاد بأرض الآباء والاجداد. **ثم من قال ان الشعب العربي لم يصنع وطنه بعرق جبينه؟ بدماء ملايين العرب في ملايين المعارك في آلاف السنين ضد الفرس والروم والبيزنطيين والمغول والتتر؟ ثم من ينكر الجهود البشرية التي استلزمها صنع حضارة لها مميزاتها في الفن والبناء والتفكير والتعبير والمعاملة؟ وكيف يعمى أفاق كابن غوريون عن الجهود التي يستلزمها استلهام رسالة واعتناقها والتبشير بها** في الصين والهند واندونيسيا ومجاهل افريقيا، وهو الذي يشيد بجهود الانكليز في استعمار امريكا؟ الا يعلم بن غوريون ان الجهاز الروحي للأمة اسمى من جميع انجازاتها؟ وحتى لو حذفنا ماضينا المجيد دفعة واحدة، ونظرنا الى الواقع العربي عام ١٩١٥ حين سطر بن غوريون افكاره الشريرة، فماذا كان الواقع العربي حينذاك؟ كانت

عشرات الجمعيات السرية يؤلفها الشبان العرب في البلاد وفي تركيا واوروبا للنهوض بالدولة العثمانية او بالتحرر منها ، وفي عام ١٩١٥ وبعده ، وفيما كان بن غوريون يفكر في اصول السلب والنهب ، كان العرب يخوضون معركة الى جانب من سموا (بالحلفاء) ، ويضمنون لهم النصر في الحرب العالمية الاولى في صحارى لم يكن بامكان احد ان يكتسحها . فاذا لم يكن للعرب حق في الارض ... فلمن يكون هذا الحق؟ ان بن غوريون يقول الارض لمن يعمل بها وطبعاً فان مقياس العمل هو التطور مع روح العصر . لكننا لو أخذنا هذا المقياس لانكرنا حق شعوب آسيا وشعوب افريقيا واميركا الجنوبية ايضاً . ولا ادري اين يذهب بن غوريون بهذه الملايات من البشر ، ولا من يدعوه ليحل محلها ؟ ام لعله يتمنى لها مصير الهنود الحمر ؟

ما الذي دفع بن غوريون لينصب نفسه قاضياً يفصل في مستويات الشعوب ويقرر مصائرها؟ ومن الذي كلفه بهذا العمل الذي لايؤدي إلا الى تحويل الأرض الى غابة يقتل فيها القوي الضعيف ، بدل ان تكون الدنيا مدرسة يعلم فيها الكبير الصغير وأسرة يحنو فيها القوي على العليل ؟

غير ان بن غوريون يقفي في منطقه الى منتصفه ، فعينه التي لاترى من الاشياء الا ما يصلح لها ، تعمى عن نتائج منطقه الوحشي ، مثلما عميت عن جهود العرب في خلق حضارتهم وحماية أرضهم . لذلك فانه يعود لمحاكمة الامة العربية وادانتها بالتخلف والاهمال ، ثم يقرر بنتيجة ذلك أنها فقدت حقها في الحياة . وذلك لتبرير اعمال السلب والاغتصاب التي يدعو اليها عصابته . وينطلق طبعاً من المغالطة الاولى التي تقارن بين وضع الامة العربية ، وبين ما يسميه بن غوريون « الامة اليهودية » فيقول في مقال « مقياس الانجاز » سنة ١٩٤٢ ص ١١٩ :

[« سأطرق الآن الناحية السياسية وأولها مشكلة العرب . فليس من مشاكل الصهيونية المعقدة القليلة مشكلة مرتبكة تتعرض لسوء الفهم ، مثل هذه المشكلة .

وأول ما أريد ان اوضحه هو انه ليس ثمة مشكلة عربية بالمعنى الذي توجد فيه مشكلة يهودية . فليس هناك عرب مشردون . ولا هجرة عربية وانما العكس تماماً : فالعرب من بين العروق النادرة التي تتركز كل شعوبها في اراضيها . وهذا استثناء لامعنى له . فهم يتملكون أراضي شاسعة ، وإذا كانوا يعانون من شيء على الاطلاق ، فهم يعانون من قلة السكان وليس من كثرتهم .

ففي تقرير قدم عام ١٩٢٦ الى المركز الملكي للدراسات الاجتماعية الآسيوية ، قال جعفر باشا العسكري ، رئيس وزراء العراق آنذاك :

« ان مساحة العراق ١٥٠ الف ميل مربع ، اي مايقرب من ثلاثة امثال انكلترا وويلز . في حين ان عدد السكان لايتجاوز الثلاثة ملايين فقط ... ان مايحتاجه العراق قبل كل شيء هو المزيد من السكان . » .

« .. وهذا نفسه ينطبق على سورية . فجميع الاقتصاديين السوريين يتفقون على ان العدد القليل والوسائل المحدودة لسكان الحاليين تمنع تطوير الانتاج الراهن الى اقصى مداه . اما شرق الاردن فانها اكبر من غربي فلسطين بأربع مرات تقريباً ، ولايسكنها سوى خمس سكان فلسطين . هذه النسبة السكانية المنخفضة لاتشكل عائقاً اقتصادياً فقط ، وانما خطراً سياسياً دائماً ، كما ظهر في حوادث الاسكندرونة .

« .. والنقطة الثانية التي احب ان اوضحها . هي ان هجرة اليهود وتوطينهم في فلسطين ليسا على حساب العرب : فنحن نعيش على الاكتفاء الذاتي في امور الصناعة والامور البحرية ، نظراً لعدم وجود صناعة عربية . اما البحر فهو خال تماماً . ولكن حتى في الزراعة ، نحن اما ان نحتل ارضاً قاحلة ، او - اذا أخذنا ارضاً مزروعة - نزيد من انتاجها ، بحيث ان المنطقة نفسها لاتكفي القادمين الجدد فقط ، وانما تجعل من الممكن لسكان القدامى ان يرفعوا مستوى معيشتهم . ان الهجرة الكثيفة وتوطينها على اوسع نطاق ممكن ، كما نتوقع ان يصير الحال بعد الحرب العالمية الثانية - امر سهل دون اية حاجة الى ازعاج السكان الحاليين .]

اننا في سبيل فهم الكتابات التبريرة التي تصدر عن بن غوريون يجب ان ننتبه الى ماكتبه ولنستنتج ما اهمله ، لانه في العادة يخفي نصف افكاره .

١ - ألفت نظر القراء الى السطور الستة الاولى من هذا الاقتباس ، وماتحويه من حسد وبغضاء : « **ليس هناك عرب مشردون ولا هجرة عربية** » لقد تعامى بن غوريون - كعادته - عن آلاف الأسر العربية التي شردها الفرس من مقاطعة الأهواز ، والتي شردها الاتراك من لواء الاسكندرون ، والتي شردها الفرنسيون من الجزائر والطليان من ليبيا قبل أن يكتب مقالته هذه بعقدين من السنين .

٢ - يشعر القارىء بالحقد والحسد يطفح من قوله « العرب من بين العروق النادرة التي تتركز كل شعوبها في أراضيها . وهذا استثناء لامعنى له » وكأن المفروض في الاجناس ان تتشرد في كل مكان في الارض ويختلط الحابل بالنابل بين

الاقوام لكي يبدأ حقد بن غوريون . وكيف كف بصر بن غوريون عن خارطة الدنيا كلها فلم ير سوى العرب في ارضهم ؟ وهل يسكن الصين غير الصينيين والهند غير الهنود وفارس غير الفرس وروسيا غير الروس والمانيا غير الالمان وفرنسا غير الفرنسيين ؟ فاذا كان كل عرق يسكن في ارضه فلماذا يكون سكنى العرب في ارضهم « استثناء لامعنى له » ؟

٣ – يحدد بن غوريون مصدر ادواء العرب كلها بكثرة الارض لديهم : « واذا كانوا يعانون من شيء على الاطلاق فهم يعانون من قلة السكان وليس من كثرتهم ». كأن الأرض بلاء يتطوع بن غوريون – غير مشكور – ليخلصنا من شرها . القدرأى اتساع الارض العربية مع قلة سكانها ، ولم يشاهد اتساع الارجنتين وقلة سكانها ، كما ان استراليا تشكل قارة بمفردها والتي ماتزال فيها اراضي لم يدخلها غير المكتشفين لم تلفت نظره ! لماذا ؟

هنا نصل الى استنتاج افكاره غير المكتوبة :

فاذا كانت مساحة العراق وسورية والاردن كبيرة وسكانها قليلين فان مساحة العربية السعودية اوسع وسكانها اندر وثرواتها اغزر . كذلك فان مساحة المغرب والاراضي الشاسعة في ليبيا والجزائر كانت تستحق ان تذكر لولم يكن لبن غوريون اهداف خفية في ذكر سورية والعراق والاردن . لكن هذه الاقطار الثلاثة بالذات هي التي يطمع بن غوريون في الاستيلاء على اراضيها بعد فلسطين ، لكي يوطن اثني عشر مليون يهودي وهو يمهد لتبرير التوسع العدواني المقبل بحجته المطاطة : الأرض خالية من السكان : وهو يستولي على ارض تتسع للعرب واليهود ... فهي ارض واسعة واصحابها لايستغلونها ، لذلك يتبرع لهم بيهود يساعدونهم على استغلالها !! فهل عاد أحد في العالم يقتنع بهذا المنطق الذي يضحك من عقول الناس؟ ولماذا تهدد « اسرائيل » بالحرب اذا حاولت الدول العربية ان تستفيد من روافد الاردن لتطور زراعتها واقتصادها ؟! بل كيف يبني بن غوريون تبرير الوجود الصهيوني على أساس قلة السكان وهو يعلم ان هذه البلاد اذا تقدمت وتطورت فسوف يغطي تكاثر السكان كل نقص فيها ؟ ان ارادة العدوان لاتحتاج الى كل هذه التبريرات .

٤ – يقول بن غوريون « هذه النسبة السكانية المنخفضة – في سورية والاردن والعراق – لاتشكل عائقا اقتصاديا فقط ، وانما خطرا سياسيا داهما ، كما ظهر في حوادث الاسكندرونة »

ياللعجب ! كيف يذكر بن غوريون عدوان تركيا على اسكنـــدرونة وهو يخطط لاغتصاب فلسطين والعدوان على سورية والعراق والاردن ؟ لاعجب ، فقد ألقى هذا الخطاب في نيويورك ، وبن غوريون حريص على الظهور بالمظهر الانساني اللائق بيهود نيويورك أمام

الشعب الامريكي . والمظهر اللائق طبعاً هو ان يظهر الهجرة اليهودية الى فلسطين – وتوسعها في سورية والاردن والعراق – بمظهر الحامي والحليف لعرب البلاد ضد اعدائهم على الحدود. في حين ان مواقف المهاجرين اليهود سابقا و « اسرائيل » حاليا تسجل خطا واحدا يهدف الى تأليب أمم الارض لتعادي العرب : فاسرائيل في المجال الخارجي مع اقسى تصرفات أعداء الامة العربية ، واسرائيل في المجال الخارجي لاهم لها سوى تأليب الاقليات العرقية والمذهبية على غالبية الامة : فهي مع الاكراد في شمال العراق ومع الفرس في الخليج العربي ومع الانفصال في جنوبي السودان : انها تبـــارك كل حركة تجزئة او انفصال او تمزيق للارض والامة العربيين. بل انها تبارك الكيانات القائمة وتعلن استعدادها لحماية أية دولة عربية من « غزو » جاراتها العرب او تدخلها !!

ه – أما النقطة الثانية التي أحب بن غوريون أن يوضحها ، فهي أن « هجرة اليهود وتوطينهم في فلسطين ليسا على حساب العرب . » وأن « الهجرة الكثيفة وتوطينها بعد الحرب أمر سهل دون أية حاجة الى ازعاج السكان الحاليين . »

وقد بينت أحداث السنوات التي تلت هذا المقال ، بطلان مزاعمه . وأظهرت أن هجرة اليهود الى فلسطين ، كانت على حساب العرب . وان الارض الفلسطينية لم تصبح خاليـــة من السكان الا بعد أن ذبح أهلها أو أجبروا على الهجرة . فهل في هذا أي ازعاج لابن غوريون؟

حين كان اليهود أقلية في فلسطين تناول بن غوريون موضوع الاكثرية العربية الفلسطينية في افتتاح مناقشات المؤتمر الصهيوني السابع عشر في بازل عام ١٩٣١ . المقال بعنوان « الصهيونية بين الطريق الشاق والطريق السهل » .

« ومع ذلك ، فلسنا عمياناً عن حقيقـــة أن فلسطين ليست خالية . فثمة مليون عربي يستوطنون ضفتي الاردن ، وليس منذ أمس . وحقهم في ان يعيشوا في فلسطين ويطوروها بحيث يكسبون استقلالهم القومي ، حق لاينكر ، مثل حقنا في العودة ورفع شأننا بفضـــل مزايانا حتى ننجز استقلالنا . ويمكن تحقيق الامرين . فيجب اثناء عملنا في فلسطين ان نحترم حقوق العرب ، واذا كان اتصالنا بهم غير مشجع أول الامر ، فهذا ليس خطأنا . وربما ليس خطأ العرب لان هناك أمورا تاريخية لا وزن لها . »

ان بن غوريون حين يعترف بحق العرب الفلسطينيين في التحرر والتطور . انما يفعل ذلك ليجعل حق اليهود الدخلاء كمثل حق العرب الاصلاء . وليست له غاية بنامة في ذلك – ونلفت النظر الى انه تحدث عن ضفتي الاردن .

أما كيف يمكن ان يحترم الصهاينة حقوق العرب في فلسطين فهذا مالم يقل دونه لسان ابن غوريون ، ويتجاهل التخطيط له ، لان خططه انما تقوم على العدوان .

وبن غوريون يطوي عن حقوق العرب كشحاً ، ويسميها « أموراً تاريخية لاوزن لها » متناسياً ان كل الصدام هو من اجل ارغامه على اقامة وزن صحيح لهذه الامور التاريخية .

وهو حين يفكر بالعرب ، انما يفكر فقط في طريقة لازاحتهم من وجه التوسع الصهيوني ، ولابعادهم عن العيش في الدولة الصهيونية المرتقبة فهو يقول في الخطاب نفسه :

« **إننا نعتمد التغيرات الدستورية الموضوعية لنعطي السكان نصيبهم من الادارة ، غير اننا نرفض اقتراح الكتاب الابيض الذي يقضي باحداث مجلس تشريعي . ومن هنا فاننا نعلن صراحة ، ونؤكد لليهودية العالمية وحكومة العمال وللأمة العربية أننا لن نوافق أبداً على أن تسيطر في فلسطين جماعة على أخرى ، اليوم او في أي غد آخر .**

واذا كنا لم نقبل بفكرة دولة يهودية تسيطر على العرب ، فاننا لن نقبل بدولة متعددة القوميات كما في سويسرا و كندا . ان مشكلة اسرائيل السياسية هي تعدد القوميات . ان الحق في فلسطين لا يقتصر على السكان الحاليين — من عرب أو يهود — كما هو الحال في الاقطار المذكورة .

ان الكنز هو (حق العودة اليهودية المشتتة) ، مع امتياز تطويرها واعادة بنائها ونيل الحرية والسيادة فيها ، دون المساس بحقوق الآخرين او اكتساحهم »

انا لا نملك سوى الدهشة من هذا الحرص الشديد الذي يبديه بن غوريون على حقوق عرب فلسطين ، وعرب الشرق الاوسط عامة . لكنه وهو في غمرة نواياه السلمية البناءة لاينسى ان يضع العرب والعالم أمام الامر الواقع وأمام الامر الذي سيقع . فالمشكلة في نظره ليست مشكلة الصراع بين عرب فلسطين ومهاجري اليهود حتى عام ١٩٢١ ، وانما هي بين الوكالة اليهودية وبريطانيا .

« ان الحق في فلسطين لا يقتصر على السكان الحاليين ، بل هو حق العودة لليهودية المشتتة » . هذه هي ستراتيجية بن غوريون . فاذا لم تكف فلسطين اليهودية المشتتة فهناك الاردن ، واذا لم تكف الاردن اليهودية المشتتة فهناك سورية .. واذا لم تكف سورية فهناك العراق . والحجة دائماً واحدة : الارض بكر وخالية من السكان . واليهود يأتون ليعمروا الارض ويستثمروها . فكم « فلسطيناً » يريد ان يحتل بن غوريون ليشبع أطماعه ؟ الرد يجب ان يأتي من العرب ، لان المشكلة في نظر بن غوريون قائمة طالما ان يهودياً واحداً يعيش خارج فلسطين « او بالاصح خارج دولة اسرائيل في حدودها المستمرة التوسع على حساب سورية والاردن » وطالما ان هناك عربياً واحداً ضمن حدود الدولة الاسرائيلية المزعومة .

قال بن غوريون في النص السابق « لن نوافق ابداً على ان تسيطر في فلسطين جماعة على اخرى . »

ان البدايات الانسانية والمنطقية عند بن غوريون تتحول خلال المقال بزاوية ميل تبلغ ١٨٠ ° فاذا بها تنقلب الى نتائج وحشية جنونية : فهو يريد ان يحافظ على حقوق العرب وارضهم ، ولكن مع ادخال ملايين الغرباء عليهم . وهو يريد ان يخلص المنطقة من التجزئة ولكن تحت راية اسرائيل ، وهو هنا لا يوافق على ان تسيطر في فلسطين جماعة على اخرى تمهيداً المناداة بفكرة استقلال اسرائيل ، وترحيل العرب عنها . على اننا نستبق المراحل .

يقول بن غوريون : « اننا نتشق على سلطة اكثرية حالية تتحكم بأقلية حالية . لأن هذه الاقلية ليست سوى نواة لأمة عائدة . ولهذا ايضاً فاننا سوف نشجب سلطة الاكثرية اليهودية على العرب ، عندما تغير ديناميكية الهجرة توازن القوى الى صالحنا . »

ان افكار بن غوريون الانسانية التحررية حين تعرضت التجربة بعد عشرين عاماً من كتابتها ، انتجت مذابح دير ياسين وصفد وقبية ومليون لاجىء بلا دار ولا وطن ولا عمل ولا امل . ذلك ان الطريقة الوحيدة لشجب سيطرة الاكثرية اليهودية على الاقلية العربية هي تذبيح هذه الاقلية وتشريدهـا . ان اليهود حين لا يريدون ان يضطهدوا شعباً يذبحونه ويقتلون ابناءه !! هذه حصيلة النظريات الفقاع المزيف بن غوريون ، التي لم نشاهد منها سوى نموذج يتلاءم مع اسكان ثلاثة ملايين ؛ اما حين يعزم الثمانية ملايين على احتلال « الارض الفارغة وتطويرها » في سورية والاردن فان فظائع النازي ووحشية اتيلا سوف تتضاءلان .

قد يتصور القارىء ان في افكار بن غوريون شيئاً من الشعور الانساني ، انحرف به الواقع اثناء التطبيق ، كما يحدث لكل الافكار حين تمس الارض . وفي هذا مايرفع عنه شيئاً من المسؤولية تجاه الانسانية والتاريخ . غير ان العكس هو الصحيح تماماً . فما عرفت الانسانية شخصا ولوعاً بالشر مناعاً للخير متعطشاً للدماء ، يعشق الجريمة ويخطط لها مثل هذا الشخص المحتال الذي يدلس (البلاغة) للخداع والكذب . والادهى من ذلك والامر انه قادر على تزييف البديهيات ، وقلب الحقائق ، واستخدام المنطلقات الانسانية للوصول الى أشد انواع التعصب واقسى اشكال الانغلاق الديني والعرقي والطائفي ، مع هدر كامل لحقوق العرب والانسانية ، واساءة بالغة الى سمعتهم .

ان هذا الافتراض القاضي بان يظل احد طرفي الصراع مشلولا ممزقاً ، والطرف الاخر ديناميكيا فعالا الى ابعد حدود الفعالية ، لا يعادله شيء سوى افتراض النازية بان الانسان النوردي هو صانع كل الحضارات ، وان بقية فروع الانسانية ظلت مائة الف عام تنتظر معجزاته وتستلهمها .

ولو جاء حين من الدهر ، تمكن العرب فيه من النظر الى قضاياهم نظرة تكاملية في قضايا الدفاع والاقتصاد وتوزيع السكان لسقطت هذه الاتهامات الصهيونية بالفكر والواقع . لان التخلف سيزول ولان الضعف سيزول، وعندها لن يجد الصهاينة سوى البحر لهم ولاحلامهم.

ان التحدي الصهيوني يطرح نفسه على مستوى القرن العشرين : فمن حيث الاقتصاد لا حل سوى التصنيع واستثمار الموارد العربية على مستوى عربي ، ومن حيث الدفاع فان المنطقة العربية اذا وحدت قدراتها وطورتها فانها تستطيع ان تلقي بثقلها تجاه الغرب حتى تتمكن من قطع الشرايين التي تمد اسرائيل بالمال والخبرة..وعندها فان القوة الذاتية العربية ستكتسح الوجود الصهيوني بسرعة الريح والبرق .

وهكذا فان التحدي الصهيوني المرتبط بالغرب حاليا والذي يسعى الى اكتساب قوة ذاتية تجعله قادراً على العمل لصلحته حين يكف الغرب عن تأييده ، ... هذا التحدي المتزايد الشره ، الشرير ، لن يجد خلاصه الا اذا تحقق له التوسع ما بين الفرات والنيل : لا أحلاماً أو أماني ، بل واقعاً فعالا مستقراً ملموساً . ونحن العرب لن نجد خلاصنا الا اذا افلحنا في رد التحدي بتحد اكبر منه لو اقمنا دولة من الخليج العربي الى المحيط الاطلسي : وهو رد لم نستعمله ضد أعدائنا مرة الا كان الظفر معقوداً بلوائنا

ان التحدي الصهيوني يقترح نفسه كدولة كبرى حديثة ، افلا نجيب عليه بدولة عربية كبرى حديثة ؟

ان الفرصة لم تضع بعد !

قصّة الايرغون

كما يرويها الارهابي (مناحيم بيغن).
دراسة وتعليق : الدكتور عادل عبدالله .

التاريخ عام ١٩٤١ والمنظر معتقل سوفييتي اسمه لوكشكي (Lukishki). بهذا الشكل المسرحي يبدأ بيغن كتابه الثورة _ قصة الارغون _ وكشأن معظم المسرحيات يلتفت الكاتب الى الوراء فيعلمنا بانه تزعم منذ أيام دراسته الجامعية في بولندا حركة بيتار (Bitar) وهي حركة صهيونية للشباب هدفها اعداد الشباب اليهودي فكرياً وعسكرياً لما يسميه « العودة الى أرض اسرائيل » . ثم يصف كيف انه في عام ١٩٣٧ رأى في عصابة الارغون [التي اسسها دافيد رازئل (David Raziel) وابراهام شتيرن (Abraham Stern) حسب تعليمات فلادمير جابوتنسكي (Vladimir Jabotinsky) خليفة هرتزل (Herzl)]

بشير أمل في اعادة احياء ماسماه القومية اليهودية كما رأى في جمع وانتاج السلاح وتدريب المدربين لمساعدة هذه المنظمة شرفاً عظيماً . ثم ينتقل بشكل فجائي الى جدال بينه وبين المحقق السوفييتي في المتقل الآنف الذكر الذي يصف حركة الصهيونية بانشاء دولة في فلسطين بانها « ابعاد نضال الشبيبة اليهودية عن صفوف الثورة في اوربا ووضعهم تحت تصرف الامبريالية البريطانية في الشرق الاوسط » وذلك لان « جلب الملايين من اليهود الى فلسطين وانشاء دولة يهودية امران غير عمليين » (ص٣) وعندما يحاول بيغن اقناع المحقق بوجود دوافع حقيقية وعميقة للعودة الى « أرض اسرائيل » يجيبه الاخير بان هذه الدوافع والمشاعر ماهي الا نتاج التوجيه والتعليم الذي استغله هرتزل لتحقيق المهمة التي كلفته بها البرجوازية العالمية وان المستعمرات المسماة كيبوتزيم (Kebbutzim) التي طبق فيها نوع من الشيوعية والتي أسسها الحزب الصهيوني الماركسي المسمى هاشوميرها تزير (Hashomer Hatzair) انما اسست باموال امريكية (ص٥) وأن الحل الوحيد لمشكلة اللاسامية ليس بانشاء دولة يهودية في فلسطين بل بانتصار الشيوعية العالمية التي تهدف الى التخلص من القوميات .

ومن سياق الحديث نستنتج ان بيغن اعتقل في بولندا مع غيره من الصهيونيين لنشاطهم الصهيوني ثم نفي الى المناطق القطبية وعلى ضفاف نهر بتشورا (Pechora) التقى بشيوعي يهودي اسمه غارين (Garin) كان قد شغل منصب السكرتير العام للحزب الشيوعي في اوكرانيا وعمل كمحرر مساعد في جريدة برافدا ثم قبض عليه بتهمة انه من جماعة تروتسكي سنة ١٩٣٧ وحكم عليه بالاشغال الشاقة . والذي يهمنا من امره هنا هو ما دار بينه وبين بيغن من حوار . **وصف غارين الصهيونية بانها ما هي الا الطرف المقابل للاسامية اذ ان كلا منهما يتعارض مع التقدم الانساني وان فلسطين ملك العرب وان الصهيونية ما هي الا اداة تستعملها الامبريالية البريطانية لاخضاع البروليتاريا العربية واشغالها»** (ص ١٧) . ومع ان بيغن اكد على كون غارين شيوعياً عنيداً مخلصاً لبلده الا انه عندما تخيل وجود خطر على حياته اثر شجار مع احد المجرمين المعتقلين لاذ بمناحيم بيغن ورفاقه اليهود طالباً منهم ان ينشدوا له النشيد القومي اليهودي . وان دلت هذه الحادثة على شيء فعلى مدى تعصب اليهود ليهوديتهم واستحالة اندماجهم في الشعوب الاخرى وصعوبة الوثوق بهم . يستطيع القارىء من خلال ما يسرده بيغن في كتابه المتقطع السيرة ان يستنتج بان بيغن انضم الى الجيش البولندي بعد ان اخلي سبيله فجأة وهو في الطريق الى منفاه في المناطق شبه القطبية اثر الاتفاق الذي تم بين سكورسكي (Sikorski) وستالين بشأن اخلاء سبيل الرعايا البولنديين

حوانه في ايار عام ١٩٤٢ وصل الى ضفاف الاردن ـ التي يطلق عليها اسم الضفة الشرقية من ارض اسرائيل ـ عن طريق بحر الخزر وايران والعراق . ومن الجدير بالذكر ان يغن يعترف ضمناً بالعلاقة التي تربط الاستعمار البريطاني بدافيد رتزل David Razel مؤسس عصابة الارغون. عند مروره بجانب بحيرة الحبانية في العراق يشير يغن الى انه من دون ان يدري انه على بعد خطوات من قبر دافيد رتزل الذي قتل وهو يقوم بمهمة للجيش البريطاني (ص ١٤) .

بعد ذلك ينتقل الكاتب الى نقطتين هامتين قررتا وضع «الشعب اليهودي » في العالم ، الا وهما محاولة هتلر القضاء على اليهود من جهة ومحاولة بريطانيا حد الهجرة الى فلسطين من جهة ثانية . يعرض يغن لقضية عداء هتلر لليهودية العالمية فيصفها بأنها سبقت الحرب العالمية الثانية اذ ان هتلر صرح في الرايخستاغ الالماني عام ١٩٣٦ بأن « اية حرب قادمة ستعني نهاية يهود اوربا » . كما ان الصحف الالمانية اقترحت في عام ١٩٣٩ نقل اليهود الى دولة في افريقيا او مدغشقر ولكن الكاتب لايشير الى الأسباب التي دعت هتلر لان يصرح ماصرح به كما انه لايشير الى الدواعي التي جعلت الصحف الالمانية تقترح انشاء دولة في اواسط افريقيا ينقل اليها يهود اوربا اذ ليس من مصلحة الكاتب ان يشير الى الدور الذي لعبه اليهود في الحرب العالمية الاولى والدور الذي توقع هتلر ومساعدوه ان يلعبوه في الحرب المقبلة مما ادى الى محاولة تجميد خطرهم بجمعهم في معسكرات ثم بالانتقام منهم عندما رفضت الدول الغربية عرض هتلر تزويده بالاسلحة لمحاربة الروس مقابل اطلاق سراح اليهود المعتقلين ، اذ ظن بأن الرأسمالية اليهودية ستضغط على الحلفاء وخاصة على امريكا وانكلترا حيث النفوذ الصهيوني على اشده للموافقة على مثل هذا العرض.

المهم في الامر ان اضطهاد هتلر لليهود في اوربا ادى الى تدفق الهجرة اليهودية الى فلسطين، الامر الذي اوقع الاستعمار البريطاني في المفاجأة . وهنا يعرض الكاتب الى النقطة الهامة الثانية الا وهي رغبة الاستعمار البريطاني في الحصول على فلسطين والاحتفاظ بها . يرجع الكاتب ظهور هذه الرغبة الى القرن التاسع عشر عندما ابدت بريطانيا اهتمامها بحماية اليهود مما اسماه اضطهاد السلاطين العثمانيين . **وكان عملها هذا ووعدها باعطاء اليهود موطناً في فلسطين حجة للاستيلاء عليها** . ويؤيد هذا الاتجاه كثرة الاستكارات بين الصهيونيين الذين سبقوا هرتزل وتصريح لورد كرومر Lord Cromer الفرينبرغ L. J. Greenberg احد كبار مساعدي هرتزل بقوله: « عندما تتداعى الامبراطورية العثمانية ـ وهذا ما سيحدث ان عاجلاً او ان آجلاً يجب ان نحصل على فلسطين » . والجدير بالذكر ان بيغن يصف سياسة بريطانيا باعطاء اليهود وطناً في فلسطين بأنها تخدم مصالح بريطانيا في امريكا لما لليهود هناك من نفوذ ثم يعلق على ذلك

بقوله بأن بريطانيا لم تكن تنوي جعل فلسطين دولة يهودية وكل ماهدفت اليه هو اعطاؤهم موطناً فيها ، اذ لم تفكر جدياً بادئ الامر بعودة الكثير من اليهود . لان الرأي السائد عن اليهود انهم يفضلون الاعمال التجارية على اليدوية وانهم لن يتركوا مخازنهم ومكاتبهم للعيش القاسي في اراضي فلسطين البور وتلالها العارية وتربتها المليئة بالحجارة وان اغلبية اليهود سيبقون حيث هم باستثناء قلة من المثاليين والفقراء . وفي حالة سيل عارم من الهجرة اعتمد الانكليز على وجود العرب الذين يمكن تحريكهم واثارتهم لخلق المشاكل ، ثم انه لم يخطر ببال الاداريين الانكليز بان يصبح اليهود أمة محاربة فالموجودون خارج فلسطين يمكن اخافتهم والذين في داخلها سيلجأون دائماً الى بريطانية لحمايتهم . اي أن بريطانيا اعتمدت في سياستها على تهديد كلا الطرفين بوجود الآخر وأن وجود الحراب البريطانية في فلسطين امر لاغنى عنه لحماية طرف ضد آخر وعلى هذا الأساس قام وعد بلفور .

والجدير بالذكر هنا ان يغن في كتابه يتجاهل وجود اي حق للعرب في فلسطين ويعتبرهم غزاة ، جاعلاً اليهود اصحاب البلاد الاصليين ، لهم وحدهم الحق في العودة الى ماسماه « أرض اسرائيل » وعلى هذا الاساس من الافتراض يعتبر العرب اداة في ايدي الانكليز يحركونهم متى شاءوا لخدمة مصالحهم في البقاء في فلسطين . فثورة العرب سنة ١٩٣٦ حسب رأيه حركتها بريطانيا وسمحت لها بالامتداد متناسياً آلاف الضحايا العربية في سبيل ايقاف الهجرة اليهودية والتخلص من الاستعمار البريطاني . وبعد أن يتجاهل الكاتب العرب على انهم طرف في القضية نراه يعتبر الثورة العربية واللجان الملكية التي اوفدت للتحقيق لعبة قصد منهما تبرير وجود البريطانيين في فلسطين باظهار وجود متنازعين لكل منهما حق ، وضرورة بقاء سلطة ثالثة لحل النزاع وضرورة تحديد الهجرة . لذا نراه يهاجم الكتاب الابيض (White Paper)والانتداب والحكومة البريطانية لعدم السماح بحرية الهجرة اليهودية الى فلسطين ولمحاولتها التوسط دبلوماسياً مع الدول الشرقية لايقاف تشجيعها ومساعدتها الهجرة اليهودية الى فلسطين. (احدى حيل بريطانيا لخداع العرب)

ينتقل الكاتب بعد ذلك الى التطرق الى مايسميه الثورة وهو عنوان كتابه الحالي فيدعى ان اسبابها المباشرة هي حملة ابادة اليهود في أوروبا واغلاق [illegible] المهاجرين اليهود ، الا انه يعود فيذكر بان الثورة امر لامفر منه بهذه الاسباب المباشرة اوبدونها ممجداً بذلك الشعب اليهودي كوجه للحرية ، مدعياً بأن « الدولة اليهودية انما اسست في جزء من اسرائيل » (ص ٣٩) .

بعد أن ذكر الكاتب الثورة وضرورتها نراه ينتقل الى التحدث عن اداتيها وهما عصابة الارغون

وعصابة شتيرن اومايسميه بالمقاتلين من اجل حرية اسرائيل، فيصفهما بانهما Irgun zva leumi حركتان سريتان خلقتا في نفس الشبيبة اليهودية حب القتال بدلاً من الاستعطاف. ثم يخبرنا أن الارغون أعلنت الثورة عام ١٩٤٤ بعد بيان أصدرته طالبت فيه بحكومة يهودية انتقالية وانها كانت تدرك بان المعركة التي تواجهها ستكون على صعيدين سياسي وعسكري. بعد ذلك يبرر الكاتب قيام الثورة فيصفها بانها كانت تستند على المنطق السياسي والادراك السليم في استراتيجيتها مما أدى الى النصر. كان للثورة على حد قول بيغن آثارها على العرب وعلى حكومة الانتداب وعلى العالم الخارجي. فبدلاً من أن يقف اليهود موقف المدافع تحميه الحراب البريطانية استلموا زمام المبادرة التي كان الانكليز يفرضونها على العرب لتظهر على شكل حملات عنف (سنة ١٩٢٠، ١٩٢١، ١٩٢٩، وفترة ١٩٣٦ — ١٩٣٩) وباستلامهم زمام المبادرة هذه حطموا سمعة الاستعمار البريطاني واخافوا العرب وجلبوا اهتمام الرأي العام العالمي اليهم. وهذا ماجعل ضابطاً بريطانياً ذا رتبة عالية هو الجنرال دارسي General D'Arcy يصرح للجنة التحقيق الانكلو امريكية بأنه اذا ترك البريطانيون فلسطين فسيطر اليهود على جميع البلاد. أما بالنسبة للانتداب البريطاني فيقول بيغن بان زعماء عصابة الارغون كانوا يدركون تماماً — بعد دراسة موضوعية — ان الاستعمار البريطاني اذا واجه مقاومة شديدة فانه يلجأ الى تغيير اساليبه وانه لن يجرؤ على الانتقام من اليهود لسببين: اولهما هو ان البريطانيين كما وصفهم الكولونيل بترسون Patterson (وهو ضابط بريطاني من اصل ايرلندي قاد الكتيبة اليهودية في الحرب العالمية الاولى) لا يحبون ان يقتلوا، وثانيهما ان ما يجري في فلسطين كان محط انظار الرأي العام العالمي وخاصة الامريكي منه. زد على ذلك ان بريطانيا في ذلك الوقت كانت في وضع لا تحسد عليه لمواجهتها اعداء في الشرق وقوى في الغرب ليست جيدة في صداقتها. ويذكر بيغن ان الوفد السوفييتي في هيئة الامم برئاسة غروميكو طالب بوضع حد للانتداب البريطاني الذي اثبت عجزه وفشله عما سببه من سفك دماء في فلسطين. كما وان وارن استن Warren Austin مندوب الولايات المتحدة في هيئة الامم استعمل لغة مماثلة للغة غروميكو طالباً ايجاد حل لقضية فلسطين.

يكرس الكاتب ما تبقى من كتابه لتنظيمات واعمال الارغون الحربية والنزاع بينها وبين الهاغانا. فالفصل السادس من الكتاب يتحدث عن عضوية العصابة وتنظيماتها ومنه يتبين ان الاعضاء كانوا على حد قول الكاتب — باستثناء اقلية لم يتجاوز عددهم الاربعين — رجالا عاديين يمارسون اعمالهم اليومية الا انهم كانوا دائما يلبون النداء كلما وجه اليهم. والذي يسترعي

الانتباه هو ان خيرة افراد العصابة كانوا يوما ما جنوداً عاملين في الجيش البريطاني (مثل دوف غرونر Dov Gruner الذي كان مدرباً على الاسلحة الاتوماتيكية في الجيش البريطاني) او تلقوا تدريبهم في اوربا تحت اشراف المنظمات اليهودية او بانضمامهم الى منظمة الهاغانا وهي الجيش اليهودي العامل تحت اشراف الوكالة اليهودية وباذن الانكليز . اما اسلحة العصابة فكانت خليطا من الاسلحة البريطانية والاسلحة المحليـــه الصنع التي قامت العصابة بانتاجها عندما كانت تستعد لصدام مـــع العرب الذين تتهم الكاتب بانهم اجراء السياسة البريطانية » ص ٧٢ . اما بالنسبة لرواتب اعضاء العصابة فقد كانت حسب المسؤولية العائلية لكل عضو وليس بناء على مرتبته العسكرية . وكما يبدو كانت الارغون مقسمة الى اربعة اقسام وهي « جيش الثورة » و« وحدات الصاعقة» و« جيش الهجوم» و« وحدات الدعاية الثورية» ، الا ان الاقسام التي عملت فعلا هي وحدات الدعاية ووحدات الهجوم . اما وحدات الدعاية فقد لجأت الى البلاغات تصدرها عن طريق اذاعة سرية ومن طريق الاعـــلانات على الجدران والاتصال المباشر بالصحافة الاجنبية والمضحك في الامر ان الكاتب يصل به الزهو والغرور حدا يجعله يدعي بان السلطات البريطانية لم تكن تجرؤ على الاستيلاء على محطة اذاعته خوفاً من « الخسارة الفادحة » التي اعلنت العصابة بانها ستلحقها بالبريطانيين اذا ما حاولوا ذلك .

في الفصل السابع يتطرق الكاتب الى الاسباب التي جعلت دوائر الاستخبارات البريطانية تفشل في القضاء على الارغون ، فيذكر بان دوائر الاستخبارات البريطانية اعتادت على العمل في البلاد غير المتطورة حضارياً ، وان وسائلها لتأمين المخبرين عن طريق المال لم تنجح كثيراً في فلسطين . والحصول على المعلومات من السكارى كان امرا نادراً لعدم تفشي السكر بين اليهود ولكن الاهم من كل هذا هو ان اعضاء العصابة لم ينضموا اليها حباً في المغامرة بل عن عقيدة وهذا ما جعلهم يحتاطون لكل ما من شأنه افشاء الاسرار . زد على ذلك ان ايمان الاعضاء بشرعية عملهم وراحة ضميرهم جعلهم يحتفظون بهدوئهم عند الملمات والاهم من هذا وذاك هو شعور التأييد والعطف الذي لقيه افراد العصابة من « الشعب اليهودي » في فلسطين .

في الفصل الثامن يتحدث الكاتب عن تنقلاته متخفيا ومتسميا باسماء عديدة دون ان يتمكن رجال الاستخبارات من القاء القبض عليه ، الامر الذي جعل ادوردغريغ Edward Grigg — وهو وزير سابق للشرق الاوسط ـ يصرح في مجلس اللوردات بقوله « السبب الرئيسي لفشلنا في فلسطين هو فشل استخباراتنا » . وهنا لايستطيع المرء الا ان يتساءل : الم يكن في استطاعة رجال الاستخبارات البريطانيين القاء القبض على بيغن لو ارادوا ذلك ام ان في الامر سرا سيكشفه المستقبل عندما يسمح للمؤرخين بالاطلاع على الوثائق السرية اللازمة ؟

يتطرق بيغن في الفصل التاسع من كتابه الى ذكر مسألة اختلاف وجهات نظر الارغون

عن وجهات نظر الهاغانا والوكالة اليهودية مما كان سيؤدي الى حرب اهلية . يبدو ان الخلاف الرئيسي بينهما كان خلافا على الوسائل فبينما نجد عصابة الارغون تدعو الى دولة يهودية في فلسطين بما فيها الاردن وشرقيه نجد ان بن غوريون كان على استعداد لقبول وجهة نظر تشرشل التي كما يبدو كانت تتركز حول تقسيم فلسطين كخطوة اولى . اذ ان تشرشل الذي كان يعتبر صديقا للصهيونية اكد لوايزمان في حديث معه ولاءه للفكرة الصهيونية الداعية الى تقسيم فلسطين واعدا اياه بنصيب الاسد . ولوضع حد للخلاف في وجهات النظر بين الارغون والهاغانا عقد اجتماع بينهما حاول فيه قادة الهاغانا اقناع بيغن وقيادته بضرورة ايقاف العمليات والتريث الى مابعد الحرب لان الارهاب سيحطم مايؤمله اليهود من حكومة تشرشل . الا ان بيغن رفض هذا العرض واتخذ من موقف بن غوريون المهادن لبريطانيا ذريعة لمهاجمته بحجة انه طالب بوطن قومي فقط في فلسطين وذلك في حديث له مع لجنة بيل Peel الا انه عاد عام ١٩٤٤ فطالب بدولة يهودية فيها . وقد وصف مندوب بن غوريون – في الاجتماع الذي عقد بينه وبين بيغن – نشاط الارغون بانه «لعب اطفال» مقارنا ذلك ببطولات رجال الهاغانا في خدمة الاستخبارات البريطانية خلال الحرب ضد المانيا بعد ان انزلوا بالمظلات في عدد كبير من المدن الاوربية .

وفي الفصل الذي يليه يحاول الكاتب تبرير رفض الارغون وجهة نظر الهاغانا بحجة ان مهادنة البريطانيين معناه الرضى عن «ذابح اليهود في اوربا» (لعدم فتح بريطانيا باب الهجرة اليهودية الى فلسطين على مصراعيه) واستعباد اليهود في « وطنهم » وان ثورتهم الروحية وهي ام الثورة السياسية والعسكرية ستتبخر في الهواء . ويزعم الكاتب ان الارغون آثرت الصبر امام رد الفعل الذي نتج عن رفض وجهة نظر الهاغانا وهو اعطاء السلطات البريطانية قوائم باسماء اعضاء الارغون للاحقتهم . والحادثة الثانية التي يوردها الكاتب متهماً الهاغانا بالاعتداء على الارغون هي قضية السفينة التالينا (Altalena) وهي سفينة اسلحة امنتها منظمتان صهيونيتان هما اللجنة العبرية للتحرير الوطني Hebrew Committee of National Liberation والعصبة الامريكية لفلسطين الحرة American League for a free Palestine . ما يهمنا هنا بالنسبة لقضية السفينة التالينا هي انها وصلت الى الشواطىء الفلسطينية خلال الهدنة الاولى وتمكنت من افراغ شحنتها تحت سمع وبصر مراقبي الهدنة وكان على ظهر السفينة ٩٠٠ جندي وخمسة الاف بندقية واربعة ملايين رصاصة و ٣٠٠ مدفع برن وخمس دبابات الى غير ذلك من الاسلحة والعتاد . يعترف بيغن باهمية شحنة السفينة في الوقت المحدد لها وهو اواخر عام ١٩٤٧ ، اذ لو تم ذلك لتمكن اليهود من السيطرة على الرملة واللد قبل الهدنة الاولى الامر الذي كان سيؤدي الى احتلال الضفة الغربية باجمعها على « اقل تقدير » يوم الهدنة الثانية على حد قول بيغن . منشأ الخلاف على السفينة كما يبدو هو أن الهاغانا كانت تتوجس خيفة من الارغون

وعدم شعورها بالمسؤولية الدولية لذا حاولت منعها من افراغ حمولة السفينة مما ادى في النهاية الى اشعال النيران على ظهر السفينة بعد ان افرغت معظم حمولتها .

اما النقطة الثالثة التي تعرضت الارغون بسببها الى حملات الهاغانا فهي مذبحة دير ياسين . يعترف مناحيم بيغن بأن الهجوم تم بالاتفاق مع قيادة الهاغانا . ويكرر بأن عصابته ذبحت العرب دون تمييز ويزعم بأن بعض المدنيين قد قتلوا بسبب القنابل اليدوية وذلك بعد ان رفضوا الاذعان لانذار سبق بمغادرة القرية . بعد اكتشاف المذبحة الرهيبة لجأ بن غوريون الى الاعتذار بأن الجريمة قامت بها جماعة منشقة . ولايستطيع المرء الا ان يتساءل : هل تعتبر عصابة الارغون منشقة وهي التي ايد شرتوك نفسها للجسور وحدد اهمية ذلك من الناحية السياسية ؟ هــل تعتبر الارغون منشقة وهي التي عرض الزعيم الديني مايير برلين Rabi Meir Berlin على زعيمها ايواءه عندما كانت السلطات البريطانية تحاول العثور على مخبئه؟ هل تعتبر الارغون منشقة عندما يعقد اجتماع زعيمها مع لجنة هيئة الامم المتحدة في بيت الدكتور يعقوب كوهين Yaacov Cohen ؟ يعلق بيغن على الاعتذار بأنه رياء لاموجب له ثم يعود فيعترف بفخر بأن المذبحة او مايسميه « المذبحة المزعومة » ادت الى بث الذعر في صفوف العرب ، مما ادى الى سقوط قرية قولونيا وبيت اكسا وحيفا وطبريا وجعل العرب يفرون ذعراً . اي ان الكاتب يعترف بأن مذبحة دير ياسين قصد منها بث الذعر في صفوف العرب لاجلاء سكانها العرب واحلال اليهود محلهم .

لم تكن العلاقات بين الهاغانا والارغون سيئة دائما فالفترة بين تشرين الثاني سنة ١٩٤٥ وأيلول سنة ١٩٤٦ شهدت اتفاقا وتوحيداً للجهود تحت قيادة موحدة وان دل هذا على شيء فهو ان الانتداب البريطاني ـ الذي اعطى الهاغانا صبغة رسمية وسمح لها بالتدرب واعداد العدة لتسليم زمام الامور لليهود وترك العرب عزلا من السلاح وزجهم في السجون ورفعهم على اعواد المشانق لابسط تهم حوز السلاح ـ لايمكن ان يكون جاداً في المسرحية التي مثلها في فلسطين بأنه حاول اخماد ثورة اليهود ففشل ولذا انسحب من فلسطين . هاهي المنظمة العسكرية ذات الصبغة الرسمية تتولى قيادة عمليات مهاجمة الثكنات البريطانية والاستيلاء على الاسلحة لتخزينها ومع ذلك تترك لها حرية العمل دون ان تلاحق بشكل جدي باعتراف بيغن نفسه (ص١٩٢) ان دل هذا على شيء فانما يدل على ان حكومة الانتداب كانت تعد العدة لتسليم البلاد الى الصهاينة (فالوكالة اليهودية وجيشها من الهاغاناه ، والمجــالس البلدية اليهودية الى غير ذلك من مؤسسات ، كانت ذات استقلال داخلي او بالاحرى حكومة ضمن حكومة الانتداب)ولكنها كانت بحاجة الى العذر فتركت مسرحية ثورة اليهود تمثل على مسرح فلسطين ثم نفضت يديها من

القضية على انها لم تمد تحت سيطرتها وقد ساعدها على ذلك وضع الدول العربية والزعامة التي لم تثبت جدارة وحنكة سياسية او عسكرية لاستلام زمام المبادرة .

اما الاسباب التي دعت الهاغانا الى نهج سياسة مكشوفة ضد الانتداب البريطاني في اواخر عام ١٩٤٥ فيعزوها الكاتب الى خيبة امل الوكالة اليهودية والصهيونية العالمية بحزب العمال الذي كان قد صرح قبل الانتخابات في مؤتمره في بلاكبول بانه ينوي تحقيق دولة يهودية في اسرائيل بمجرد استلام الحكم وكان اتلي في الواقع قد ذهب الى ابعد من ذلك بان وعد بنقل السكان العرب من فلسطين لاحلال اليهود محلهم (ص١٧٩). يعلق بيغن على هذا الوعد بقوله بان اتلي نفذ وعده بتشجيع العرب على ترك فلسطين ليعودوا اليها منتصرين مع الجيوش العربية (ص١٧٩) وهكــذا تتضح خطوط المؤامرة على شعب فلسطين . فالجنرال دارسي D'arcy يعترف بان خروج الانكليز من فلسطين يعني تسلم اليهود لها ، واتلي يصرح باجلاء العرب عنها ثم يبث دعايته لتشجيع العرب على ترك بلادهم ، بينا الهاغانا والارغون وشتيرن تقوم بمذابحها لارهاب العرب ، والجيوش العربية تدخل فلسطين بقصد استرجاعها لتمثل مهزلة قصد بها التمويه واعطاء اليهود حجة بان العرب وجيوشهم هم المعتدون وبانها كانت حربا عدوانية هزم فيها العرب . اما عرب فلسطين فقد خدعوا وغرر بهم لجهلهم بالوضع على حقيقته فالضغط البريطاني من جهــة ، وفقدان الزعامة النيرة التي كان يفترض فيها سعة الاطلاع على الوضع الداخلي والخارجي للبلاد من جهة ثانية ، جعلهم يؤمنون كما آمن زعماؤهم بان النصر العربي محقق . لقد كان جمال الحسيني – على حد قول بيغن – موقناً بان العرب قادرون على تسوية الامور مع اليهود دون صعوبة ، في تصريح له امام لجنة التحقيق الانكلو امريكية (ص ٢٠٠) .

الفصل الخامس عشر من الكتاب يتركز حول نسف فندق الملك داوود في القدس الذي ذهبت ضحيته اعداد كبيرة من المدنيين الابرياء . وقد تمت عملية النسف بالاشتراك مع الهاغانا . مثل هــذا العمل الاجرامي يكذب ادعاء بيغن بان الارغون كانت تتجنب ازهاق الارواح البريئة من المدنيين . لقد كان اليهود يكيلون ضرباتهم بكل وحشية وحقد دفين

الفصول الستة التي تلي الفصل الخامس عشر يكرسها الكاتب لاعمال الارغون من هجوم على المعسكرات ونسف للجسور وهجوم على سجن عكا ولسياسة السن بالسن والعين بالعين التي اتبعتها العصابة ضد الجيش البريطاني وسلطات الانتداب وكلها تتصف بالعنف والتجرد من الضمير الانساني .

في الفصل الثاني والعشرين يتطرق الكاتب الى اجتماعه مع ممثلي لجنة التحقيق التي اوفدتها

هيئة الامم المتحدة. وما يهمنا الان في عرضنا هذا الكتاب هو النقطة التي اثارها العضو السويدي ساندستورم Sandstorm وهي امكانية مهاجمة العرب اليهود في فلسطين، فاجاب بيغن بقوله: «ان العرب لن يهاجموا دون تحريض من بريطانيا وانهم اذا قاموا بمثل هذا العمل فسينالون الجزاء الاشد لان الحرب المعاصرة ليست حرباً عددية بقدر ما هي حرب ادمغة وعقول ومعنويات» اما النقطة التي اثارها العضو الصيني الدكتور هو (Hoo) فهي ان «فلسطين على ضفتي الاردن لن تتسع لليهود بعد ثلاثمئة سنة.» بعد ذلك يتحدث الكاتب عن اجتماعه بعضوين اخرين من امريكا الجنوبية كان احدهما السيد غرانادوس Granados مندوب غواتيمالا الذي افهمه «بانه وزميله لا يمكنهما ان يطلبا من هيئة الامم اكثر مما طلب شرتوك الا وهو التقسيم».

ينتقل الكاتب بعد ذلك الى عرض الاحداث التي سبقت انشاء الدولة اليهودية فيدعي بانه ورفاقه اجبروا بريطانيا على اللجوء الى هيئة الامم المتحدة والى الخروج من فلسطين نهائياً. يذكر الكاتب كيف ان اقتراح انشاء اتحاد فدرالي مع الاستقلال الذاتي او ما يسمى مشروع موريسون رفضه العرب واليهود على حد سواء وكيف ان مشروع بيغن سنة ١٩٤٧ بانشاء كانتونات مستقلة ذاتياً تحت حكومة مركزية قد رفضته الوكالة اليهودية التي كانت تسعى الى التقسيم. ويعود في النهاية الى القول بان عناد العرب والبريطانيين كان له الفضل في انشاء الدولة اليهودية.

في النص الخامس والعشرين يدعي الكاتب بأنه اجبر الحكومة البريطانية على الذهاب الى هيئة الامم المتحدة في دورة استثنائية لها في نيسان سنة ١٩٤٧ بدلاً من دورة ايلول الاعتيادية، وذلك بسبب هجمات الارغون المتكررة مما جعل الصحافة البريطانية تنادي بالخروج من فلسطين. — وهذا هو وجه المؤامرة السياسية الصهيونية — البريطانية — واخيراً في الثاني عشر من ايلول سنة ١٩٤٧ صرح كريش جونز Creech Jones وزير المستعمرات البريطاني بأنه ان لم تجد الامم المتحدة حلا يقبله الطرفان المعنيان فان الحكومة البريطانية ستجلي قواتها وادارتها عن فلسطين. وفعلاً في الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ صعد المندوب السامي البريطاني ظهر السفينة التي أقلته الى بلاده. يعلق بيغن على هذه الخاتمة بقوله بأن الثورة اليهودية نجحت في وقت كانت الوكالة اليهودية وبن غوريون يطالبان هيئة الأمم بتنفيذ التقسيم. وقد نجحت بفضل سياسة (الهجوم) التي يعتبرها الكاتب على أنها الوسيلة الوحيدة الفعالة (الدفاع).

ولكن الهجوم يحتاج الى السلاح والذخيرة وقد أمنت الأرغون ذلك اما من مصانعها أو من القوات البريطانية بمهاجمة مخازن أسلحتها في المعسكرات. وقد أدت سياسة اللين والتآمر والخداع، التي اتبعتها الحكومة البريطانية الى اعتقاد الكاتب بأن حفنة من رجاله كانت تكفي في كل مرة لاحتلال معسكر ما وافراغ ما في مخازنه من اسلحة (عمليات استغرقت الكثير من الوقت)

ثم الاختفاء دون أن تستطيع القوات البريطانية اتخاذ المعسكر المهاجم وايقاف المهاجمين عند حدهم أو مصادرة الأسلحة كما حدث في المعسكر رقم (٨٠) قرب برديس حنا. وتصل صفاقة الكاتب حدها عندما يصف مهاجمة قطار محمل بالأسلحة يدعي دون خجل بأنه قادم من حيفا الى المثلث في طريقه الى القاوقجي ، كأنه كان بين القاوقجي والسلطات البريطانية محبة ووئام وتعاون لترسل له قطاراً محملاً بالأسلحة من جميع الأنواع . يعترف الكاتب بأن الجنود البريطانيين الذين أوكلت اليهم حراسة القطار تعاونوا مع الارغون في نقل الاسلحة من القطار الى سيارات الشحن المعدة لذلك وبعد أكثر من أربع ساعات من العمل المتواصل اختفت قوات الارغون لتصل قوات بريطانية الى مكان الحادث. وبدلاً من أن تطارد المعتدين أو تتخذ الاجراءات اللازمة صرح ضابطها بأنه لن يقوم باية اجراءات وبأن الارغون حصلت على الاسلحة بعد قتال عادل وشريف (ص ٣٥٢) . إن دلت هذه الحادثة على شيء فعلى أن السلطات البريطانية كانت على اتفاق مسبق مع العصابات الصهيونية لتسليم شحنة القطار التي استعملت بعد ذلك في الهجوم على يافا والتي لولاها لما تمكن اليهود من احتلالها باعتراف الكاتب نفسه في وقت كان فيه الانتداب البريطاني مازال قائماً .

في الفصلين الاخيرين من الكتاب نقطتان تجلبان الاهتمام : اولاهما أن مناحيم بيغن يذكر في الخطاب الذي وجهه من اذاعته السرية يوم الخامس عشر من أيار بصفته زعيم الارغون بان « حدود دولة اسرائيل في الوقت الحاضر وفي المستقبل تحددها قوة السلاح اليهودي وأن الذي لايعترف بحق اليهود الطبيعي في جميع ارض اسرائيل لايعترف بان لهم الحق في جزء منها » (ص ٣٧٦) و « أرض اسرائيل » على حد قول الكاتب تشمل شرق الأردن وغربه . والنقطة الثانية الجديرة بالذكر هي أن عصابة الارغون تعود بجذورها الى الحرب العالمية الاولى عندما اسس جابوتنسكي وجوزيف ترمبلدور Joseph Trumpeldor الفيلق اليهودي .

* * *

المؤلف كما شاهدنا صهيوني متعصب لصهيونيته لايرى الأمور الا من منظار نفسه ، اسوأ ما في الأمر أن يعتبر فلسطين والاردن بلد اليهود لاحق لغيرهم فيه كما يعتبر العرب غاصبين ومعتدين ودخلاء فهو بذلك يتجاهل حقيقة اساسية ذكرها التوراة وهي أن اليهود انفسهم هم الدخلاء أتوا واحتلوا بلداً امتلكه الفلسطينيون قبلهم وباغتصابه ثانية عادوا فطردوا اصحابه الاصليين تحدوهم الى ذلك قومية وهمية لولاها لوجدوا في البلاد التي قطنوها ارضاً رحباً شأنهم شأن بقية الاديان والمذاهب. ففي امريكا مثلاً انصهرت جميع القوميات — باستثناء الافريقيين — والديانات باستثناء اليهودية . كلنا يعلم بان لاذنب للزنوج ان لم ينصهروا ولكن الذنب ذنب اليهود لانهم

ابوا إلا أن يحتفظوا بشخصية وهمية بنوها على تعصب ديني يدعمه جشع وتسلط مادي فجلبوا بذلك كره جيرانهم ومواطنيهم على انفسهم زاد منه أن الصهيونية ربطت نفسها بالرأسمالية الغربيـــة والاستعمار الغربي لما في ذلك من مصالح متبادلة .

بعد أن افترض الكاتب خطأ ان العرب دخلاء ربطهم بدخلاء حقيقيين هم البريطانيون وجعلهم اداة في ايديهم يحركونهم كيفما ومتى شاءوا وبذلك ينكر الكاتب على الفلسطينين أن ثوراتهم المتتالية عام ١٩٢٠ ، ١٩٢١ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ كانت جهاداً لتحرير بلدهم من الاستعمار والصهيونية ويجعلها افتراء تحريضاً من الاستعمار البريطاني ضد اليهود الذي يدعي الكاتب انهم اصحاب البلاد الأصليين . والكاتب يلجأ الى هذا الافتراء تمويهاً للواقع وهو ان الانتداب البريطاني منذ بدايتـــه هدف الى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود حوله اليهود الصهيونيون بضغطهم وبما لهم من نفوذ في امريكا وانكلترا الى دولة يهودية. **والدليل على هذا الاتجاه بيّن في جميع تصرفات الانتداب البريطاني: من اعطاء الوكالة شبه استقلال ذاتي ضمن الانتداب لها جيشها ونفوذها، ومن تشجيع لبيع الاراضي وفرزها وفتح ابواب فلسطين للهجرة اليهودية وغض النظر عن استعداداتهم العسكرية والضغط على العرب وارهابهم لمنع اي تسلح او تدريب او حتى تنظيم ، ثم اعطاء اليهود السلاح بحجة اغتصابه من الثكنات والمعسكرات . والاهم من هذا او ذاك ضغط بريطانيا على البلاد العربية الواقعة تحت نفوذها العسكري والسياسي والمالي ،فمزقت دخول الجيوش العربية الى فلسطين ، وكرست قيام الكارثة .**

لو جدّ الانتداب البريطاني في القضاء على نشاط العصابات الصهيونية بما فيها الهاغانا لتم له ذلك ،ولكن تراخيه وسعيه الحثيث لتحقيق وعوده بانشـــاء وطن تحول الى دولة تحت ضغط الصهيونية العالمية والرأسمالية الامريكية بعد أن اعطى العالم والشعب البريطاني خاصة صورة مضخمة عن القوة اليهودية اتخذت ستاراً لتبرير سياسة انسحاب بريطانيا الفاجيء من فلسطين تاركة اياها

في قبضة اليهود ، اذ لم يكن يخطر ببال أحد بان بريطانيا ستتخلى عن مسؤولياتها بهذا الشكل الفاضح وتتآمر على اجلاء شعب ليحل محله شذاذ الآفاق .

لقد تمكن اليهود من تحويل الوهم الى حقيقة وبقي علينا أن نبرهن العالم باننا شعب قادر على استرداد حقه . لقد اغتصبت فلسطين بالمؤامرة الاستعمارية الصهيونية ، وفرضت على العالم على أنها دولة ذات كيان . ولابد ان تكون القوة السياسية العربية ، على مستوى الجريمة النكراء ، لتستطيع بقوة الحق وبقوة السلاح ، أن تعيد الوطن العربي المغتصب الى أهله .

اننا نقرأ في كتب العدو ، لندينه بأقواله ، ولنتهمه باسباب الدفاع عن نفسه . والجريمة الصهيونية صارخة العدوان ، والفجور .



حول أمريكا..

عرض وتحليل الدكتور غسان المالح

بين يدي ، الطبعة السادسة عشرة لكتاب « الستار الحديدي حول امريكا (١) » الذي نشر أول مانشر عام ١٩٥١ والطبعة السادسة عشرة هذه ظهرت عام ١٩٥٧ ، ولابد وأن الكتاب قد طبع ست عشرة مرة أخرى منذ ذلك الوقت حتى الآن .

مؤلف الكتاب ، جون بياتي ، عمل في مجال الدراسات السياسية والاجتماعية منذ عام ١٩٢٦ حين كلف من قبل مؤسسة «البرت كان» بدراسة الوضع العالمي وشؤون الولايات المتحدة الخارجية

(١) Beaty, John : The Iron Curtain Over America, Wilkinson Publishing Company, Dallas, Texas (1957)..

ولقد قام بومند بزيارة ٢٩ بلداً حيث وجــد كما يقول «اوضاعاً تختلف كل الاختلاف عن فكرة الولايات المتحدة عنها» . ولقد رفض أكثر الناشرين وأصحاب الصحف نشر آرائه لدى عودته ، وضرب أكثرهم نطاقاً حوله، حتى أن الصحف والمجلات لم تتعرض لروايتــه التاريخية **سيوف في الفجر** (١٩٣٧) ولا لكتابه **صورة الحياة** (١٩٤٠) .

وحين بدأت الحرب العالمية الثانيــة استنفر ـ مع من استنفر ـ للعمل في المخابرات العسكرية ، وكان حينئذ برتبة نقيب . وفي عام ١٩٤٢ رقي بياني الى رتبة رائد واصبح رئيساً للشعبة التاريخية المسؤولة عن كتابة تقارير مفصلة عما يجري في مناطق العالم الاستراتيجية . وكان في نفس الوقت احد محررين اثنين يشرفان على اعداد نشرة يومية عن الوضع العالمي ترفع الى مراجع الدولة العليا . وفي عام ١٩٤٤ أصبح الرائد بياني مقدماً ورئيساً لفرع المقابلــة الذي كان مسؤولاً عن استجواب الضباط والمسؤولين حين عودتهم من مهامهم في الخارج .

ولقد رفض مؤلف الكتاب عروض البقاء في الخدمة بعد الحرب ، وآثر التقاعد برتبة عقيد عام ١٩٤٦ لينكب على دراسة أوضــاع امريكا الداخلية وسياستها الخارجية . وكانت حصيلة أبحاثه الكتاب الذي نتعرض فيما يلي ، كتاب **الستار الحديدي حول امريكا** .

في كتاب بياني الكثير مما يمكن أن يثير نفور المثقف ، فالمؤلف ينطلق من فكرة عنصرية متزمتة ، إلا أن ذلك لا ينفي عنه صفة التتبع والاطلاع ، إذ ان الكتاب من اكثر المؤلفات استشهاداً بالمصادر وذكراً لها .

وتكمن أهمية الكتاب ـ في الواقع ـ في الشواهد التي يثبتها ، وهذه الشواهد مستقاة من مصادر لم يكن للمؤلف أن يصل اليها او يطلع عليها لولا المناصب الحساسة التي شغلها في دوائر الاستخبارات الامريكية .

الكتاب في فصوله التسعة عرض للنفوذ اليهودي في الولايات المتحدة والاساليب الصهيونية في التأثير على سياسة واشنطون الداخلية والخارجية عن طريق اسدال « ستار حديدي » حول حقائق الأوضاع العالمية ومنها فلسطين وهو أيضاً دعوة لوضع حد للنفوذ الصهيوني في اوساط الولايات المتحدة الحكومية والاقتصادية .

فبعد أن يستعرض بياني تاريخ الهجرة اليهودية الى اميركا وازدياد نفوذ اليهود المستمر فيها ، يعرض الى الضغط اليهودي قبل الحرب العالمية الثانية الذي يعزو اليه دخول الولايات المتحدة الحرب . ثم يشير الى الموظفين الصهيونيين الهائل في دوائر واشنطن الحساسة ويذكر ، في هذا المجال اسم فيليكس فرانكفورتر الذي اصبح رئيساً للمحكمة العليا في الخمسينات وساعد على ادخال عدد كبير من اليهود الى الحكومة عرفوا باسم « صبية فرانكفورتر » . وقد كان فرانكفورتر هذا يعرف باسم رئيس الولايات المتحدة غير المتوج . وبين الصهيونيين الذي يذكرهم بياني ايسادور لوبين الذي كان الرئيس روزفلت يعتمد عليه في تحليل الاحصاءات والذي اصبح فيما بعد مندوب الولايات المتحدة في هيئة الامم . ويصعب سرد اسماء من يذكرهم المؤلف فهم ، يبلغون المئات وجميعهم في اكثر المناصب حساسية واهمية . كذلك يستعرض بياني اسماء من ادينوا بالتجسس ضد الولايات المتحدة وكذا ليؤكد أن اكثرهم من اليهود او من اصل يهودي واكتفي هنا بذكر سام كان (كوهين) وفريد روز (روزنبرغ) وجرمينا رابينوفتش وكلاوس فوش .

وفي نطاق حديثه عن الستار الحديدي الذي يلقيه يهود الولايات المتحدة على الاخبار التي لا يودون انتشارها ، يشير بياني الى خطاب القاه ابراهيم شمان في

اجتماع لنادي المعلنين عام ١٩٤٦ طلب فيه من التجار اليهود مقاطعة صحيفتي التايمس هيرالد والنيويورك ديلي نيوز . وكان هيرشمان هذا يشغل حينئذ منصبا في وزارة الخارجية الاميركية . ويشير بياني الى ان السينما كالصحافة لا تنجو من ضغط الصهاينة ومراقبتهم ، ويعطي على ذلك مثلا فيلم اوليفر تويست المقتبس من رواية تشارلز ديكنز الشهيرة الذي لم يتمكن مخرجو هوليود من عرضه في الولايات المتحدة الا بعد حذف اثنين وسبعين مشهدا منه . ورقابة اليهود في عالم المطبوعات لا تقل عنها في مجال الصحافة او السينما ولا تنجو من هذه الرقابة الشديدة حتى ولا مسرحيات شكسبير . بل إن ناقداً كبيراً كجورج ليمان كيتردج ، يجد نفسه مضطرا في اوائل هذا القرن الى تبرير نشره طبعة جديدة لتاجر البندقية . كذلك فقد امتد عبث اليهود ورقابتهم الى روائع القرون الوسطى الأدبية . فأعمال تشوسر مثلا ، كثيراً ما تظهر خالية من حكاية الراهبة لاحتوائها بين شخصياتها الكثيرة على شخصية يهودي . واذا كان بعض المحققين كالأستاذ لوميانسكين (في طبعته لحكايات كانتربري ١٩٤١ التي تحوي على مقدمة بقلم الكاتب الشهير مارك فان لارن) يورد سببا واهيا هو الخوف من اثارة النزعات المعادية لليهود لدى القراء ، فان طبعات كثيرة لحكايات كانتربري تظهر مهملة لحكاية الراهبة دون عذر او تفسير . وفي معرض الحديث عن الكتابات التاريخية يورد مؤلف « الستار الحديدي حول امريكا » امثلة عديدة لتشويه الكتاب الصهاينة الحوادث التاريخية وطمسهم للحقائق .

ويعرض بياني ، في فصله الخاص بسياسة الرئيس ترومان الخارجية ، الى القضية الفلسطينية وموقف الحكومة منها والضغط الشديد الذي مارسه الموظفون اليهود والدوائر الصهيونية ذات النفوذ حين عرض موضوع التقسيم على الامم المتحدة :

« كان على الولايات المتحدة اما ان تتبنى عدم التقسيم الذي نادى به ستراتيجيو واشنطون، او التقسيم الذي ألحت عليه المنظمات اليهودية . وبعد تردد قررت الولايات المتحدة ـ التي تفوق اصوات اليهود فيها اصوات العرب القليلة أن ـ تدعم مشروع تقسيم فلسطين على الرغم من ان اكثر سكانها من العرب . »

وحين رفضت الامم المتحدة مشروع التقسيم في ٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧، قام مندوبو الولايات المتحدة بالسعي لدى الدول الاعضاء في المنظمة لاقناعهم بالتصويت الى جانب مشروع التقسيم . ويستشهد بياتي هنا بما كتبته صحيفة النيويورك تايمز بتاريخ ٢٨ تشرين الثاني ١٩٤٧ :

« منذ يوم السبت ١٩٤٧/١١/٢٢ والوفد الاميركي يقوم باتصالات شخصية مع الوفود الاخرى في سبيل جمع اصوات تؤيد التقسيم ... وتفيد اخبارها بأن محاولات الاقناع قد بدأت تدر ثمرتها ... وتتوقف نتيجة التصويت اليوم على مدى نجاح مساعي ممثلي الولايات المتحدة في عواصم العالم البعيدة . »

ولقد أثمرت تلك المساعي ، كما يقول بياتي ، وارتفع عدد الدول المؤيدة لمشروع التقسيم خلال الفترة الواقعة بين التصويت الاول في ١١/٢٦ والتصويت الثاني والاخير في ٢٨ / ١١ من ٢٥ الى ٣٣ ، وذلك بانضمام بلجيكا و فرنسا وهايتي وليبريا ولوكسمبورغ وهولاندا ونيوزيلاندا وبارغواي والفيليبين الى قائمة المؤيدين للتقسيم الذين ادى الى تهجير مايقرب من مليون عربي ـ مسيحيين ومسلمين ـ من فلسطين ، والى تحميل العرب الولايات المتحدة مسؤولية مأساتهم .

وينتقل المؤلف الى فلسطين نفسها ليعدد اعمال اليهود الارهابية هناك : من نسف لنادي الضباط في القدس وسجن عكا ، الى اغتيال الكونت برنادوت

الوسيط الدولي . ولايفوته ان يذكر ان عدداً كبيراً من الاميركيين عملوا في صفوف المنظمات الارهابية اليهودية ،وأن عددهم في منظمة الهاغانا وحدها بلغ الألفي رجل ؛ ويفرد بياني جزءاً خاصاً لاستعراض اسماء بعض هؤلاء الرجال، ويذكر من بينهم الكولونيل دافيد ماركوس الذي عمل قائدا عاماً للقوات الاسرائيلية في منطقة القدس ،والذي قتل في معركة قربها، والذي اثنى عليه الرئيس الاميركي ترومان على بلائه في « حرب اثنتين » في رسالة بعث بها الى حفل كان يزيح الستار عن نصب لماركوس في بروكلين .

كان عام التقسيم عام انتخابات، مما جعل المسؤولين الأميركيين يتجاهلون مقتل برنادوت وفظائع اليهود ويتسابقون الى تأييد « الدولة الجديدة »، ويورد بياني نص خبر نشرته صحيفة النيويورك تايمز في ٢٩ تشرين الأول ١٩٤٨ . يقول الخبر :

« ألقى الرئيس ترومان ليلة أمس أكثر خطاباته تأييداً لاسرائيل وذلك حين أعلن لأكثر من ١٦,٠٠٠ شخص في اجتماع عقد في ميدان ماديسون بأنه يلتزم بالعمل على ان تكون اسرائيل كبيرة وحرة وقوية بالقدر الذي يساعد سكانها على ان يحققوا اكتفاءهم وسلامتهم ... علينا أن نقدم العون لأهل اسرائيل الذين أثبتوا بأنهم رواد قساة العود ».

ويتساءل بياني فيما إذا كان العنف والقتل والارهاب من تقاليد الرواد البناة . وعما إذا كانت صداقة هؤلاء « الرواد » تستحق التضحية بصداقة ملايين العرب ...

ثم من هم هؤلاء « الرواد » وأي حق لهم في فلسطين ؟ وسؤال المؤلف هذا مرتبط بالحقائق التي يعرضها في الفصل الأول من الكتاب . فاليهود الذين

أتوا فلسطين وطردوا أبناءهـــا هم من الخزر المتهودين ولا علاقة لهم بيهود العالم القديم .

في القرن السادس للميلاد ، يقول بياتي ، ظهر الخزر في جنوبي روسيا في المنطقة الواقعة بين نهري الدون والفولغا شمالي جبال القوقاز ، وكانت قبائلهم قد هاجرت من آسيا الوسطى ونشرت سلطانها في تلك المنطقة حيث لم تجد كبير مقاومة من السكان الأصليين الرعاة . وفي القرن الثامن أو التاسع ، وكان سلطان الخزر يومئذ قد أصبح يشمل كل المنطقة الواقعة بين بحر قزوين والبحر الأسود ، بدأ خاقان الخزر ، ويقال أنه كان يدعى بولان ، بالبحث عن دين لشعبه إلى أن انتهى الى اعتناق الديانة اليهودية لعدة أسباب : أهمها خوفه من الوقوع تحت سلطة الامبراطورية الاسلامية من جهة أو الامبراطورية البيزنطية المسيحية من جهة أخرى .

وتابع خليفة بولان ، الخاقان اوبادبا ، تأييد بولان للديانة اليهودية ، ودعا عدداً من حكماء اليهود ليعيشوا في مملكته وينشروا الدين اليهودي . وسرعان ما اصبح يتحتم على من يرث ملك الخزر أن يكون يهودياً .

إلا أن سلطان الخزر لم يلبث أن بدأ ينحسر عن مناطق كثيرة ، منها مدينة كييف . ومنذ اوائل القرن الثالث عشر بدأ الخزر المتهودون ينزحون الى الشمال والغرب وخاصة بعد غزو جنكيز خان لأراضيهم ، وهكذا انتشر اكثر الخزر في اصقاع روسيا المختلفة بينما عاد بعضهم الى كييف . وقد سبب انتشارهم المستمر قلقاً لحكام موسكو حتى أن ايفان الرابع (١٥٣٣ - ١٥٨٤) امر بعدم السماح للتجار اليهود بالتجول في انحاء روسيا . إلا ان الخزر اليهود استمروا في الهجرة والتنقل وخاصة الى الشمال الغربي في اتجاه بولونيا الى

ان امرت الامبراطورة كاترين (١٧٦٢ - ١٧٩٦) بحصرهم في تلك المناطق التي استولت عليها من بولونيا .

أما الكسندر الثاني (١٨٥٥ - ١٨٨١) فقد رفع الكثير من القيود التي كانت فرضت على الخزر المتهودين وسمح لهم بدخول المدارس والجامعات وبالتنقل حيثما شاؤوا ، شأنهم شأن أي مواطن روسي آخر . ولكن حريتهم هذه سرعان ما أكسبتهم قوة سياسية استغلوها ضد الحكومة ، بل إن عدداً من اليهود كان في عداد من حاولوا اغتيال القيصر الكسندر الثاني نفسه .

ولقد أدرك الكسندر الثالث ضرورة اتخاذ سياسة حازمة تجاه اليهود ، وأدت هذه السياسة الى هجرة عدد كبير من الخزر المتهودين الى بلدان اوروبا الشرقية والى الولايات المتحدة . واستمرت هجرتهم حتى ايام نيقولا الثاني . وتبنى الكثيرون من الخزر المتهودين ، سواء منهم من بقي او هاجر ، الفكرة الصهيونية وقام اول مؤتمر يدعو الى استعمار فلسطين في كاتوفيتز على الحدود الروسية في السادس من تشرين الثاني عام ١٨٨٤ وتلاه مؤتمر بال في ١٨٩٧ .

وهكذا - يقول بياتي - قام بالدعوة للفكرة الصهيونية و« للعودة الى فلسطين » يهود متهودون يعود اصل معظمهم الى قبائل الخزر المتهودة وليس الى بني اسرائيل او الى « الأرض الموعودة » او شعب الله المختار .

- انتهى -

كلمة (المعرفة) امام الستار الحديدي

مهما يكن الحافز وراء تأليف (كتاب الستار الحديدي حول امريكا) بالنسبة لمؤلف امريكي ، فإن الفائدة منه لاتقتصر على وصف التغلغل الصهيوني في الدولة الامريكية الشمالية ، بل يتعداه الى تصوير واقع الانهيار

الديموقراطي ، الذي تعانيه اكبر ديموقراطيات العصر ، ذات تمثال (الحرية)، المطل على نيويورك والبحار !

ان اليهود في الولايات المتحدة الامريكية يؤلفون أقلية لاتتجاوز ٣٪ ثلاثة بالمئة من مجموع السكان . فإذا كانت هذه الأقلية الدينية السياسية تتحكم ـ كما يزعم الزاعمون ـ بأكثرية السبعة والتسعين بالمئة ، فان الديموقراطية ليست سوى شعار زائف لواقع (الحرية) الزري في حياة اضخم ديموقراطيات العصر. اوتكون الديموقراطية ، عن طريق (صناديق الاقتراع) ، هي ضمانة الحرية للمواطن الأمريكي ، عندما تكون هذه الصناديق ، تحت إمرة (العصابات) مفرغة من مضمون الحرية الحقيقي ؟! أهي ديموقراطية (الشعب) ام ديموقراطية (الضغط) التي تسود حياة الأمريكيين . وماذا يجدي امريكا ، والعالم حولها، ان يتقن جهاز الحكم فيها (واجهة الحرية) ، واحترام رأي (الاكثرية) ، عندما لا يكون وراء الواجهة سوى اذلال الاكثرية الكثيرة ، تحت اقدام الاقلية القليلة ؟!

فبالنسبة لنا نحن العرب ، ولجميع الشعوب المكافحة من اجل الحق والحرية ، اما ان تكون الولايات المتحدة ، دولة ذات استراتيجية سياسية وعسكرية تلتقي كل الالتقاء مع العدوان الصهيوني، بطواعية واختيار وتصميم فهي ديموقراطية مفرغة من مضمونها الانساني .

وإما أن تكون حقاً ، أسيرة الأقلية اليهودية الامريكية فيكون عذرها أقبح من ذنبهـــا ، وتكون ديموقراطيتها مفرغة أيضاً من مضمونها الديموقراطي ، بله الانساني !

ـ المعرفة ـ

ندوة فلسطين العالمية

عرض وتقديم اسكندر لوقا

نظم الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين في العالم (*) ندوة فلسطين العالمية بين الثلاثين من شهر آذار والسادس من شهر نيسان الفائتين ١٩٦٥ في القاهرة . وجاءت الندوة لتكشف امام وفود ١٠٨ دول ومنظمات الطلاب والشباب العالمية وكبار المثقفين والسياسيين العرب والأجانب ، حقيقة القضية

(*) • تكون الاتحاد العام لطلبة فلسطين عام ١٩٥٩ .
• أنشأ الاتحاد حتى اليوم ٣٤ فرعاً في العواصم والمدن الكبرى العربية والأجنبية
• يشترك الاتحاد في اتحاد الطلاب العالمي ببراغ ، وهو عضو في الندوة الطلابية العالمية في ليون بهولاندا .
• يضم الاتحاد ١٦ ألف عضو .
• يعتمد في ميزانيته أساساً على اشتراكات الاعضاء وعلى بعض الهبات من الهيئات العربية .

الفلسطينية التي حاولت الدعايات الصهيونية، ومن وراءها الابواق الاستعمارية، ان تطمس معالمها أمام الرأي العام العالمي .

كما جاءت ، الندوة ، مظهراً ايجابياً من مظاهر العمل في سبيل العودة واستدراكا عملياً للنقص الكائن في النهـــج العربي على هذا الصعيد منذ تاريخ النكبة وحتى اليوم .

ولقد تمكن اتحاد الطلبة بجهوده المتواضعة وامكانياته المحدودة من طرح القضية الفلسطينية عبر هدفين اساسيين هما :

الهدف الاول : شرح القضية أمام اسماع ممثلي اتحادات الطلاب العالمية من جميع الدول شرقية وغربية وغير منحازة .

الهدف الثاني : الحصول على تأييد هذه الاتحادات لحق شعب فلسطين في استرداد أرضه المغتصبة ، وذلك بعد فهم صحيح للقضية ، بعيد عن تأثير الدعاية الاستعمارية وتضليل الصهيونية العالمية .

وليس يخاف على أحد أن اسرائيل لم تتوان طوال السنوات التي تلت عام ١٩٤٨ عن محاولة تثبيت كيانهـــا المحلي والدولي كما تشير الى ذلك الوقائع الصارخة التالية :

● استطاعت اسرائيل بعد قيامها بدعم من الدول الاستعمارية ، أن تنمي علاقاتها الاقتصادية والسياسية بعدد من الدول النامية وخاصة في افريقيا . ولعبت الولايات المتحدة دوراً بارزاً على هذا النطاق ، في هذه المرحلة . ويؤيد ذلك قول ديفيد هورويتس – مدير بنك اسرائيل القومي : « ان الشركات الاسرائيلية التي تعمل في افريقيا تعمل في الواقع كفروع للاحتكار الامريكي » و « ان جزءاً كبيراً من رأسمال شركة سوليل بونيه تابع لبعض شركات امريكية ،

والوكالة اليهودية ومقرها الرئيسي في الولايات المتحدة ، والمعروف ان هذه الشركة تسيطر على فروع في كثير من الدول الافريقية تحت اسماء مختلفة .

● كما سعت اسرائيل وتسعى لتأكيد شخصيتها الدولية من خلال صلات احزابها بالمنظمات السياسية العالمية . حزب الماباي — الحزب الحاكم — مثلا ، ممثل في الهيئات الاشتراكية الرسمية منذ عام ١٩٢٩ . ويذكر ان اسرائيل تمكنت في حزيران ١٩٦٠ من عقد مؤتمر للاحزاب الاشتراكية في مدينة حيفا حضره عدد من ممثلي دول آسيا وافريقيا الى جانب ممثلي الاحزاب الاشتراكية الاوروبية . (١)

ولم تقف الدول العربية مكتوفة الأيدي تجاه النشاط الاسرائيلي بالطبع . إلا ان عملها لم يكن ، من جانب آخر ، في مستوى القضية ان صح القول . فقد كان عملها يفتقر الى التنظيم والتركيز ، ولم تتمكن الدول العربية من سد هذه الثغرة في حينها ، والى حد ما ، إلا بعد اجتماعات رؤساء وملوك العرب في مؤتمري القمة العربيين ، حيث تم التوصل الى تنسيق الخطط وتهيئة وسائل الدفاع المشترك عن القضية ، وتسخير الامكانيات المتوفرة في البلاد العربية لها .

غير أن الامر كان لا يزال يفتقر الى مزيد من الخطوات التي تبرز أي عمل قد تتخذه البلاد العربية لاسترداد الحق العربي في فلسطين ، فأكملت الندوة هذا النقص بطرح القضية على الرأي العام العالمي ، وفتح الباب الواسع من الجدل والنقاش حولها .

(١) كما عقدت اسرائيل ندوة لكبار موظفي افريقيا حضرها ٢٦ من القارة . كما عقدت ندوة اخرى لنساء افريقيا استمرت مدة اسابيع حضرتها ٣٦ امرأة من الكاميرون والكونغو وكينيا ومدغشقر وتنغانيقا وسيراليون .

في اليومين الأولين . وزعت والقيت المحاضرات التي أعدها العرب .
وفي الأيام التالية المتبقية بدأت المناقشات بين أعضاء الوفود المشتركة في الندوة، واتفق معظم العرب على أن يتركوا أمرها الزوار الأجانب وألا يتدخلوا فيها إلا للتوضيح .

ثم صدر البيان التاريخي الذي ننشر ملخصاً عنه فيما بعد .

أقوال الخطباء العرب

طلعت خيري

بدأت الندوة بكلمــة السيد طلعت خيري وزير الشباب في الجمهورية العربية المتحدة ، رحب فيها بلقاء الشباب من كل أنحاء العالم العربي مع الشباب المغربي . وقال بأن هذا اللقاء سيتيح لهم آفاقاً لا حدود لهــا « للتعرف على حقيقة قضية العرب الأولى التي تحاول الدعايات الصهيونية المغرضة تشويه معالمها لتضيع العدل والحق » .

وبعد أن بيّن الأخطار المحدقة بالقضية بسبب تكتل القوى الاستعمارية ضد العرب ، والمح الى امكانية انفجار الموقف في اي وقت ، اختتم كلمته بقوله (إنه رغم ما وقع في العالم من حروب وعدوان بين الافراد والشعوب، لم يحدث ان طرد شعب كلية من ارضه كما حدث بالنسبة للقضية الفلسطينية) .

تيسير قبعة

وتبع ذلك السيد تيسير قبعة رئيس الاتحاد العام لطلاب فلسطين فألقى كلمة الاتحاد ، وجاء فيها قوله بأن انتصار اسرائيل بأكمله قائم على المساعدات

المالية الغربية ، وان دور اسرائيل يتجسد في الاخلاص للاستعمار وتحقيق أهدافه في المنطقة .

احمد الشقيري

ثم ألقى السيد احمد الشقيري رئيس منظمة التحرير الفلسطينية كلمة رحب فيها بالنخبة الممتازة من رجال الفكر في عالمنا المعاصر ، وفيهم من ساهم في تأييد الحركات التحررية في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية .

وقال ان وراء هذه القضية الحية التي تفور بالآمال والآلام شعباً عريقاً أخذ الآن يهيء نفسه للكفاح المسلح من اجل تحرير وطنه واسترداد حريته وكرامته الانسانية .

وبعد أن قدم عرضا شاملا لقضية فلسطين ، قال : ان هذه القضية ماتزال في حاجة الى مزيد من البحث والدرس والى مزيد من التأليف والنشر (١)

ولذلك كان من الطبيعي أن تنعقد هذه الندوة تطلعا الى العقول الحرة والضمائر الحية والى اصحاب الاقلام الذين كرسوا انفسهم للبحث عن مغريات الصهيونية والاستعمار .

واضاف : ان تحرير فلسطين هو اكبر اهداف الامة العربية ، وعليه يتوقف مصيرها ووجودها ، ومن اجل ذلك فانه لايقبل انصاف الحلول ولا يخضع لتسويات تقوم على أساس المساومة او سياسة الاخذ والعطاء ، وان هذا التحديد الواضح لموقفنا هو تحديد مسؤول ، اعلنه باسم منظمة التحرير الفلسطينية نيابة عن شعب فلسطين .

---

(١) وليس سرا ان الاستعمار والصهيونية واسرائيل قد عبأوا جهوداً هائلة واموالا وافرة لابراز وجهة النظر الاسرائيلية وحجب وجهة النظر العربية .

وحمل الاستاذ احمد الشقيري على عاتق الدول الاستعمارية مسؤولية اقامة اسرائيل. واضاف بأن كلا من بريطانيا والولايات المتحدة مازالت تعلن الى هذا اليوم أن اسرائيل وجدت لتبقى. ونحن نعلن من جانبنا ان لا مكان لاسرائيل في وطننا، وعلى الذين يريدون لاسرائيل البقاء أن يحملوها على اكتافهم من جذورها ويغرسوها في اوطانهم، فان وطن العرب للعرب.

سيد نوفل

وافتتح الدكتور سيد نوفل الامين العام المساعد لجامعة الدول العربية سلسلة المحاضرات في اليوم التالي عن «قضية فلسطين في الامم المتحدة» قائلا بانها قد ازدادت اليوم قوة المحيط العربي والعالمي، وان يوم العودة قد اصبح قريبا.

وبعد ان قدم الدكتور نوفل عرضا لتطور قضية فلسطين منذ ان دخلت الامم المتحدة في سنة ١٩٤٧، بين «كيف استطاعت الصهيونية العالمية بمساعدة قوى الاستعمار في الغرب، جعل هذه الهيئة الدولية وسيلة لتحقيق الاغراض البعيدة للصهيونية متحدية بذلك الاهداف النبيلة التي قامت عليها هذه الهيئة».

وقال في سياق حديثه ان «قرار التقسيم الذي اصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة في تشرين الثاني من عام ١٩٤٧ كان قرارا مجحفا بمصالح العرب وينطوي على تحيز ظاهر لليهود، حيث جعل الاماكن المقدسة تحت سيطرتهم، وان الدول الكبرى الثلاث التي اقامت اسرائيل سخرت مجلس الامن لخدمة الاهداف الصهيونية العدوانية ضد العرب».

وقال بان عدد اعضاء الامم المتحدة حين صدر قرار التقسيم كان ٥٧

دولة وافق ٣٣ منها على القرار . وقال بانه لم يكن للدول الافريقية الآسيوية بينها سوى ١٣ دولة لم ينضم منها للقرار سوى جنوب افريقيا وليبريا التي كانت تعتبر في ذلك الوقت جزءا من امريكا . اما اليوم فقد بلغ اعضاء الامم المتحدة ١٢٥ دولة نصفهم من المجموعة الآسيوية الافريقية ، وقد اتضحت للكثير منها، وفي مقدمتها دول الكتلة الشرقية ، حقيقة الاستعمار الصهيوني ، فأصبحت من الدول المؤيدة للشعب الفلسطيني علاوة على ان الامم المتحدة ومجموعة الدول الآسيوية الافريقية نفسها اصبحت اليوم تنادي بتصفية الاستعمار ومكافحة العنصرية .

وبعد ان ندد الدكتور نوفل بمحاولات اسرائيل لاغتصاب المياه العربية قائلا بان تحويل اسرائيل لمجرى نهر الاردن « هو تحد صارخ للامم المتحدة وللقانون الدولي لانه محاولة لحرمان العرب من الانتفاع بمياههم » اختتم حديثه بقوله : ان مرور السنين لم يخفف من الشعور العربي بفداحة النكبة كما اعتقد الصهاينة ، وتجسد ذلك ببروز الكيان الفلسطيني الى الوجود بدعم النضال العربي والعالم المتحرر لاستعادة الوطن السليب .

برهان الدجاني

وتحدث الدكتور برهان الدجاني عن فلسطين قائلا بان الاتصالات السياسية لاقامة اسرائيل بدأت قبل الاضطهاد النازي لليهود (وهي الحجة التي يستعملها الصهاينة لتبرير احتلالهم لفلسطين) . وقال بان المطالب التي قدمتها الحركة الصهيونية لمؤتمر الصلح الذي عقد في فرساي لم تتضمن فقط المطالبة بفلسطين بل الاصرار على جميع المناطق التي تمر فيها مياه نهر الاردن ، ابتداء من جبل الشيخ « ابو الروافد المائية كما جاء في النص الصهيوني » . ومعنى هذا،

المطالبة بكل جنوب لبنان وكل جنوب سورية وكل الضفة الشرقية من الاردن حتى صحراء سيناء كانت - كما تقول المؤلفات الصهيونية - موضع مطالبة منذ عام ١٩٠٢ .

ثم انتقل الاستاذ الدجاني الى تحليل الاحداث التي تبعت النكبة ، ووصلت الى ذروتها خلال معركة السويس . فأظهر - من خلال تصريحات المسؤولين الاسرائيليين - ان الحركة الصهيونية تعتبر سيناء وشرم الشيخ والعقبة مناطق اسرائيلية لم تتعرض للاحتلال من قبل القوات اليهودية بل انها « تحررت » على ايديها واستعيدت كقطع من « ارض الميعاد » . وقال بانه من الصعوبة بمكان التفريق اليوم بين الصهيونية والاستعمار ومن منها يستعمل الآخر كأداة لتنفيذ اغراضه ، لان الصلة بينها اصبحت من القوة والالتصاق بحيث لم يعد يمكن التفريق والتحديد . واما بالنسبة الى المياه العربية ، فقد ذكر الاستاذ الدجاني ان مطامع الصهيونية فيها ، لم تتوقف عند عام ١٩٤٨ ، بل ازدادت حدة وقوة لاعتقادها بان هذه المياه يجب ان تستغل الى اقصى حد بواسطة القوى التي تستطيع ان تفعل ذلك بكفاءة ، اي قوى الصهيونية كما جاء في تقاريرها ، مع محاولة فصل كل مرحلة من العدوان عن المراحل السابقة وتغطيتها بالمبادىء العامة التي تبدو سليمة وسلمية في نظر البعيدين عن موقع المعركة .

المهدي بن بركة

وبعد ذلك تكلم المهدي بن بركة ممثل الاتحاد القومي للقوى الشعبية في المغرب ، فقال « انه بالرغم من الظروف التي يتم فيها هذا اللقاء والتي يعيشها شعبنا

في المغرب فاننا حضرنا لنعبر عن استعدادنا التام غير المشروط لمعركة فلسطين .

وانتقل من ذلك الى الحديث عن التسلل الاسرائيلي في افريقيا ،فقال : (اننا نرفض الواقع الاسرائيلي في افريقيا كظل للاستعمار وأداة له .. نرفضه كعرب ونرفضه كمناضلين ثوريين .. نرفضه كعرب لأن دور اسرائيل جزء من المخطط الاستعماري ضــد العرب .. ونرفضه كمناضلين ثوريين لأن دور اسرائيل في افريقيا جزء من الخطة الاستعمارية ضد الحركة التحررية العالمية ، ولابد أن ننظر إلى هذا الدور نظرة جدية حذرة) .

وبعد أن شرح كيف استطاعت اسرائيل أن تلعب دورها في افريقيا وكيف تستطيع تسخير استغلال اليوم لتحقيق توسعها قال بأن اسرائيل (تزعم لدول افريقيا المستقلة حديثاً انهـا دولة دمقراطية صغيرة ليست لهـا مطامع توسعية ومازال تواجه مشاكل التنمية وانها اكتسبت خبرات في هـذا المجال يمكن ان تفيد منها تلك الدول) . أورد مثلاً حياً لنجاح اسرائيل في هـذا المضمار ، موديبو كيتا الذي قال عام ١٩٥٨ بعد اتصاله الأول باسرائيل وقبل كشف الخدعـة (لقد اصبحت اسرائيل قبلة تحج اليها الشعوب لتستلهم منها اسلوبها في العمل ، وان اسرائيل هي المثال الحي للشكل الانساني) .

وكذلك الزعيم جوليوس نيريري الذي قال في تشرين الثاني ١٩٦٠ (ان اسرائيل بلد صغير ولكنها تعتبر نموذجاً يمكن ان يستلهم منه الكثير لتشابه المشاكل التي تصادف بلادنا) .

ومضى الزعيم المغربي قائلا : يتساءل الناس لماذا تتهمون اسرائيل بأنها أداة للاستعمار وهي دولة ليست لها مطالب استعمارية ؟ والواقع ان اكتشاف

دور اسرائيل امر صعب ودقيق ، ولكن لدينا وثائق وقرائن تثبت هـذه الصلة بين اسرائيل والخطة الاستعمارية الدولية . ففي احـدى الندوات التي عقدت في فرنسا عقب توقيع اتفاقية افيان ، ناقش بعض كبار الشخصيات الفرنسية موضوع انضمام اسرائيل للسوق الاوروبية المشتركة ، فقالوا انه من المفيد للمجموعة الاوروبية دخول اسرائيل للسوق لأنها تعتبر جسراً للغرب في المناطق التي يتعذر على الغرب الدخول اليها وخاصة البلاد الحديثة الاستقلال في افريقيا وآسيا .(١)

وتحدث بن بركة بعـد ذلك عن القرائن التي تشير بوضوح الى دور اسرائيل كأداة للاستعمار الجديد ، فقال ان بلداً مثـل اسرائيل تعيش على المعونات لا يمكن ان يقـدم معونات لأحد ، كما لا يمكن ان يكون نموذجاً للدول النامية (٢).

وقال بأن هناك معركة بيننا كعرب ومناضلين ثوريين ، وبين هذا التسلل الاسرائيلي في افريقيا وهذه المعركة تتجاذبها تيارات المد والجزر ، فتارة نكون منتصرين ، وتارة يكون للاستعمار التقدم .

---

(١) قدمت اسرائيل اول قرض لغانا عام ١٩٥٦ بقيمة ٢٠ مليون دولار ، وبالاضافة الى المساعدات الفنية والخبراء اتبعت اسرائيل اسلوب تكوين شركات مختلطة ٦٠٪ من رأس المال قومي و ٤٠٪ من رأس المال الاسرائيلي ؛ هذا الاسلوب يترك الاغلبية الصورية للدولة ويبقى العنصر الاساسي وهو الخدمات لاسرائيل .

(٢) وقد دلل على ذلك عالم اقتصادي يهودي ، فقال ان ظروف الانطلاق تختلف جداً بين اسرائيل والبلاد المتخلفة لان الملكات والمستوى الفني الذي وجد مع قيام اسرائيل لا يوجد في تلك الدول . كما اوضح عالم آخر في الجغرافيا اسمه (دزاشن) زيف هـذا النموذج الاسرائيلي الذي كان يقدم لدول افريقيا فقال انه مثال لتجربة ليست اشتراكية ولا زراعية لانها تعيش في اطار من المساعدات .

ثم استعرض تطورات الصراع بـــين العرب واسرائيل على الصعيد الدبلوماسي حتى استطاعت التجارب العربية الثورية ان تقنع المسئولين والمنظمات الشعبية في افريقيا ان المعركة العربية معركة ثورية للتحرر والبناء وانها معركة تحمل لواء التقدم والاشتراكية والحرية ، وقال : وبذلك استطاع العرب ان يجعلوا قضية فلسطين جزءاً من حركة التحرير في آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية ، حركة ضد قوى الاستعمار بلا تعصب عنصري .

وقال اننا يجب أن نعتمد على القوى التقدمية والثوريـــة في افريقيا للوقوف بجانب الحق العربي لاستعادة فلسطين .

حسين التريكي

وألقى السيد حسين التريكي المدير السابق لمكتب الجامعة العربية في الأرجنتين بحثاً عنوانه (الغزو البطيء) قال فيه (ان المشكلة الفلسطينية غاية في البساطة رغم تعدد ظواهرها وتعقيداتها المتشعبة . انها مشكلة تجريد شعب بأكمله من أرض أجداده) .

وبعـــد ان شرح بعض جوانب القضية حتى الحرب العالمية الاولى ، قال بأن عـدد اليهود حتى ذلك الحين لم يكن يزيد على ٥٦ الف شخص ، وان الوضع القائم قبل ان تظهر المشكلة الفلسطينية عـام ١٩٢٠ (هو ان ٩٠٪ من سكان فلسطين كانوا عرباً يعيشون في المنطقة ويملكون ٩٧,٥٪ من اراضيها بينما لم تزد نسبة املاك اليهود بينهم من الاراضي عن ٢,٥٪ ، ثم سرعـــان ماتغير الموقف ، فأصبحت ٤/٥ ارض فلسطين تكون دولة اسرائيل ، وبالاضافة الى الـ ٥٦ الف يهودي الغرباء الذين كانوا يسكنون

المنطقة قبل سنة ١٩٢٠ فان مليونين من اليهود استقروا في الاراضي والمنازل العربية، وتلك هي عقدة المشكلة الفلسطينية) .

واشار السيد التويكي الى ولاء الصهيونية لفكرة قيام اسرائيل فقال : ان صحيفة الحيـــاة الجديدة الارجنتينية نشرت في ١٩٥١/٨/٢٠ حديثاً لبن غوريون جاء فيه (بعد انشاء دولة اسرائيل اصبحت الصهيونية تقوم على أساس الالتزام الجماعي من جانب جميع المنظمات الصهيونية في كل انحاء العالم بتأييد اسرائيل وتعليمات دولة اسرائيل في جميع الظروف والاحوال ، حتى ولو كان ذلك مضاداً او مخالفاً لظروف الدول التي يعيش فيها اليهود .)

كما اشار الى دعم الصهيونية المادي لاسرائيل ، فقرأ نبأ نشرته في ايار ١٩٦٤ جريدة الاخبار الارجنتينية جـــاء فيه ان الاموال التي جمعت لصالح اسرائيل بين ايار ٦٣ وآذار ٦٤ بلغت ٧٤ مليون دولار .

قحطان الشعبي

ثم ألقى السيد قحطان الشعبي كلمة الجبهة القومية لتحرير جنوب اليمن المحتل ، فنوه بما لقضية فلسطين من قدر في قلوب المجاهدين في الجنوب اليمني المحتل وفي عدن والامارات، قائلاً بأنها قضية كل الجماهير العربية من الخليج الى المحيط.

المناقشات

ودخلت الندوة في ايامها الاخيرة الثلاثة مرحلة المناقشات . فقد علق المدعوون الاجانب ، من سياسيين ومفكرين ، على الموضوعات التي قدمت في الايام الأولى للندوة بكثير من العناية والتدقيق . وأجمعوا كلهم على ان هـذه الندوة تعتبر خطوة كبيرة من أجل توضيح الحق العربي وإيصاله الى الشعوب في مختلف انحاء العالم .

انتوني ناتنغ :

بدأ ناتنغ الوزير البريطاني الذي استقال احتجاجاً على عدوان السويس كلامه بقوله: انني سأتكلم عما أسميه باحتمالات المستقبل بالنسبة لقضية فلسطين. انني لاأشك في ان دولة فلسطين العربية ستولد من جديد ، وانا لاأستطيع أن أتكهن بتاريخ قيام هذه الدولة .

وانتقل الى الحديث عن الصهيونية فقال : ان هناك دلائل تشير الى أن دولة اسرائيل بدأت تصفي نفسها بنفسها ،ومن هذه الدلائل ان اليهود الغربيين في فلسطين بدأوا في العودة الى اوربة ، وكذلك قيام جيل جديد من اليهود الشبان ينبذ الحقد ويطالب بالعيش في سلام مع العرب .

وبدأ ناتنغ بعد ذلك يتحدث عن رأيه في موقف العرب بصدد قضية فلسطين فقال : (اسمحوا لي ان أقول لكم بصراحة ، وكصديق يحاول صدقاً ان يرى قضية العرب تحقق النصر ، ان الحرب لاتسوي شيئاً ، بل انها تخرب كل شيء ، وان الحرب من جانب العرب ستضع فرصة امام اسرائيل لا للقضاء عليها بل لبقائها) وقال : (انني أعرف ان صبركم قد نفد واسلم بأن الامم المتحدة لاتستطيع ان تقوم بحل مثالي لكم ، ولكنني أطلب منكم الا تحاولوا الوصول الى حل نهائي عن طريق الحرب) .

وأشار الى موقف الرأي العام العالمي من القضية الفلسطينية فأشار الى اقوال الخطباء الذين سبقوه الى الكلام مشيرين الى ان ٨٥ ٪ من الرأي العام العالمي مع العرب في صراعهم مع الصهيونية ، وقال : أنا لاأعرف مدى صحة هذا الأمر ، ولكنني كغربي اعرف ان قضيتكم لم تعرض من وجهة نظركم ، وذلك لأن الذين يتحدثون باسمكم لم يدرسوا الهدف الذي يعمل من أجله الرأي

العام العالمي ، اكتفوا بتقديم خليط من التهديدات لاسرائيل بدل المناقشات المنطقية ، وأنا أعتقد ان ١ ٪ من سكان بريطانيا وامريكا فقط لديهم فكرة ان ٩٢٪ من سكان فلسطين كانوا من العرب ، وهم ينظرون الى القدس على انها يهودية .

وكان اكثر من واحد يستعد لمناقشة ناتنغ عندمـــا انتهى من كلامه وغادر منصة الخطابة .

بيير روسيه :

بدأ الرد الصحفي الفرنسي بيير روسيه . قال : ان المشكلة الفلسطينية هي مشكلة أساسها سياسي ويعرف ناتنغ نفسه ذلك . وقال يخاطب العرب : هل أستطيع ان أقول لكم أيها العرب ان مصيركم يتوقف على رأي طيب أو غير طيب من الدول الغربية ؟ اني أقول لكم هنا ان مصيركم سيتوقف عليكم أنتم مهما كان رأي الغرب فيكم ، عليكم ان تفرضوا على الغرب سياستكم وليس لأحد في الغرب ان يحاول فرض سياسة معينة عليكم .

وأشار الى وقوع الرأي العام الغربي في يد الصهيونية بقوله : ان الرأي العام في الغرب في قبضة الصهيونية ، ولا أريد ان أردد ماتقوله أجهزة الاعلام من صحافة وإذاعة والهيئات الجامعية والبرلمانية والحكومات في قضيتكم ، لأنها جميعاً تؤيد اسرائيل . لماذا ؟ لأن الحكومات الغربية هي التي أعطت اسرائيل حق السيطرة على هذه الاجهزة والهيئات .

واستطرد بيير روسيه رده على ناتنغ حول ماسماه (باحتمالات المستقبل) موجها كلامه الى العرب : ان امامكم مشكلة لابد من حلها ، ولا بد ان تعود ارض فلسطين للذين حرثوها وزرعوها قروناً طويلة ، وآن لهم ان يستعيدوها الآن .

وقال : ان ناتنغ يقول بأن إسرائيل تصفي نفسها بنفسها بالهجرة التي ألمع اليها . وأنا لدي" إحصاءات عن هـذه الهجرة وهي تبين ان عدداً قليلاً من كبار السن هم الذين يتركون اسرائيل ويعودون الى بلادهم الاصلية ، اما أبناء الجيل الجديد فهم اكثر استعداداً من غيرهم للبقاء في اسرائيل وللعدوان على حق العرب .

واختتم بيير روسيه كلامه قائلا : انني أعتذر لورود كلمة اسرائيل في حديثي لأن الكلمة الملائمة بالنسبة للفرنسيين هي فلسطين المحتلة .

إثيل مانين :

وبعد بيير روسيه طلبت الكلمة الكاتبة والروائية البريطانية إثيل مانين صاحبة كتـاب (الطريق الى بئر السبع) قالت : ان اسرائيل هي حليفة الاستعمار ولقد أقيمت بواسطته .

ومضت الكاتبة تقول رداً على رأي ناتنغ في الحرب : ان الحرب حلت وستحل مشاكل كثيرة . لقد أقامت الحرب اسرائيل وانني لاأعرف حلاً آخر غير الحرب لإزالتها . إن استعادة فلسطين لن تتم إلا بالعمليات الحربية ، ومن أجل ذلك لابد ان توجد أمة عربية متحدة قوية حتى يكون في امكانها القيام بالأعمال الحربية العسكرية .

وكررت القول بأن رأي الغرب في هذه القضية غير وارد (لأن العرب مهما بذلوا من جهد فانهم لن ينالوا المساعدة من الغرب) .

ثم أضافت قائلة إن اليهود يسيطرون اليوم على بريطانيا ، كما يسيطرون على امريكا و (هذا هو سبب عدم سماع وجهة نظر العرب) .

وألمعت الكاتبة الى انها قد حاولت نشر مقال عن فلسطين في المانيا

الغربية ، فقال لها الناشر (إنني لا أجرؤ على نشر مقـالك ياسيدتي) وترى الكاتبة ان هذه الظاهرة يمكن ان تفسر بأن الغرب لم يعد يهتم بشيء بالنسبة لقضايا العرب .

برهان الدجاني

وتحدث بعد ذلك الدكتور برهان الدجاني معقباً على كلام انطوني ناتنغ فتساءل : ان ناتنغ ينصحنا بعدم اللجوء الى الحرب .. ولكن هل يمنع ذلك اسرائيل من العدوان علينا ؟

وقال : ان اسرائيل تعمل اليوم على صنع القنبلة الذرية وستصل اليها في مدى اربع سنوات على الاكثر ، وناتنغ يجعل مشكلة فلسطين ثنائية بين العرب والصهيونية ، ولم يذكر الطرف الثـالث وهو الغرب الذي خلف اسرائيل والذي تمثله بريطانيا صاحبة وعد بلفور وامريكا التي تمد اسرائيل بالاسلحة والمعونات ودول الغرب التي تمثلها اليوم المانيا الغربية .

واختتم رده قائلاً : ان الحل الواقعي الوحيد للقضية هو ان اسرائيل يجب ان تمحى .

كريشنامينون

وطلب الكلام بعد ذلك كريشنا مينون وزير الدفاع الهندي السابق ، فقال ان المسؤولية تقع على عاتق بريطانيا في مشكلة فلسطين . فلولا وعد بلفور ووجود الانتداب البريطاني في فلسطين ماقامت دولة اسرائيل .

وألمع كريشنامينون الى المذابح التي قام بها اليهود ضد العرب مع خروج الانكليز من فلسطين ،وقال: ان اليهود لم يحترموا قرارات الامم المتحدة التي صدرت في هذا الصدد .

وأشار بعد ذلك الى اللاجئين الفلسطينيين الذين (طردوا من ديارهم ولم يهربوا كما حاول البعض أن يصور الامر) وقال: انني أعتقد اننا هنا امام مشكلة خاصة بالكرامة الانسانية. ان ماحدث في فلسطين هو ان شعباً فرض على ارض بعد ان طرد اصحابها منها.

واضاف: ان دور اسرائيل قد برز عندما انضمت الى بريطانيا وفرنسا في حرب السويس، هذه الحرب التي تشكل جزءاً من مؤامرة دبرها الاستعمار لاستعادة امبراطوريته.

واختتم كريشنامينون كلامه بقوله: لاتقولوا انكم سوف تقذفون باسرائيل في البحر لأنكم بذلك ستلوثون البحر نفسه.

* * *

وكانت الجلسة ماقبل الأخيرة من الجلسات التي تميزت بالحرارة والحيوية والمناقشات المفيدة للتعرف على آراء مختلف الوفود الذين حضروا الندوة.

بدأت المناقشة بكلمة لممثل منظمة التحرير في سافوي بافريقيا، فأعلن ان كل الشعوب الافريقية تقف الى جانب الشعب الفلسطيني الذي كان ضحية الاجرام الصهيوني بمساعدة الاستعماريين الغربيين.

وتكلم ممثل الطلبة في الاتحاد السوفياتي فأعلن باسم ملايين الشباب في بلاده عن امتنانهم لاتحاد طلبة فلسطين الذي اتاح لهم هذه الفرصة للتحدث عن قضية فلسطين. وقال: ان السياسة الأمريكية والبريطانية هي التي تسببت في تشريد مليون عربي.

واضاف: ان الشباب السوفياتي يؤيد تأييداً حاسماً طلبات العرب المشروعة بالنسبة لقضية فلسطين ويستنكر، في الوقت نفسه، موقف الاستعمار الذي تقع على عاتقه مسؤولية تشريد اللاجئين.

واعلن في ختام كلمته ان الولايات المتحدة تقوم بدور — الجندرمة — في كل مكان تنهض فيه الشعوب لتقف ضد حركات النضال المقدس من اجل التحرير ولان الاستعماريين الامريكيين يحاولون فرض سيادتهم على دول آسيا وافريقيا وامريكا اللاتينية » .

واعقبه في الكلام مندوب المانيا الديموقراطية ، واعلن وقوف بلاده الى جانب شعب فلسطين ، وتأييدها المطلق للعرب وتضامنها معهم (حتى ينالوا حقوقهم ويستردوا ارضهم المحتلة) .

وتبعه في الكلام همفري ديلز رئيس مجلس الكنائس الامريكية وايد حق العرب في فلسطين قائلا : ان اليهود لا بد ان يذهبوا الى مكان آخر يقيمون فيه دولتهم المزعومة ، واما فلسطين فيجب ان تعود الى اصحابها الحقيقيين ، الى الفلسطينيين العرب .

واعلن عن نفسه بقوله : انني اعتبر نفسي دائماً نصيراً للعرب في قضاياهم العادلة .

وقال مندوب فرنسا في هذا الصدد : انه من واجبنا ان نعود الى اوطاننا لنساعد الرأي العام هنـــاك على التعرف على العدل والحق بالنسبة لشعب فلسطين .

واختتم المناقشات الدائرة ممثل طلاب اوغندا مصرحاً بان الافريقيين يعتبرون معركة العرب مع اسرائيل معركة الافريقيين انفسهم مع اسرائيل (لاننا نفهم الدور الحقيقي لاسرائيل كاداة للاستعمار في افريقيا) .

* * *

نيفل باربر

واما في الجلسة الأخيرة فقد تحدث البروفسور نيفل باربر استاذ العلوم السياسية بجامعة اكسفورد عن القضية الفلسطينية فقال :

اني اعتقد انه لايمكن ان تقوم قوميتان داخل فلسطين العربية ، ولابد ان يعود اللاجئون العرب الى اوطانهم . وانني اشعر ان بلادي – انكلترا – قد راحت ايضا ضحية للحركة الصهيونية ، وانا اطلب منكم ان تدعموا الدعاية العربية في الدول الغربية .

وانتقل البروفسور باربر الى الحديث عن الدعاية الصهيونية فقال : ان الحركة الصهيونية قد نجحت في فرض وجهة نظرها على جزء كبير من الشعب البريطاني.

وبعد ان اعلن موافقته على انشاء منظمة تحرير فلسطين ، قال : ارجو ان يتطور الامر بكم الى انشاء حكومة مؤقتة لفلسطين تعمل على جمع الشعب الفلسطيني وتكتيله وتنظيمه وتقديمه الى الرأي العام على انه الشعب الحقيقي . وان منظمة تحرير فلسطين ، فيما اعتقد ، تشكل خطوة هامة في سبيل استعادة فلسطين.

إثيل مانين

وتحدثت بعد ذلك الكاتبة الانكليزية اثيل مانين ، فبدأت كلامها بقولها :

ان قلة فقط في العالم الغربي هي التي سمعت عن (التشتت الفلسطيني) .. عن نصف مليون مشتت في انحاء الارض ونحو مليون آخر يعيشون في خيام في بعض الدول العربية . واما عن (التشتت الصهيوني) فان الدعايات الصهيونية الواسعة بفضل إلحاحها على فكرة (العودة) الى (الوطن) قد جعلته اسطورة مؤثرة من دبلن حتى طوكيو .

وتحدثت عن التشتت الفلسطيني فقالت : إن هذا التشتت حقيقة معاصرة

ونتاج مباشر لمأساة تسبب في وجودها الوضع السياسي في ذلك الوقت – تقصد عام ١٩٤٨ – وليس اثراً من آثار فكرة وهمية من العصور القديمة كالدعوة الصهيونية. (١)

وناقشت الكاتبة الادعاء القائل بأن الاضطهاد النازي لليهود هو الذي تسبب في خلق المشكلة من أساسها بقولها : إن اليهود اللاجئين من اضطهاد النازي في المانيا لا يشكلون نسبة كبيرة من عدد سكان اسرائيل . إن بن غوريون – الى وقت قريب – كان دائم الشكوى من قلة عدد اليهود الاوروبيين في اسرائيل. ويجب أن نعرف ان الهجرة اليهودية الواسعة من مختلف انحاء العالم الى فلسطين بتحريض الحركة الصهيونية العالمية، قد بدأت قبل ان يأتي هتلر الى السلطة . فالنازية لم تكن إذن اكثر من حافز جديد فقط .

وقررت الكاتبة ان المشكلة المطروحة الآن ليست مشكلة اللاجئين اساساً وإنما مشكلة حقوق الانسان، لأن تطلع الفلسطينيين المشتاقين الى ارضهم المحتلة رغبة ذات طابع مختلف تماماً عن التطلع اليهودي . فالمشكلة في جوهرها هي مشكلة صراع معاد للاستعمار .

ولم يفت الكاتبة التلميح الى ان « الدولارات الامريكية هي التي أحيت

---

(١) يوضح كتاب (مدخل الى اسرائيل) للبروفسور آلان ر . تيلور الذي نشر في امريكا عام ١٩٥٩ وفي لندن عام ١٩٦٢ أن الصهيونية كانت دائماً (سياسة دنيوية) وان سماتها الاساسية ظلت كذلك . وان الحاح الدعايات الصهيونية على الفكرة الخرافية عن العودة قد وجدت اثراً لها بسبب الانفعالات والاستجابات العاطفية ، ولكن ذلك لا يغير من حقيقة ان الصهيونية ظلت دائماً سياسة عملية اكثر منها حركة ايديولوجية . انها تبحث عن حل خاص لمشكلة خاصة ، ولكنها ليست ابداً تمهيداً لعقيدة دينية .

الصهيونية ، وكذلك المانيا الغربية التي تمدها بالمال والسلاح ، وليس فقط الحماية البريطانية العسكرية في عام ١٩٤٨ . (١)

وقال : ان عودة ابناء هذه الأمة الى وطنهم وارضهم ، حق اساسي وانساني ، وليس فكرة وهمية او مناورة سياسية ، كما انها ليست محاولة لخلق امة ليس لها وجود .

ابو بكر احمد علي

وتحدث ابو بكر احمد علي من باكستان ، قال : إن وجود اسرائيل باطل من اساسه (انه قامت على الاجرام . فان الآلام التي عاناها العرب وما زال يعانيها الملايين من اللاجئين ، كانت بسبب الاجرام الصهيوني) .

وقال : ان القضية الفلسطينية قضية عالمية لأنها تشكل خطراً على السلام العالمي ، لأنها تجسد عدواناً على شعب ولأنها تمثل عدواناً استعمارياً وتخدم الحركة الاستعمارية العالمية .

وقال انني لا أحب الحرب ، لكنني لا أدري كيفية تجنبها في هذه الحالة . .

---

(١) اوضح الدكتور جون ديفز المدير العام لوكالة الاغاثة منذ خمس سنوات في رسالة بعث بها الى المجلس الامريكي لليهودية المعادي للصهيونية في اجتماعه السنوي في ٦ ايار ١٩٦٤ في مدينة نيويورك (ان الغرب لم يفهم مطلقاً طبيعة تفكير العرب ولا عمق شعورهم بهذه القضية . ان وجود دولة اسرائيل في الشرق الأوسط هو الذي يثير احساس العرب بالمرارة اكثر مما تثيره مشكلة اللاجئين . فهي بنظرهم احدى النتائج المترتبة على وجود اسرائيل) . واوضح الدكتور ديفز في رسالته هذه : ان قضية (التشتت الفلسطيني) هي قضية الامة العربية التي انتزع حقها وشردت . ان المسلمين والمسيحيين فيها — رغم اختلاف المعتقدات الدينية — ابناء كيان قومي واحد : الكيان الفلسطيني العربي . وهم ابناء امة لها تاريخها وكيانها الذي لم يتفكك .

ان اسرائيل دولة توسعية واذا لم يحارب العرب فسيحاربهم اليهود من أجل التوسع ، فمسألة الحرب أمر مفروغ منه .

مندوب الهند :

وتحدث بعد ذلك ممثل المجلس القومي لطلبة الهند فأعلن تأييده الكامل لقضية شعب فلسطين ، وقال ان شعب الهند يقف مع شعب فلسطين في كفاحه العادل لاستعادة أرضه .

هونفيل تيرل :

ووقفت الصحفية الهولندية هونفيل تيرل وقالت : انني أقف هنا بينكم وأنا في موقف حرج .. مشكلتي انني من بلد صغير لايستطيع ان يساعدكم وأنا اشعر انه حتى لو أراد فلن يستطيع مساعدتكم لأنه كان دائماً يؤيد أعداءكم اليهود ... انني حزينة ان أقول لكم انني لن أعدكم بالمساعدة إلا انني سأحاول ان أتبنى قضيتكم كصحفية في الصحف ، وان كنت أخشى ان لاأستطيع تحمل المسؤولية لأنني حاولت ان أنشر مقالة عن فلسطين في بلدي ففشلت كل الفشل .

وقالت ان قضية فلسطين في حاجة الى خطة وعمل : انكم لاتحتاجون الى الكذب والتمويه او المبالغة ، وكل ماتحتاجون وهو اظهار الحقيقة . وقالت : ان العمل على توحيد العرب هو الطريق لعودة اللاجئين لديارهم .

مندوب امريكا

وتكلم ممثل منظمة اتحاد الطلبة في الولايات المتحدة . قال اننا نشكر اتحاد طلبة فلسطين على تنظيم هذه الندوة التي دل تنظيمها على انكم قادرون على استعادة فلسطين من اليهود . ان قضيتكم في بلادي عرضت من وجهة نظر

واحدة ، هي وجهة نظر الصهيونية . وانني بعد حضوري هذه الندوة اؤمن بحق العرب الفلسطينيين في العودة لبلادهم . وقال : اننا نستنكر التفرقة العنصرية التي تتم في اسرائيل لاننا في امريكا نعرف مرارة التفرقة العنصرية . واختتم كلامه بقوله : انني اعتقد ان الوحدة العربية دائما ستكون خير عون على استعادة فلسطين للعرب .

مندوبا الكاميرون ونيجيريا

وتحدث بعد ذلك مندوبا الكاميرون ونيجيريا ، فايدا العرب في فلسطين ، واهابا بالدول الافريقية ان تتنبه لهذه الدولة العميلة – اسرائيل – التي تحاول ان تكون رأس حربة للاستعمار في القارة الافريقية .

البيان

وفي مساء السادس من شهر نيسان ، ومع اختتام الندوة ، اصدر الاتحاد بياناً فيما يلي موجز عنه :

« ان ندوة فلسطين العالمية ، بعد دراسة دقيقة لجميع جوانب القضية الفلسطينية ، تعلن بان المجتمعين يعتقدون ان الصهيونية العالمية انما هي حركة عنصرية استعمارية ، ويتضح ذلك من تجريد شعب فلسطين صاحب الحق الشرعي في دولة فلسطين من جميع ممتلكاته وانتزاع اراضيه واخضاعه للاحكام العرفية بل واتباع اسلوب التفرقة العنصرية في داخل المجتمع اليهودي نفسه ، وان المجتمعين يعتبرون الصهيونية حركة لا اخلاقية لا تحترم حقوق الانسان ، وتنتهك الحرمات والاعراض وتقوم على اساس العدوان وسفك الدماء ، ويتضح هذا من تجاهلها التام لحقوق شعب فلسطين في استعادة ارضه ومن الفظائع الوحشية التي ارتكبتها ضد العرب المسالمين كما يتضح ذلك من مذابحها الوحشية

في دير ياسين وقرية قبية ومذبحة كفر قاسم . إن الصهيونية حركة هدامة تهدد جميع دول العالم اذ تطلب من اليهود الولاء لدولة اسرائيل بدلا من الولاء للدولة التي ينتمون اليها .

ان الصهيونية العالمية واسرائيل تهديد حقيقي لليهود انفسهم، لمحاولتها ابعاد اليهود عن مجتمعاتهم الطبيعية التي نشأوا فيها . وتستنكر ندوة فلسطين العالمية الاتجاه المناهض للسلم، والتفرقة العنصرية، وتؤكد ان حل المشكلة اليهودية يجيء من خلال الحكومات المتحررة التي تمنح الديموقراطية والمساواة للمواطنين بلا استثناء .

وتؤكد الندوة العالمية ان الظلم الذي قاساه اليهود على ايدي الحكومات في الغرب لايمكن اصلاحه عن طريق استخدام جماعات متفرقة من البشر واسكانها في أرض عربية بالقوة وبطرد شعب من ارض اجداده وآبائه .

وتؤكد الندوة ان دولة اسرائيل هي تصوير لكل المظالم التي تنبع منها فكرة الصهيونية، وان قيام اسرائيل عدوان صارخ على المنطقة العربية وضد عرب فلسطين وضد كرامة الانسان وحقوق الانسان .

وتعلن الندوة ان اسرائيل اصبحت تمثل العدوان الاستعماري وانها اصبحت اداة طيعة وسوطاً في يد الاستعمار، وان القوى الاستعمارية تستغل اسرائيل كأداة عملية لها لإعاقة حركة التحرر العربي .

وتعلن الندوة ان اية مساعدات مالية تقدم لاسرائيل وان اية صفقة اسلحــة المانية لاسرائيل هي تهديد للسلام العالمي لا لسلام وأمن الشعوب العربية فقط .

وتناشد الندوة دول العالم والرأي العام الضغط على حكوماته للامتناع عن تأييد اسرائيل ومدها بالمساعدات .

وتعلن الندوة ان اسرائيل أداة من ادوات الامبريالية العالمية في آسيا، وافريقيا وتدعو الندوة الشعوب الافريقية الثائرة والشعوب الآسيوية الى كشف حقيقة المساعدات الكاذبة التي تقدمها اسرائيل للدول المتخلفة، فاسرائيل دولة تقوم اساساً على المعونات الغربية بهدف استعماري.

وتدعو الندوة شعوب افريقيا وآسيا للكشف عن حقيقة المساعدات الاسرائيلية الاستعمارية. وتسجل الندوة في جزع شديد الاندفاع الجنوني للحكومة الاسرائيلية من اجل الحصول على اسلحة ذرية، وتستنكر دور الولايات المتحدة الامريكية في إقامة مفاعل ذري باسرائيل، وتحذر الندوة دول العالم من خطورة حصول اسرائيل على سلاح ذري فهو تهديد سافر للسلام والحرية في العالم كله.

وتؤكد الندوة باقتناع كامل ان شعب فلسطين العربي هو صاحب الحق الشرعي الوحيد في فلسطين المحتلة. وتعلن الندوة ان قرار تقسيم فلسطين قرار باطل من اساسه فقد صدر في غياب مجموعة كبرى من الدول الافريقية والآسيوية، كما أنه صدر في غياب مجموعة من دول عدم الانحياز، وانه قرار صدر تحت الضغط والارهاب الاستعماري مستخدماً في ذلك عملاء الاستعمار من الملوك والحكام العرب الرجعيين.

وتعلن الندوة ان قضية فلسطين قضية عادلة وهي جزء لا يتجزأ من قضايا الشعوب وتطلب الندوة من شعوب العالم تأييد كفاح الشعب الفلسطيني في استرداد حقوقه وتعلن الندوة عن اقتناعها الكامل بان الوحدة العربية هي من اهم عوامل استعادة الحق العربي في فلسطين المحتلة.

وتقرر الندوة تشكيل لجنة دولية من ممثلي طلاب العالم للدعوة للقضية الفلسطينية وتعتبر الندوة يوم الخامس عشر من ايار من كل عام يوم العالم كله لتأييد شعب فلسطين.

النتيجة

وهكذا تمكن الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين ان يحقق واحداً من اهم اغراض القضية ، وهو جعلهـا قضية ماثلة في اذهان الالوف من المواطنين الاجانب وعدد كبير من مفكري وسياسيي الدول الاجنبيـة ، وتحديد اطارها الحقيقي في واقعها الجديد .

ولئن كانت النتائج التي توصلت اليها الندوة مقتصرة على هذا الجانب ، فهي خير من ان تبقى القضية ، بابعادها ، في النطاق العربي الضيق ، عساها تجد انصاراً يعملون لها حيث يقصر العرب انفسهم عن العمل ويدافعون عنها حيث يعجز العرب انفسهم عن مهمة الدفاع .

ان قضية فلسطين بالاضافة الى حاجتهـا الى مزيد من الشرح ، كما قال رئيس منظمة تحرير فلسطين ، وكما قال سواه من ضيوف الندوة ، فانها في حاجة الى مزيد من الدعاية الواعية والهادئة معاً ، وهذه الندوة هي في جوهرها من مظاهر العمل الدعائي الايجابي في هذا السبيل .

ثقافة المعركة

لفؤاد الشايب

سلمنا وحربهم

نحن في حرب . لا في حالة حرب . والحرب فرضت علينا ولسنا بحاجة اليها . منذ خمسين عاماً او اكثر ، ونحن نخسر معركة ونربح معركة . ونخوض في عدة جبهات ، عدة معارك . ولولم تفرض علينا الحرب ، كما تفرض على الانسان اقداره العاتية ، لكنا بكل بساطة وعفوية احرص أهل الدنيا على السلام ، واجمل معاني العدل في السلام ، لأن السلام رزقنا، ومصلحتنا ، وغايتنا والسبيل الوحيدة الى رقينا ،ورخائنا ، مثلما ان الحرب لاعدائنا وخصومنا ، رزق ومصلحة وغاية سياسية ، وسبيل الى التفوق والسيادة.

ولو كوفيء الناس بنياتهم ، لكانت دعوتنا الى الحرية والعدل والسلام ، دعوة الحق وحدهـــا ، في عالم عجيب ، اتقن فنون الخداع ، مثلما اتقن فنون الحرب ، فزين قراصنته الجدد صدور سفنهم باغصان الزيتون ، بدلاً من الجماجم ، وسيَّروا وراء الوية المحبة والتسامح ، مراكب الغزو ، ونشروا بين الشعوب كل كريه من روائح نزواتهم الشريرة ، وتجاراتهم المستبيحة ، وعصبياتهم الزنيمة .

... ومهما يكن شأننا في هذا العالم المتكالب بمدائه، المتغذي بشحنائه، وسواء أرضينا بما فرض علينا أم رفضناه، فلا قبل لنا برد المحنة، ولا مناص لنا من خوض الكريهة. فلا هم يجنحون للسلم لنجنح لها. وما كان سلامهم، عبر التجارب المريرة، إلا خداعاً، وعملاً حصارياً من صميم اعمال الحرب والعدوان.

. . .

معركتنا ثقافة وحضارتنا مشاركة

ومع كل هذا، ورغم صليل الحديد حولنا وقعقعة السلاح، فان معركتنا التي نفرض شروطها على انفسنا، قبـل ان يفرضوا شروطها القاسية على مصيرنا، ليست سلاحاً كلها، وليست سياسة ودبلوماسية كلها. بل هي الى ذلك، وفوق ذلك كله، ثقافة. إنها ثقافة من أُذن لهم أن يعدوا ما استطاعوا من قوة. فما هم اقوياء، وما هم مستطيعون الا بها، مناجزة العدو ومثاقفته. انها ثقافة من سالمهم غنى لانفسهم، وحربهم أذى على اعدائهم ورسالتهم أن يبلغوا بقوتهـم مبلغ الرجال يبطلون الحرب لأنها لن تكون سوى دمار للمتنفعين منها، المتاجرين بها، والواقفين بجدهم عليها.

والثقافة بمعناها العربي الجزل الجليل، أو بمعناها الحديث الذي اصطلحت عليه الأمم، ليست معرفة فحسب، بل اتقان فنون المعرفة والحذق بها ايضاً، فهي علم وتقنية معاً. وهي اعظم من الاتقان، عندما تبلغ حدود الابداع، ثم هي تصعيد الابداع الى افق المشاركة الحضارية الانسانية.

وقد بلغت ثقافة الحضارة العربية بالاسلام هـذا الافق الطلق الرحيب وانفتحت على العالم شعوباً واعراقاً، لتنقل منه وتبدع فيه وترد اليه. ولسنا بنشداننا حضارة السماحة والجود تأخذ من الغير بلا حرج، وتمنحهم بلا منة، إلا عائدين عمى الثقافة الحضارية الى منابعها في اعماقنا وفي ذرى تاريخنا.

ولسنا نشد انفسنا بحزام العصبية والغرور، عندما نصدع بأن التراث الحضاري الاسلامي، عندما انتقل من دولة العرب الى دولة الترك، واغلقت العثمانية دونه ابوابها، فقد رحمه العربي،

وطابعه الاسلامي، واشراقه الانساني معاً. بل نصدع بذلك ، ليعلم دارسوا التاريخ أي فارق بين العثمانية التركية قاهرة العرب وحاجرة الاسلام ، تعيش ضمن اسوارها المغلقة ، وتقتات من عفن الأقبية الظالمة ، طوال اربعة قرون لا تأخذ ولا تعطي ، ولا تصنع ولا تبدع ، كأنها جثة القيت في قمر التاريخ . وبين الأمة العربية المشرقة بمجد الاسلام ، المنفتحة على سعة ما بين اعالي السماء واعماق الأرض ، كالشمس ، والماء ، والرياح الأربع ، تملأ رحاب التاريخ .

الحركة العربية في مدار التاريخ

.. ان مستقبل الثقافة العربية لا تقرره شروط المعركة في حاضرنا فحسب ، وهي شروط نقبل بها ، لأننا لسنا بالكتف التي تنوء بالاعباء . بل يقررها ايضا ، ومن قبل ، تراثنا المتمثل به حياتنا ، وتاريخنا الذي انفتح بمعارك التحرير على تجربة حضارية من أغنى تجارب الشعوب وأحفلها بتيارات الاخصاب . وهانحن ثانية في معارك التحرير ، لسنا محاربين مقاتلين فحسب بل اصحاب (كلمة) ليست (الحروب) فيها سوى لقاح الزهور الثقافية.

يحدد شكل ثقافة المعركة ومضمونها أن العرب في مواجهتهم حربا فرضت عليهم وخوضهم عدة معارك في عدة جبهات وفي كل ما يبلون به ويبتلون، إنما تدخل كتلتهم الكبيرة في مدار التاريخ ، حيث تتلاطم التيارات البشرية في نطاق حركة ذات قوانين ، يطلق عليها فيلسوف التاريخ ارنولد توينبي ، كلمة (التحدي) . انما العرب في ساحة التحدي التي خرجوا اليها ، بطوعهم ، لا بقسرهم ، لا يقابلون عدواً واحداً مسمى موصوفاً ، ولو كان ذلك لهان امرهم ـ بل يقابلون حالة عداء غامرة محيطة ، تسد عليهم الآفاق، وترميهم بأشد الدواهي ، وتمزقهم ميمنة وميسرة، وتشد وثاقهم من قبل ان يمدوا اكفهم الى اقرب سلاح . وفي حالة العداء الغامرة هذه ، كل غريب عنهم عدو ، وكل حركة اثارة ، وكل سكون اغواء ، وكل موقف عكسي او طردي حالة عداء . ولا بأس علينا أن نلقي على المشهد العام نظرة أسى وشؤم . فهذا هو واقعنا . إننا

قذى في عين وجودهم، ومخرز في كبد الراقدين على احـــلام السيادة. انها كتلة جديدة، غير محسوب لها عندما مزّقوها، أن تدخل في مدار التحدي، وتمسك على نفسها اشلاءها وتتحدى.

وهنا، يصح الوقوف قليلاً على حالات التحدي وقوانينها كما وضعها (توينبي) لعل في ذلك توضيحاً لمفهوم الثقافة في جدلية المعركة.

التحدي وردود فعله

نقول بانشائنا، لا بالترجمة الحرفية عن المـــؤرخ الفيلسوف، إن الشعوب والدول الشرقية القديمة، منذ القرن السابع عشر استفاقت على قرع زحوف الغرب ابوابها، ورسو مراكب الغزو في موانيها. وكانت، ردود فعـــل الشعوب المذعورة بوجه موجة الغزو التي توصف بنظرة من حالق، على المشهد التاريخي العام، ـ بأنها حركة التحدي ـ ماثلة في ثلاث حالات على الأغلب:

اولاها: الانفتاح على سلاح الخصم القوي المغير وثقافته. ومثـــالها روسية بطرس الكبير.

وثانيتها: الانفتاح القسري على سلاحه دون ثقافته، ومثالها الامبراطورية العثمانية.

وثالثتها: الانغلاق التام على سلاحه وثقافته معاً. ومثالها الصين واليابان وممالك الشرق الاقصى في القرن السابع عشر، التي يسميها توينبي الممالك الناسكة Hermit - Kingdoms.

ففي الحالة الأولى ـ روسية بطرس الكبير ـ تخرج الدولة المهددة الى ميدان التحدي، وقد جمعت أمرهـا، على رد الغزو عن أرضها وشعبها. وقد خرجت الى حالة التكافؤ مع الخصم وقراعه مدرعة بسلاحه وثقافته معاً ففعلت وأفلحت. ومعلوم أن روسية بطرس الكبير قد فتحت أبواب روسيـــا على مصاريعها للحضارة الفكرية والمادية الزاحفة من الغرب. وغدت بعد زمن وجيز دولة تنافس الدول الاستعمارية العريقة في تقاسم ميراث الامبراطوريات الشرقية العتيقة.

وفي الحالة الثانية ـــ الامبراطورية العثمانية ـ أخذت الدولة بسلاح الخصم، دون ثقافته. فادرعت بسلاح الغرب، ولبست بزته العسكرية، دون أن

تعد لنفسها ثقافة المستوى ، فتحطم السلاح بيدها ، ولم يحل دون اندحارها وانهيارها .

وفي الحالة الثالثة : — ممالك الشرق الأقصى القديمة — أغلقت الدول حصونها دون سلاح الخصم وثقافته معاً . وغطت في نومها عندما ظنت أن انغلاقها يحميها . وعندما كرت الموجة الثانية تحمـــل مراكب الغزو والسلاح الحديث ، سقطت أسوار الممالك الناسكة . لأن النسك لا يقاوم السلاح . ومن لم يأبه لفروض التحدي ، أخذ به غلابا .

وان لم يكن في حسابنا أن نضعف حجة توينبي الواسمة ، بتلخيص مئة صفحة من كتابه (دراسة في التاريخ) * ببضع سطور وجب التنبيه الى أن اهتمام الفيلسوف قد انصرف الى تحليل حركات التـلاقي والتلاقح الثقافية ، عبر غزو الحضـارة الغربية المجتمعات القديمة ، ودراسة ردود الفعل الثقافية بشكل خاص ، ازاء هذه الحضارة ، في كل مجتمع على حدة . هل تمثلتها بأشكالها ومضامينها ؟! هل اخذت شيئاً وتركت شيئا ؟! هـل رفضتها وانتفضت عليها ؟!

ولعل أدق ظاهرة لاحظها المؤرخ الباحث ، أن ردود الفعل لم تكن متماثلة في مظاهرها وفي مآلاتها . وكان لا بد له أن يعود الى أسباب التباين في طبيعة المجتمع الذي يقرعه التحدي ، وعلى الأخص في تراث ثقافته الزمانية والمكانية . وبرغم أن المؤرخ الفيلسوف قد حاول ايجـاد ملامح عامة لردود الفعل في الحـالات المماثلة ، يستطيع أن يؤلف منها قانونا يشبه ماذكرنا من قوانين الحالات الثلاث ، فلم يوفق في الثانية ، كما وفق في الأولى . مثال ذلك :

أن الهند الجديدة أخذت من الحضارة الغربية الغازية ، كثيراً من ثقافتها وعلى الأخص من شكل أنظمة الحكم فيهـا ، مثلما فعلت الصين الجديدة في بدء انطلاقها وتفاعلها مع الحضارة الوافدة فكانتا متماثلتين في قبول الثقافة الجديدة . ثم مالبثت الصين أن ركبت الموجة الماركسية ، وخرجت خروجاً عنيفاً الى ارسال التحدي بدلاً

(*) A Study of History

من قبوله. بينما استقرت الهند على ثقافة النظام الديموقراطي، مع ولاء غير مصطنع للثقافة الغربية وفنونها. وما يقال في تباين الحالتين، يقال في رد فعل اليابان كحالة ثالثة، حيث آل الأمر فيها، بفعل التلقيح بالحضارة الصناعية والعسكرية إلى نشوء حكم عسكري عنيف يرفض رفضاً حضارة الغرب، فيما عدا تكنولوجيتها، وكانت اليابان في البدء، أي منذ ثورة (الميجي) حوالي عام ١٨٦٠ قد قبلت ثقافة الديموقراطية لبوساً لنظام الحكم فيها.

في الجواب على هذه المآلات المتناقضة في حركة التلقيح الثقافي، تفرضه الغزوة الحضارية الأوروبية، يتساءل (توينبي) ماذا وراء انجراف الصين في الموجة الماركسية، المعادية لثقافة الحضارة الغربية المسيحية؟! ويجيب لعل ثمة سببين أساسيين:

الأول فشل المحاولات الأولى في اقامة نظام ديموقراطي غربي وتمثله، مما آل أمره إلى استشراء الفساد، بدلاً من تفجير الطاقات، واثراء الحياة العامة.

والسبب الثاني، هو الضغط البشري في مجتمع الملايين الكبيرة، حيث الحاجة الى كفاف العيش حاجة أولية قارعة. هذان سببان — في رأي توينبي — وليس الحماس الصيني للشيوعية في البدء سبباً ثالثاً.

ويستطرد توينبي من قراره هذا الى التأكيد بأن اليابان لو تركت حرة، لآل الأمر فيها الى النظام الشيوعي، وكذلك الهند نفسها، صاحبة الولاء الديموقراطي. لماذا ؟! لأن الضغط الغربي في تفصيله لشعوب صيغة مدنية لحضارته النظامية قد منح هذا المجتمع الشرقي حجراً عوضاً عن الخبز، بينما الروس بالشيوعية، قد منحوا تلك الشعوب تكنولوجيتهم الحديثة مع الخبز. قل انه خبز مرمل أسود، اذا شئت، ولكنه يبقى تلك المادة المأكولة التي تحتوي على بعض حبة من غذاء الحياة الروحية التي لايستطيع الانسان ان يعيش بدونها. *

يناقش (أرنولد توينبي) حول نظرية

* ترجمة المقطع الأخير حرفية. ويقصد المؤرخ بحبة الغذاء الروحي في الخبز الأسود، الى الشيوعية كبديل عن الغذاء الروحي المسيحي، مرادف الغذاء لكفاف الحياة مما لم تستطع الديموقراطية الغربية ان تمنحه.

التحدي ، في امور كثيرة ، تنطلق من قاعدة النظرية الى فروعها وتفاصيلها . مثال ذلك أنه على قناعة مسلم بها ، في انماش الحياة الروحية الانسانية بالمسيحية اذا تم تقديمها للشعوب بالحسنى . وقد فشلت في ولوج مجاهل الشرق الاقصى ، قديماً ، لأن الغزاة الغربيين أرادوا ان يفرضوها . ومثال ذلك ايضاً ، أنه على قناعة بصلاح النظام الديموقراطي الغربي كجزء من ثقافة الحضارة الغالبة ، اذا لم يرافقها فساد الحاكمين . ويكاد المؤرخ يبدو أحياناً ، كأنه يتعثر بتلابيب نظريته ، فيتسكع كمبشر ديني، او كداعية سياسية .

على أن ايضاحه جدلية التلاقي الثقافي بين الغزو الغربي والمجتمعات الشرقية القديمة ، وما استنبط من قوانين في ردود فعل هذه المجتمعات ازاء تكنولوجية الغرب الغازي وثقافته ، يمكن أن تؤلف جميعها عوناً كبيراً لمحللي احداث التاريخ في مفارق الطرق الكبرى . لاسيما وانه قد حاول في تحليل التاريخ الحديث منذ مئة عام ألا يفسد نظرته العلمية ـ دائماً ـ بقناعاته الوجدانية .

وسواء اقبلنا بنظرية التحدي وقوانينها التي استخلصها المؤرخ من نظرته المحلقة فوق مشهد التاريخ البشري العام ، أم تحفظنا تجاه مقاصدها واغراضها . فمما لاريب فيه أن مالحصنا من ردود فعل المجتمعات تجاه غزو الحضارة الغربية تكنولوجيا وثقافيا ، يصح ان يكون منطلقاً لبعض تأملات في ملامح الحركة العربية الصاعدة :

العرب : قومية انسانية ..

قبل كل شيء ، نبادر الى التأكيد بان خروج العرب الى العالم الجديد ، بعد تصدع الصرح العثماني ، الذي كانوا عاملا اساسيا في تصديعه ، وهم يطالبون بحريتهم ووحدة أرضهم وبوصل ما انقطع من تاريخ امتهم ـ ان هذا الخروج هو اكثر من ردود فعل للتحدي الغربي ، انه التحدي بالذات ، وشارة المبادرة فيه . اذمهما يكن من عفوية هذا الخروج وبراءته في مرحلته الأولى ، بل مهما يكن من شأن مثاليته وصدقه ، في عالم بات يمتهن المثاليات ، وهو يتمسح بها ، وينتحلها بينما يضع شاراتها

على رأسه ، فلنا أن نطمئن الى ان الهزة العنيفة التي رافقت الانطلاق العربي كانت ارسالاً بينا لشارة التحدي ، وكان على العرب ، وسواهم ممن يراقبون احوالهم ، ان يقرأوا في وجه الاستعمار المذعور وحده ، كثيراً من ردود الفعل التي تفصح عن دفاعه ، لاعن هجومه ، وعن انحساره لاعن امتداده .

ثم لاريب أن العرب ، كقوة طالعة، مضيق عليها ، هي بالواقع ، بين حالتي التحدي : استقباله وارساله معاً . إذ قد غدا التحدي في حالتهنا ، حركة ادوار متعاقبة من قبول شروط المعركة بين قوى مستجدة واخرى مستقرة — باصطلاح ابن خلدون — فنحن نعتبر الدول الاستعمارية الكبرى في هذا القرن قوى غازية . وهي بدورها تعتبر خروجنا ، قوة غازية . هي بالنسبة الينا حركة زحف من مستجد على مستقر — لأن أرضنا قرارنا — ونحن بالنسبة اليها حركة زحف من مستجد على مستقر، طالما أنها تسبغ على الأمر الواقع الذي فرضته علينا — كاسرائيل مثلاً — حقاً لها مشروعاً ، وملكاً مؤبداً ، تذود عنه كما تذود عن عواصمها ، لو كانت مهددة، واكثر .

قد تكون روسية بطرس الكبير ، وامبراطورية بني عثمان ، وتركية اتاتورك، ومن قبل هذه وتلك ، ممالك الشرق الناسكة ، مجتمعات قرعها غزو الدول الغربية ، فاستفاقت على الغزو ، أو قامت له وقعدت ، على نحو أو آخر ، كما وصفنا ، وكان دورها تلقياً لا ارسالاً وانفعالاً لا فعلاً — حتى ان نشوء الدولة القومية فيها ، كان انفعالاً واقتباساً — كما يقول توينبي — لا فعلاً او تكوناً طبيعياً — غير ان الأمة العربية، في تمزقها عن الدولة الناسكة ، وتمزيقها لها أولاً ، ثم في رفضها بلا تردد شروط الاستعمار من بعد ، ضد وحدتها وحريتها ثانياً ، لم تكن الامة المغلقة التي ارهبها قرع القوى الخارجية، او سحقها . بل قد خرجت اليها خروجاً صحيحاً ، جريئاً ، مكتملة العدة القومية من لغة وتراث وتاريخ وأرض ، وطفقت ترسل التحدي ، بدلا من ان تقصر نفسها على التشنج وردود الفعل . وهي ليست

بهذا الوصف اكثر الامم اقداماً ، او أكملها عدة قومية ، بل اكثرها تقدمية أيضاً . وهي الامة التي لم تكن مغلقة ذات يوم على مثـــل هياكل بوذا ، وكونفوشيوس ، وزرادشت ، تطوف حولها ، وينتهي العالم عند مطافها . بل كانت منذ يومهـــا الاول ، عندما فتحها الاسلام على العالم الاكبر ، تعطي الشعوب اكثر مما يكون في طاقة الانسان ان يعطي ، وتأخذ منها الشعوب ، اكثر مما تستحق ان تأخذ . ولقد أعطت هذه الامة من نفسها ، حتى هدرت نفسها .

يذهب المؤرخ توينبي إلى التقرير حول تفاعل الثقافة الغربية مع الشعوب المغلوبة ، أن (الدولة القومية) هي من مخترعات الحضارة الأوروبية ، التي تكونت معظم قومياتها على قواعد الوحدات اللغوية ، فطفقت تنقلهـا ، إلى المجتمعات الشرقية ذات اللغات المختلفة . وما لبثت هـذه أن تلقفت البضاعة الخفيفة المصدرة اليهـا ، فكونت بها قوميات ، لا ترتبط بأي رباط لغوي ، وان يكن توينبي ، لم يدرج العرب في عداد القوميات المنسوجة على منوال القوميات الأوربية ، تحت تأثير غزوهـا ، فهو لم يذكرهم ، في قاعدته ، استثناء . لأن القومية العربية وهي أجل من رباط لغوي أصيل واعمق ، لم تنتظر قرع الثقافة الغربية ، لتتكون على غرار صادراتها التافهة — كما يصفها المؤرخ .

واذ يرمي رام ، بأن الاسلام لم يكن دولة قومية ، وأنه قد جهر ألا فضل لعربي على عجمي الا بالتقوى ، ليبلغ الرامي هدفاً ما من توهين الوجود العربي ، فقد أخطأ الهدف . لأن الاسلام ، بدعوته الى الاخاء والمساواة ، بين الشعوب قد وضع كتاب العرب في عينهم ، واذن برسالتهم ، وبعثهم ينشرونها ، وليس بصاحب عرق من يكون صاحب رسالة . وهذا ليس توهينا للوجود العربي ، بل تعزيزاً لشأنه ، وتمجيدا لانسانيته ، وتكريماً له بحمل الرسالة .

نظام الحركة العربية

وان تكن دول الحضارة الغربية ، في غزوتها المستمرة ، ذات الاشعاعات الفنية الثمينة ، أو التافهـــة المفسدة —

باصطلاح توينبي — ترى اليوم في دولتي السوفييت ، والصين الجديدة ، شارتين كبيرتين من شارات التحدي ، ترسلانها على المدى العالمي ضد الحضارة الغربية وقيمها . فلا ريب أن الغزوة الغربية ، ترى في مجال اقرب الرؤية امامها ، حركة التجمع العربي ، كشارة ليست اقـــل خطرا او خطورة . وحسب الانتشار العربي في مداه القومي ، انه يتصل اتصالا مباشرا بمصاير الملايين في القارتين الكبيرتين ، وحسبه من القوة والمضاء ، انه ليس عنصرا اصطناعيا بل خلية بشرية حية ، تحمل في عناصر تكوينها ، طبيعة امتدادها واتصالها .

وبهذا الوصف ، يخرج العرب ، من موقع التكور القنفذي تقرعه وتوهنه قوى خارجية ، الى موقع الخلية الحية ، المتفرعة في ابعادها الطبيعية ، تواجه حركة التاريخ ، فتتعقد تبعاتها ، وتتضـــاعف أعباؤها ، وتتنوع ثقافتها سعة وعمقاً ، بما تأخذ وبما تطرحه من لقاء الثقافات . فهي ليست ثقافة دفاع فحسب ، فيها الخوف وفيها الحماس العاطفي . وليست ثقافة هجوم فحسب ، فيها الاعتداد بالنفس والمغامرة بها . بل هي ثقافة حركة ديناميكية ذات ناموس ذكي ، موازية لثقل حركة التاريخ وضغطها . يجب أن يكون فيها من الصلابة بقدر ما فيها من المرونة ، ومن الضبط بقدر المغامرة . ومن تلازم المد والجزر وتوازنها ، مثل سرعة الوصول الى القمر ، وبطء الهبوط على سطحه . انها ثقافة الفروسية الأصيلة ، توقع حركتها توقيعاً موزوناً . وما من وصف في الأدب العربي والعالمي ، استطاع أن يصورها ويوقع حركتهـــا بكلمات معدودات ، بأحسن مما فعل شطر البيت المشهور لامرىء القيس :

مُكِرٍّ مُفِرٍّ مقبل مدبر معـــاً

كجلمود صخر حطه السيل من علِ*

(*) سهواً : نلاحظ أن فن التهويل الشعري في عجز هذا البيت المشهور قد ضخم (الحركة) ولكنه شوه جمالها وابطل سحرها . فأين ايقاع الحركة وضبطها في الشطر ، من جموحها وانهيارها بدفع خارجي ، في العجز . هنا وصف (القوة) قد تناقض مع جمال الحركة وطاقتها . ان الكر والفر معاً .. حركة واعية منظمة وجيدة التوازن . أما الجلمود الصخري يدفعه السيل ، فانهيار أعمى .

أفكار في ثقافة المعركة ..

● ان موقعنا في حركة التاريخ يجب أن يقرر ثقافتنا، اذا وعينا، وليست شروط المعركة المادية وحدها . والخروج العربي الى لقاء مع شروط العصر، لأضخم حجماً في مسيرة الأيام ، من مجموعة معارك مع الاستعمار والصهيونية . فاذ لم يغب عن بالنا أبداً ، أن المعارك غبار مصنوع في طريقنا ليحجب عن عيوننا رؤية المسيرة الرائعة ، عرفنا كيف تحدد ثقافة المعركة سلوكنا ، فلا يطوينا الغبار في طريقنا نحو مشارف الخلاص . وهنا يدخل الايمان بصحة خروجنا في جوهر ثقافتنا .

● أعناقنا ، فوق مستوى الهياج أبداً . مهما تلاطم الموج، وصعدت أبراجه. أعناقنا من فوقها رؤوسنا هي وحدها بوصلة المسيرة . فاذا فقدناها فبأي هدي نسير، والخضم لا يرحم الفاقدين أطواقهم. وان من يفقد رباطة جأشه ، لا يؤمن بمجد مصيره .

● لقد انتصر اشيل الإلياذة . ولكن سهماً واحداً قتله في كعبه المكشوف ، بينما هو محصن بزرد الحديد. ولكن أوليس الأوديسة لم تصده اهوال الطريق عن غاية الوصول ، وعندما خشي على نفسه ورفاقه من الانهيار وراء نداء الجنيات — السيرين — الى قاع البحر ، شد جسمه بالحبال الى صاري مركبه ، بعد ان صب الشمع في آذان رفاقه ، فلا يسمعون نداءات القاع ، فسلم ورفاقه . لقد اسعفته ثقافة الحيلة ، وهي الجانب الأكثر وعياً من ثقافة المعركة ، حيث لا تنفع قوته ، وامجاد بطولته . ولم يسقط صريع الطريق بينما الهدف يتراءى لناظريه في البعيد القريب .

● نقول بلغتنا اليومية اننا في صراع مع التخلف ، بينما نحن في صراع مع العدو . صحيح ! بشرط الا نتوهم أن العدو اقرب الى مواقعنا من التخلف ، واقوى علينا من ضعفنا . ثم صحيح ! بشرط الا تكون حجة الجبهتين ذريعة الى الهروب منها معاً . وما يجدي قولنا اننا مغرقون في الجبهة دون الأخرى ، تحت شروط المعركة ؟! ثقافة المعركة تقول إن غطاء اشيل

الزردي ، لم ينقذه من مقتل كمبه . اليس تحصين مقاتلنا ، واكتشاف مقاتل العدو — في ثقافة المعركة — موازين لمناعة الادراع بالحديد من القمة الى الأخمص ؟ بل اثقل وزنا !

● حقيقة العدو في معاقله ومقاتله ، ليست اسراراً من اسرار الاستراتيجية المرسومة في اقماط الذكاء ، عندما يؤلف الشعب بحجمه كله ، جيش الميدان ينصب من حروف الدائرة الى مركزها فيملأ رحابها . وعندما يصبح وصف المعركة بخروج امة كاملة الى ساحة التحدي ، لا يكون دور الشعب ان يتفرج على حلبة صراع : يبرز فيها فارس لفارس اومئة لفارس ! وهل قضيتنا ، فرسان يتبارون في اصابة الهدف ، على مرأى الجماهير ، أم شعب يرتمي في لهيب المعركة ، فتنبت تحت اقدامه مروج الجنة !

● انما الشعب الذي انقلب دوره الى متفرج ، يجب ان يكون أحد اثنين : اما انه قد فقد حس المعركة — وهذا ليس واقع شعبنا — وإما قد اريد له ان يعزل عن المعركة ويلهى بحلبات الصراع النيرونية : وحوش تفترس رجالا ، ورجال يدقون اعناق وحوش ، همجية تدغدغ غرائز القتال وتغني عن المشاركة بالفرجة . فهل ثقافة الامة العربية الحديثة ، ثقافة امة خرجت الى الدوران في حركة التاريخ ، أم ثقافة جمهور من المتفرجين ، يصب هياجات غرائزه على حلبات الفرسان الابطال ، او الفرسان الضحايا ، ثم يذهب الى فراشه لينام مستريحاً .

والمعاذ بالله من ان يفقد الشعب ، على المدى الطويل ، حس المعركة . اذن ! ماذا يبقى لنا من عتاد وعدة ؟!

● ايماننا بصحة خروجنا ، وبجد مصيرنا لا يحجب عنا رؤية الهول في طريقنا أو يقلل من شأنه . فالايمان رؤية واضحة مثلما هو قناعة نفسية غامرة . وعندما ينفصل الايمان عن وضوح الرؤية ، يصبح ثقافة افيونية : إن خط المعركة التي تخوضها الامة ، خط طويل طويل . ولكنه يبدأ من اقرب نقطة تحت انوفنا ، ويمتد حتى يبلغ آخر محشر في قعر جهنم ! فاين قلاعنا ، وخطوط مواصلاتنا ، ومراكز

تموينـنـا ، وقواعد انطلاقنا ، ومراكز التقائنا على طول الطريق الطويل . وماذا بين النقطتين من مراحل التفكير والتدبير، تبعدنا عن مرامي الانوف ، ولا توقعنـا في احضان الهاوية .

● يقول (فرانز فانون) في ثورة الجزائر أن المعركة فرضت ثقافتها على المرأة الجزائرية ، اذ خفت الى المعركة ونزعت حجابهـا ، وخرجت من العزلة الى المشاركة . فلم تكن الثورة حرباً فحسب ، بل ثقافة أيضاً . وانطفأت الحرب، وظلت الثقافة مستمرة الاشتعال . يجب أن نحفر الأقنية ونوزعها لتمر في حياتنا بعيداً ، روافد ثقافة المعركة .

● إن تخلفنا الاقتصادي والاجتماعي، عرض لمرض تخلفنا الثقافي . ـ حقيقة يجب أن ندخلها في البدهيات ـ وعندما نعم أن المعركة ثقافة بترابط حلقاتها : من حمل السلاح الى صنعه ،ومن صنع خطره الى اتقاء خطره . ومن الجرح الى العلاج . ومن المفتاح الى الرتاج،ومن حديد التخريب الى حديد البناء ، ومن حفنة بارود في بندقية صوان، الى صاروخ مسافر بين الافلاك ـ عندما نعي ترابط الحلقات وجدلية السلم والحرب في توسيع نطاق المعركة ،ندرك اي قانون ثقافي نخضع له و نلتزم به انفسنا . والا فحديد السلاح مثل حطب الموقد ! يمنحنا الدفء ... ولكن لا يمنحنا الدم الدافيء .

● في حالة العداء الغامرة التي نجابهها ، ليس علينا أن نحارب العدو فحسب . بل علينا ان نتعلم منه كيف يحارب ، فنقبل عليه ، ونحن نناجزه، ونقبل سلاحه بيننا نحطمه في يده . وان يكن هذا التناقض الجائر ، عبثاً قاسما لا تطيقه ظهور الجبناء ، فهو قدر الذين خرجوا الى ساحة التحدي ، ورياضة الشدة .

ثقافة المعركة والوحدة

● واخيراً ـ هل يجب ان نتعلم من الآخرين كل شيء...حتى صنع الابرة.عجباً ! بلى كل شيء ، حتى صنع (الوحدة) !

... **نحن الذين صنعنـا اكبر وحدات التاريخ ، ووثقناها باقدس رباط . وكنا معلمي التوحيد والوحدة عندمـا كانت الامبراطوريات تسحق الشعوب ، والرعايـا لايعرفون**

هوياتهم – نُفَتّح إلى تلامذة صغار، يحملون كتبهم المدرسية، ويدخلون مدارس اللغات الأجنبية، من الانكليزية إلى الأوردية، ومن الصينيـــة إلى السنسكريتية، ليتعلموا كيف تبني الشعوب وحداتها: الألمانية، الايطالية، الفرنسية السويسرية، اليوغوسلافية، وحدة الشعب الأمريكي الخليط، وحـــدة شعوب السوفييت. وحدة الشعب الصيني. وحدة الشعب الهندي – حيث اذاعة نيودلهي تذيع نشراتها الاخبارية بست عشرة لغة – بل وحدات الجزر توزعها عروض البحار: وحدة جزر اندونوسيا. وحدة جزر اللايو ...!! مجلس وحدة (الشعوب الأفريقية،) بل اكثر: وحدة حلف الأطلسي، ووحدة حلف وارسو *

الا تعلمنا شيئاً ما، هذه المدارس؟! نحن تلامذة (الأمة السياسية) المصلوبة على اربعة عشر صليباً من صلبان المقابر ؟!

● قلنا نتعلم ممن نحاربهم كيف يحاربون. فهل بالسلاح وحده حاربوا، ويحاربون؟! لقد ضربنا الاستعمار كوحدة. وضربتنا الصهيونية (بشعب اسرائيل) كوحدة. ولم يبق علينا إلا أن نهون صغاراً، حتى نتعلم من خليط دين التشتت اليهودي، كيف يصير إلى (شعب) وينصهر في وحدة (دولة)؟! واين؟! في ارضنا. وكيف؟! فوق اشلائنا، وتمزق وحدتنا؟! فهل نشعر الآن بهول حقيقة (التحدي)؟! وما جوابنا!

● جوابنا أننا نحـــارب ولكن باشلائنا. ونحز سيوف الأعداء، ولكن بعروقنا، وننطح قلاعه ولكن بقصار يقفنا. وعندما نعزم على جمع الأشلاء في (حزمة اشلاء)، يتأبى على الحزمة بعض الأعضاء الأشلاء، حتى لا يؤلف قوة ضاربة ما، بحزمة الأشلاء!! هذا هو واقع (الأمة السياسية) البائس.

● ويعود الاستعمار أبداً فيلطمنا بقبضة واحدة. وتلطمنا اسرائيل بقبضة واحدة. ونهز نحن قبضة سياسية

(*) استعين بالاصدقاء على كتاب بعنوان (الوحدات)، فمن ارشدني الى مزيد من مراجعه من الأصدقاء احسن الي. ومن سبقني الى الموضوع أحسن الى امته.

في الهواء . ولكنها بدون أصابع . أصابع قبضتنا فوق التراب تحت اقدامنا وتحت كل الأقدام ، مقطوعة دامية ، كل إصبع قلعة . وكل إصبع راية . وكل اصبع يدلها أن تعود الى قبضة الكف الواحدة، ولايدلهاأن تصبح (الدياسبورا) اليهودية دولة واحـــدة ، فوق أرض (الأصابع المقطوعة) وفوق سيـادات (حزمة الأشلاء) .

● ان ضمير الأمة ، هو عير واقعها السياسي . ضمير الأمة يتمزق أسى . وواقع (الأصابع المقطوعة) اليه فيحالة ليس لها ضمير . تحركت الأمة العربية وصح عزمها ، وطرحت ثقلها في ميدان التحدي . انها أقوى حركة من حركات العصر . فتصدت لها ثلاث قوى جديدة معاصرة : الاستعمار ، والصهيونية ، و (الأمة السياسية). ان هذه الحقيقة الجارحة ، هي التي تحدد ابعاد ثقافة المعركة وتوضح مفاهيمها : أمة ضد أمة . السياسة ضد الطبيعة .

● ان ثقافة المعركة ، هي ثقافة الوحدة ، ولا انفصام . وليس الا هنا ، تلتقي الثقافة الواعية بمضمونها الثوري ، ضد التخلف اللاجيء عزيزاً في حمى (البلقنة العربية) وضد البلقنة التي تعيش من امتصاص عفن التخلف . كيف ؟!

يجيب نكروما الطبيب ، من قبل أن نسأله ، فيقول : ثمة نهر واحد في غانا ، اذا استثمرنا مياهه ، استطعنا أن نعطي افريقيا كلها بالكهرباء وبالطاقة المحركة للصناعة . ولكن مشروعاً ضخماً لكل افريقيا ، لايمكن أن تنهض به وتجمع نفقاته الا افريقيا كلها . !

ولكن افريقيا ليست قادرة على تجميع نفقات مشروع لعموم افريقيا ، — يقول نكروما — طالما أنها مجموعة دول منعزلة ، يعاني كل منها في ضيق وعسر ، وفقر ، بينما الثروة والرخاء بين أيديها مجتمعة متعاونة . فلا بد اذن من سلطة سياسية موحدة ، تجعل الاقتصاد الموحد ، عملاً ممكناً ومجهوداً مثمراً . ووحدة افريقيا الاقتصادية ، نتيجة لوحدة افريقيا السياسية ، ولاسبيل الى العكس .

وفيا عدا ذلك لماذا نفتش عن الظهر في الساعة الرابعة عشرة ...!! لماذا نفتش عن علاج للتخلف في مساعدات السوق الاوروبية المشتركة ، صاحبة الاستعمار الجديد ، ولا نفتش عن علاجه في السوق الافريقية المشتركة ، التي قد لاتحتاج الى مساعدات ؟! وهل ان تؤلف كل دولة افريقية جيشاً لها ، افضل من ان تؤلف بينها صندوقاً مشتركاً ؟! ولماذا ؟! من **اعداء افريقيا؟!أليس عدوا واحدا هو الاستعمار؟!وهل نحن بحاجة الى كل هذه الجيوش، اذا قهرناه بالوحدة؟!** هذه هي بديهيات الرئيس نكروما في ربط التخلف بالتجزئة . والبديهيات عندما تدور في ضمير الشعب ، تصبح كل واحدة منها لغماً وشيك الانفجار ..

اليس من اجل هذا ، وقبل أن تنفجر البديهيات ، طرد المثقف الثوري من بلاده ؟! اليس من خطط المستعمرين أن يطمروا القنابل النكرومية ، ويقذفوا بها ، من قبل أن تنفجر ؟!

وهل ستتشرد ثقافة المعركة طويلاً ، قبل أن تعانق اهدافها ؟!